سير السالك في أسنى المسالك

تأليف

الإمام العلامة الفقيه الزاهد

تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي الشافعي (ت ٨٢٩هـ)

رحمه الله تعالى

تحقيق

أحمد مصطفى مرشد

الجزء الأول

دار الفتح
للدراسات والنشر

بيانات الإيداع في دائرة المكتبة الوطنية بالمملكة الأردنية الهاشمية

الشافعي، تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي.
سير السالك في أسنى المسالك، تقي الدين أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني الحسيني الدمشقي،
تحقيق: أحمد مصطفى مرشد، عمّان، دار الفتح للدراسات والنشر، ٢٠٢٣م.
٥٥٢ ص، قياس القطع : ١٧×٢٤ سم.
الواصفات: الصحابة/ التابعون/ الصفوة/ التراجم/ السنة النبوية.
التصنيف العشري (ديوي) : ٢٣٩,٥
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٢٣/١١/٥٩٤٤)
الرقم المعياري الدولي (ISBN) : ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-٦٧٦-٢

9 789957 236762

الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ

١٤٤٥هـ = ٢٠٢٤م

دار الفتح للدراسات والنشر

أسسها سنة ١٤٢٠هـ= ٢٠٠٠م

د. إياد أحمد الغوج

رقم الهاتف : ٦٤ ٣٥ ٦١٦ ٥١ ٦ (٠٠٩٦٢)
رقم الجوال : ٤٦٧ ٩٢٥ ٧٧٧ (٠٠٩٦٢)
ص.ب : ١٩١٦٣ عمّـان ١١١٩٦ الأردن
البريـد الإلكتروني : info@daralfath.com
الموقع الإلكتروني : www.daralfath.com

سير السالك في أسنى المسالك

مختار

تأليف

الإمام العلامة الفقيه الزاهد

تقي الدين أبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن الحصني

الحسيني الدمشقي الشافعي (ت ٨٢٩هـ)

تحقيق

أحمد مصطفى مرشد

الجزء الأول

دار الفتح
للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

يا من أحصى بِلُطْفِهِ الخَلَائق عددًا، وجعلهم بمشيئته طرائق قددًا، كلٌّ يعْمل على شاكلته فِي عاجلته؛ لآجلته، صلي على صفوتك من أنبيائك، الوَاقِف على سر حَقِيقَة أنبائك، سيدنَا مُحَمَّد خَاتم رِسَالَة الرسَالَة، المُنْتَخب من أكْرم عنصر وأطيب سلالةٍ، وعَلى آله الجامعين لمكارم الأخْلَاق، وصَحبه الحائزين من الفضل مرتبَة الِاسْتِحْقَاق، مَا تزينت الطروس بسطور مدائح ذوي المفاخر، وتعطرت حدائق الأوراق بنشر أزاهر المآثر[1].

وبعد،

فلا تخفى أهمية كتب التراجم والطبقات في كونها تسجيلًا لحياة الأفراد الممتازين على اختلاف ميادين بروزهم، ودرجات تفوقهم، حين تعتبر كتب التاريخ العام تسجيلًا لأطوار الدول، وحياة الملوك، ولذا فلن تجد في الثانية ما تجده في الأولى من اهتمام بحياة الشعوب والأفراد في تفاصيلها الدقيقة، وجوانبها المتنوعة، كبيان معارفهم، ووصف عاداتهم ومعتقداتهم.

وهي مع ذلك لا تهمل الأحداث التاريخية في عصر المترجم لهم، وإن أوردتها في إشارات عجلى وإيماءات سريعة، قد تكون غاية في الأهمية للمؤرخ العام.

---

(١) مقتبس من مقدمة الإمام المؤرخ محمد أمين بن محب الدين الحموي لكتابه المسمى: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (١: ٢).

وكتابنا «**سير السالك في أسنى المسالك**» مما يصدق عليه اعتباره ضمن كتب التراجم؛ لأنه يترجم فعلًا لفئة خاصة من الناس تجمعها صفات الزهد والسلوك مع حسن العبادة والتأله، وتتميز تراجمه بدقة الوصف وإمتاعه، مع قدرة فائقة على إيراد التفاصيل الدقيقة والمعاني البديعة.

إن الله عز وجل ـ وله المِنَّة العُظْمَى ـ أكمل هَذَا الدّين وتممه حكمًا، وأشَارَ إلَى ذَلِك فِي كِتَابه المنزل على خير مُرْسل حتمًا يَقينًا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فلم يبْق بعد الكَمَال غَايَة ترَاد، ولَا حكم يُوجب، ولَا فَرِيضَة تزاد.

والدّين المشار إليه: مَا شَرعه سيدنَا رَسُول الله صلوَات الله وَسَلَامه عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا شَرعه بِأَمْر الله تعالى ووحيه، وكشف بِإِذْنِهِ عَن حَقِيقَة أوامره وَنَهْيه، يُعْلم ذَلِك مُبينًا مشروحًا من قَوْله تَعَالَى ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤][(١)].

فلما تكفل الله عز وجل بحفظ هذا الدين الذي أنزله على خاتم أنبيائه ورسله، هيّأ الله عز وجل لنبيه ﷺ أصحابًا ـ هم صفوة الخلق وخيرته بعد الأنبياء ـ وجعلهم وزراء له وأنصارًا وأتباعًا[(٢)]، فحملوا الأمانة من بعده ﷺ، فأدّوها ورعوها حق رعايتها، وجاهدوا في الله حق جهاده، وسار التابعون لهم بإحسان على طريقتهم ومنهجهم إلى يوم الدين.

---

(١) «الرد الوافر» لابن ناصر الدين الدمشقي (١٥٠).

(٢) أخرج الإمام أحمد في «مسنده» (٣٦٠٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنًا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئًا فهو عند الله سيئ».

فلما ظهرت البدع وكثر من ابتدع، وحصل التداعي بين الفرق، فكل فريق ادعوا أنّ فيهم زهادًا وعبادًا، انفرد خواص السنة الحافظون قلوبهم عن طوارق الفتنة، فهم ودائع مدد الله وخزائن أسراره، إليه يرجعون، وبه يهيمون، وعليه يتوكلون، وإلى غيره لا يلتفتون.

وهم رضي الله عنهم على مشارب وأطوار، منهم: المُتحلِّي بالتجرّدِ عن الآثار، ومنهم: المتطيلس بطليسان الذلِّ لله والانكسار، ومنهم: الذين سلكوا طريق الفقر والافتقار، واشتهروا باسم الصوفية والفقراء(١). وهذا المشرب الأخير هو موضوع كتابنا الذي نقدمه الآن.

«فقد تشرف ناظري، وانبسط فكري وخاطري، بالنظر والتأمل في مواضع من هذا التأليف الفائق، والأنموذج الرائق، فإذا هو لسان التحقيق، وعين التدقيق؛ قد جمع فيه مؤلفه من المنقول عُراه، ومن المعقول ذراه، لم أجد في هذا القصد من نسج على منواله، ولا سمحت قريحة بمثاله، بل ولا تشبث بأسبابه وأذياله، فعينُ الله تعالى على همة تكلفت بهذا المؤلف الرفيع، وحرسُ الله تعالى على قريحة سمحت بهذا الجمع والوضع المنيع، فجزى الله تعالى مؤلفه بكل جميل، وأتحفه بمزيد فضله الجزيل»(٢).

فها هو بين أيديكم أيها القرّاء الكرام في مشارق الأرض ومغاربها كتاب «**سير السالك في أسنى المسالك**» أقدمه اليوم بعد أن ظل حبيس الأدراج ما يزيد على ستة قرون من تاريخ هذه الأمة المباركة، وقد جمعتُ ما استطعت جمعه من نسخه، فتم

---

(١) من مقدمة الدكتور مجدي محمد إبراهيم لكتاب «مراقة الأنفاس» (١٧٤).

(٢) من كلمات الشيخ عبد القادر المرشدي في تقريظه لأحد مصنفات الإمام المناوي، رحمهما الله تعالى. انظر: «إعلام الحاضر والبادي» لتاج الدين محمد (ق٢٣: أ) نسخة الحرم المكي.

لنا خمسُ نسخٍ ما بين كاملة وناقصة، وبذلت في خدمته ما أفاض الكريم على عبده الضعيف؛ فلم يضنّ عليه بجهد ولا وقت؛ حتى يخرج في أبهج حلة وأحسن صورة.

وقد قدَّمتُ له بدراسةٍ تحتوي على فصلين:

الفصل الأول: ترجمة الإمام الفقيه تقي الدين الحصني رحمه الله تعالى.

الفصل الثاني: التعريف بالكتاب.

فالحمد لله أولًا وآخرًا على ما منّ سبحانه وأسدى إليّ من عظيم نعمه، ووافر عطاياه، ثم على ما منّ به عليّ من سلوك سبيل طلب العلم، والأخذ من ميراث النبي ﷺ، الذي من أخذ به أخذ بحظ وافر، فله الحمد والشكر على ذلك كثيرًا، ظاهرًا وباطنًا، كما أسأله سبحانه المزيد من فضله.

وعرفانًا بالجميل ووفاءً لأهل الفضل، وعملًا بقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، وتأسيًا بهدي الحبيب محمد ﷺ في رد الجميل إلى أهله في قوله: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**»[١].

وقديمًا قال الشاعر فأجاد:

فَلَو كانَ يَستَغنِي عَنِ الشُّكرِ ماجِدٌ ... لِعِـزّةِ مُلْـكٍ أو عُلُـوِّ مَكانِ
لَـمـا أمَـرَ الله الـعِـبادَ بشُـكْـرِهِ ... فَقال: اشكُرُوا لِي أيُّها الثَّقَلانِ[٢]

ـ أشكر بعد الله والديَّ الكريمين، امتثالًا لقول الحق سبحانه: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤]، جزاهما الله عني خيرًا وأحسن لهما العاقبة، بعد طول عمر وحسن عمل.

---

(١) «جامع الترمذي» (١٩٥٥). وقال: «هذا حديث حسن».

(٢) «عيون الأخبار» (٣: ١٦١) والبيت من الطويل، وهو للشاعر كلثوم بن عمر العتابي.

- كذلك لا أنسى من جعل الله بيني وبينها مودة ورحمة، زوجتي الكريمة: أم مصطفى وسارة، بنت محمد رجب، بارك الله لها ولوالديها، وجعلها قرة عين لي في الدنيا والآخرة، فكم صبرت على بُعدي عنها وانشغالي، فكانت نعم الزوجة، بارك الله لها وأحسن إليها.

- وكذلك لا يفوتني أن أتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى الإخوة الأفاضل الذين شاركوني في نسخ الكتاب ومقابلته وضبطه، وحل الإشكالات الموجودة في نصه، وهم: الأستاذ: مصطفى كامل، والأستاذ: كرم مسعود، وفقهم الله جميعًا.

ولا أنسى شكر السادة الأفاضل **بدار الفتح** المباركة، بداية من مديرها فضيلة الدكتور: **إياد أحمد الغوج** حفظ الله مهجته، وأدام بهجته؛ الذي أبدى اهتمامه البالغ بهذا العمل، وأكثر من السؤال عنه وتتبع أطواره، حتى وصل إلى مراحله الأخيرة، وتكبد في سبيل ذلك جهودًا عظيمة.

وكذلك الإخوة الكرام في هذا الدار؛ فقد قاموا بعمل عظيم في مراحل التصحيح والمراجعة والمراقبة والإخراج، باجتهاد ودأب حثيثَيْن، دون فتور أو ملل في خدمة هذا العمل العظيم.

وإلى الله أتوجه أن ينفع بهذا الكتاب المسلمين أينما كانوا، وأن يثيب كل من ساعد في إخراجه خير ما يجزي الصالحين. وهذا جهد المقل، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى، فله الحمد والفضل، وما كان فيه من خطأ فمني، **وقد قال المزني**: «لو عورض كتاب سبعين مرةً لوُجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتاب صحيحًا غير كتابه»(١).

«جعلنا الله ممن تكلف الجهد في حفظ السنن ونشرها، وتمييز صحيحها من سقيمها، والتفقه فيها، والذب عنها، إنه المانّ على أوليائه بمنازل المقربين، والمتفضِّل

---

(١) رواه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١: ١٤).

على أحبابه بدرجة الفائزين. والحمد لله رب العالمين، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبع رشده»[١].

وختامًا: أسأل الله تعالى الذي منّ بإتمامه أن يَمُنّ بقبوله، وأن ينفع به، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

والحمد لله أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا.

وكتب

أَحْمَدمُصْطَفَىٰمُرْشِد

في مصر بلد الأزهر الشريف

حفظه الله من كل مكروه وسوء

---

(١) مقتبس من كلام الحافظ ابن حبان في خاتمة كتابه «الثقات» (٩: ٢٩٧).

الفصل الأول
ترجمة الإمام تقي الدين الحصني
(٧٥٢-٨٢٩هـ)[١]
رحمه الله تعالى

المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ومولده

هو العارف بالله، المنقطع إليه، زاهد دمشق في زمانه، الأمّار بالمعروف، النهّاء عن المنكر، الشديد الغيرة لله[٢]، الإمام العالم، الناسك العابد، التقي الزاهد، الشيخ الصالح، الفقيه الورع، الحسيب النسيب، بقية السلف الصالحين[٣]، تقي الدين، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن[٤] بن حَريز بن مُعلّى بن موسى بن حريز بن سعيد

---

(١) انظر ترجمته في: «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٦)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦)، و«درر العقود الفريدة» للمقريزي (١: ١٤٢)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨)، و«كنوز الذهب في تاريخ حلب» (١: ٤٩٠)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨١)، و«نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦)، و«الأنس الجليل» (٢: ١٧٤)، و«سلم الوصول إلى طبقات الفحول» (١: ٨٨)، و«شذرات الذهب» (٩: ٢٧٣)، و«البدر الطالع» (١: ١٦٦)، و«منادمة الأطلال» (٣٠١)، و«الزيارات بدمشق» لمحمود العدوي (٧٢-٧٣)، و«الأعلام» للزركلي (٢: ٦٩)، و«معجم المؤلفين» (٣: ٧٤)، و«هدية العارفين» (١: ٢٣٦)، و«معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» (١: ١١٠)، و«معجم تاريخ التراث الإسلامي» لبلوط (١: ١٣٩).

(٢) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨٣).

(٣) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٤) في «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤): «أبو بكر بن محمد بن عبد الله».

ابن داود بن قاسم بن علي بن علوي ـ بفتح المهملة واللام؛ اسم بلفظ النسب ـ ابن ناشب ـ بنون ثم معجمة ـ بن جَوْهر بن علي بن أبي القاسم بن سالم بن عبد الله بن عمر بن موسى بن يحيى بن علي الأصغر بن محمد التقي بن حسن العسكري بن علي العسكري بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب التقي الحسيني الحصني ثم الدمشقي الشافعي، ويُعرَف بالتقي الحصني[١].

ـ مولده:

وُلِد في قرية (الحصن)[٢]، في أواخر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة[٣].

المبحث الثاني: نشأته وحياته ورحلاته

قَدِم الشيخ تقي الدين الحصني إلى دمشق؛ وسكن المدرسة البادرائية، وبدأ في طلب العلم، فأخذ عن المشايخ الموجودين، وجَدَّ في الطلب حتى بلغ في العلم مبلغًا حسنًا، ثم اشتغل بالتدريس، وأحَبَّه الطلبة، وصاروا يخرجون معه إلى أماكن النزهة.

وقد تزوَّج الشيخ عدة نساء[٤]، ثم إنه أقبل على العبادة قبل الفتنة[٥]، وتخلَّى عن النساء، وانجمع عن الناس مع المواظبة على الاشتغال بالعلم، وبعد الفتنة زاد

---

(١) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨١)، والحصني نسبةً إلى (الحِصْن)، وهي قرية من قرى حوران، وهذا هو ما ذكره معظم من ترجموا للمؤلف. وانظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٣).

(٢) انظر: «معجم المؤلفين» (٣: ٧٤).

(٣) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٤) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٥) يعني: فتنة تيمورلنك. انظر: «منادمة الأطلال» (٣٠١).

تقشُّفه وإقباله على الله عزَّ وجلَّ وانجماعه عن الناس[١]، ومع ذلك فقد كثر أتباعه، واشتهر اسمه، وامتنع من مكالمة أكثر الناس، لا سيما مَن يتخيَّل فيه شيئًا، وأطلق لسانه في الأمراء والقضاة ونحوهم من أرباب الولايات[٢].

قال ابن قاضي شهبة: «وله في الزهد والتقلُّل من الدنيا حكايات، لعل أنه لا يوجد في تراجم كبار الأولياء أكثر منها، ولم يتقدَّموه إلا بالسبق في الزمان»[٣].

وقال الغزي: «وعمل في آخر عمره مواعيد بالجامع الأموي، وهرع إليه الناس، وكنت من جملة مَن سَمِعه، ويتكلَّم بكلام حَسَن مقبول منقول عن السلف الصالح، كالحارث المحاسبي، وبشر الحافي، والجُنَيد، والسَّرِي، والشِّبلي، ومشاهير أئمة الصوفية رضي الله عنهم»[٤].

هذا، وكان الشيخ قد سكن بالشاغور[٥] عند مسجد المزاز عدة سنين بعد الفتنة إلى وفاته[٦].

وأصابه في آخر عمره وَقْرٌ في سَمْعه، وضعف في بصره.

وقام في آخر حياته بعمارة رباط داخل باب الصغير، وساعَدَه الناس في ذلك بأموالهم وأنفسهم، ثم شرع في عمارة خان السبيل في محلة المصلى، وفرغ من عمارته في مدة قريبة، ولم يَبقَ فيه عند وفاته إلا تَتِمّات.

---

(١) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٨)، و«الزيارات بدمشق» للعدوي (٧٢).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦).

(٣) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦).

(٤) «بهجة الناظرين» (١٧٠).

(٥) الشاغور؛ بالغين المعجمة: محلّة بالباب الصغير من دمشق مشهورة، وهي في ظاهر المدينة. انظر: «معجم البلدان» (٣: ٣١٠)، و«مراصد الاطلاع» (٢: ٧٧٤).

(٦) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩).

- **رحلاته:**

أما رحلاته فقد رحل الشيخ أول أمره إلى دمشق، وبها كان معظم إقامته.

كما رحل إلى القدس، وسكن فيها مدة، وألَّف فيها بعض مؤلَّفاته.

كما رحل أيضًا إلى حلب في سنة عشرين وثمانِ مئة[1].

المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته

كان رحمه الله تعالى عابدًا، تقيًّا، زاهدًا، وَرِعًا، وكان خفيف الروح منبسِطًا، وله نوادر، وقد حُبِّبَت إليه العُزلة عن الناس في أُخرَيات حياته، ومع ذلك كان خفيف الروح، ولذا كان الطلبة يخرجون معه إذا خرج إلى أماكن النزهة، وكان يَحُثُّهم على الانبساط واللعب، وذلك مع الدين المتين والتحرُّز في أقواله وأفعاله[2].

قال الغزي: «وكان رحمة الله عليه من المهابة والأنس الكثير ما لا يَخفَى لمن له فطنة أنه وليّ الله في زمانه»[3].

قال ابن خطيب الناصرية: «وكان إمامًا فاضلًا، آمِرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، يحتقر أبناء الدنيا ويَسُبُّهم، وكان معظَّمًا عند الدماشقة إلى غاية ما يكون، وكانت ترِد المراسيم الشريفة من السلطان بألا يعترض عليه أحد، ولا يخالفه في أمرٍ بمعروف، ولا نهيٍ عن منكر»[4].

قال زين الدين الملطي: «وكان من أجَلِّ فقهاء الشافعية، وله علم وعمل وصلاح مشهور، وخير وعِفّة وديانة، بل كان من الأولياء، وكان دائمًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مشدِّدًا في ذلك»[5].

---

(١) انظر: «الرد المنتخب» (٢: ٧٧٧).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٦)، و«بهجة الناظرين» (١٦٨).

(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) «الدر المنتخب في تكملة تاريخ حلب» (٢: ٧٧٧).

(٥) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦).

المبحث الرابع: طلبه العلم

قَدِم الإمام تقي الدين من قريته الحصن التي وُلِد بها إلى بلده الثاني دمشق، وسكن المدرسة البادرائية التي أنشأها نجم الدين عبد الله بن محمد البادرائي، وبدأ في الجد والاجتهاد، فنهَلَ من علماء عصره الكبار، وظل مواظبًا على طلب العلم، حتى بلغ فيه مبلغًا حسنًا، فبرع في الفقه والأصول والزهد والعقيدة، وكتب الكثير بخطه مع خَلْوته(١)، وتذكر المصادر أنه تَشارَك هو والعز بن عبد السلام المقدسي في الطلب(٢).

وقد عاش الشيخ في حي الشاغور بدمشق سنين عدة، بالقرب من مسجد المزاز، وتزوَّج عدة نساء، وذلك قبل أن يُقبِل على العبادة والخلوة، وينزوي عن الناس، وله في الزهد حكايات عدة.

المبحث الخامس: شيوخه

جلس رحمه الله بين يدَي العلماء ينهَل من علمهم، ويستفيد من بحر جُودهم، فقد رحل رحمه الله عدة رحلات، وأخذ العلم على يد عدد من المشايخ من كبار علماء عصره، فأفاد منهم، ونهَل من مَعِينهم، ومن أبرزهم:

١ـ **الإمام نجم الدين أبو العباس**، أحمد بن عثمان بن عيسى المعروف بابن الجابي، أخذ الفقه عن الشرف الغزي، والعماد الحسباني، وعلاء الدين حجي، والحديث عن البهاء الإخميمي، وبرع في الفروع والأصول، ودرَّس وأفتى، وكان سريع الإدراك، حسَن المناظرة، يتوقد ذكاءً، تُوفي سنة (٧٨٧هـ)(٣).

---

(١) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩). (٢) انظر: «الضوء اللامع» (١١: ٨٢).

(٣) انظر ترجمته في: «توضيح المشتبه» (٣: ٣٥)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٤٧)، و«الدرر الكامنة» (١: ٢٣٥).

٢ـ **الإمام صدر الدين أبو الفضل**، سليمان بن يوسف بن مفلح الباسوفي، أخذ الأصول عن البهاء الإخميمي، ولازَمَ العماد الحسباني، وعلاء الدين حجي، وولي الدين المنفلوطي، ثم حُبِّب إليه الحديث، فأخذ في السماع، ورحل إلى حلب والقاهرة، وكان سريع الحفظ، قوي الذاكرة، درس في العزيزية وغيرها، تُوفي سنة (٧٨٩هـ)[١].

٣ـ **الإمام شمس الدين أبو عبد الله**، محمد بن سليمان الصرخدي، أخذ الفقه عن ابن قاضي شهبة، والعماد الحسباني، والنحو عن أبي العباس العنابي، وكان أجمع أقرانه للفنون، ولسانه دون قلمه، وصنَّف تصانيف بديعة، منها: «**شرح المختصر**»، و«**مختصر المهمات**»، و«**مختصر التمهيد**» للإسنوي، تُوفي سنة (٧٩٢هـ)[٢].

٤ـ **الإمام شرف الدين أبو البقاء**، محمود بن محمد بن أحمد البكري، أخذ عن والده، والتاج السبكي، والشمس ابن قاضي شهبة، وبرع في الأصول والنحو، والمعاني والبديع، ولازَم الإفتاء والتدريس، وتخرَّج به خَلْق كثير من فقهاء البادرائية وغيرها، تُوفي سنة (٧٩٥هـ)[٣].

٥ـ **الإمام شهاب الدين أبو العباس**، أحمد بن صالح بن أحمد البقاعي، أخذ عن الحافظ المزي، والنور الأردبيلي، وأبي البقاء السبكي، والبهاء الإخميمي، وغيرهم، وبرع في الفقه وغيره، وانتهت إليه رئاسة الشافعية بدمشق، وله: «**حل المختصر**»،

---

(١) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (٢: ١١)، و«الرد الوافر» (١٠٠)، و«السلوك لمعرفة دول الملوك» (٥: ٢٠٣)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٥٢).

(٢) انظر ترجمته في: «ذيل التقييد» (١: ١٢٨)، و«الدرر الكامنة» (٥: ١٩١)، و«سلم الوصول» (٣: ٢٩٦).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٨١).

و«**المنهاج**»، كلاهما في الأصول، و«**التمييز**» في الفقه، و«**العمدة**»، تُوفي سنة (**٧٩٥هـ**)[١].

٦ـ **الإمام بدر الدين أبو عبد الله**، محمد بن أحمد بن مكتوم، أخذ الفقه عن العماد الحسباني، وعلاء الدين حجي، وحفظ «**التنبيه**» و«**الحاوي**»، وأخذ النحو عن أبي العباس العنابي، وبرع فيه حتى تولَّى مشيخته بالناصرية، وتُوفي سنة (٧٩٧هـ)[٢].

٧ـ **الإمام شرف الدين أبو الروح**، عيسى بن عثمان بن عيسى الغزي، أخذ الفقه عن التاج السبكي، والجمال الإسنوي، والعماد الحسباني، والشمس ابن قاضي شهبة، وغيرهم، ودرَّس وأفتى، وولي القضاء وصنَّف التصانيف، ومنها: «**شرح المنهاج الكبير**»، و«**مختصر الروضة**»، و«**الجواهر والدرر**»، و«**الرد على المهمات**»، وتُوفي سنة (**٧٩٩هـ**)[٣].

المبحث السادس: تلاميذه

كما ذكرنا في صفاته: أن الإمام تقي الدين كان له تلاميذ يخرج معهم إلى النزهات، ويَحُثُّهم على الانبساط، وكانت له معهم نوادر، ولم نجد ممن ترجم له ذكر أسماء تلاميذه، غير أنهم صرَّحوا باسم ابن أخيه الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن حسن بن محمد الحصني، وأنه تفقَّه على عمِّه، وانتفع به انتفاعًا كبيرًا،

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٤٤)، و«الدر الكامنة» (١: ١٦٣)، و«بهجة الناظرين» (٢١٢)، و«سلم الوصول» (١: ١٥٢).

(٢) انظر ترجمته في: «إنباء الغمر» (١: ٥٠٢)، و«الدرر الكامنة» (٥: ٧٨)، و«شذرات الذهب» (٨: ٥٩٨).

(٣) انظر ترجمته في: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٣: ١٥٩)، و«الدرر الكامنة» (٤: ٢٤١)، و«البدر الطالع» (١: ٥١٥).

ولزم طريقته في العبادة والتجرُّد، وقام في عمارة المدرسة البادرائية، وولي التدريس بها، ولم يقبض منها شيئًا مقابل ذلك، ودرس أيضًا بالمدرسة الشامية، وتوفي سنة (٨٣٤هـ).

وقال الإمام الغزي: «واجتمعت به مرّات، وكان يحبني، ولي منه منزلة، وترحَّم على والدي، وعمل في آخر عمره مواعيد بالجامع الأموي، وهرع إليه الناس، وكنت في جملة من سمعه»(١).

المبحث السابع: ثناء العلماء عليه

قال ابن خطيب الناصرية: «الشيخ الإمام تقي الدين القدوة الرجل الصالح العالم»(٢).

وقال ابن قاضي شهبة: «الإمام العالم الرباني الزاهد الورع... والحاصل أنه ممن جمع بين العلم والعمل»(٣).

وقال الغزي: «الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد الرباني العابد الوَرِع تقي الدين بقية السلف الصالحين»(٤).

وقال السخاوي: «وترجمه بعضهم: بالإمام العلامة الصوفي العارف بالله تعالى، المنقطع إليه، زاهد دمشق في زمانه، الأمّار بالمعروف، النهّاء عن المنكر، الشديد الغيرة لله»(٥).

---

(١) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٢) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٦-٧٧٧).

(٣) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٤) «بهجة الناظرين» (١٦٨-١٦٩).

(٥) «الضوء اللامع» (١١: ٨٣).

وقال العدوي: «الإمام العالم الرباني الزاهد الورع العابد القانت العامل الولي»[١].

وقال زين الدين الملطي: «وكان من أجَلِّ فقهاء الشافعية، وله علم وعمل وصلاح مشهور، وخير وعِفّة وديانة، بل كان من الأولياء، وكان دائمًا في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، مشدِّدًا في ذلك، وشهرته تُغنِي عن مزيد التعريف به»[٢].

وقال الشيخ ابن حجر في «**فتاويه**»[٣]: «فإن قلت: أتقول بمنع خروج النساء إلى المساجد والمواعيد وزيارة القبور غير قبر النبي ﷺ؟ قلت: كيف لا أقول به وقد صار متفَقًا عليه؛ لعدم شرط جَواز الخروج في زمنه ﷺ، وهو التُّقى والعفاف. وقد ذكر ذلك من المتقدِّمين الشيخان الإمامان الزاهدان الوَرِعان الشيخ تقي الدين الحصني، وشيخنا علاء الدين محمد بن محمد بن محمد النجاري، تغمَّدَهما الله برحمته».

المبحث الثامن: مؤلَّفاته

إن مما يُبيِّن مكانة العالم بين أقرانه آثارَه التي يُخَلِّفها بعد موته شاهِدةً على فعاله، وتمكُّنه مما يخوض فيه من أصناف العلوم، والناظر في جريدة مؤلَّفات الإمام الحصني يلمح فيها ما يلي مما يجدر التنبيه إليه، والوقوف عليه.

لقد عاش الحصني طَوال حياته منهمِكًا بالعلم تعلُّمًا، وتعليمًا، وتصنيفًا، وانصرف إلى طلب العلم في فترة مبكرة من حياته وهو لا يزال طفلًا؛ توفيقًا من الله تعالى، مما كان له الأثر الكبير في نبوغه العلمي.

لقد أثرى الإمام الحصني المكتبة الإسلامية بالعديد من المصنَّفات العلمية الفائقة الحُسن في بابها، وقد تنوَّعت هذه المؤلفات في شتى العلوم والمعارف.

---

(١) «الزيارات» (٧٢). (٢) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦).
(٣) «الفتاوى الفقهية الكبرى» (١: ٢٠٢).

قال ابن قاضي شهبة: «والحاصل أنه ممن جمع بين العلم والعمل... وقد كتب بخطه كثيرًا قبل الفتنة وبعدها»[١].

وقال ابن حجر: «وجمع تواليف كثيرة في الزهد والفقه»[٢].

وقال الغزي: «وسكن في القدس مدة، وصنَّف فيها بعض تصانيفه، واشتهر اسمه»[٣].

وقال سبط ابن العجمي: «صاحب التصانيف المفيدة في الفقه والتفسير والتصوف وغير ذلك»[٤].

وقال زين الدين الملطي: «وله عدّة تصانيف جليلة في الفقه»[٥].

وقال الشوكاني: «وله في التصوف مصنفات»[٦].

أولًا: مؤلفاته في العقيدة

١ـ «دفع شُبَه مَن شَبَّه وتمرَّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد»[٧]، مجلد.

٢ـ «شرح أسماء الله الحسنى»[٨]، مجلد.

---

(١) «طبقات الشافعية» (٤: ٧٦-٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٢) «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤). (٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) «كنوز الذهب في تاريخ حلب» (١: ٤٩٠).

(٥) «نيل الأمل في ذيل الدول» (٤: ١٩٦). (٦) «البدر الطالع» (١: ١٦٦).

(٧) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٨) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

ثانيًا: مؤلفاته في التفسير

٣ـ «التفسير»[١]، وهو تفسير آيات متفرقات[٢]، مجلد.

ثالثًا: مؤلفاته في الحديث

٤ـ «تلخيص أحاديث الإحياء»[٣]، مجلد.

٥ـ «شرح الأربعين النووية»[٤]، مجلد.

٦ـ «شرح صحيح مسلم»[٥]، ثلاثة مجلدات.

رابعًا: مؤلفاته في الفقه

٧ـ «آداب الأكل والشرب»[٦].

٨ـ «جواب في الرد على ابن تيمية في مسألة شد الرحال للزيارة»[٧].

٩ـ «الفوائد» في الفقه[٨].

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (**٣: ٣٧٥**)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٢) جاء في «معجم المفسرين» (١: ١١٠): «آيات متفرقة من أول القرآن إلى سورة الأنعام».

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (**٣: ٣٧٥**)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (**٣: ٣٧٥**).

(٥) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (**٣: ٣٧٥**)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٦) انظر: «هدية العارفين» (١: ٢٣٦)، وذكر بروكلمان أن له نسخة في مكتبة برلين برقم (٥٤٦٨).

(٧) رسالة في مجموع بمكتبة بشير أغا برقم (١٤٢).

(٨) ذكر بروكلمان أن له نسخة بمكتبة جامعة هايدلبرج برقم (zs vi 221). انظر: «ذيل تاريخ الأدب العربي» (٢: ١١٢).

١٠ـ «**القواعد**»[١] في القواعد الفقهية، في مجلدين[٢].

١١ـ «**تلخيص المهمات**»[٣]، في مجلدين[٤].

١٢ـ «**شرح التنبيه**»[٥]، في خمسة مجلدات[٦].

١٣ـ «**شرح النهاية**»[٧].

١٤ـ «**شرح الهداية**»[٨].

١٥ـ «**كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار**»[٩]، مجلد.

١٦ـ «**كفاية المحتاج في حل المنهاج**»[١٠]، في خمسة مجلدات.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٢) في «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة: «مجلد».

(٣) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) قال ابن حجر في «إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤): «في مجلد».

(٥) انظر: «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٤)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٦) نسخه منتشرة بمكتبة آيا صوفيا بأرقام (١٢١٠-١٢١١-١٢١٢-١٢١٣).

(٧) انظر: «بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٨) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«كشف الظنون» (٢: ٢٠٢٢)، وقد ذكر حاجي خليفة أنه شرح لهداية المرغيناني الحنفي، والظاهر أنه سهو.

(٩) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«كشف الظنون» (٢: ١٦٢٥)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(١٠) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

خامسًا: مؤلفاته في الزهد والسلوك

١٧ـ «الأسباب المهلكات والإشارات الواضحات في مناقب المؤمنين والمؤمنات وما لهم من الكرامات»[١].

١٨ـ «أهوال القبور»[٢]، مجلد.

١٩ـ «أهوال القيامة»[٣].

٢٠ـ «تأديب القوم»[٤]، مجلد.

٢١ـ «تنبيه السالك على مظانِّ المهالك»[٥]، ستة مجلدات.

٢٢ـ «قمع النفوس ورقية المأيوس»[٦]، مجلد.

سادسًا: مؤلفاته في السيرة والتاريخ والتراجم

٢٣ـ «المولد»[٧] في السيرة[٨].

---

(١) انظر: «تاريخ الأدب العربي» (٢: ١١٧).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨٢)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨)، و«هدية العارفين» (١: ٢٣٦).

(٣) انظر: «منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٤) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«الضوء اللامع» (١١: ٨٢)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٥) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٦) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٧) انظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٥)، و«منادمة الأطلال» (٣٠٢).

(٨) له نسخة بجامعة الإمام برقم (٢٥٢٤)، وتقع في ثلاث ورقات.

٢٤ـ «**سير السالك في أسنى المسالك**» في تراجم الرجال، وهو كتابنا، وسيأتي الكلام عليه في الفصل الثاني.

٢٥ـ «**سير السالكات المؤمنات الخيرات**»[١] في تراجم النساء، مجلد.

المبحث التاسع : ذريته

لم يُخلف الشيخ تقي الدين الحصني إلا بنات، وقد تزوَّج إحداهن ابنُ أخيه، واسمه: محمد بن حسن بن محمد الحصني، أبو عبد الله، المعروف بشمس الدين؛ ومنه تفرعت الأسرة المعروفة ببني تقي الدين الحصني، وقد اشتهر أفراد تلك الأسرة بالنسبة إلى عمهم؛ لجلالة قَدرِه، وهذه الأسرة معروفة بدمشق إلى وقتنا الحاضر، وقد خرج منها علماء وفضلاء.

المبحث العاشر : وفاته

تُوفي الشيخ تقي الدين الحصني رحمه الله يوم الثلاثاء قُبَيل المغرب رابع عشر جُمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانِ مئة للهجرة[٢]، وذلك بخلوته بجامع المزاز بالشاغور في دمشق.

وصلَّى عليه بالمُصلَّى تلميذه وابن أخيه الإمام شمس الدين محمد بن حسن الحصني، كما صُلِّي عليه بحلب صلاة الغائب[٣].

وكانت جنازته مشهودة، وحضرها الخاص والعام، حتى بعض من كانت بينه وبينهم خلافات ومشاحنات.

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧)، و«إنباء الغمر» (٣: ٣٧٥)، و«بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٢) «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧)، و«الزيارات» للعدوي (٧٣).

(٣) «الدر المنتخب» لابن خطيب الناصرية (٢: ٧٧٧).

وكان دفنه يوم الأربعاء بعد طلوع الشمس.

وقد دُفن بالقُبَيْبَات[١] في أطراف العمارة على جادّة الطريق عند البوابة نهاية محلة الميدان[٢]، عند والدته[٣]؛ لأنها كانت من محلة الميدان، وعلى قبره تابوت، وهو معلوم، وقبره يُزار مشهور، ويُتبَرَّك به[٤]، وخُتم عند قبره ختمات كثيرة، وصلّى عليه أُممٌ ممن فاتتهم الصلاة على قبره، ورُؤِيَت له منامات صالحة في حياته وبعد موته[٥].

(١) القُبَيْبَات: محلة جليلة بظاهر مسجد دمشق. انظر: «معجم البلدان» (٤: ٣٠٨).

(٢) انظر: «بهجة الناظرين» (١٧٠).

(٣) انظر: «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٤) انظر: «الزيارات» للعدوي (٧٣).

(٥) انظر: «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٥).

الفصل الثاني
التعريف بالكتاب

المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب

سمَّى المصنِّف كتابه في مقدمته ـ على طريقته المعهودة بالاحتفال بعناوين مصنَّفاته والتنوُّق فيها ـ اسمًا مسجوعًا، متخيَّر الألفاظ، دالًّا على المراد دلالةً مجازية، فقال: «وقد سَمَّيت كتابي هذا: **بسير السالك في أسنى المسالك**»، كما هو مُثبَت بداخل جميع النُّسَخ وعلى صفحة غلافها.

وقد ذكره المؤلِّف في كتابه «**كفاية الأخيار**»[1]، فقال: «والذي لا إله غيره ما عمل عامل على جهل إلّا كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وهذه زيادة خارجة عن الفن الذي نحن فيه، فمن أراد من هذه المناداة فعليه بكتاب **سير السالك في أسنى المسالك**، والله أعلم».

ولم يختلف الذين ذكروا الكتاب في أن اسمه: «**سير السالك في أسنى المسالك**».

ومنهم الذين ترجموا للمؤلفِ رحمه الله:

ـ كابن قاضي شهبة في «**طبقات الشافعية**»[2]، والغزي في «**بهجة الناظرين**»[3]، وحاجي خليفة في «**سلم الوصول**»[4]، و«**كشف الظنون**»[5]، وابن العماد في «**شذرات الذهب**»[6]، وابن بدران في «**منادمة الأطلال**»[7].

---

(١) «كفاية الأخيار» (١٤٨).

(٢) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٣) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٤) «سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٥) «كشف الظنون» (٢: ١٠١٣).

(٦) «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٤).

(٧) «منادمة الأطلال» (٣٠٢).

فثبت أن هذا هو اسمه.

ولا يُعكِّر على ذلك ما جاء في «**الضوء اللامع**»[١]، و«**سلم الوصول**»[٢] من أن اسمه: «**سير السالك على مَضارِّ المسالك**»، فلعله سهوٌ، سببه: اتفاق عنوان هذا الكتاب مع عنوان آخر للمؤلف نفسه، هو: «**تنبيه السالك إلى مظانِّ المهالك**»[٣].

ولا يُعكِّرُ على ذلك أيضًا ما جاءَ في القطعة الصغيرة المصوَّرة من جامعة الإمام من أن عنوانه: «كتاب في تفريق وتمييز السبيل»، فهذا بلا شكٍّ لا يَقدحُ فيما سبق؛ لأنه ذُكِرَ على جهةِ الوصف، لا على جهة تقرير اسمه كما هو ظاهِر من عبارته.

وأيضًا: قد جاء على غلاف نسخة دار الكتب المصرية في تسمية الكتاب: «**سير السالك (إلى) أسنى المسالك**»، فالظاهر أنه مكتوب بخطٍّ حديث، إضافةً إلى أن صفحة العنوان والمقدمة فيها العنوان بالاسم الأول الصحيح.

وجاء في صفحة عنوان النسخة التركية: «**سير السالك إلى أشرف الممالك**»، وهذا عنوان لم يَرِد في شيء من المصادر التي وقفنا عليها، وهو مع ذلك يخالف ما نص عليه المؤلف في المقدمة على تسمية الكتاب بـ«**سير السالك في أسنى المسالك**»، وكذا إحالته إليه في عددٍ من كتبه بالاسم نفسه، فتبيَّن أن العنوان المذكور على هذه النسخة خطأ بلا شك.

المبحث الثاني: نسبة الكتاب إلى مؤلفه

لا ريب في صحة نسبة هذا الكتاب إلى الإمام التقي الحصني رحمه الله تعالى، وذلك لعدَّة دلائل، منها:

أولًا: ثبوت اسم الكتاب ونسبته إلى مؤلِّفه على صفحة العنوان في جميع النسخ.

---

(١) «الضوء اللامع» (١١: ٨٢). (٢) «سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٣) قيد التحقيق، ويخرج عن دار الفتح العامرة بحول الله وقوته.

ثانيًا: أحال المصنف فيه إلى كتابه: «**قمع النفوس**»، وأحال في كتابَيه الآخرَين «**كفاية الأخيار**» و«**سير السالكات**» إلى كتابنا هذا.

ثالثًا: نسبَه إليه كلُّ مَن ترجموا له، بداية من التقي ابن قاضي شهبة[١]، والغزي[٢]، وابن العماد[٣]، وحاجي خليفة[٤]، وغيرهم[٥].

رابعًا: تصريح ناسخ نسخة جامعة الإمام بالإمام التقي الحصني في المقدمة.

خامسًا: اتفاق أسلوب الكتاب وطريقة العرض فيه مع غيره من كُتب الإمام الثابتة المعروفة، كـ«**قمع النفوس**» و«**تنبيه السالك**»، مما يؤكِّد ثبوت هذا الكتاب للإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

سادسًا: عدم وجود أية نسبة للكتاب لغير الإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

وهذه الدلائل كافية لإثبات نِسبة الكتاب إلى مُؤلِّفه رحمه الله.

المبحث الثالث : منهج المؤلف

تمهيد:

اعتنى المسلمون بعلم التاريخ عنايةً فائقة، ولا يُعلَم أمةٌ من الأمم اعتنَت بالتاريخ مقدارَ عناية المسلمين به، **ومما زاد من أهميته: اتصاله برجال الحديث، فقد بدأت المصنفات المتعلقة بأحوال الرجال في وقت مبكر، وذلك للتحقق من معرفة رُواة الحديث وعدالتهم وضبطهم**، ثم تنوَّعَت كُتب التاريخ وتعدَّدت، فمنها ما جاء لدراسة التاريخ على السنين، كما فعل الإمام ابن جريرٍ الطبريّ، وابن الأثير الجزريّ، وابن

---

(١) «طبقات الشافعية» لابن قاضي شهبة (٤: ٧٧).

(٢) «بهجة الناظرين» (١٦٩).

(٣) «شذرات الذهب» (٩: ٢٧٤).

(٤) «كشف الظنون» (٢: ١٠١٣)، و«سلم الوصول» (١: ٨٨).

(٥) «منادمة الأطلال» (٣٠٢).

كثير، وغيرهم، ومنهم مَن درس سيرة النبي ﷺ على حِدة، كابن إسحاق، وابن هشام، والمقدسي، وغيرهم، ومنهم من درس تاريخ الأنبياء عليهم السلام، وتاريخ الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ومنهم من صنَّف كتبًا في التاريخ تناولت مجموعات خاصةً كالخلفاء، كما فعل السيوطيّ، والوزراء، والقُرّاء، والنحاة، والأطباء، وغيرهم.

ومنهم من قَصد بتأليفه ذِكر أعلام الصالحين، وترتيب طبقاتِهم من النُّسّاك ومحَجَّتهم، من قرن الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم، ممن عرف الأدلة والحقائق، وباشَر الأحوال والطرائق، وساكَن الرياض والحدائق، وفارَق العوارض والعلائق، وتبرَّأ من المتنطِّعين والمتعمِّقين، ومن أهل الدعاوي من المتسوِّفين من الكسالى والمتثبِّطين المتشبِّهين بهم في اللباس والمقال، والمخالِفين لهم في العقيدة والفِعال، كالإمام أبي نُعَيم الأصبهاني في «**حلية الأولياء**»، ثم تلاه بعد ذلك الإمام ابن الجوزي الحنبلي في «**صفة الصفوة**»، فسار على درب أبي نُعَيم رحمهما الله تعالى، مع استدراكات وملاحظات سجَّلها ابن الجوزي على أبي نُعَيم في «مقدمته».

ثم جاء الإمام تقي الدين الحصني الشافعي، فتناول مادة «**صفة الصفوة**»، وجعلها في «**سير السالك**»، إلا أنه لم يقتنِصها مجردة، بل تفاعل معها وعلَّق عليها، وكانت له غضبة محمودة على بعض الأحداث التي يرويها.

منهج المؤلف:

- بدأ المصنف كعادة المؤلفين بمقدمة للكتاب، يذكر فيها سبب تأليفه، فقال: «اعلم وفَّقك الله، أنِّي لمّا رأيت لفظ (السبيل) موضوعًا بالاشتراك، ولم يتمسَّك بالسويِّ منه إلّا ذاك وذاك، أجمعت أمري على الفرقان بين الحقِّ والباطل، وتمييز الموفِّي من المماطل، وها أنا أذكر سبب الاشتباه؛ ليحصل لكلِّ مَن وُفِّق الانتباه».

فكأنه لكثرة ما عَمَّ وانتشر في زمانه من الاشتباه والخلط في أمور الشريعة قرَّر أن يكتب هذا المصنَّف الرائق؛ ليُبيِّن فيه الحقائق، ويُوضِّح فيه الأمور، ويضع كل شيء في نِصابه، فقال: «سببه أنّ الدعاة إلى الله تعالى وإلى سبيله فرقتان باعتبار الزمان، وإلّا فهما في الحقيقة واحدة:

فرقةٌ رسمت نفسها بالفقهاء، وأخرى بالفقراء، بل بالأولياء، فتبعهم الخلق؛ لأنّهم القادة، وما علموا أنهم عن الصِّراط السويِّ حادوا، وسلكوا سُبل العادة، لهم أحوال وأقوال غريبة عجيبة، كما ترى خلَلها ظاهرًا لا يَخفى إلّا على أكْمهَ لا يعرف القمرا».

ثم مضى المؤلف يذكر صورًا وأمثلة من انحـراف الفقـهاء والفقراء في زمانه، واشتد عليهم - كعادته - في اللَّوم والتقريع والتوبيخ.

فكان يقول: «ترى الفقيه منهم ينثر من فيه دُرَرًا، ويشير بفِعله القهقرى... وترى الصوفيَّ قد صفا قلبه للمَزبَلة، فيُظهِر زهدًا، ولو جاءه نقيرٌ من غُلولٍ قَبِله، أيُّ مصيبةٍ أعظم من هذا... وَيحَك! بل وَيلَك! أتدري خطاب مَن هذا؟ أتدري نهي مَن هذا؟ ... وَيحَك! اتَّخذتَ أعزَّ التجارة، وجعلتَه وسيلةً للمزبلة، خِبْتَ في صفقتك هذه وخَسِرت... وَيحَك! اتخذته لغرضك الفاسد من طلب المال والجاه، والارتفاع على الأقران، وصرف وجوه الناس إليك...».

ومثل هذا كثيرٌ في ثنايا الكتاب، وفي تعاليقه على عشرات المواضع التي يذكرها.

ويترجَّح عندي: أنَّ سبب شدة المصنِّف على مَن حوله من الفقهاء هو ما رآه من سوء فعالهم وأقوالهم التي لطالما ذكرها وأشار إليها في كتابنا هذا.

فقد رآهم يبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل، ورآهم يدخلون على الظالمين ويسارعون في خدمتهم والتذلل لهم، ورآهم يستحلون أكل أموال الناس بالباطل،

ويجورون في الأحكام، ويتقربون إلى السلاطين والأمراء بشتى السبل، إلى غير ذلك مما ضيق عليه أرضهم، فآثر الإنعزال عن الناس، والمكوث وحيدًا أغلبَ الوقت، والانجماع عنهم، والخَلوة وحده، وهذا ما أكَّده الإمام السخاوي بقوله: «أقبَل على ما خُلِق له، وتخلَّى عن النساء، وانجمع عن الناس، مع المواظبة على الاشتغال بالعلم والتصنيف، ثم بعد الفتنة زاد تقشُّفه وزُهده، وإقباله على الله تعالى وانجماعه... ثم ازداد بعد الفتنة تقشُّفه وانجماعه، وكثرت مع ذلك أتباعه، حتى امتنع من مكالمة الناس، وصار يُطلِق لسانه في القضاة وأصحاب الولايات»(١).

ـ ثم مضى المصنِّف يتكلم عن موافقة القول للعمل وما يتعلَّق به، وشحن لذلك ما استطاع من أدلة الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، وكذلك ما رآه وسمعه عن أهل زمانه في هذا الباب.

ـ ثم مضى في تراجم الصحابة رضي الله عنهم، فبدأ بالعشرة المبشَّرين بالجنة، ثم مَن بعدهم من الصحابة، ثم التابعين وتابِعِيهم، وهكذا، يراعي في كل ذلك ترتيب «**صفة الصفوة**».

ـ ثم ختم التراجم بذِكر بعضٍ من أهل زمانه، رأى أن يُلحِقَهم بتراجم «صفة الصفوة»، ويذكر شيئًا مما عُرف عنهم من الكرامات، ثم ذكر ثلاث قواعد رأى أنه ينبغي تدبُّرها والعمل بها جميعًا، وأنه متى اختلَّ شيءٌ منها لا يتم له الأمر، وهي:

القاعدة الأولى: أن تتعلَّم من العلوم الشرعية ما يصحِّح لك جميع المعاملات، وذلك من باب آداب قضاء الحاجة إلى نهاية الجنايات.

القاعدة الثانية: الجوع.

القاعدة الثالثة: الخمول.

---

(١) «الضوء اللامع» (١١: ٨٢-٨٣).

ـ ثم ختم كتابه بذِكر مسألة (السماع)، وما يتعلق بها ويؤدي إليها، وأول من أظهره ونشره وتكلَّم فيه، فأطال فيها النفس، وذكر أدلة الفريقين، وبيَّن ما فيها، وأظهر الإشكال الواقع في فهمها، ثم انتصر لقول المانعين، واستدل لكل ما يقول من الكتاب والسنة واللغة والشعر، وأجاب عن أدلة المُجِيزين، وبيَّن الإشكال الواقع في فهمها، وقد صاحَب كلَّ ذلك بعضُ شدة كما هي عادته من أول الكتاب.

المبحث الرابع: القيمة العلمية لكتاب «سير السالك»

هذا الكتاب على الحقيقة ليس من إنشاء مؤلِّفه، إنما هو مختصر وملتقَط من «**صفة الصفوة**»، إلا أن هذا لا يقلِّل أبدًا من مكانة «**سير السالك**»، وهذا **للأسباب التالية**:

١ـ كون مؤلِّفه قد أبدع في إيجازه وإخراجه بصورة مستوفية للغرض، مفيدة للباحث.

٢ـ أضاف إليه تعليقات وفوائد مهمة، تفرَّد بها دون غيره.

٣ـ أَلَمَّ بأركان الترجمة وأصولها الرئيسة؛ إذ حوى في غالب التراجم اسم المترجَم له، وكنيته، ولقبه، ونسبه، ووفاته، ومُوجَزًا عن حياته، وبعض أقواله، مع ذِكر شيوخه الذين درس عليهم، أو روى عنهم، وبعض مؤلَّفاته، وغير ذلك بعبارة وجيزة إيجازًا غير مُخِلّ.

٤ـ سعى المؤلف في التقليل من الإسهاب، والتركيز على ما أراد من ذكر حياة الصالحين وضرب الأسوة بهم.

٥ـ لم تَخلُ التراجم من ذِكر بعض الفوائد التي رُوِيت عن الصالحين الذين ترجم لهم.

٦ـ القيمة العلمية لمُختصر الكتاب، وهو الإمام الفقيه الشافعي، تقي الدين الحصني، صاحب المصنَّفات المشهورة في الفقه والسلوك.

فكل هذا وغيره مما يُرسِّخ مكانة هذا السِّفر النفيس، وقيمته العلمية.

المبحث الخامس: المآخذ عليه

إن أي عمل بَشري مهما كان لا بُدَّ أن يعتريه بعض النواقص، وما بيَّنته فيما سبق من قيمته العلمية، وما في الكتاب من محاسن لا يمنع من إبداء بعض الملاحظات عليه، ورأيت أن أُنبِّه على أهمها، فأقول:

١ـ إن كتاب «**سير السالك**» يعتبر مختصرًا لـ«**صفة الصفوة**» لابن الجوزي، من أول التراجم إلى نهايتها، وقد نقل عنه تراجم كاملة دون تغيير في لفظها، وهذا لا يخفى على أي باحث، ومع ذلك لم يذكر هذا الكتاب - أعني: «**صفة الصفوة**» ـ لا من قريب ولا من بعيد، لا بالصراحة ولا بالإشارة، ولم يُشِر أبدًا أنه اختصر كتابه من «**صفة الصفوة**».

٢ـ أنه يستدل أحيانًا بأحاديث شديدة الضعف، وقد تكون موضوعة، مثل:

ـ «أوَّل من ناح وغنَّى إبليس».

ـ «ما اتَّخذ الله وليًّا جاهلًا، ولو اتَّخذه لعلَّمه».

ـ «من جلس إلى قينةٍ يستمع منها صُبَّ في أُذنَيه الآنك»، وقد بَيَّنت حُكم هذه الأحاديث في مواضعها.

٣ـ أحيانًا ينسب بعض الألفاظ إلى مصدر من المصادر، ولا تكون فيه.

٤ـ شدة المؤلف التي لازَمَته من أول الكتاب إلى نهايته، كان يمكن التقلُّل منها في بعض المواضع، وقد بيَّنا سابقًا سبب هذه الشدة.

هذه أبرز الأمور التي ظهرت خلال دراستي للكتاب، وهي لا تقلِّل أبدًا من قيمة الكتاب ومكانته، ولا تُضعِف الثقة به، وذلك لقِلَّتها إذا ما قِيست بمحاسنه، والحسنات يُذهِبن السيئات، ولله دَرُّ القائل[1]:

ومَن ذا الذي تُرضَى سَجاياهُ كُلُّها ... كَفَى المَرءَ نُبلًا أن تُعَدَّ مَعايِبُه

---

(١) البيت من الطويل، وهو ليزيد بن محمد المهلبي. وانظر: «زهر الآداب» (١: ٥٥)، و«جمهرة الأمثال» (٢: ٢٢٦)، و«شرح المقامات» (٢: ٢١٥).

المبحث السادس : أثره في الكتب اللاحقة

لم أقف على مَن نقل عن المؤلف في كتابه هذا إلا الإمام برهان الدين البقاعي رحمه الله، المتوفَّى سنة (٨٨٥هـ) في كتابه: «**إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذِّكر**»، فقد نقل عنه مواضع كثيرة، راجع منها على سبيل المثال: (٦٣-٦٤-٨٦-٨٨-٨٩-٩٠-٩١-٩٢-٩٥-٩٨-١٠٢-١٠٤-١٠٨-١١٠).

ولعل عدم اشتهار الكتاب واعتماد العلماء عليه راجِعٌ إلى وجود أصله - أعني: «**صفة الصفوة**» - وانتشاره، مع شهرة مؤلِّفه التي فاقت وعمَّت أرجاء البلاد.

المبحث السابع : الأصول الخطية المعتمدة في التحقيق

اعتمدت في تحقيق هذا المصنف على خمسة أصول، أصلان كاملان، وثلاثة أصول ناقصة، وإليك وصفها:

أولًا: الأصول الكاملة

الأصل الأول: ورمزه: «د».

وهو من محفوظات دار الكتب المصرية حرسها الله تعالى برقم حفظ (**١٤٧٩** تاريخ تيمور).

وهو أصل تامٌّ نفيس مُتقَن، وذلك لأنه مُقابَل على أصول أخرى، ويقل فيه التصحيفات والتحريفات.

كتب النص بالمداد الأسمر، وكذا العناوين الرئيسة والفرعية.

يقع في (**٣٥٤** صفحة)، ومسطرته: (**٢٥** سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من تسع كلمات إلى أربع عشرة كلمة.

جاء على الغلاف بخط حديث: «سير السالك إلى أسنى المسالك، لتقي الدين

الحصني أبي بكر بن محمد الدمشقي الحسيني الشافعي المتوفى سنة (٨٢٩هـ)، أوله: الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم... إلى آخره. كذا في «**كشف الظنون**».

ترجم فيه العباد الصالحين، وبدأه بذكر الصحابة فالتابعين، ثم سائر العباد، وصدَّره بمقدمة في المواعظ والحث على التقوى، وهي صفحة (**٥٣**)، وختمه بخاتمة في ذلك تَعرَّض فيها لحُكم السماع، وهي من صفحة (**٣٣٢**) إلى آخر الكتاب». انتهى.

وجاء في الصفحة التالية فهرس لتراجم الكتاب، وكتب فيه: «رتَّبنا في هذا الفهرس أسماء المترجمين على حروف المعجم؛ لأن المؤلف لم يرتبهم عليها، بل بدأ بذِكر العُبَّاد من الصحابة فالتابعين، ثم سائر العُبَّاد.

وقد استطرد في المقدمة لذكر بعضهم، ثم أعادهم في مواضعهم، فأشَرنا في هذا الفهرس إلى الموضِعَين، وأول هذه التراجم صفحة (**٥٣**)».

وقد وقع فهرس الأعلام المترجَم لهم في تسع وعشرين صفحة.

جاء على صفحة العنوان: «هذا كتاب سير السالك في أسنى المسالك، لتقي الدين الحصني أبي بكر بن محمد الدمشقي، الحسيني الشافعي، المتوفَّى سنة تسع وعشرين وثمان مئة، ومختصر ه المسمى بالمختار.

وله شرح صحيح مسلم، والتنبيه، والمنهاج، وتلخيص المهمات، وأهوال القبور، وقمع النفوس، وتفسير آيات متفرقات، وشرح الأسماء الحسنى، وسير السالك».

وجاء في قيد الفراغ: «وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة ـ أعاد الله تعالى علينا من بركات مؤلِّفها - في تمام شهر شعبان سنة خمسٍ وعشرين وألف، وقد نقلت هذه النسخة عن نسخةٍ تاريخها: رابع عشر صفر، سنة ثلاث وسبعين

وثمانِ مئة، وهي كُتِبت عن نسخة كُتِبت عن نسخة المصنِّف رحمه الله تعالى.

وكان مدة كتابتها تسعة أيام، مع توعُّك الجسد بالأسقام، مما يحصل لي من جفاء القوم اللئام، قابَلَهم الله بما يستحقون من الآثام».

جاء على صفحة العنوان تملُّكٌ نصُّه: «ملكه الشيخ الكيالي ابن الشيخ... الكيالي الرفاعي الشافعي، عفا الله ... آمين».

وجاءت عدة تَملُّكات أخرى غير واضحة.

ولقد تميَّز الأصل بأنه مقابَل على أصول أخرى، ويظهر ذلك من التصحيحات الكثيرة المنقولة على حواشيه، مع بعض التعليقات التي كان يضعها الناسخ؛ لما يرى من مناسبتها للنص، كأن تكون بيانًا لمعنى غير واضح، أو تعليقًا على شيء.

وتميز كذلك بأنه خالٍ عن الآفات، سليمًا عمّا يعيبه ممّا يصيب الأصول القديمة عادة من تفكُّكٍ وتمزُّقٍ وأَرَضةٍ، أو رطوبة تؤثِّر على حِبره أو ورقه، عدا بعض البقع القليلة التي لم تُؤثر على سلامة النص ووضوحه، والتحريف في بعض الأعلام.

الأصل الثاني: ورمزه: «ق».

وهو من محفوظات مكتبة قرة جلبي، التابعة للمكتبة السليمانية بإستانبول، برقم حفظ (٢٦٩).

وهو أصل تامٌّ نفيس مُتقَن، من أنفَس أصول الكتاب، لأنه منسوخ عن أصل المصنف، كما صرَّح به في عددٍ من حواشيه.

كُتب النص بالمداد الأسمر، وكذا العناوين الرئيسة والفرعية.

يقع الأصل في (٢٠٦ لوحة)، ومسطرته: (٢٥ سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من تسع كلمات إلى ثلاث عشرة كلمة.

جاء على صفحة العنوان: «كتاب سير السالك إلى أشرف الممالك، تصنيف الإمام الفاضل العالم الزاهد، أبو الفضائل، السيد الشريف الحسيب النسيب، الشيخ تقي الدين الحصني رحمه الله، اللهم نوِّر قبره، آنِس وحشته، طيِّب تُربَته، حرِّم على النار مُهجَته، واغفر لنا وله، آمين».

لم يَرِد قيد فراغ في هذا الأصل المبارك، إلا أن المتأمل فيه يرى أنه من منسوخات القرن العاشر، والله أعلم.

جاء على صفحة العنوان هذه الأبيات:

يا رَبِّ ما زالَ لُطفٌ مِنك يَشمَلُني ... عَفوًا بلا عَملٍ منِّي أُقدِّمُه
فكَيفَ تُعرِضُ عنِّي بَعدَ مَسألَتِي ... وقَد تَجَدَّدَ بِي ما أنتَ تَعلَمُه
فاصرِفهُ عَنِّي كَما عَوَّدتَنِي كَرمًا ... إنِّي ببابِك يا مَولايَ ألثُمُه
إن لم تَكُن راحِمًا شَيبِي ومَسكَنَتِي ... فمَن سِواكَ لهَذا العَبدِ يَرحَمُه(١)

في جمادى الأولى سنة خمس...»، وجاءت عدة تملُّكات أخرى غير واضحة.

وجاء على الأصل ختم وقف خاص بالمكتبة، وفيه: «وقف حسين الشهير بقرة جلبي زاده».

وجاء في اللوحة التي تليها: بعض أسماء السادة التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد تميَّز الأصل بأنه منسوخ عن أصل المصنِّف، ويظهر ذلك في التعليقات التي كان يضعها الناسخ على حواشيه، كأن ينقل شيئًا ثم يقول: «هكذا في نسخة المصنف»، أو يُترك الموضع بياضًا، ويقول: «بياض! هكذا في نسخة المصنف».

وتميَّز الأصل كذلك بأنه خالٍ عن الآفات، سليم عمّا يعيبه ممّا يصيب الأصول

---

(١) بعض الكلمات غير واضحة بسبب الترميم، وقد أتممتها من المصادر.

القديمة عادةً من تفكُّكٍ وتمزُّقٍ وأرَضةٍ، أو رطوبة تؤثِّر على حِبره أو ورقه عدا بعض البقع القليلة التي لم تؤثر على سلامة النص ووضوحه.

ثانيًا: الأصول الناقصة

الأصل الأول: ورمزه «س».

وهو قطعة ضمن مجموع محفوظ بمكتبة وطنية باريس برقم حفظ **(٤٥٩١)**.

يقع المجموع كاملًا في **(١٢٤** لوحة).

ويتكون المجموع من عدد من الرسائل وقعت قبل رسالتنا، وهي على النحو التالي:

الرسالة الأولى: «رسالة في فضائل آل عثمان».

الرسالة الثانية: «فضائل الشام».

الرسالة الثالثة: «سير السالك في أسنى المسالك»، ووقع كذلك عددٌ من الرسائل بعد رسالتنا.

كُتب النص بالمداد الأسمر، وكُتبت العناوين الفرعية بالمداد الأحمر.

يقع في (**٢٧** لوحة)، ومسطرته: (**٢٢** سطرًا).

جاء ذكر العنوان مع نسبته للمؤلف الحصني وذكر بعض المسائل.

وهذه القطعة تَعدِل قريبًا من ثُلث المجلد الأول من الكتاب.

لم يَرِد قيد فراغ في هذه الرسالة، ولا في المجموع كله، ولكن الظاهر أنه من منسوخات القرن العاشر تقريبًا.

لم تَسلَم الرسالة من الآفات والرطوبة والترميم، وكل هذا تسبَّب بطمس كثيرٍ من العبارات، وعدم وضوحها.

الأصل الثاني ورمزه: «ج».

وهو قطعة صغيرة ضمن مجموع محفوظ بمكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالمملكة العربية السعودية، برقم حفظ (**٦١٥٤**).

يقع المجموع كاملًا في (١٢٨ لوحة)، ومسطرته: (**٢١** سطرًا).

ويتكون المجموع من عدد من الرسائل هي على النحو التالي:

الرسالة الأولى: «رسالة أيها الولد» لحجة الإسلام الغزالي، وتبدأ من اللوحة الأولى إلى اللوحة (١١/ أ).

الرسالة الثانية: «رسالة الكشف والتبيين عن غرور الخلق أجمعين» للإمام الغزالي، وتبدأ من اللوحة (١١/ ب) إلى اللوحة (**٢٦**/ أ).

الرسالة الثالثة: «أبيات من كلام الإمام الغزالي»، وتبدأ من اللوحة (**٢٦**/ أ) إلى اللوحة (**٢٦**/ ب).

الرسالة الرابعة: «الحصن الحصين» للإمام الغزالي، وتبدأ من اللوحة (**٢٧**/ أ) إلى اللوحة (٤٦/ ب).

الرسالة الخامسة: «أقرب الطرق إلى الله» للإمام نجم الدين البكري، وتبدأ من اللوحة (٤٧/ أ) إلى اللوحة (٤٩/ ب).

الرسالة السادسة: «كيمياء السعادة» للإمام الغزالي، وتبدأ من اللوحة (٥٠/ أ) إلى اللوحة (٥٧/ ب).

الرسالة السابعة: «سراج القلوب في مقامات العوام والخواص»، وتبدأ من اللوحة (٥٨/ أ) إلى اللوحة (٦٥/ ب).

الرسالة الثامنة: «**كتاب في تفريق وتمييز السبيل» لأبي بكر الحسني الحصني الشافعي** ـ وهي كتابنا ـ وتبدأ من اللوحة (٦٥/ ب) إلى اللوحة (**٧٣**/ أ).

الرسالة التاسعة: «مناقب الإمام الغزالي»، وتبدأ من اللوحة (٧٣/ ب) إلى اللوحة (٧٩/ ب).

الرسالة العاشرة: «زيد العلمين وثمرة العملين وطريق النجارة في الدارين»، وتبدأ من اللوحة (٨٠/ أ) إلى اللوحة (٩٢/ ب).

الرسالة الحادية عشرة: «قواعد العقائد» للإمام يحيى بن أبي بكر الحنفي، وتبدأ من اللوحة (٩٣/ أ) إلى اللوحة (١١٢/ ب).

الرسالة الثانية عشرة: «تحفة الإخوان والخلان في بعض آداب أهل العرفان» للإمام شهاب الدين أبي البركات، وتبدأ من اللوحة (١١٣/ أ) إلى اللوحة الأخيرة (١٢٨/ أ).

كُتب النص بالمداد الأسمر، وكُتبت العناوين الفرعية بالمداد الأحمر.

تقع في ثمانِ لوحات، ومسطرتها: (٢١ سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من عشر كلمات إلى ثلاث عشرة كلمة.

وجاء العنوان كالتالي: «كتاب في تفريق وتمييز السبيل لأبي بكر الحسني الحصني الشافعي، تغمَّده الله بالرحمة والرضوان ونفعنا والمسلمين ببركاته، آمين».

وتعدل هذه القطعة قدرًا يسيرًا من المجلد الأول، يقل عن الربع.

لم يَرِد قيد فراغ في هذه الرسالة، ولا في المجموع كله، ولكن الظاهر أنه من منسوخات القرن الحادي عشر تقريبًا.

الأصل الثالث: ورمزه «ل».

وهي قطعة محفوظة بجامعة ليبزج بألمانيا برقم حفظ (٦٩٣).

وهي قطعة صغيرة تبدأ من أول مسألة السماع إلى نهاية الكتاب.

كُتب النص بالمداد الأسمر، وكُتبت العناوين الفرعية بالمداد الأحمر.

تقع في (١٨ لوحة)، ومسطرتها: (٢١ سطرًا)، وتتراوح الكلمات في السطر الواحد من تسع إلى عشر كلمات.

جاء على صفحة العنوان: «من كتاب سير السالك في أسنى المسالك، تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة، الرحلة القدوة، الزاهد العابد، الورع المحقق، مفتي المسلمين، صدر المدرِّسين، لسان المتكلمين، قامع المبتدعين، شيخ النحاة والمحدِّثين، الشريف الحسيب النسيب، نجل سيد المرسلين، ولي الله أبي الصدق، أبي بكر الحسيني الحصني الشافعي، تغمَّده الله تعالى برحمته، وأسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه، آمين».

وجاء في قيد الفراغ: «والحمد لله وحده، وصلى الله على من لا نبي بعده، سيدنا محمد سيد السابقين واللاحقين، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وآل كلٍّ وسائر الصالحين، ورضي الله تعالى عن سادتنا أصحاب رسول الله أجمعين، وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

ووافق الفراغ من تعليقها: نهار الأربعاء ثالث وعشرين ربيع الآخر، من شهور سنة ستٍّ وعشرين وتسع مئة.

قُوبِلَت على أصلها المنقولة منه، فصحَّت ووافقت بحسب الطاقة.

وصلى الله على من لا نبي بعده، سيدنا محمد وآله وسلم».

جاءت بعض الأبيات والنقول والفوائد على صفحة العنوان، وجاءت بعض التعليقات والنقول والمطالب على حواشي الأصل.

لم يَرِد قيد فراغ في هذا الأصل، إلا أن المتأمل فيه يرى أنه من منسوخات القرن العاشر، والله أعلم.

تميَّزت هذه القطعة بأنها خالية من الآفات، سليمة ممّا يعيبها من تفكُّكٍ وتمزُّقٍ وأرضةٍ، أو رطوبة تؤثِّر على حبرها أو ورقها.

المبحث الثامن : منهج التحقيق

جهدت في ضبط نصّ الكتاب، من خلال التأمل الشديد في أصوله، والرجوع إلى «الأصل»(١) الذي نقل منه المصنف، وتخريج النصوص والأقوال المنقولة قدر الاستطاعة، وعلَّقت على بعض المواضع تعليقًا مختصرًا أحيانًا، ومسهبًا في قليلٍ من المواضع، مشيرًا إلى المصادر لمن أراد أن يتوسَّع في البحث.

ويمكن اختصار منهج العمل في الأمور التالية:

أولًا: نسخنا الكتاب نَسخًا دقيقًا متقَنًا، ثم نسَّقنا فقراته، ووضعنا علامات الترقيم المناسبة.

ثانيًا: قابَلنا الكتاب كاملًا على نُسَخه التي وقفنا عليها، ثم بعد الضبط أَعَدنا المقابلة مرةً ثانيةً على النسخة (ق)، ووضعنا ترقيمها بين معقوفين [].

ثالثًا: اتبعنا منهج النصِّ المختار في إثبات النص، حيث هو الأنسب في مثل هذه الحالة.

رابعًا: أثبتنا في النصِّ كلَّ ما يُعِين على تجلِيته وإيضاحه، من تقسيمه إلى فقرات، مع تحديد بداية الأسطر ونهايتها، وغير ذلك.

خامسًا: وضعنا الآيات التي ذكرها المصنف بالرسم العثماني المعروف، مع عزوها بجوارها.

سادسًا: خرَّجنا الأحاديث تخريجًا متوسطًا، فإذا كان الحديث في «**الصحيحَين**»، أو في أحدهما اكتفينا بذلك، ولم نتوسَّع إلا لحاجة، مع نقل أحكام العلماء على الأحاديث.

سابعًا: عزونا الآثار والنقول التي ذكرها المصنف إلى أصحابها من مصادرها

---

(١) أعني: «صفة الصفوة».

الأصلية، فإن لم نقف على المصادر الأصلية، عزَوناها لمصادر أخرى وسيطة تنقل عنها.

ثامنًا: خرَّجنا الأبيات الشعرية المذكورة.

تاسعًا: عرَّفنا بمعاني الكلمات الغريبة، واستعنا في ذلك بالرجوع إلى المصادر المعتمدة، من قواميس لغوية ومعاجم فقهية.

عاشرًا: قمنا بترقيم التراجم؛ ليسهل الرجوع إليها.

حادي عشر: وضعنا بعض العناوين المتعلقة برؤوس الأعلام بين معقوفين.

ثاني عشر: وضعنا مقدمةً علميةً للكتاب في فصلين:

الفصل الأول: ترجمة الإمام تقي الدين الحصني رحمه الله.

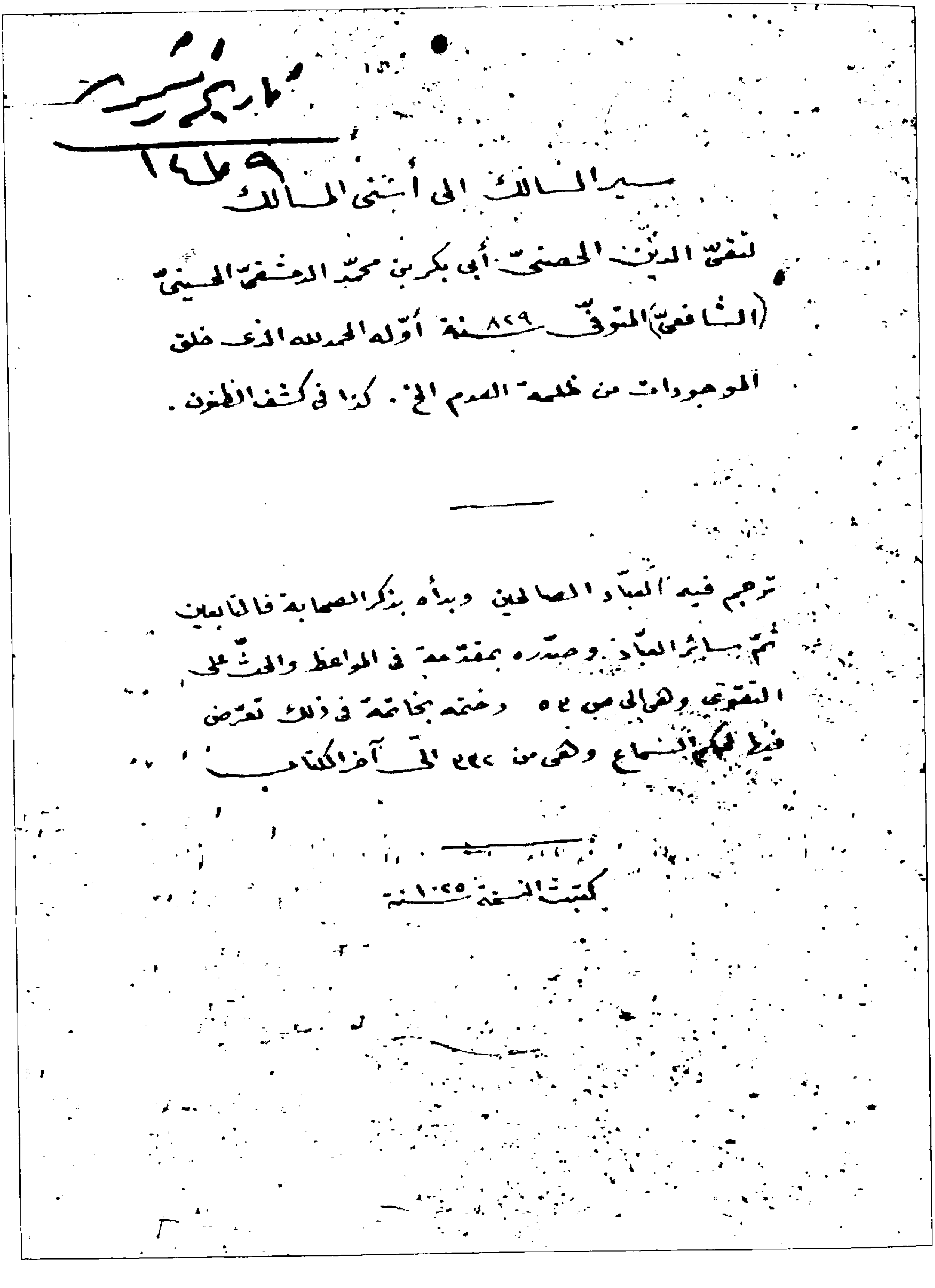
الفصل الثاني: التعريف بالكتاب.

ثالث عشر: وضعنا في نهاية الكتاب فهارس علميةً اشتملت على الآتي:

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الآثار الموقوفة.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأشعار.
- فهرس البلدان والأماكن.
- فهرس المحتويات.

وبعد، فهذا جهدنا المتواضع الذي قمنا به في خدمة هذا الكتاب، والتعليق عليه، راجين من الله عزَّ وجلَّ الذي منَّ علينا بإخراجه على هذا النحو أن يتقبَّله منا، إنه جوادٌ كريم.

نماذج من صفحات
المخطوطات المعتمدة في التحقيق



سير السالك إلى أسنى المسالك

لتقي الدين الحصني أبي بكر بن محمد الدمشقي الحسيني

(الشافعي) المتوفى سنة ٨٢٩ أوله الحمد لله الذي خلق

الموجودات من ظلمة العدم الخ. كذا في كشف الظنون.

ترجم فيه العباد الصالحين وبدأه بذكر الصحابة فالتابعين

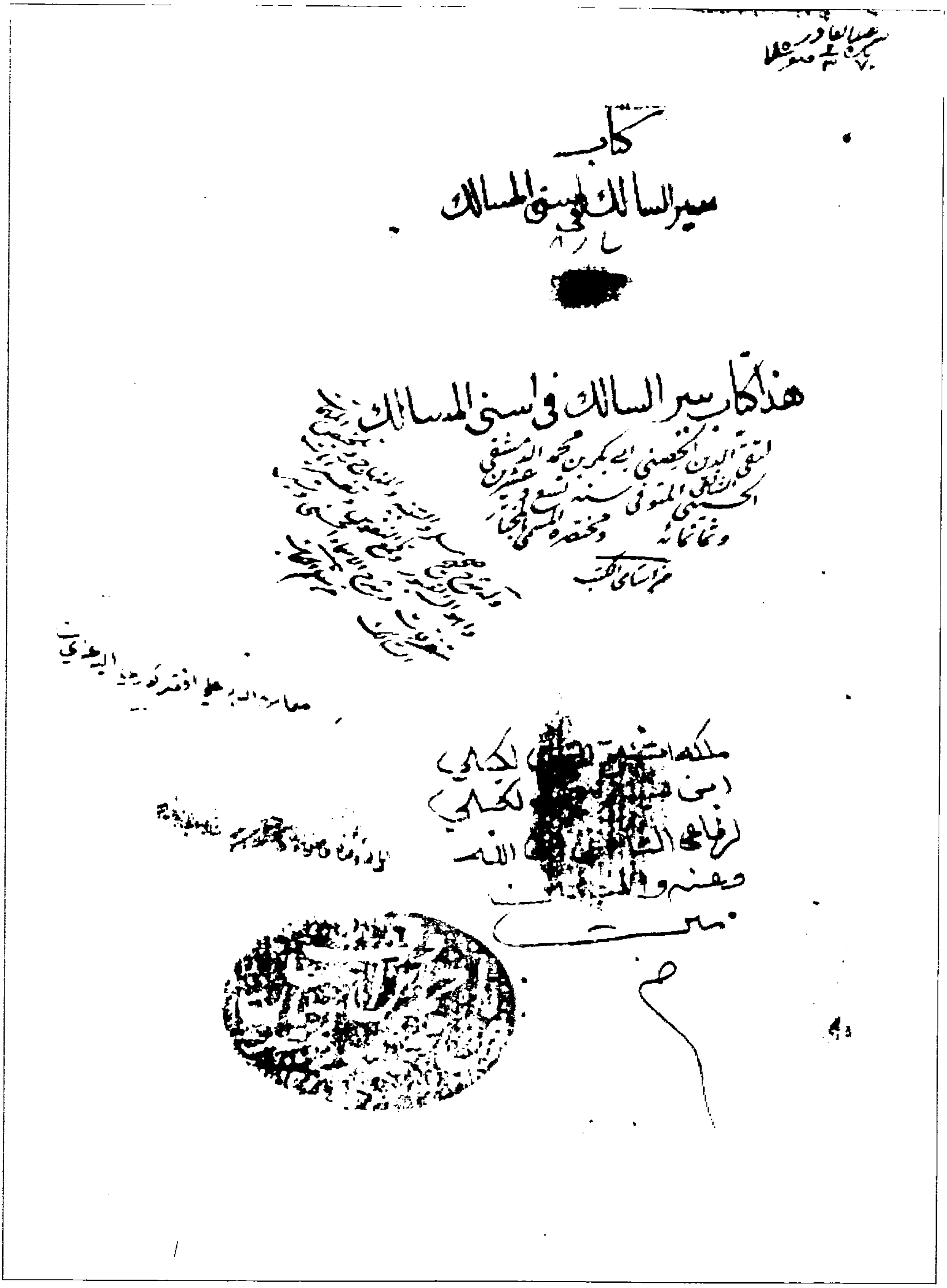
ثم بسائر العباد وصدره بمقدمة في المواعظ والحث على

التقوى وهي إلى ص ٥٥ وختمه بخاتمة في ذلك تعرض

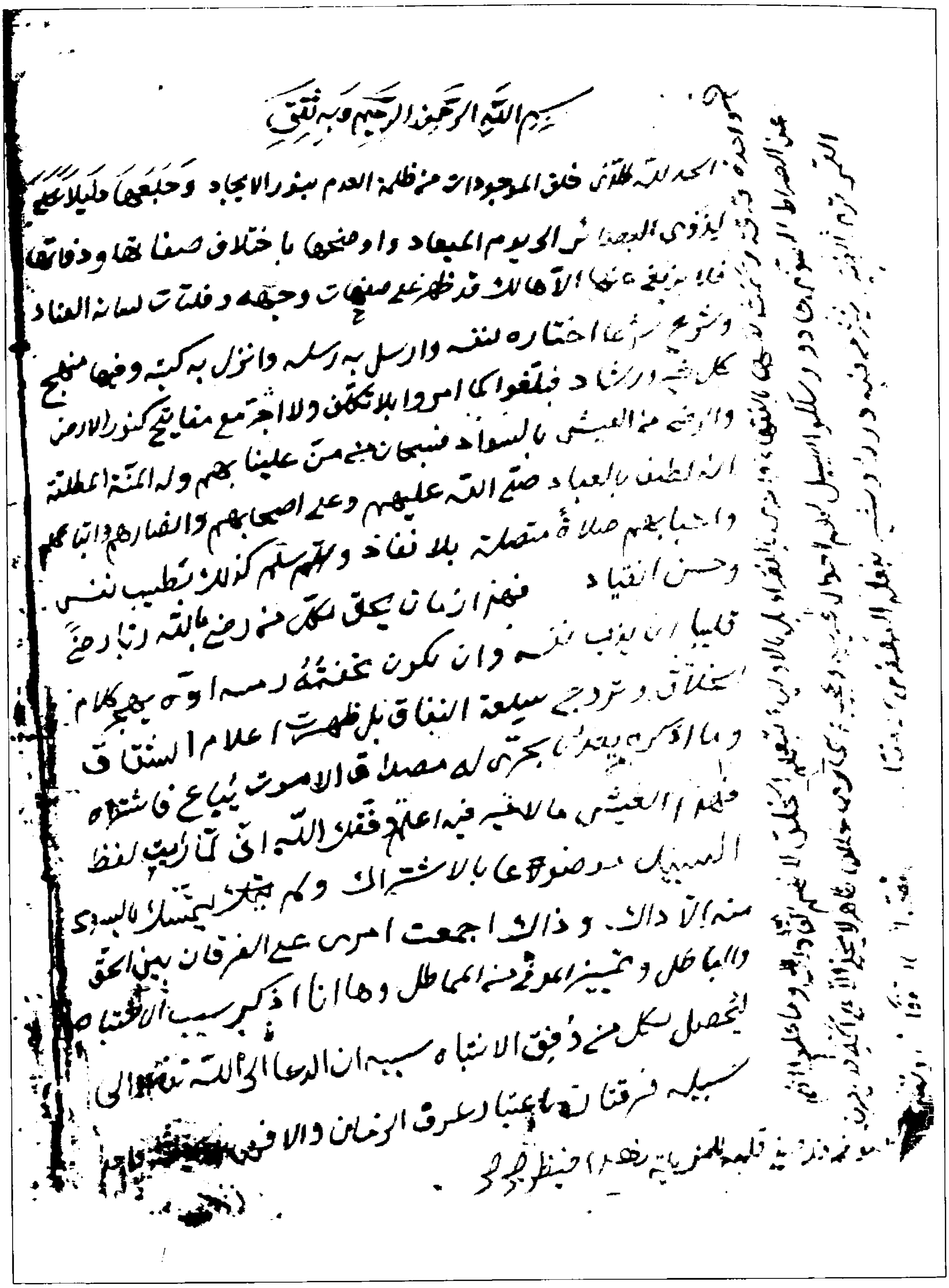
فيها لحكم السماع وهي من ٢٢٢ إلى آخر الكتاب

كتبت النسخة سنة ١٠٢٥

صورة الغلاف من النسخة (د)



صفحة الغلاف من النسخة (د)



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نثق

الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم بنور الايجاد وجعلها دليلاً على [illegible]

لذوي البصائر الى يوم المعاد واوضحها باختلاف صفاتها وذواتها

[illegible] قد ظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه العناد

وشرع [illegible] اختاره لنفسه وارسل به رسله وانزل به كتبه وفيها منهج

[illegible] وارشاد فبلغوا ما امروا بلا تكلف ولا اجر مع مفاتيح كنوز الارض

والرضى من العيش بالسواد فسبحان من منّ علينا بهم وله المنة المطلقة

انه لطيف بالعباد صلى الله عليهم وعلى اصحابهم [illegible] واتباعهم

واحبابهم صلاة متصلة بلا نفاد [illegible] وسلم كذلك تطيب نفس

وحسن انقياد [illegible] يحق لكل من رضي بالله ربا [illegible]

[illegible] وان تكون [illegible]

[illegible] سلعة النفاق بل ظهرت اعلام [illegible]

[illegible] له مصداقا الامور [illegible]

[illegible] فقلت [illegible]

[illegible] بالاشتراك [illegible]

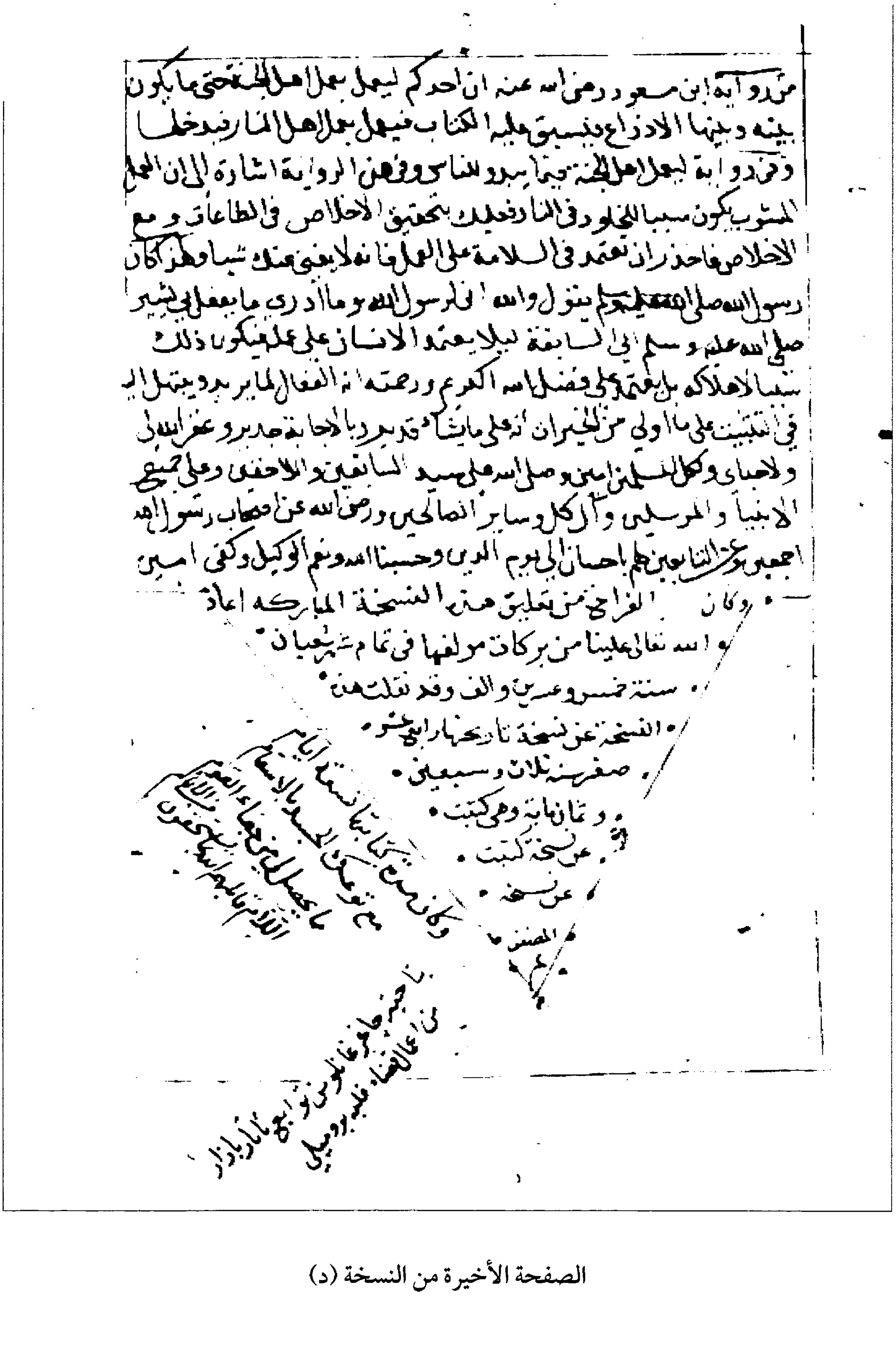
[illegible] وذلك اجمعت امري على الفرقان بين الحق

والباطل وتمييز [illegible] الباطل وها انا اذكر سبب الاقتباس

ليحصل لكل من [illegible] الانتباه [illegible]

سبيله [illegible]

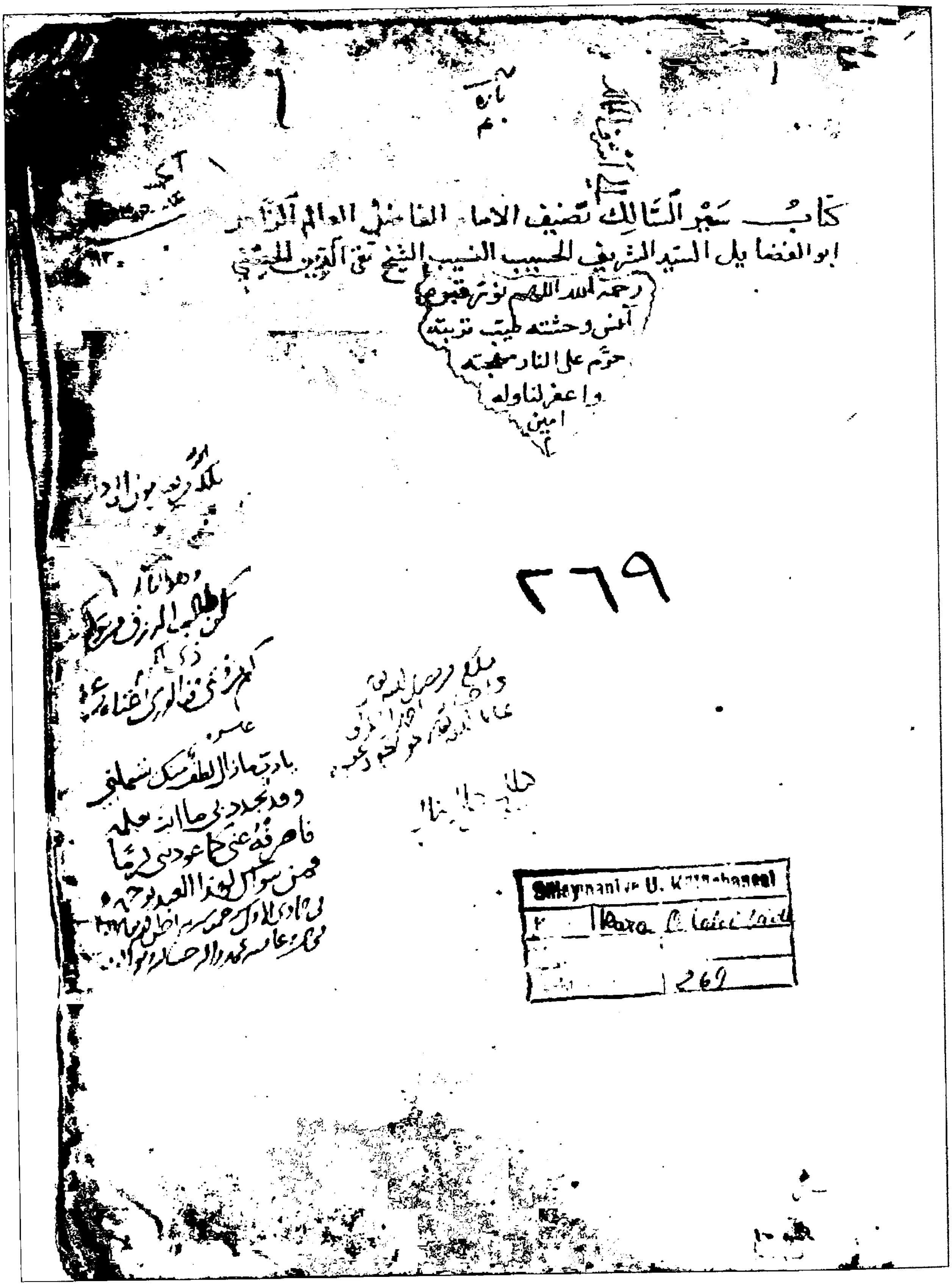
الصفحة الأولى من النسخة (د)



من رواية ابن مسعود رضي الله عنه ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها
وفي رواية ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وفي هذه الرواية اشارة الى ان العمل
المشوب يكون سببا للخلود في النار فعليك بتحقيق الاخلاص في الطاعات ومع
الاخلاص فاحذر ان تعتمد في السلامة على العمل فانه لا يغني عنك شيئا وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انا رسول الله وما ادري ما يفعل بي يشير
صلى الله عليه وسلم الى السابقة فلا يعتمد الانسان على عمله فيكون ذلك
سببا لاهلاكه بل يعتمد على فضل الله الكريم ورحمته انه الفعال لما يريد ويبتهل اليه
في ان يثبتنا على ما اولى من الخيرات انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وعفا الله لي
وللاحياء وكل المسلمين امين وصلى الله على سيد السابقين واللاحقين وعلى جميع
الانبياء والمرسلين وآل كل وسائر الصالحين ورضي الله عن اصحاب رسول الله
اجمعين وعن التابعين لهم باحسان الى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل وكفى امين

وكان الفراغ من تعليق هذه النسخة المباركة اعاد
الله تعالى علينا من بركات مؤلفها في تمام شهر شعبان
سنة خمس وعشرين والف وقد نقلت هذه
النسخة عن نسخة تاريخها رابع عشر
صفر سنة ثلاث وسبعين
وثمانماية وهي كتبت
عن نسخة كتبت
عن نسخة
المصنف
رحمه الله

الصفحة الأخيرة من النسخة (د)


كتاب سير السالك تصنيف الامام الفاضل العالم الزاهد
ابو الفضائل السيد الشريف الحسيب النسيب الشيخ تقي الدين الحصني
رحمه الله اللهم نور قبره
آنس وحشته طيب تربته
حرّم على النار جثته
امين
٢٦٩

صفحة العنوان من النسخة (ق)

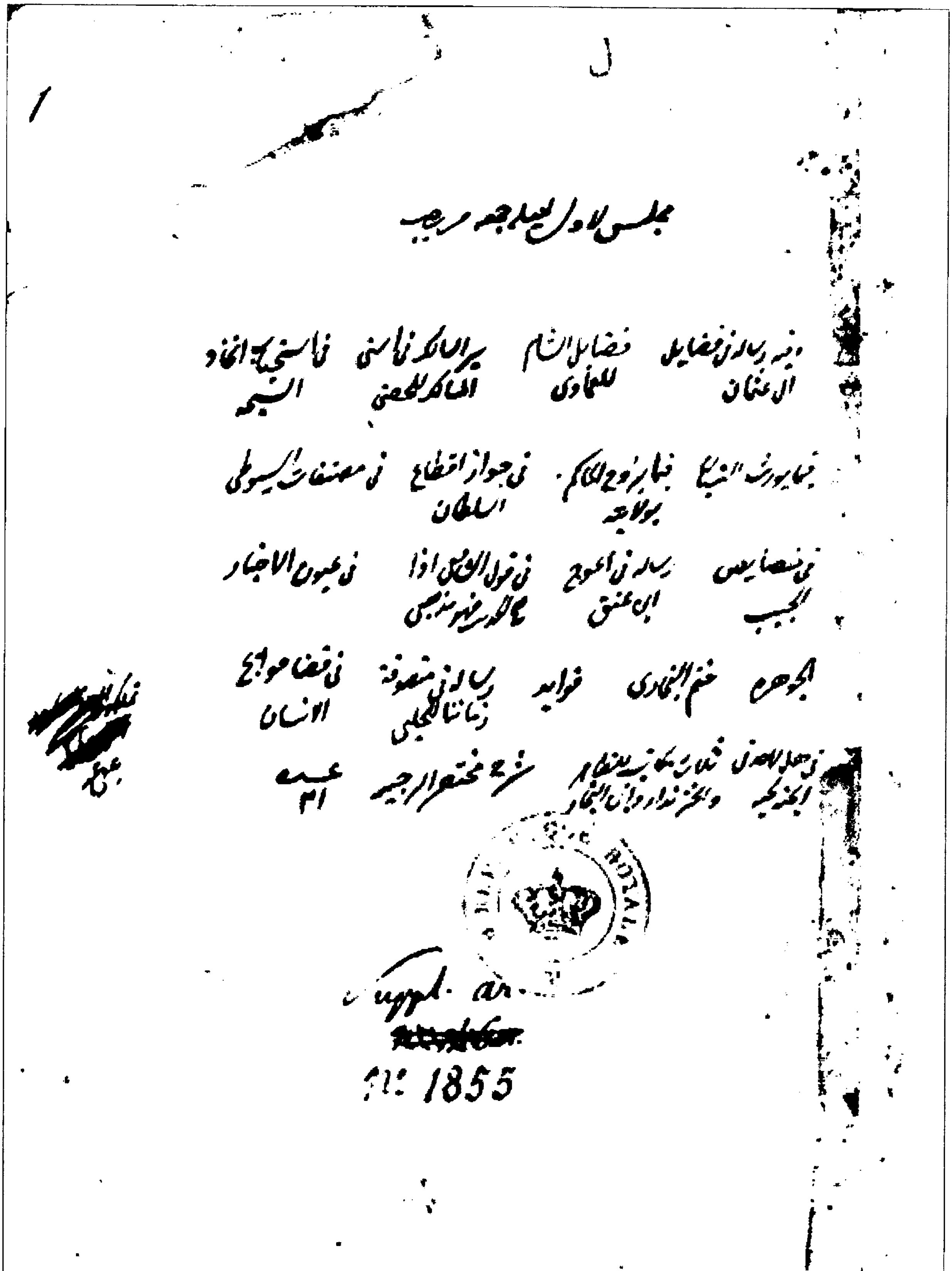
بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الحمد لله الذي نوّر الموجودات من ظلمة العدم بنور الإيجاد،
وجعلها دلائل لذوي البصائر إلى يوم المعاد، وأوضحها
باختلاف صفاتها وذواتها فلا يزيغ عنها إلا هالك يدلهم
على صفات وجهه وكلمات لسانه العباد، وشرع شرعاً [illegible]
لنفسه وأرسل به رسله وأنزل به كتبه وفيها منهج كل خير ورشاد،
فبلغوا كما أمروا بلا كلف ولا أجر مع دفع مفاتيح كنوز الأرض
والرضى من العيش بالسداد، فسبحان من من علينا بهم وله
المنة المتصلة إنه لطيف بالعباد صلى الله عليهم وعلى أصحابهم
وأنصارهم وأتباعهم وأحبابهم صلاة متصلة بلا نفاد وسلم
كذلك [illegible] وحسن انقياد و[illegible] فهذا زمان يحق
لكل من رضي بالله رباً رضي قلبي أن يندب نفسه وأن
يكون [illegible] رشده أو يهجر كلام الخلان ويزور
سلعة النفاق بل ظهرت أعلام الشقاق وما أذكره من
[illegible] له [illegible] الأمور [illegible] العيش
ما لا خير فيه . واعلم وفقك الله أني لما رأيت لفظ السبيل
موضوعاً بالاشتراك ولم يمتاز بالشرح منه الأذكى وذلك
أحمد أسرى على العرفان من أحق الباطل وتمييز المرائي
من الباطل، وها أنا أذكر سبب الاشتباه ليحصل لكل من
[illegible] الانتباه [illegible] أن الدعاة إلى الله وإلى سبيله فريقان
باعتبار الزمان والأحوال كيفية واحدة [illegible]
بالنهار [illegible] بالفقراء [illegible] بالأولياء [illegible] الخلق لأنهم العادة
وما عادوا إنهم عن الصراط السوي حادوا وسلكوا سبل العادة
[illegible] وأقوال عجيبة [illegible] لا [illegible] إلا
على [illegible] لا [illegible] من [illegible]

الصفحة الأولى من النسخة (ق)

الاجماع لبعد اختلافهم في مفردات هذه الامور لاو الاصلاف جادث بين
النظار من الفقها واما الصدر الاول فلا تجد عندهم خلافا في منع كل
واحد منها على الغراده ولهذا كان عمر رضي الله عنه اذا سمع الدف وهو
الغربال الذي يشبه صوته صوت البعير اعمل الدرة الا ان يكون ثم عرس
وتسكت الصحابة رضي الله عنهم عنه على ذلك فهو اجماع منهم ومعلوم
ان الضرب بالدرة فيه اذا وهو حرام بالاجماع فلولا اعتقادهم المنع من
ذلك لما سكتوا له رضي الله عنهم ومن المعلوم انهم كانوا ينكرون على حتى
الامور التي هي دون ذلك الا ترى انه لما طلع على المنبر وقال يا ايها
الناس الا تسمعون فقال سلمان الفارسي لا نسمع فقال عمر ولم فقال انك
قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك ثوبان فقال عمر لا تعجل ثم نادى يا عبد الله
فلم يجبه احد فقال يا عبد الله بن عمر فقال لبيك فقال انشدك الله
عز وجل الثوب الذي اتزرت به اهو لك فقال اللهم نعم فقال سلمان
الان قل نسمع ولا شك ان امر عمر رضي الله عنه من امر الله عز وجل لقوله
عليه الصلاة والسلام اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر ولقوله
سبحانه وتعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا والله
الغفور التواب واليه المرجع والماب والله اعلم بالصواب ❖
... انك ايها الطالب الاديب والسالك اللبيب اذا
نظرت في هذا الخلق وجدت عجبا وهو اقبالهم على هذه الغزان التي
وصفها الله عز وجل بما وصف به ابليس حتى لو فقد احدهم نعلا وجد له
مشقة شديدة حتى لا يسعه الا ان يشكو ويجد لشكايته اعوانا كثيرة
يا سفوا لاسفه ويحزنوا لحزنه ولا ترى احدا منهم يحزن ولا يا سف لما
فاته من زمانه وتضييع اوقات المجالسات مع الكرام الكتبة ومجالسة
الصحابة والمنع عليهم بل لا يخطر له انا جليس من ذكرني وبائع هذا
الكالس مجالسة من حارب الله عز وجل ورسوله واي شي اعجب من
هذا بل ترى الشخص يدفع الى البياع درهما فينقصه حبة فيشق عليه ذلك

ويناول

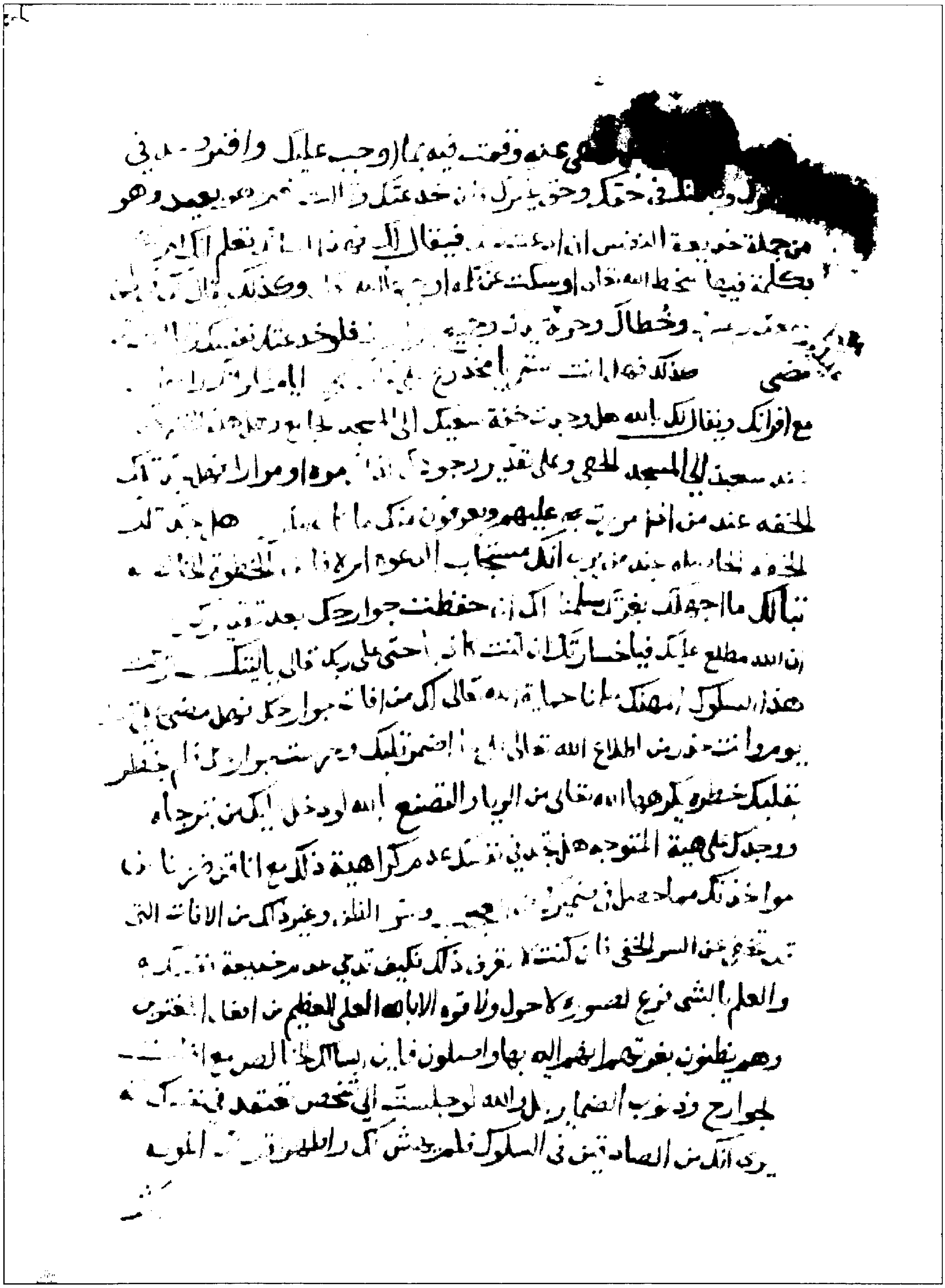
الصفحة الأخيرة من النسخة (ق)


1855

غلاف النسخة (س) وهي مجموع

مع تصنيف الشيخ الامام العالم العامل
... وحيد عصره تقي الدين السيد الحصني
الحنبلي الشافعي رضي الله عنه
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله
الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم بنور الايجاد وجعلها دليلا لذوي
البصاير الى يوم المعاد وشرع شرعا اختاره لنفسه وانزل به كتابه العظيم
وفيه كل خير ورشاد فتلقاه بالقبول من سبقت له العناية وحقق الانقياد
ومال عن هديه اهل البغي والجهالة والالحاد واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة اعدها ذخيرة ليوم المعاد واصلي واسلم على سيد الاولين
والاخرين واكرم السابقين واللاحقين صلاة متصلة بلا انفاد
اعلم وفقنا الله تعالى الكريم لمرضاته واذاقنا برد مناجاته ان لفظ
السماع في زماننا هذا موضوع بالاشتراك وبه يتمسك [redacted] عش
منه الا ذاك وذاك والكلام الان في السماع الذي اتخذه فرقة
اهل البطالة وزينه الشيطان باحبولة الجهالة ان السماع قد شاع
وذاع وانتشر به الباع في طايفة رسمت نفسها بالصوفية تزعم ان تحصل
لها فيه احوال سماوية وحالات رحمانية وفي التحقيق الحالي نزغات شيطانية
وغوايل نفسانية يعرف ذلك من يتبحر في الايات القرانية ويبحث في
في السنة الصحيحة المحمدية قال ابو القاسم الجنيد قدس الله روحه
رايت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من اصحابنا بشيء قال نعم في وقتين
في وقت السماع وفي وقت النظر فاني ادخل عليهم فيه وقال الامام العلامة
النووي رضي الله عنه من راى منه بدعة حالية من الله عز وجل

الصفحة الأولى من النسخة (س)



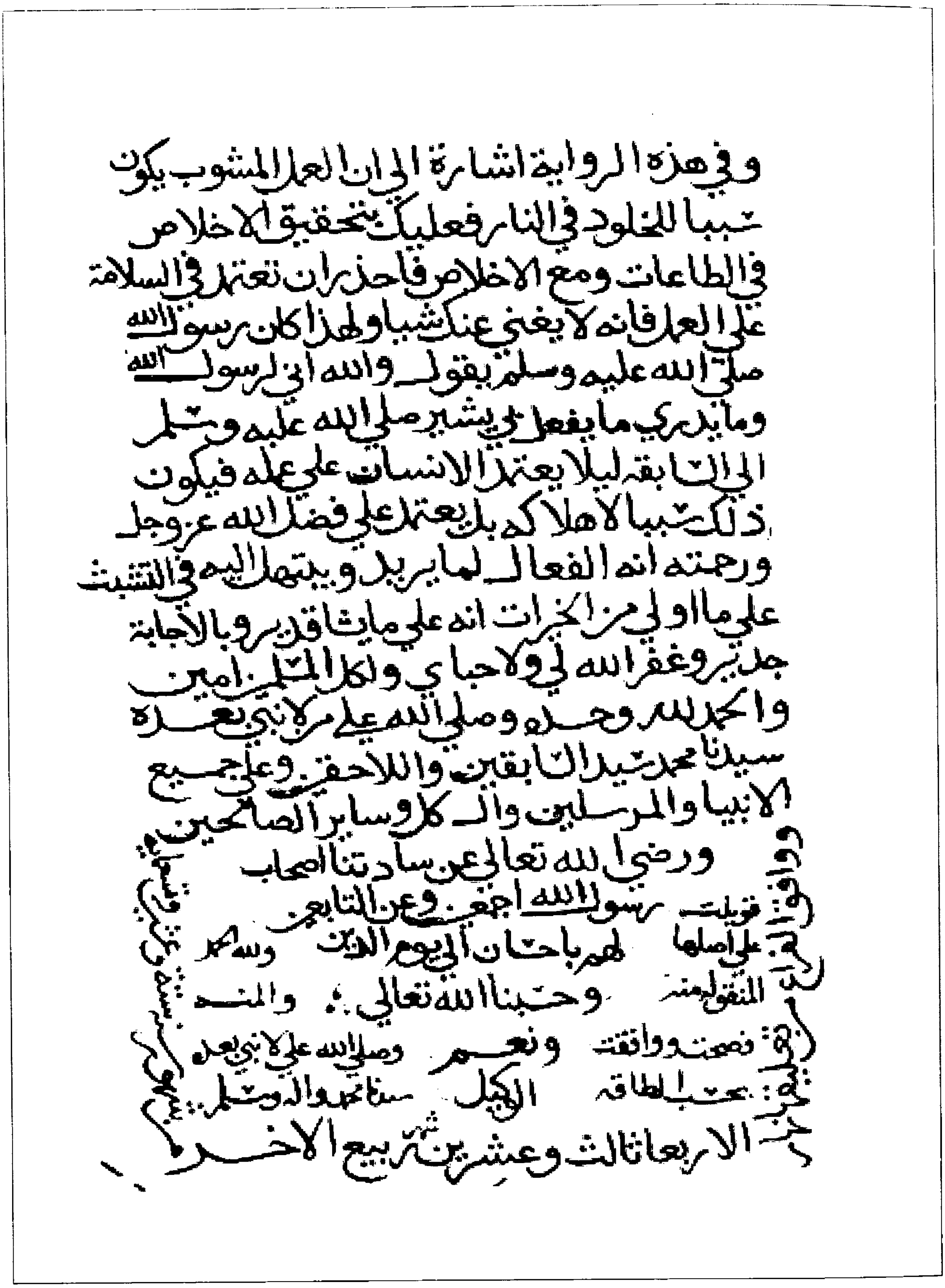
الصفحة الأخيرة من النسخة (س)


في اسنى المسالك تصنيف الشيخ الامام العلامة
الزاهد العابد الورع المحقق مفتي
من نظم شيخنا الشيخ علوان عفى الله عنه
وما الناس الا مومن وابن مومن وما ثم كفر في الحقيقة فاعتبر

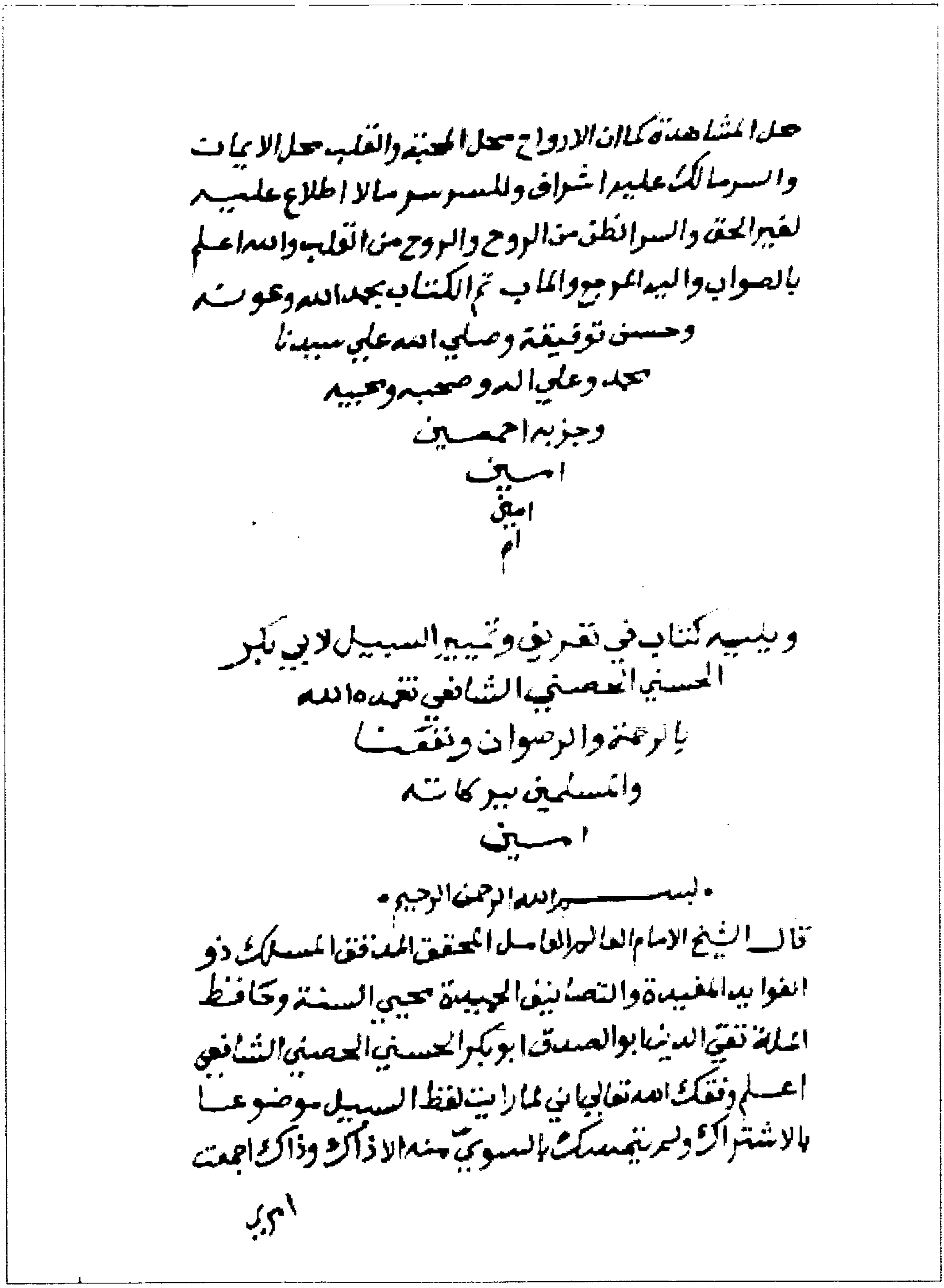
صفحة العنوان من النسخة (ل)

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن
فصل في السماع اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق
انك تهدي من تشا الى صراط مستقيم قد علمت ايها السالك مما
تقدم احوال القوم قولا وفعلا فيما وجدت مما هم عليه ما هو
خارج عن القران والاذكار التي صفات الرحمن او ما هو خارج
عن الصوم والصلاه ونحوهما مع الخوف من عدم قبولها فاذا
كانت هذه طريقة اصحاب سيد السابقين واللاحقين وقد
تلقوه عن افضل الخلق بعد الانبيا عليهم الصلاه والسلام
وهم رضي الله عنهم تلقوه عن امين اهل الارض صلى الله عليه وسلم
وتلقاه عليه افضل الصلاه والسلام عن امين اهل السما وامين
السما جابه عن من اوجد الاشيا من العدم فمن اين تلقا هذه
المحدثات اهلها عافانا الله عز وجل مما يودي الى الضلاله والي
اعتقادها بسبب الهوي والجهاله ثم اعلم رحمك الله ان مسلة
السماع لم يزل الناس يلهجون بها قديما وحديثا وكل احد من الناس
يتكلم في ذلك على حسب معتقده ولا شك ان الاعتقاد انما
ينشا من ملابسه ما يتلقاه الشخص عن شيخه الذي يرى له
فضلا وعلما وحالا حتى يجعل ذلك دينا وليس على المرء اشد من
مفارقته ما يعتقد انه دين ويرى بعض السيوف اهون عليه
من مفارقة ما يعتقده قربة الي مولاه لاسيما الغلاه في ذلك
والمتعمقين فيه ثم اعلم رحمك الله عز وجل ان السماع الذي
كان يتعاطاه اهل الولايه والصدق انما هو القران لانهم
كانوا

الصفحة الأولى من النسخة (ل)


وفي هذه الرواية اشارة الى ان العمل المشوب يكون
سببا للخلود في النار فعليك بتحقيق الاخلاص
في الطاعات ومع الاخلاص فاحذر ان تعتمد في السلامة
على العمل فانه لا يغني عنك شيئا ولهذا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لرسول الله
وما ادري ما يفعل بي يشير صلى الله عليه وسلم
الى السابقة لئلا يعتمد الانسان على عمله فيكون
ذلك سببا لاهلاكه بل يعتمد على فضل الله عز وجل
ورحمته انه الفعال لما يريد ويبتهل اليه في التثبت
على ما اولى من الخيرات انه على ما يشا قدير وبالاجابة
جدير وغفر الله لي ولاحبابي ولكل المسلمين امين
والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده
سيدنا محمد سيد السابقين واللاحقين وعلى جميع
الانبيا والمرسلين وال كل وساير الصالحين
ورضي الله تعالى عن سادتنا اصحاب
قوبلت رسول الله اجمعين وعن التابعين
على اصلها لهم باحسان الى يوم الدين ولله الحمد
المنقول منه وحسبنا الله تعالى والمنة
فصحت واتفقت ونعم وصلى الله على لا نبي بعده
بحسب الطاقة الوكيل سيدنا محمد واله وسلم
الاربعا ثالث وعشرين شهر ربيع الاخر

الصفحة الأخيرة من النسخة (ل)


محل المشاهدة كما ان الارواح محل المحبة والقلب محل الايمان
والسر ما لك عليه اشراف وللسر سر ما لا اطلاع عليه
لغير الحق والسر الطف من الروح والروح من القلب والله اعلم
بالصواب واليه المرجع والمآب تم الكتاب بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه وحبيبه
وحزبه اجمعين
امين
امين
ام

ويليه كتاب في تعريف وتمييز السبيل لابي بكر
الحسني الحصني الشافعي تغمده الله
بالرحمة والرضوان ونفعنا
والمسلمين ببركاته
امين

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الامام العالم العامل المحقق المدقق المسلك ذو
الفوائد المفيدة والتصانيف الجيدة محيي السنة وحافظ
الملة تقي الدنيا ابو الصدق ابو بكر الحسني الحصني الشافعي
اعلم وفقك الله تعالى اني لما رايت لفظ السبيل موضوعا
بالاشتراك ولم يتمسك بالسوي منه الا ذاكر وذاكره اجمعت
امر

الصفحة الأولى من النسخة (ج)

اما اذا كانت لامر ديني كهجران الشخص لبدعة فيه او تظاهر
بفسق من شرب الخمر واكل حشيش وقطع مصانعة من
محتسب واتباعه وعريف سوق ونقبا قضاة الرشوة هد
والمترددين الي الظلمة واعوانهم وما اشبه ذلك فهولا هجرانهم
ليس بحرام قطعا بل هو مندوب اليه وعلي ذلك جري السلف
رضي الله عنهم بل مجالستهم علي سبيل التودد من المحرمات
ومذهب ابن عباس ومن تبعه من الكبا ير وعزاه القاضي
عياض الي المحققين قال سعيد بن المسيب راس الناس بمثيب
من اهل المدينة النظر الي اعوان الظلمة من غير الانكار عليهم هد
بالقلب يبطل الاعمال الصالحة قال العلما اذا كان هذا النظر بمجرده
يبطل الاعمال الصالحة فكيف بالمسالمة فكيف بالمحبة
فكيف بالموادة فكيف بالمواكلة فكيف بالزيارة فكيف بالمزاورة
وفي الترمذي وابن ماجه ان رسول الله صلي الله عليه
وسلم قال استعيذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله
وما جب الحزن قال جب تستعيذ منه جهنم كل يوم اربعمائة
مرة اعد للقرا الذين يزورون الجورة وفي رواية الترمذي
يزورون ودخل بعض الكتبة علي سفيان الثوري رحمة الله
عليهم فاعرض عنه فقال يا مولاي ما لك تعرض عني فقال
له اني بك وقد دعيت مع فلان وفلان فلا يبقي من لاق لهم
دواة ولا بري لهم قلما الا اتي به ثم يومر بهم الي النار فقال
ان لي عيالا واخشي ان تركت ذلك ضاعت عيالي فقال انظروا
الي

الصفحة الأخيرة من النسخة (ج)

النّصّ المحقّق

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد، وعلى آلِه وصَحْبِه وسلِّم[١].

الحمدُ لله الذي فلَق[٢] الموجوداتِ من ظلمةِ العدمِ بنورِ الإيجاد، وجعلها دليلًا لذوي البصائرِ إلى يومِ المعاد[٣]، وأوْضَحَها باختلافِ صِفاتِها وذواتِها، فلا يزيغُ عنها إلّا هالِكٌ قد ظَهرَ على صفحاتِ وجْهِه وفلتاتِ لِسانِه العناد، وشرَّعَ شرعًا اختارَهُ لنفسِه وأرسلَ به رُسلَه، وأنزل به كُتُبَه، وفيها[٤] منهجُ كلِّ خيرٍ ورشاد، فبلَّغوا كما أُمِرُوا بلا تكلُّفٍ ولا أجرٍ مع دَفْع[٥] مفاتيح كنوز الأرض، والرضا من العيش بالسداد، فسبحان مَنْ مَنَّ علينا بهم، وله المِنّةُ المُطلَقة، إنّه لطيفٌ بالعباد[٦].

صلَّى الله عليهم وعلى أصحابِهم وأنصارِهم وأتباعِهم وأحبابِهم، صلاةً مُتَّصلةً بلا نفاد، وسلَّم كذلك بطيب نفسٍ وحُسن انقياد.

---

(١) قوله: «وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم» ليس في (س)، وفي (د): «وبه ثقتي»، وجاء في (ج): «قال الشيخ الإمام العالم العامل المحقق المدقق المسلك، ذو الفوائد المفيدة والتصانيف الحميدة، محيي السنة، وحافظ الملة، تقي الدين أبو الصدق، الحسني الحصني الشافعي».

(٢) في (د): «خلق». (٣) في (د): «الميعاد».

(٤) في حاشية (س): «قوله: (وفيها) راجع إلى الشريعة، وإن ذكرت بصيغة المذكر».

(٥) «دفع» ليس في (د).

(٦) في حاشية (س): «قلت: خطبة المصنف (الحمد لله الذي خلق ..) قد ذكرها في غالب كتبه، كـ«قمع النفوس» و«شرح الغاية» و«المنهاج» وغيرها، فراجِعه تعرف». وانظر: «كفاية الأخيار» (٨)، و«قمع النفوس» (لوحة ١: ب ـ نسخة جامعة الرياض) يسَّر الله إتمامه.

وبعدُ[١]،

فهذا زمانٌ يَحِقُّ لكلِّ مَن رضي بالله ربًّا رِضًا قلبيًّا أن تذوبَ[٢] نفسُه، وأن يكونَ تحفتَه فيه[٣] رَمسُه، أو[٤] يهجر كلامَ الخلّاق، وتَرُوج سِلعةُ النفاق، بل ظهرت أعلامُ الشِّقاق[٥]، وما أذكره من بعدُ بالحَرِيِّ[٦] له مِصداق:

ألا مَـوتٌ يُبـاعُ فأشْـتَريهِ[٧]   فهـذا العيشُ مـا لا خيـرَ فيهِ[٨]

اعلم[٩] **وفَّقك الله** أنِّي لَمّا رأيتُ لفظَ (السبيل) موضوعًا بالاشتراك، ولم يتمسَّك بالسويِّ منه إلّا ذاك وذاك؛ أجمعت أمري على الفُرقانِ بين الحقِّ والباطل، وتمييز المُوفِّي[١٠] من المُماطِل، وها أنا[١١] أذكر سببَ الاشتباه؛ ليحصلَ لكلٍّ[١٢] مَن وُفِّق الانتباه.

سببُه أنّ الدعاةَ إلى الله تعالى وإلى سبيله فِرقتان باعتبار الزمان[١٣]، وإلّا فهما في الحقيقة[١٤] واحدة؛ فرقةٌ رسمت نفسَها بالفقهاء، وأخرى بالفقراء، بل بالأولياء، فتبعهم[١٥] الخلق؛ لأنّهم القادة، وما علموا أنّهم عن الصِّراط

---

(١) «وبعد» ليس في (د).
(٢) في (د): «يذب».
(٣) «فيه» ليس في (د).
(٤) في (ق) و(د): «أوه».
(٥) في (س): «النفاق».
(٦) في (د): «بالجري».
(٧) في (د): «فاشتراه».
(٨) البيت من الوافر، وهو للوزير المهلبي. وانظر: «مقاتل الطالبيين» (٨)، و«نشوار المحاضرة» (٧: ٢٥٣)، و«يتيمة الدهر» (٢: ٢٦٦)، و«التذكرة الحمدونية» (٥: ٧١).
(٩) في (ق): «واعلم»، ومن أول المقدمة إلى هنا ليس في (ج).
(١٠) في (ق): «الموافي».
(١١) قوله: «وها أنا» في (س) و(ج): «وهنا».
(١٢) في (د): «بكل».
(١٣) في (س): «باعتبار عرف الزمان».
(١٤) في (ق) و(ج): «بالحقيقة».
(١٥) في (د): «تبعهم».

السويِّ حادوا، وسلكوا سُبلَ[١] العادة[٢]، لهم أحوالٌ وأقوالٌ غريبةٌ عجيبة[٣]، كما ترى خللَها ظاهِرًا لا يخفى إلّا على أكْمَهَ لا يعرف القمرا[٤].

تری الفقيهَ منهم[٥] ينثر مِن فيه دُررا، ويُشير بفِعْلِه القهقرى، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]. [٣/أ]

وترى الصوفِيَّ قد صفا قلبُه للمزبلة، فيُظهر[٦] زهدًا، ولو جاءه نقيرٌ من غُلول قَبِلَه، أيُّ مصيبةٍ أعظمُ من هذا؟! إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

ويْحَك! بَلْ ويْلَك! أتَدْري خِطابَ مَن هذا؟ أتَدْري نَهْيَ مَن هذا؟

فإن كُنتَ لا تَـدرِي فتِلكَ مُصِيبةٌ وإن كُنتَ تَدري فالمُصِيبةُ أعظَمُ[٧]

وقد سمَّيت كتابي هذا:

بـ[٨] **«سيرِ السّالكِ في أسنَى المَسالِكِ»**.

---

(١) في (ج): «سبيل». (٢) في (د): «وسلكوا السبيل».

(٣) في (د): «لهم أحوال غريبة عجيبة».

(٤) مقتبس من بيت من البسيط قاله ذو الرمة يمدح عمر بن هبيرة:

وقدبَهرتَ فلا تَخفَى على أحَدٍ إلّا على أحَدٍ لا يَعرِفُ القَمَرا

انظر: «ديوان ذي الرمة» (٢: ١١٦٣)، و«شرح ديوان المتنبي» للعكبري (١: ٢٨٠)، و«مجمع الأمثال» (٢: ٤٠٤)، و«التذكرة الحمدونية» (٧: ٥٣).

(٥) «منهم» ليس في (ق) و(ج). (٦) في (د): «فينظر».

(٧) البيت من الطويل. انظر: «الدر الفريد وبيت القصيد» (٣: ١١٨).

(٨) الباء ليست في (ق).

وطلبتُ(١) من الحكيمِ(٢) فيهِ المعونة، وأن يكونَ حُسنُ القصدِ فيه مَؤُنة، اللَّهمَّ اغْفِر لي ولأحبّائِي ولكل المسلمين، آمين.

وصلَّى الله على سَيِّدِ السابِقينَ واللاحِقِين.

---

(١) قوله: «وطلبت» تكرر مرتين في (ق).

(٢) في (س): «الحليم».

فَصْلٌ

نذكر فيه شيئًا من كلام الحكيم؛ إذ فيه تِرياقُ[١] كلِّ قلبٍ سليم، وزيادةُ نورٍ وبركةٍ لكلِّ قلبٍ سليم، هو كما قال الصادِقُ[٢] عليه الصلاةُ والسلام: «**فيه نبأُ ما قبلَكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكمُ ما بينكم[٣]، هو الفصل، ليس بالهَزْل، مَن ترَكهُ من جبّارٍ قصمَه الله، ومَنِ ابتغى الهُدى في غيره أضَلَّه الله، وهو حبلُ الله المتين، وهو الذِّكرُ الحكيم، وهو الصراطُ المستقيم، هو الذي لا تزيغُ به الأهواء، ولا تلتبسُ به الألْسنة، ولا يشبعُ[٤] منه العلماء، ولا يَخلَقُ على كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبُه، هو الذي لم تنتهِ الجنُّ إذ سمِعَته حتَّى قالوا:** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: ١-٢]، **مَن قال به صَدَق، ومَن عَمِلَ به؛ أُجِر، ومن حَكَمَ به عدل، ومن دُعِيَ إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيم**»[٥].

وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**إنّ القرآنَ يأتي صاحبَه يومَ القيامةِ حين ينشقُّ[٦] عنه قبرُه كالرجلِ الشاحب، فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرِفُك،**

---

(١) في (س) و(د) و(ج): «درياق».

(٢) قوله: «وزيادةُ نورٍ وبركةٍ لكلِّ قلبٍ سليم، هو كما قال الصادِق» غير واضح في (س) بسبب الرطوبة.

(٣) قوله: «وحُكمُ ما بينكم» ليس في (س). (٤) في (د): «تشبع».

(٥) «جامع الترمذي» (٢٩٠٦)، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال».

(٦) في (د) و(س): «يشق».

[٣/ب] **فيقول: أنا صاحبُك القرآنُ الذي أظمأتُكَ في الهواجِر**(١) ، **وأسهرتُ ليلَك، وإنّ كلَّ تاجرٍ من وراء تجارته، وإنّي**(٢) **لك اليومَ من وراء كلِّ تجارة، فيُعطى المُلكَ بيمينِه، والخُلدَ بشِمالِه**(٣)، **ويُوضَعُ على رأسه تاجُ الوَقار**»(٤).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

ويحك! اتَّخذتَ أعزَّ التجارة، وجعلته وسيلةً للمزبلة، خِبْتَ في صفقتك هذه وخسرت.

ويحك! اتَّخذت القرآنَ والعلمَ معيشة، هذه نصيحتُكَ لِمَن هو صفةُ الربّ! ألم يقل سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧].

ألم يقل الصادقُ عليه أفضلُ الصلاة والسلام: «**الدينُ النصيحةُ**»، قلنا: لِمَن يا رسولَ الله؟ قال: «**لله، ولكتابِه، ولرسولِه، ولأئمّة المسلمين وعامَّتِهم**»(٥)؟

ألم يقل العلماءُ: النصيحةُ لكتابِ الله تبارَكَ وتعالى: التصديقُ بما فيه، والوقوفُ مع أحكامِه، والاعتبارُ بمواعظه، والتفكُّرُ في عجائبه، والعملُ بمُحكَمِه، والتسليمُ بمُتَشابِهِه(٦)، ونشرُ عُلومِه، والدعاءُ إليه، والخشوعُ عند تلاوتِه، والذبُّ عنه لأقاويلِ المُحَرِّفينَ وتعرُّضِ الطاعنين... إلى غيرِ ذلك(٧).

---

(١) في (ق) و(د): «أظمأتك بالهواجر». (٢) في (د): «إني» بدون الواو.

(٣) في (د): «بيساره».

(٤) «مسند أحمد» (٢٣٠٠٠)، قال الهيثمي في: «مجمع الزوائد» (٧: ١٥٩): «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»، وحسَّنه البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» (٦: ٣٣٠).

(٥) «صحيح مسلم» (٥٥). (٦) في (د): «المتشابهه».

(٧) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١٣: ٩٤)، و«التعيين في شرح الأربعين» (١: ١٠٤).

ويحك! اتخذته لغرضك الفاسدِ من طلبِ المالِ والجاه، والارتفاع على الأقران وصرفِ وجوهِ الناسِ إليك، ألم يقلِ الصادقُ ﷺ: «**مَن تعلَّم عِلمًا ممّا**[1] **يُبتغَى به وجهُ الله تعالى لا يتعلَّمهُ**[2] **إلّا ليُصيبَ به عَرَضًا من الدنيا لم يجد**[3] **عَرفَ الجنّةِ يوم القيامة**»[4]؟ رواه أبو داود من رواية أبي هريرةَ رضي الله عنه بإسنادٍ صحيح.

ألم يقل عليه الصلاةُ والسلام: «**مَن طلبَ العلمَ ليُماريَ به السفهاء، أو يُكاثِرَ به العلماء، أو يصرِفَ به**[5] **وجوهَ الناسِ إليه؛ فليتبوَّأ مَقعدَه من النار**»[6]؟ رواه الترمذيُّ من رواية كعب بن مالك، وقال: «**أدخلَه النارَ**»[7].

ألم يقل الله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]؟

ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]/ ؟ [٤/أ]

أَوَّهْ[8]! مثلُ هذا لا يَزجُرُك، فبأيِّ حديثٍ بعد هذا تُؤمِن؟ لعلَّك فُتِنتَ وأنت لا تشعر!

---

(١) في (ق) و(س): «ما». (٢) في (ق): «يعلمه».

(٣) في (ج): «يجده».

(٤) «سنن أبي داود» (٣٦٦٤)، وانظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٦: ٢٤١٠).

(٥) «به» ليس في (د).

(٦) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١: ٢٣٧)، و«اقتضاء العلم العمل» للخطيب (١٠١).

(٧) «جامع الترمذي» (٢٦٥٤)، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تُكلِّم فيه من قِبَل حفظه».

(٨) في (س): «أواه».

ويحك[١]! حامِلُ القرآنِ ينبغي أن يرفعَ نفسَه عن كلِّ ما نهى الله عنه؛ إجلالًا له، وأن يكونَ مُترفِّعًا[٢] على الجبابِرةِ والجُناةِ[٣] من أهل هذه[٤] المزبلة، وأن يكونَ[٥] مُتواضعًا للصالحينَ وأهلِ الخيرِ والمساكين، وأن يكون متخشِّعًا ذا سكينةٍ ووقار، عكستَ القَضِيّة، أيُّ شيءٍ أعظمُ من هذه البَلِيّة!

هذا الفاروقُ رضي الله عنه يقول: «يا معشرَ القُرّاء، ارفعوا رؤوسَكُم، فقد وضحَ لكم الطريق، واستبِقُوا الخيرات، ولا تكونوا عيالًا على الناس»[٦].

هذا عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه يقول: «ينبغي لحامِلِ القرآنِ أن يُعرَفَ بليلِه إذ الناسُ نائمون، وبنهاره إذ[٧] الناسُ مُفطِرون[٨]، وبحزنه إذ الناسُ يفرحون، وببكائه إذ الناسُ يضحكون، وبصمتِه إذ الناسُ يخوضونَ[٩]، وبخشوعه إذ الناسُ يختالون»[١٠].

هذا الحسنُ رضي الله عنه يقول: «إنّ مَن كان قبلكُم رأوا القرآنَ رسائلَ من ربِّهِم، فكانوا يتدبَّرونها بالليل، ويُنفِّذونها بالنهار»[١١].

هذا الفُضَيلُ العارِفُ بالله، ذو العلومِ العظيمة، والأحوالِ الجسيمةِ يقول:

---

(١) في (ق): «ويحكم». (٢) في (س): «مرتفعًا».
(٣) في (د) و(ج): «والجفاة». (٤) «هذه» ليس في (ج).
(٥) «يكون» ليس في (ق).
(٦) «مسند ابن الجعد» (١٩٢١)، و«شعب الإيمان» (٢: ٤٢٩).
(٧) في (ق): «إذا» وكذا في المواضع التالية.
(٨) في (د): «مفرطون». (٩) في (س): «يخرصون».
(١٠) في (س): «يحتالون». وانظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٥٨٤)، و«الزهد» لأبي داود (١٧٣).
(١١) انظر: «التبيان» للنووي (٥٤).

«ينبغي لحامِلِ القرآنِ ألّا يكونَ له حاجةٌ إلى أحدٍ مِن[1] الخلفاءِ فمَن دُونَهُم»[2].

وقال: «حامِلُ القرآنِ حامِلُ رايةِ الإسلام، لا ينبغي له أن يلهُوَ مع مَن يلهو، ولا يسهو مع مَن يسهو، ولا يلغو مع مَن يلغو[3]؛ تعظيمًا لحقِّ القرآن»[4].

وَيحَك! بمَن اقتديت؟ لعلَّك سلكتَ سبيلَ أهلِ الكتابِ واغتررتَ بالأمانيّ، وقلت: سيُغفَر لي! ألم تعلم أنّ هذه صِفةُ أهل الكتاب؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٌ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

وَيحَك! يقول الله: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٌ﴾[5]، فتُعرِض، ثمَّ يقول[6]: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ فلا تعقل!

قال ابنُ الأعرابيّ: «الخَلْفُ؛ بتسكين اللام، للطّالح[7]، وبفتحها[8] للصّالح»[9]، وقال ابنُ جرير: «الأكثرُ مجيئُها بالسكونِ في الذمّ، وبالفتح في الخير، وقد تُحرَّكُ في الذمّ، وتُسَكَّنُ في الخير»[10]. [٤/ب]

---

(١) «من» مثبت من (س) و(د). (٢) «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٣: ١١١).

(٣) من قوله: «ولا يسهو» إلى هنا سقط من (س).

(٤) «حلية الأولياء» (٨: ٩٢). (٥) في (ق): «وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ» بدون قوله: «خَيۡرٌ».

(٦) قوله: «ثم يقول» في (ج): «فيقول».

(٧) في (س): «الطالح». (٨) في (د): «والخلف بفتحها».

(٩) في (س): «الصالح»، وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٢: ٥٧٦)، و«تفسير القرطبي» (٧: ٣١٠)، و«حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٦: ١٦٦).

(١٠) «تفسير الطبري» (١٣: ٢٠٩).

وقوله تعالى: ﴿عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾، العَرَضُ: متاعُ الدنيا، والأدنى: العالَمُ الأدنى[1]، وهي هذه الدارُ الفانية[2].

فاليهودُ ورِثُوا التوراة، فقرؤوها وضيَّعوا العملَ بما فيها، وخالَفوا حُكمَها؛ يرتشونَ في حُكم الله تعالى ويقولون: سيُغفر لنا ذنوبَنا[3]، يتمنَّونَ على الله الأباطيل[4].

وَيحَك! هذه أمنيةٌ، زَلَّ فهمُك، ألم تسمع قولَ الصادِق ﷺ: «**الكيِّسُ مَن دانَ نفسَه، وعملَ لما بعدَ الموت، والعاجِزُ مَن أتبعَ نفسَه هواها، وتمنَّى على الله**»[5]، ومعنى[6] «دانَ نفسَه»: حاسَبَها[7].

وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾، هذا إخبارٌ عن حرصهم على الدنيا، واجترائِهم[8] على الرِّشَى والذنوب، إذا لاحَ لهم شيءٌ من الدُّنيا أخَذُوهُ حَلالًا كانَ أو حَرامًا، ويتمنَّونَ على الله المغفرة، وإن وجَدوا مِن الغَدِ مثلَه أخذوه.

قال أهلُ التفسير: كانت بنو إسرائيلَ لا يقضون قاضيًا إلّا ارتشى في الحُكم،

---

(١) قوله: «العالم الأدنى» ليس في (د) و(ج).
(٢) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (٢: ٤٢٢)، و«تفسير البغوي» (٢: ٢٤٤).
(٣) في (ق) و(س): «ستغفر ذنوبنا».
(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٢: ٢٤٤)، و«لباب التأويل في معاني التنزيل» (٢: ٢٦٥).
(٥) «جامع الترمذي» (٢٤٥٩)، و«سنن ابن ماجه» (٤٢٦٠)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن».
(٦) قوله: «ومعنى» ليس في (س).
(٧) انظر: «الكاشف عن حقائق السنن» (١٠: ٣٣٢٩)، و«تخريج أحاديث الكشاف» (٣: ١٧٦)، و«شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٥: ٢٣).
(٨) في (س): «واجتراهم».

فيُقال له[١]: ما لك ترتشي؟ فيقول: سيُغفَرُ لي، فيَطعنُ عليه الآخرون، فإذا ماتَ أو نُزِعَ ووُلِّي غيرُه ممَّن كان يَطعنُ عليه فيرتشي أيضًا[٢].

وقوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ ٱلْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾، أي: ألّا يقولوا على الله الباطل، وهو تمنِّي المغفرة مع الإصرار[٣].

وَيحَك! بل ويلك! سلكتَ سَنَنَ الذين من قبلك شِبرًا بشِبر، كأنِّي بك وقد انسلختَ ممّا علَّمك الله، أو أَمِنتَ[٤] أن يُصيبَكَ ما أصابَ بلعام بن باعورا[٥] المذكورَ في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦] الآية.

قال ابنُ عبّاسٍ[٦] رضيَ الله عنهما: «كان من بني إسرائيل، وقيل: من الكنعانيِّين، وقيل: من مدينة بلقاء»[٧]، وقصَّتُه على ما ذكره ابنُ عبّاسٍ وغيره: أنّ موسى عليه الصلاةُ والسلامُ لمّا قَصَدَ حربَ الجبّارين، ونزلَ أرضَ كنعانَ من الشام، أتى قومُ بلعامَ إليه، وكان عنده الاسمُ الأعظم، فقالوا: إنّ موسى رجلٌ

(١) «له» ليس في (ق).
(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٢٩٦).
(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٢٩٦).
(٤) في (د) و(س): «أفأمنت».
(٥) قوله: «ابن باعورا» ليس في (ق) و(س).
(٦) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٣٠١)، و«تفسير القرطبي» (٧: ٣١٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٥: ٢٢١).
(٧) البَلقاء: كَورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمّان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يُضرَب المثل، ومنها: قرية الجبّارين التي أراد الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾. انظر: «معجم البلدان» (١: ٤٨٩)، و«مراصد الاطلاع» (١: ٢١٩).

حديد، ومعه جنودٌ كثيرة، وقد جاءَ يُخرِجُنا من بلادنا، وأنت مجابُ الدعوة، [٥/أ] فادعُ الله أن يردَّهُم عنّا. فقال: ويلَكم! نبيُّ الله ومعه الملائكةُ والمؤمنون، كيف أدعو عليهم وأنا أعلمُ من الله ما أعلم، وإنّي إن فعلتُ ذلك ذهبَ ديني ودُنياي؟

فألحُّوا عليه، فقال: حتَّى أؤامرَ[١] ربِّي، وكان لا يدعو حتَّى ينظُرَ ما يُؤمَرُ به في المنام، فآمَر[٢] في الدعاءِ فنُهِيَ عنه، فقال لهم[٣]: قد نُهِيتُ عنه، فأهدَوا إليه هديّة، فقَبِلها، ثمَّ راجَعوه، فقال: حتَّى أؤامرَ رَّبي، فآمَر[٤] فلم يَجرِ إليه شيء، فقالوا: لو كره ربُّكَ الدعاء لنهاكَ كالمرّةِ الأولى، ثمَّ لم يَزالوا يتضرَّعونَ إليه حتَّى فتَنوه[٥]، فركِبَ أتانًا[٦] وتَوجَّهَ إلى جبلٍ[٧] يرى العسكرَ منه، يقال له: حسبان[٨]، فربَضَت به في الطريق، فنَزَلَ عنها وضربها، فقامت، فركِبَها فلم تَسِر به كثيرًا حتَّى رَبَضَت، فضربها، فأُذِنَ لها بالكلام؛ حُجّةً عليه، وقالت: يا بلعام، أين تذهب؟ ألا ترى الملائكةَ أمامي ترُدُّني؟

فخلَّى سبيلَها، ثمَّ انطلق، حتَّى إذا أشرفَ عليهم جعلَ يدعو، فلا يَدْعُو عَلَيْهِم بِشَرٍّ[٩] إلّا صرفَ الله به لسانَه إلى قومِه، ولا يَدْعُو لقومِه بخيرٍ[١٠]

---

(١) في (د): «أومر»، وكتب فوقها: «أُوامِر». (٢) في (د): «فوامر».
(٣) «لهم» ليس في (د). (٤) في (س): «فواملا»، وفي (د): «فوامر».
(٥) قوله: «حتى فتنوه» ليس في (س).
(٦) الأتان: أنثى الحمار. انظر: «لسان العرب» (١٣: ٦)، و«المصباح المنير» (١: ١٥٠)، و«تاج العروس» (٣٤: ١٥٤).
(٧) في (س): «رجل». (٨) في (ق): «حبان».
(٩) كذا في حاشية (س)، وفي (د) و(ق) و(س): «بشيء».
(١٠) «بخير» ليس في (د).

إلّا صرفَ الله به لسانَه إلى بني إسرائيل، فقال له قومُه: إنّما تدعو لهم وعلينا، فقال: هذا ما لا أملك، هذا شيءٌ قد غلبَ الله عليه، واندلعَ لسانُه على صدره، فقال لهم: قد ذهبَ منِّي الآن[١] الدنيا والآخرة، فلم يبقَ إلّا المكر، جَمِّلوا النساء، وأعطوهنَّ السِّلَع، ثمَّ أرسِلوهنَّ إلى العسكر؛ ليَبِعن[٢]، ومُروُهنَّ ألّا تمنعَ امرأةٌ نفسَها من رجلٍ أرادها[٣]، فلو زنا[٤] واحدٌ منهم[٥] كُفيتُموهم، ففعلوا، فمرَّت امرأةٌ من الكنعانيِّينَ برجلٍ من عُظماء بني إسرائيل، فأخذ بيدِها حينَ أعجبَته، وأقبلَ على موسى عليه السلام، وقال: إنّي[٦] أظُنُّكَ تقول: هذه حرامٌ عليك؟ قال: أجل، لا تَقرَبها. قال[٧]: فوالله[٨] لا نُطيعُكَ في هذا، فدخلَ بها قُبَّتَه، فوقعَ عليها، فأرسلَ الله تعالى على بني إسرائيلَ الطاعونَ في الوقت[٩].

وكان ابنُ العيزار بن هارونَ[١٠] صاحِبَ أمر موسى عليه السلام، وكان رجلًا أُعطيَ بسطةً في الخَلْقِ وقوّةً في البطش، وكان غائبًا حين صنعَ ذلك الرجلُ بالمرأة، فجاءَ والطاعونُ يحوش بني إسرائيل، فأُخبِرَ الخبر، فأخذَ حربتَه وكانت من حديد، فدخلَ القُبّةَ فوجدهُما مُتضاجِعَين، فانتظَمَهُما بحربته، ثمَّ خرجَ بهما رافعهما إلى السماء، والحربةُ قد أخذها بذراعَيه واعتمدَ بمرافقه على خاصرته، وجعلَ يقول: اللهمَّ هكذا نفعلُ بمَن يعصيك.

---

(١) في (س): «الآن مني».
(٢) في (س): «يبعن».
(٣) في (س): «أراد».
(٤) قوله: «فلو زنا» ليس في (س).
(٥) «منهم» ليس في (ق) و(س).
(٦) «إني» ليس في (س).
(٧) في (س): «فقال».
(٨) في (س): «والله».
(٩) انظر: «تفسير الطبري» (١٣: ٢٦٢).
(١٠) يسمى: فنحاص بن العيزار.

[٥/ب] ورُفِعَ الطاعون، فحُسِبَ مَن هَلَكَ من وقتِ زَنَيا إلى قتلهما فوجَدوهُ[١] سبعينَ[٢] ألفًا في ساعةٍ من النهار[٣]، فانظُر ويحكَ ما صَنَعَتِ الرِّشوة.

وقولُه تعالى: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [الأعراف: ١٧٥]، أي: خَرَجَ كما تَسلخُ الحيّةُ جِلدَها[٤].

﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾؛ أي: أدركهُ.

﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ * وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾، أي: منزلتَهُ[٥] بتلكَ الآيات[٦].

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «لَرفعناه بعَمله بها»[٧]، فدلَّ على أنّ المقصودَ من العلمِ العمل، ولهذا قال بعضُ السلف: «إنّ من علامةِ الشقاوة أن يُرزَقَ الشخصُ العِلم، ويُحرَمَ العمل»[٨].

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، أي: سَكَنَ إلى الدنيا ومالَ إليها، يُقال: أخلَدَ وخَلَد، قاله[٩] الزجّاج[١٠]، والأرضُ هنا عبارةٌ عن الدنيا[١١].

---

(١) «فوجدوه» ليس في (س). (٢) في (س): «سبعون».

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٣٠١-٣٠٢)، و«تفسير القرطبي» (٧: ٣١٩-٣٢٠).

(٤) انظر: «تفسير السمرقندي» (١: ٥٦٦-٥٦٧)، و«تفسير القرطبي» (٧: ٣٢١)، و«تفسير الجلالين» (٢٢١).

(٥) «منزلته» ليس في (د).

(٦) انظر: «تفسير السمرقندي» (١: ٥٦٧)، و«تفسير الجلالين» (٢٢١).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (١٣: ٢٦٨)، و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٣: ٦١٠).

(٨) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٨٧)، و«طبقات الأولياء» (٣٠٠).

(٩) في (س): «قال».

(١٠) «معاني القرآن وإعرابه» للزجاج (٢: ٣٩١).

(١١) انظر: «تفسير الطبري» (١٣: ٢٦١)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٥: ١٦٢٠)، و«تفسير البغوي» (٣: ٣٠٤).

﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: انقادَ لِما دعاهُ إليه الهوى[١]، قال عطاءٌ: «أرادَ الدنيا»[٢]، قال بعضُ العلماء: «هذه أشدُّ آيةٍ على العلماء؛ لأنّه آتاهُ الله تعالى العِلمَ والحِكمة، فسكنَ إلى الدنيا[٣] واتِّباعِ[٤] الهوى»[٥].

فانظُر حُبَّ المالِ وحبَّ الشرفِ ماذا صنعَ بمَن كان يجلسُ في حلقته اثنا عشرَ ألفَ مِحبَرة.

قال بعضُ العلماء: «وما يَسلَمُ من هاتَين الخَلَّتَين[٦] إلّا مَن عَصمَه الله تعالى»[٧]، وقد جاء في الحديث من رواية ابن[٨] كعب بن مالكٍ رضي الله عنه، عن أبيه، أنّه عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام، قال: «**ما ذئبان جائعان**»[٩]، وفي رواية: «**ضاريان أُرسِلا في غنمٍ**»[١٠]، وفي رواية: «**زريبة غنم، بأفسَدَ لها من حِرصِ المرءِ على المال والشرف لِدينه**»[١١]، رواه الترمذيّ[١٢]، وقال: «حديثٌ[١٣] حسنٌ صحيح».

---

(١) في (س): «انقاد لها ومال إليها بالهوى». (٢) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٣٠٤).

(٣) قوله: «إلى الدنيا» ليس في (س). (٤) في (ق) و(س): «واتبع».

(٥) انظر: «تفسير البغوي» (٣: ٣٠٤). (٦) في (س): «الحالتين».

(٧) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (٢: ٤٢٨)، و«تفسير البغوي» (٣: ٣٠٤).

(٨) «ابن» مثبت من المصادر الحديثية.

(٩) «جامع الترمذي» (٢٣٧٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١١٧٩٦)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(١٠) «المعجم الكبير» للطبراني (١٨٩)، و«حلية الأولياء» (٧: ٨٩).

(١١) قوله: «والشرف لدينه» ليس في (س)، والحديث في «المعجم الأوسط» (٧٧٢)، و«حلية الأولياء» (٧: ٨٩)، و«مسند الشهاب» (٨١١).

(١٢) «جامع الترمذي» (٢٣٧٦). (١٣) «حديث» ليس في (ق) و(د) و(ج).

وفي[١] هذا الحديث من[٢] المثال[٣] ما يُرشِدُ إلى أنّ حُبَّ[٤] هذَين الشيئَين لا يُبقِي لِمَن اتَّصفَ بهما شيئًا من الدين، ولهذا كان بعضُ العلماءِ العامِلين رحمةُ الله عليه يقول: «في هذا الحديث من المثال[٥] ما يحمِلُني على أن آتِيَ بالشهادتَين في اليومِ والليلةِ مِئتَي مرّة».

ثمَّ يقول: «ذِئبان ضاريان أُرسِلا بالأمن في زريبةٍ مُحوَّطٍ[٦] عليها، وليس لها راعٍ يَذُبّ[٧]، أيُبقِيانِ منها شيئًا؟ لا والله الذي تقومُ السماءُ والأرضُ بأمره».

وَيحَك! ألم تسمع قولَ الصادِق: «**إنّ أوّل الناس يُقضَى عليه يومَ القيامة رجلٌ استُشهِد، فأُتِي به، فعرَّفهُ الله تعالى نِعمَه فعَرَفها، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتَّى استُشهِدت، قال: كذبت، ولكنَّكَ قاتلت لأن يُقال: جريء، وقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتَّى أُلقِيَ في النار، ورجلٌ تعلَّمَ العِلمَ وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتِيَ به فعرَّفهُ نِعمَه فعَرَفَها، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العِلمَ وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبت، ولكنَّك تعلَّمت ليُقال: عالِمٌ، وقرأتَ القرآن ليُقال: هو قارئ، وقد قيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه حتَّى أُلقِيَ في النار، ورجلٌ وسَّعَ الله عليه وأعطاه من أصناف المال، فأُتِيَ به فعرَّفهُ نِعَمَه، فعَرَفَها، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تُحبُّ أن يُنفَقَ فيها إلّا أنفقتُ فيها لك، قال: كذبت، ولكنَّك** [٦/أ]

(١) في (س): «في» بسقوط الواو.
(٢) «الحديث من» ليس في (د).
(٣) قوله: «من المثال» ليس في (ج)، وفي (س): «من المال».
(٤) موضعها كلمة غير واضحة في (س).
(٥) في (س): «من المال».
(٦) في (ق) و(د) و(س): «في محوط».
(٧) قوله: «يذب» ليس في (س)، وفي (د): «يدب».

فعلتَ ليُقال: هو جَواد، وقد قِيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وجهه، ثمَّ أُلقيَ في النار»[1]. رواه مسلم.

وَيحَك! ألقيتَ نفسكَ في مهلكةٍ عظيمة، أيُّ شيءٍ أعظمُ من هذا! تُقْرَعُ بالكذب على رُؤوسِ الأشهاد، ثمَّ تُسحَبُ على وجهك إلى النار، خِبتَ[2] وخسِرت إن نزلَ بك هذا الأمر.

وَيحَك! آثَرتَ حُبَّ ما يُردِيكَ[3] على حُبِّ الله تعالى ورسولِه[4]، ألم يقل الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال العلماءُ: «كفى بهذا حُجّةً على خطرِ مَن هذه حالُه؛ إذ قُرِّعَ[5] مَن كان مالُه وأهلُه وولدُه أحبَّ إليه من الله ورسوله؛ إذ[6] وعَدَهم بالتربُّص»[7].

﴿حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾، أي: بعذابه[8]، ثمَّ فسَّقَهم بتمام الآية، وأعلَمَهم أنّهم ممَّن ضلَّ ولم يَهدِه[9] الله تعالى.

---

(١) «صحيح مسلم» (١٩٠٥).

(٢) «خبت» ليس في (س).

(٣) يرديك: أي: يهلكك. انظر: «العين» (٨: ٦٧)، و«الصحاح» (٦: ٢٣٥٥)، و«لسان العرب» (١٤: ٣١٦).

(٤) في (ج): «ورسول».

(٥) في (س): «فزع».

(٦) في (د): «إذا».

(٧) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (٢: ١٨).

(٨) انظر: «تفسير الثعلبي» (١: ٢٥٨)، و«تفسير البغوي» (١: ١٣٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٥: ٣٩٢).

(٩) في (س): «يهده».

وكأنّي بك يا مغرورُ وقد قلت: والله، إنّهُما أحبُّ إليَّ من ذلك، ولم تكتفِ بكذِبِك في ذلك حتَّى أقسمتَ بربِّك كاذبًا.

إن برهانَ كذبك في هذه الدعوى لَمِن أوضح الأدلة، بل الدليلُ الدالُّ يُنادي عليك بعدم المحبّة أصلًا، بل أفعالُكَ وأحوالُكَ دالّةٌ على بُغضِك لرسول الله ﷺ.

وها أنا أذكُرُ من الأدلّة ما يُبيِّنُ البيانَ الواضحَ أنّك مُبغِضٌ له وإن ادَّعيتَ خلافَ ذلك، فهي خديعةُ نفسٍ أمّارةٍ[١] قد دلَّسَت[٢] عليك، والحجّةُ قائمةٌ على تكذيبك.

هذا عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه يقول: «إنّ أُناسًا[٣] كانوا يُؤخَذونَ بالوَحيِ في عَهدِ رَسولِ الله ﷺ، وإنّ الوحيَ قد انقطع، وإنّما نأخُذُكم الآن بما ظهرَ لنا من أعمالكم، فمَن أظهَرَ لنا خيرًا أمَّنّاهُ وقرَّبناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه على سريرَتِه، ومن أظهرَ لنا سوءًا لم نأمَنهُ ولم نُصَدِّقه وإن قال: إنّ سريرتَه حسنة»[٤]، رواه البخاريُّ. / [٦/ب]

هذا أبو هريرةَ رضي الله عنه يُخبِرُ عن الصادقِ عليه الصلاةُ والسلامُ أنّه قال: «**آيةُ المُنافِقِ ثلاثٌ: إذا حدَّث كَذَب، وإذا وعدَ أخلَف، وإذا اؤتُمِنَ خان**»[٥]، رواه الشيخان، وفي رواية: «**وإن صامَ وصلَّى وزعمَ أنّه مُسلِم**»[٦]، والأدلّةُ على ذلك كثيرةٌ جدًّا.

---

(١) في (ج): «أمارة بالسوء». (٢) في (س): «دلت».

(٣) في (ج): «ناسًا». (٤) «صحيح البخاري» (٢٦٤١).

(٥) «صحيح البخاري» (٣٣)، و«صحيح مسلم» (٥٩).

(٦) «صحيح مسلم» (٥٩).

وفي مسلم: «**أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالصًا**»، والرابعةُ: «**وإذا خاصمَ فجَر**»[(١)]، وللعلماءِ رحِمَهُم الله تعالى في تفسيرِ ذلك اختلافٌ، وليس هذا موضعَه[(٢)].

ومنها: حَملُه على منافقِي زمانِه ﷺ، ومن إجراءِ اللفظِ على عُمومِه، وظاهِرُه جَعلُهُ من المُشْكَلات.

وَيحَكُم! بل وَيلَكُم! إنّ هذه الخصالَ التي[(٣)] شَهِدَ بها رسولُ الله ﷺ على النفاقِ أخفُّ[(٤)] خصالِكم.

وَيحَكُم! إنّكم اتَّخذتُم آياتِ الله هُزُوًا، يقول[(٥)] الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨]، أي: تعلمونَ أنّكُم مُبطِلون[(٦)].

والأكلُ بالباطلِ أنواع؛ قد[(٧)] يكونُ بالغصب، والنهب، واللهو كالقمار، وأُجرةِ المُغنِّي، وغيرِها[(٨)]، ويكونُ[(٩)] بالرِّشوةِ والخيانة[(١٠)]؛ يقول الله تعالى:

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٨).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١: ٩١)، و«إكمال المعلم» (١: ٣١٣)، و«المفهم» (١: ٢٥٠)، و«شرح النووي على مسلم» (٢: ٤٦).

(٣) كذا في حاشية (د)، وأشار أنها في نسخة، وفي (ق) و(د) و(س): «الذي».

(٤) كأنه كتب فوقها في (د): «هي». (٥) في (س): «ويقول».

(٦) انظر: «تفسير الرازي» (٥: ٢٨٠)، و«تفسير البيضاوي» (١: ١٢٧).

(٧) «قد» ليس في (ق) و(د). (٨) في (د): «وغيرهما».

(٩) «ويكون» ليس في (س).

(١٠) انظر: «التفسير الوسيط» للواحدي (١: ٢٨٩)، و«تفسير البغوي» (١: ٢١٠)، و«الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية» (١: ١٧٧-١٧٨).

﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠].

هذه فريضةُ الله العليمِ[(١)] الحكيم، تأخذونَ ما فرَضه[(٢)] الله تعالى ترشون[(٣)] به[(٤)] مَن[(٥)] نصَّ القرآنُ في غير موضعٍ على أنّه حارَبَ الله ورسولَه، يَبيتُ أحدُكم مُتفكِّرًا فيما يُرضي مَن حارَبَ الله ورسولَه، وأظهرَ الشِّقاقَ وسفكَ دماءَ العلماءِ والصالحينَ الذين يأمرونَ بالقسط، وإن كان فيه غضبُ الله تعالى وغضبُ رسولِه ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التوبة: ٦١].

وَيحَك[(٦)]! تَرِدُ عليك الحكومةُ تتعلَّقُ بأحد أولادِ رسول الله ﷺ وخَصمُه فيها محارِبٌ له ﷺ تقضِي لمُحارِبه بالباطل وتترك: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء: ٥٨].

وَيحَك! إنّ أهلَ الكتابِ مع تحريفهم التوارةَ والإنجيلَ لم يرضوا بفعلك، إنّ أحدًا من مُلوكِهم إذا طلبَ منه حكمًا يقول: لا أجدُ في كتابي هذا، فيرشيه حتَّى يحكُمَ له، وأنت[(٧)] ترشي بمال مَن جعله الله تعالى له، وتحكُم له[(٨)] بالباطل، أيُّ دليلٍ أدلُّ على فساد طويَّتِكَ من هذا؟

[٧/أ] لعلَّك تقول: إنّي لَأعلمُ أنّ القرآنَ حقٌّ، ولكنِّي أرتكبُ هذا المحذور؛ لأنّ فيه مصلحةَ دُنياي ودفعَ أعدائي، إنّها زلّة، وهل جَهِلَ أهلُ الكتابِ أنّ القرآنَ حقٌّ؟!

---

(١) «العليم» ليس في (د).
(٢) في (س): «فرض».
(٣) في النسخ: «ترشوا».
(٤) «به» ليس في (ق).
(٥) في النسخ: «لمن».
(٦) «ويحك» ليس في (س) و(د).
(٧) في (د): «وأن».
(٨) «له» ليس في (د).

هذا كلامُ ربِّنا[١] يَنطِقُ بأنّهم يعرفونهُ: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٠]، والعلمُ: هو الذي لا يحتملُ النقيضَ[٢].

وَيحَكم! دَرَستُم الشريعةَ حتَّى كادت تَظهرُ أعلامُ الكُفر!

وَيحَكم! أين فِعلُكُم هذا من أقوامٍ كان لهم أمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ عن مُنكَر، ثمَّ صُنِعَ بهم ما أخبرَ الله تعالى عنهم؛ ففي حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه، أنه عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «إنّ[٣] **أوَّلَ ما دَخَلَ النقصُ على بني إسرائيل أنّه كان الرجلُ يَلقَى الرجل، فيقول: يا هذا، اتَّقِ الله ودَع ما تصنع؛ فإنّه لا يَحِلُّ لك، ثمَّ يلقاهُ من الغد وهو على حاله فلا يَمنعُه ذلك أن يكونَ أكِيلَهُ وشَريبهُ وقَعِيده، فلمّا فعلوا ذلك ضربَ الله قلوبَ بَعضِهم ببعضٍ**»، ثمَّ قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۞ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾[٤]... إلى قوله: ﴿فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

ثمَّ قال: «**كلا، والله لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنَّ عن المنكر، ولتأخُذُنَّ على يد[٥] الظالم، ولتأطُرُنَّه[٦] على الحقِّ أطرًا، ولتقصُرُنه على الحقِّ قصرًا،**

---

(١) في (د): «الله».

(٢) انظر: «البحر المحيط» للزركشي (١: ٧٥)، و«تاج العروس» (٣٣: ١٢٧).

(٣) «إن» ليس في (ق).

(٤) قوله تعالى: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ ليس في (س).

(٥) في (ق): «يدي».

(٦) في (د) و(س): «ولتطرنه».

أو[١] ليَضرِبَنَّ الله[٢] قلوبَ بعضِكم ببعضٍ[٣]، ثم ليلعنكم كما لعنهم»[٤]، رواه أبو داود والترمذيّ، وقال: «حسنٌ».

وَيحَكم! إنّكم تُعينُوهم على المعاصي بالمعاصي، أين صنيعُكم من صنيعِهم، خِبتُم وخسِرتُم إن دُمتُم على ذلك.

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: **«ما من نبيٍّ بعثه الله في أُمَّتِهِ قبلي إلّا كان له من أُمَّتِهِ[٥] حوارِيُّون وأصحابٌ يأخذون بسُنَّتِه، ويَقتَدُونَ بأمره، ثمَّ إنّها تَخلُفُ من بعدهم[٦] خُلوفٌ يقولونَ ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يُؤمَرون، فمَن جاهَدَهم بيده فهو مؤمن، ومَن جاهَدَهُم بلسانه فهو مؤمن، ومَن جاهدهُم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراءَ ذلك من الإيمان حبّةُ خردل»**[٧]، رواه مسلم.

وَيحَكم! إنّكم تُتعِبُونَ أنفُسَكُم وفِكرَكُم فيما تُحِبُّونه[٨]، وإن كان فيه غضبُ رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [التوبة: ٦١].

وَيحَكم! أما علِمتُم أنّ المعاصيَ بريدُ الكفر[٩]؛ لأنّ العبدَ إذا فعلَ المعصيةَ

---

(١) في (س): «و».
(٢) لفظ الجلالة ليس في (د) و(س).
(٣) في (س) و(د): «على بعض».
(٤) «جامع الترمذي» (٣٠٤٨)، و«سنن أبي داود» (٤٣٣٦).
(٥) في (س): «أمتي».
(٦) في (د): «يعدهم».
(٧) «صحيح مسلم» (٥٠).
(٨) في (ج): «يحبونه».
(٩) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٦٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ٣٠٨)، و«شرح النووي على مسلم» (١١: ٢٩)، و«العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام» لابن العطار (٣: ١٥٨٤).

نُكِتَ(١) في قلبه نُكتةٌ سوداء، ثمَّ لم يَزَل كذلك حتَّى يَكمُلَ سوادُه، ويَتوالَى [٧/ب]
عليه الختمُ والقفلُ والطبعُ والران(٢)، قال الله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وَيحَك! إذا كنتَ يا مغرور، بل يا مُعانِدَ النصوص، الشيطانُ آخِذٌ بناصيتك كيف شاء في حال صِحَّتكَ وكمالِ عقلكَ وفَهمِك، ما تقولُ وما يُقالُ لك، كيف حالُك في طَواعِيتِه إذا تداعتِ الأسقامُ والآلامُ في جسمك واختلَّ عقلُكَ؟! حتَّى لو جلسَ إليك ولدُكَ ومالُكَ الذي هو أحبُّ الأشياءِ إليك لا شعورَ لك بذلك، هل أنت للشيطانِ أطوعُ أم لا؟

مع أنّه يقول لجُنده(٣): شُدُّوا أيدِيَكُم(٤) به(٥)؛ فإنّه إن فاتَكُم في هذه الحالةِ لا تدركونهُ أبدًا.

ثمَّ يأتون(٦) إليك في صورةِ أصلٍ وفرعٍ وحاشيةٍ وصديق، وشيخٍ ومُرَبّ، ويُحَسِّنُونَ لك ما لا قُدرةَ لك على دَفعِه حالَ كمالِ عقلكَ وصحّةِ فهمِك، ويكون قد سَبَقَهُم بالموتِ على التوحيدِ مَن سَبَقَت له العناية، فيَحثِي(٧) على رأسه التراب، ويقول: وَيحَكم! كيف فاتَكُم هذا؟

(١) في (س): «نكث»، كذلك في الموضع التالي.

(٢) لعله يشير رحمه الله إلى حديث في «جامع الترمذي» (**٣٣٣٤**): «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زِيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله».

(٣) «لجنده» ليس في (ج).

(٤) في (ق) و(س): «يدكم».

(٥) «به» ليس في (س).

(٦) في (س) و(ق) و(د): «يأتوا».

(٧) في (س): «فحثى».

اللهمَّ إنّا نعوذُ بك من شَرِّه وشَرِّ[١] جُندِه، وندرأُ بك في نُحورِهِم يا أرحمَ الراحمين.

لعلَّكَ غَرَّكَ نقرُكَ للصلاةِ التي لا تَذكرُ الله فيها إلّا قليلًا، وَيحَك! هذه صلاةُ المنافقِ بشهادةِ الصادِقِ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام[٢].

لعلَّك غرَّكَ التلفُّظ بالإتيان[٣] بالشهادَتَين، ويحك، ما أحمقكَ! هذه أُمُّ الدرداء رضي الله عنها قالت: دخلَ عليَّ[٤] أبو الدرداءِ رضي الله عنه مُغضَبًا، فقلت: ما أغضبَك؟ فقال: «والله ما أعرفُ فيهم من أمرِ أُمّةِ[٥] محمَّدٍ ﷺ إلّا أنّهم يُصَلُّون جميعًا»[٦]، رواه البخاريُّ.

هذا أنسٌ رضي الله عنه يقول: «إنّكم لَتعمَلونَ أعمالًا هي أدقُّ في أعيُنِكم من الشَّعر، وإنّا كُنّا لنَعُدُّها على عهد النبيِّ ﷺ من المُوبِقات»[٧]، رواه البخاريّ، ورَواه الإمامُ أحمدُ من حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ[٨].

---

(١) في (د): «ومن».

(٢) لعله يشير رحمه الله إلى حديث في «صحيح مسلم» (٦٢٢): «عن العلاء بن عبد الرحمن، أنه دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة، حين انصرف من الظهر، وداره بجنب المسجد، فلما دخلنا عليه، قال: أصليتم العصر؟ فقلنا له: إنما انصرفنا الساعة من الظهر، قال: فصلوا العصر، فقمنا فصلينا، فلما انصرفنا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تلك صلاة المنافق، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنَي الشيطان قام فنقرها أربعًا، لا يذكر الله فيها إلّا قليلًا».

(٣) في (س): «الإتيان».

(٤) «عليَّ» ليس في (ق) و(د) و(ج).

(٥) «أمة» مثبت من المصادر.

(٦) «صحيح البخاري» (٦٥٠).

(٧) «صحيح البخاري» (٦٤٩٢).

(٨) «مسند أحمد» (١٠٩٩٥).

وقال أنسٌ رضي الله عنه: «ما من شيءٍ كنتُ أعرِفهُ على عهدِ النبيِّ ﷺ إلّا أصبَحتُ له مُنكِرًا، إلّا أنّي أرى شهادتَكم هذه ثابتةً، فقِيلَ له: يا أبا حمزة، فالصلاةُ؟ فقال: قد فُعِلَ فيها ما رأيتُم»(١).

وفي لفظ: أنّ ثابتًا البُنانيَّ قال: سمعتُ أنسًا يقول: «ما أعرفُ شيئًا ممّا كنتُ أعهَدُه على عهدِ النبيِّ ﷺ غيرَ شهادةِ أن لا إلهَ إلّا الله، فقلت: يرحمُكَ الله، فالصلاةُ؟ فقال: أليس قد صنعتُم(٢) في الصلاةِ ما أرى»(٣).

وقيل لعبدِ الله بن بُسْرٍ(٤) صاحبِ رسولِ الله ﷺ: كيف حالُنا من حالِ مَن كان(٥) قبلَنا؟ [٨/أ]

فقال: «سبحانَ الله، لو نُشِروا مِن القُبُورِ ما عَرَفُوكُم، إلّا أن يجدوكُم قيامًا تُصَلُّون»(٦).

وروى أبو نُعَيمٍ أنّ جارًا لجابرٍ رضي الله عنه قَدِمَ من سفر، فجاءهُ جابرٌ فسلَّم عليه، فجعل يُحدِّثُ جابرًا عمّا أحدَثَ الناس، فجعل جابِرٌ يَبكِي، ثمَّ يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ الناسَ دخلوا في دينِ الله أفواجًا، وسيَخرُجونَ منه أفواجًا**»(٧).

---

(١) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٧١٨).

(٢) في (د): «ضيعتم».

(٣) «مسند أحمد» (١٣٨٦١)، و«مسند ابن الجعد» (٣٠٧٦)، وانظر: «صحيح البخاري» (٥٢٩-٥٣٠).

(٤) في (س) و(د): «بشر».

(٥) «كان» ليس في (د).

(٦) «المعجم الأوسط» (٤٧٣)، و«مسند الشاميين» (٩٩٦)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٧١٧).

(٧) «مسند أحمد» (١٤٦٩٦) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧: ٢٨١): «رواه أحمد، وجار جابر لم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح».

وَيحَك! إذا كان هذا القولُ في أقوامٍ هُم في خيرِ القرونِ بشهادةِ الصادق[١] ﷺ، فما الظَّنُّ بأقوامٍ هُم في شرِّ القُرُونِ!

هذا الحسنُ البصريُّ رضي الله عنه يقول: «واللهِ لقد رأيتُ سبعين بدريًّا[٢] لباسُهُم الصوف، لو رأيتُموهم لَقُلتُم: مجانين، ولو رأوا خِيارَكُم لقالوا: ما لهؤلاءِ من خَلاقٍ ـ أي: نصيب[٣] ـ ولو رأوا شِرارَكُم لقالوا: لا يُؤمِنُ هؤلاءِ بيَومِ الحِساب»[٤].

ودخلَ المسجدَ يومَ الجمعة، فلمّا جلسَ دَمَعَت عيناه، فقيل له: يا أبا سعيد، ما يُبكيك؟ فقال: «أرى قولًا ولا أرى فعلًا[٥]، أرى رجالًا ولا أرى عقولًا، دخلوا ثمَّ خرجوا، حرَّموا ثمَّ استحلُّوا، إنّما دينُ أحدِهم لعقةٌ على لسانه، ولو سألته هل يُؤمِنُ بيوم الحساب؟ لقال: نعم، كذَبَ ومالكِ يومِ الدين، ما هذه أخلاقُ المؤمنين، إنّ من أخلاقِ المؤمِنينَ قوّةً في الدين، وعطاءً في حقٍّ[٦]، ونهيًا عن شهوة، وتَحرُّجًا عن طمع، ونشاطًا في هُدًى، لا يَحِيفُ على مَن يُبغِض، لا يَجْمَحُ بِهِ[٧] الغَيظُ..»، إلى آخر ما قال[٨].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٥٢)، و«صحيح مسلم» (٢٥٣٣).

(٢) جاء بعدها في «حلية الأولياء»: «أكثر».

(٣) انظر: «العين» (٤: ١٥١)، و«غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (١: ٢٣)، و«جمهرة اللغة» (١: ٦١٩)، و«الصحاح» (٤: ١٤٧١)، و«لسان العرب» (١٠: ٩٢).

(٤) «حلية الأولياء» (٢: ١٣٤).

(٥) جاء بعدها في «الإبانة الكبرى» لابن بطة: «معرفة بلا يقين».

(٦) في (ج): «في حق الله».

(٧) في النسخ: «في»، والمثبت موافق لما في «الإبانة».

(٨) «الإبانة الكبرى» لابن بطة (٨٦٤).

وَيحَك! هذا الحسنُ يتألَّى[(١)] بأنّ أهلَ زمانِه الذي هُم في خير[(٢)] القرون أنّهم لا يؤمنون بيومِ الحساب، مع ما هم عليه من أعمال البرّ، وأنت على العكس من أعمالِهم، تُجهِدُ[(٣)] نَفْسَكَ[(٤)] وخيلَكَ ورَجِلَكَ في رضا مَن حاربَ الله ورسولَه بمالِ مَن جعله الله تعالى له في كتابه، وتخضعُ لهم خضوعَ الكلبِ الجائع، وتُظهِرُ شَممًا[(٥)] على وصيّةِ رسولِ الله ﷺ، ثمَّ تدَّعِي الإيمانَ بيومِ الحساب.

كَذَبتَ يا عدوَّ الله وعدوَّ رسولِه، قد ظهرَت أماراتُ بُغضِكَ شرعَ رسول الله ﷺ إذ أنت ساعٍ في دَرْسِه[(٦)]، هذا كلامُ ربِّنا ينطقُ بعدم إيمانك، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؛ أي: بظاهِرهِم وباطنِهم[(٧)].

فقولُه تعالى: ﴿فَلَا﴾؛ يعني: ليس الأمرُ كما يزعمونَ من الإيمان[(٨)]، ثمَّ لا يَرضَونَ بحُكمِك، هذا كلامُ ربِّنا ينطقُ بنفيِ/ إيمانِك يا معانِدًا للنُّصوص[(٩)]. [٨/ب]

---

(١) في (ج): «يتأتى». (٢) في (ق): «خبر».

(٣) في (س): «تجاهد». (٤) في (ق) و(س): «بنفسك».

(٥) الشَّمَم: ارتفاع في الأنف. انظر: «المحيط» (٢: ١٥٣)، و«الصحاح» (٥: ١٩٦٢)، و«لسان العرب» (١٢: ٣٢٧)، و«المصباح المنير» (١: ٣٢٣)، و«تاج العروس» (٣٢: ٤٧٦).

(٦) الدرس: دَرَسَ الرسم يدرس دُروسًا، أي: عفا، والمعنى هنا: ذهاب الأثر. انظر: «الصحاح» (٣: ٩٢٧)، و«المحكم» (٨: ٤٤٩)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢: ١٣٣)، و«القاموس المحيط» (٥٥٤).

(٧) انظر: «تفسير الرازي» (١٠: ١٢٨)، و«تفسير البيضاوي» (٢: ٨٢)، و«الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية» (١: ١٥٨).

(٨) انظر: «تفسير الطبري» (٨: ٥١٨)، و«تفسير الرازي» (١٠: ١٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٥: ٢٦٦).

(٩) في (ج): «يا معاند النصوص».

ثمَّ استأنفَ سبحانَه القَسَم، فقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: اختلفَ والتبسَ عليهم حُكمُه[١]. ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾[٢]؛ أي: ضيقًا[٣]. ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؛ أي: ينقادوا لأمركَ انقيادًا[٤].

وأنت، ويلكَ! تُظهِرُ الضيقَ من أحكامٍ هي نصوص، وتُعادي وتُقاطِعُ مَن أراد تنفيذَها، وتُوالِي وتُناصِرُ مَن ظهرَ عليه إرادةُ إبطالِها وإهدارِها.

أي عدوَّ الله، يقولُ الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]؛ الآية، هذه الآيةُ مُنطبِقةٌ عليك[٥] إن اعتُبِرَ خُصوصُ السَّببِ أو عمومُ اللفظ.

هذا سفيانُ الثوريُّ[٦] رحمه الله تعالى كان يطوفُ بالبيت، فأقبلَ الرشيدُ يُريدُ الطواف، فقطعَ سفيانُ الطواف، ثمَّ تلا هذه الآية، وكذلك صَنَعَ ابنُ أبي رَوّادٍ[٧]، قاتلَكُم الله ما أجرأكُم على الله وعلى رسوله[٨].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٨: ٥١٨)، و«تفسير الرازي» (١٠: ١٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٥: ٢٦٦).

(٢) قوله تعالى: «﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾» ليس في (ق) و(د).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٨: ٥١٨)، و«تفسير الرازي» (١٠: ١٢٧)، و«تفسير القرطبي» (٥: ٢٦٩).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٥: ٢٦٩)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٣: ٦٩٥).

(٥) «عليك» ليس في (س).

(٦) تأتي ترجمته برقم (٧).

(٧) انظر: «كفاية الأخيار» (٣٧٦).

(٨) في (ج): «ورسوله».

يا لِلمُسلمين[١]، اسمعوا، فإذا سَمِعتُم فعُوا، إنّ حكايتي هذه لا تكادُ تُصَدَّق، ووالله لولا أنِّي تحقَّقتُها بنفسي ما كنت أُصدِّق:

اتَّفقَ أنّ بعض نُوّابِ دمشقَ خرجَ على سلطان مصر، وتَقوَّى بأخذ أموال المُسلمين، وحَسَّنَ له ذلك بعض[٢] مَن[٣] كان[٤] يتردَّد إليه ـ مِمَّن يَزعُم أنّه[٥] ـ من الفُقهاء والفُقراء، فبرزَ نحو جهةِ حماة، ثمَّ عَطَف على مدينةِ طرابلس بعضُ أعوانه، وقالوا: إنّكم علينا[٦]، وبادَرُوا[٧] إلى الجامع المعمورِ بذِكرِ الله تعالى بها[٨]، فوجَدُوا الغُزاةَ الذين حَبَسُوا أنفسَهُم في الجامع لأجل الغَزاة، يريدونَ بذلك أن تكونَ كلمةُ الله تعالى هي العُليا، حتَّى بلغَنِي أنّ فيهم مَن لا يخرجُ في غيرِ الغَزاةِ إلّا لأجل قضاءِ الحاجة، يعني: البول والغائط[٩]، مع ما هو عليه من التلاوةِ والصَّومِ والصلاة، ومُذاكرةِ العلم، فسفَكُوا دماءَهُم ودماءَ مَن وجدوا من العُلماء، وهي أمارةٌ ظاهرةٌ على فسادِ طَوِيّاتِهم[١٠].

فلمّا قضَوا إربَهم من هذا الفعلِ الخبيث، وأقبَلُوا على دمشقَ الذي أحلَّ الله العزيزُ بها ما أحلَّ من غَضَبِه؛ خرجَ إلى هؤلاء القلف[١١] كبارُ العُلماءِ والقُرّاء، وتلقَّوهم يهنئونهم[١٢] بالفتح والنُّصرة، وهم مع ذلك راكبينَ في السُّروج

(١) في (س): «بالمسلمين».
(٢) «بعض» مثبت من (د).
(٣) في (س): «ممن».
(٤) «كان» ليس في (ق) و(د).
(٥) قوله: «ممن يزعم أنه» ليس في (ق).
(٦) قوله: «بعضُ أعوانه، وقالوا: إنَّكُم علينا» ليس في (س).
(٧) في (س): «وبادر».
(٨) «بها» ليس في (س).
(٩) «والغائط» مثبت من (د).
(١٠) في (د): «طواياهم»، وفي (س): «أمارة ظاهرة على كفرهم».
(١١) «القلف» ليس في (س).
(١٢) في (س) و(د): «يهنوهم».

المُفضَّضة المَطليّةِ بالذهب، وعلى أكفالِ خيلِهم كنائسُ[١] الذهبِ والفضّة، وبين أيديهم آلاتُ اللهو المُجمَعُ على تحريمها مع كونِها من الفضّة ، ومُغشّاةً [٩/أ] بالذهب، وبين أيديهم الكلاب، ثمَّ لم يَرتَضُوا[٢] بأن يكونَ هؤلاء الفقهاءُ قريبًا منهم، بل جعَلُوهم مع الكلابزية؛ تحقيرًا لهم، وقصدًا[٣] في إهانةِ[٤] هذه الشريعة، لعلَّهم يتمكَّنون[٥] من إظهار ما هو كامِنٌ في نفوسهم الخبيثة، ثمَّ لم يَلبَث هؤلاء الذين يزعمونَ أنّهم فُقهاءُ حتَّى بادَروا بإتحافِهم بكلِّ نوعٍ من الأطعمةِ والأشربةِ والملابسِ السَّنِيّة، فأيُّ دليلٍ أدلُّ على بُغضِهم لهذه الشريعةِ من هذا؟! إنّا لله وإنّا إلَيهِ راجِعُون.

ثمَّ أعجبُ من هذا أنّ أكبرَ مَن لاقَى هذه الطائفةَ المارقةَ اجتمعنا به[٦] في مكانٍ على غير ميعاد، فشرعَ يُظهِرُ سلوكًا وحُرقةً[٧] على الدِّين، وهذا[٨] من أعجبِ العَجب، فقلتُ: لا إله إلّا الله، إنّما تميَّزَ المؤمنُ على المنافقِ بأنّ المؤمنَ لسانُه وقلبُه واحد، والفعلُ دليلٌ لذلك[٩]، والمنافقُ[١٠] فِعلُه يُخالِفُ قولَه، فانخنس، ولله المِنّة.

ثمَّ إنّي تَفَكَّرتُ[١١] في أمرِ هَؤُلاءِ وفي فِعلِهم، وعرضتُ على نفسي من أيِّ[١٢] الفِرَق هم؟ فوجدتُهُم أشبهَ شيءٍ بطائفةٍ خبيثةٍ وهي المُرجِئة، واعتقادُهُم أنّهم

---

(١) في (س): «كبائش»، وفي (د): «كنابش».
(٢) في (د): «يرضوا».
(٣) في (د): «وقصدوا».
(٤) في (س): «أهان».
(٥) في (س): «يتمكنوا».
(٦) «به» ليس في (س) و(د).
(٧) في (س): «وخرقة».
(٨) في (س): «وهو».
(٩) في (ج): «ذلك».
(١٠) في (ق): «والمنافع».
(١١) في (ق): «فكرت».
(١٢) «أي» ليس في (س).

يقولون: إنّ[١] الإيمان لا يضرُّ معه معصية، كما أنّ الكُفرَ لا ينفعُ معه طاعة، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، قبَّحهُم الله على هذا القياسِ الفاسد؛ فإنّه أنتجَ غضبَ الله عليهم، ولَعْنَهم وإعدادَ[٢] عذابِ النار لهم، وليس لمقدِّمات هذا القياسِ إلّا هذه النتائج[٣].

وَيحَك! لعلَّك داخلٌ في[٤] الذين نبَّأ[٥] الله بأنّهم أخسَرونَ[٦] أعمالًا؛ لأنّهم ضلَّ سعيُهُم في الحياة الدنيا وهم يَحسَبونَ أنّهم يُحسِنونَ صُنعًا[٧]؛ فإنّه سبحانه وتعالى نبّه على أسبابِ المهالكِ والخُسران، على أنّ أبا الليث السمرقنديَّ قال: «إنّها مُطلَقةٌ»، وأجرى حُكمَها على أقوامٍ يلهونَ بالرقص، فما بالُ أقوامٍ يلهونَ بأخذ أموال مَن جعلها[٨] الله تعالى لهم، وحَمْلِها[٩] إلى أقوامٍ حارَبوا الله ورسوله، وأهانوا شريعةَ الله تعالى ورسوله[١٠].

وَيحَك! أمِنتَ أن تموتَ على هذه الحالةِ الرذيلة، فتُحشَرَ معهم، ألم يقرع سمعَكَ قولُ الصادق ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَن أحَبَّ**»[١١]؟

لعلَّك[١٢] غرَّتكَ نفسُكَ بأنّك تحبُّ الله ورسولَه، كذبت، إنّ أفعالَك عكسُ مُدَّعاك، وكأنّي بك تُجادِلُ في ذلك مع أفعالِك هذه القبيحة.

---

(١) «إن» ليس في (ج).
(٢) في (د): «وأعد لهم».
(٣) في (س): «القبائح».
(٤) في (س): «مع».
(٥) في (ج): «أخبر».
(٦) كذا في (ج)، وفي باقي النسخ: «أخسرين».
(٧) مقتبس من قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].
(٨) في (ق) و(س) و(ج): «جعله».
(٩) في (س): «وحللها».
(١٠) قوله: «وأهانوا شريعةَ الله تعالى ورسوله» ليس في (س).
(١١) «صحيح البخاري» (٦١٦٩)، و«صحيح مسلم» (٢٦٤٠).
(١٢) «لعلك» ليس في (ج).

وَيحَك! إنّ الجذعَ في عينك وأنت لا تشعُر، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

[٩/ب] وَيحَك! إنّ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ما يُذهِبُ الرُّقادَ ويُذيبُ الفؤادَ.

وَيحَك! أهلكتَ نفسَكَ وأهلَك، بل أهلكتَ الناسَ جميعًا؛ لأنّ بكَ الاقتداء، أنت[١] مشؤومٌ على نَفسِكَ وعلى غيرِك؛ إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

يا هذا، ألم يُحرِقْكَ خطابُ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦]، وملاطفةُ: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]. وفيه إشارةٌ لطيفةٌ بأنّه سُبحانه وتعالى عادَى إبليسَ في أبينا، ونحن نتَّخِذهُ وذريَّته أولياء، أيُّ شيءٍ ألطَفُ من هذه المعاتبة، وأيُّ جفاءٍ أعظمُ من هذا الجفاء؟

وبعدَ هذا[٢] الجَفا إن جِئتَ مُعتَذِرًا   إلــى حِمانا تَجِد عَفــوًا وغُفرانا[٣]

فسُبحانه ما أعزَّه! وما أحلَمه! يُمهِلُ ويَحلُمُ ولا يَعجَل، نعم، إنّما يَعجلُ مَن يخافُ الفَوت، فعليك يا هذا بتَركِ سُبل[٤] المهالك، والتحوُّلِ إلى **أسنى المسالك**، ولا تتعاظَم ما اجترَأت[٥]، فعدمُ[٦] مؤاخذتِكَ عاجلًا دليلٌ على عَطفِه عليك.

---

(١) «أنت» ليس في (د).   (٢) في «الجواهر الثمينة»: «ذاك».

(٣) انظر: «الجواهر الثمينة في محاسن المدينة» (٤٧).

(٤) في (س) و(د): «سبيل».   (٥) في (س) و(د): «اجتريت».

(٦) في (د): «بعدم».

أين ذنبُك مِمَّنْ قتلَ مئةً ونأى بصدره نحو أهل الجِنان[١]؟ أين ذنبُكَ ممَّن جعلَ له نِدًّا وعَبَدَ الأوثانَ؟

للهُ أفرَحُ بتوبة عبده ممَّن ضلَّ بعيرُه، وأخطأ من شدَّةِ فرَحِه، فنزَّلَ نفسَه منزلةَ الرحمن[٢]، فسُبحانَ ربِّنا الحَنّانِ المَنّان[٣].

اللهمّ، يا حَسَنَ التجاوز، يا واسعَ المغفرة، أذِقنا بَردَ عفوِك وحلاوةَ مغفرتِك، إنّك على ما تشاءُ قدير، وبالإجابة جدير، وصلَّى الله على البشير النذير.

واعلم رحِمَكَ الله أنّ في بعض ما ذكَرتُه كفايةً لمَن كان له قلبٌ أو ألقَى السَّمعَ وهو شهِيد[٤]، ولو شئتَ أن أذكرَ ممّا ذكرتهُ نحو مجلَّدات لكنتُ بسبيلٍ من ذلك، ولكن أردتُ الإشارةَ إلى ذلك على سبيلِ الاختصار.

ولنَختم هذا الفصلَ بمسألةٍ قَلَّ من الناس مَن يعرِفها، ومَن عرَفها فعمله بها في غاية العزّة، فعليك **أيُّها السالِكُ** بالحزمِ فيما صحَّت فيه السُّنّةُ الشريفة، وإيّاك وطُرُقَ الضلالة، ولا تغترَّ بكثرة الهالكين، والزم طُرُقَ الهُدى ولا يضرُّكَ

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٦٦). (٢) في (ق): «الرحمة».

(٣) يشير رحمه الله إلى ما أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» (٢٧٤٤): عن الحارث بن سويد، قال: دخلت على عبد الله أعوده وهو مريض، فحدثنا بحديثين؛ حديثًا عن نفسه، وحديثًا عن رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة، معه راحلته، عليها طعامه وشرابه، فنام، فاستيقظ وقد ذهبت، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده».

(٤) قوله: «أو ألقى السمع وهو شهيد» مثبت من (د).

قلّةُ السالكين، وهي أنّ السلامَ ورَدَّهُ هل هو مشروعٌ في حقِّ كلِّ مسلم، أم مختصٌّ بناسٍ دون[1] آخرين؟

والجواب: أنّ المسلمَ الذي ليس بمشهورٍ بفسقٍ ولا بدعةٍ يُسَلَّمُ عليه، ويجبُ عليه الردُّ إذا سَلَّمَ عليه مَن هو مثله.

أمّا المبتدعةُ[2]، ومَنِ اقترف ذنبًا عظيمًا ولم يتُب منه كهؤلاء الظلمة من الحُكّام، وغيرِهم ممَّن يأكُلُ أموالَ الناس بالباطل، كالمَكَسةِ وقُضاة الرِّشى وأتباعهم، ومَن يأكل جَوامِكَ[3] الوظائف الدينيةِ بغيرِ استحقاق، كالطلبةِ وأصحابِ وظائفِ القراءة والمُدرِّسين الذين ليسوا أهلًا للوظيفة وأتباعِهم، وشهودِ القسم، والذين[4] يعاملونَ الناس بالخداع كالسُّوقة، ومن يَتزيّا بزيِّ القوم وليس منهم، حتَّى إنّ العلماءَ نصُّوا على أنّ الشخصَ إذا أُعطيَ عطاءً بناءً على أنّه سالك، وهو يعلمُ من نفسه أنّه لم يلحق بالقوم؛ يَحرُمُ عليه تناولُه[5]، فهؤلاء لا يُسَلَّمُ عليهم، وإذا سَلَّم أحدٌ منهم لا يُرَدُّ عليه، كذا قاله البخاريُّ وغيرُه من العلماء.

واحتجَّ أبو عبد الله البخاريُّ وغيرُه من العلماء على ذلك بقصة كعب بن

---

(١) في (د): «دون أناس».   (٢) في (د) و(ج): «المبتدع».

(٣) الجامكية: هي كلمة أعجمية فارسية، تعريب جامكي، مركبة من (جامه) أي: قيمة، ومن (كي) أداة النسبة في تلك اللغة، ومعناها: رواتب خدام الدولة، كما ذكر صاحب «الألفاظ الفارسية المعربة» (٤٥)، وعرفها ابن عابدين بأنها: ما يُرَتَّب في الأوقاف لأصحاب الوظائف، وهي كالعطاء، إلا أن العطاء سنوي، والجامكية شهرية، كما في حاشيته «رد المحتار على الدر المختار» (٤: ٤٣٤).

(٤) في (ق): «الذين» بدون الواو.

(٥) من قوله: «حتى إن العلماء نصوا على أن» إلى هنا ليس في (س).

مالكٍ رضي الله عنه[١] حين تخلَّف هو وصاحباه مُرارةُ بنُ ربيعةَ العامريُّ وهلالُ بنُ أميّةَ الواقفيُّ[٢] عن غزوة[٣] تبوك.

وفي القصّة: «ونهى[٤] رسولُ الله ﷺ عن كلامنا»[٥].

قال البخاريُّ: وقال عبدُ الله بنُ عمر: «لا تُسلِّموا على شربة الخمر»[٦].

وهذا زيادٌ أخو أبي بكرةَ لأُمِّه لمّا انتمى إلى أبي سفيانَ أنكرَ عليه أخوهُ أبو بكرةَ رضي الله عنه، واسم أبي بكرة: نُفَيع، وهجرَهُ بسبب ذلك، وحلفَ لا يكلِّمهُ أبدًا، وهذه القصّةُ في مسلم[٧].

وقصَّةُ[٨] عائشةَ رضي الله عنها مع ابن الزبير[٩] غيرُ خافيةٍ على مَن له درايةٌ بذلك، وغيرُ ذلك[١٠] من هُجران السلف، حتَّى[١١] إنّ أحدَهم[١٢] كان إذا وجدَ صاحبَهُ في مقبرةٍ يضحك؛ يتألَّى[١٣] ألّا يُحدِّثه[١٤] أبدًا، ويقولُ: تضحك في موضع[١٥] البكاء، ومثلُ ذلك وأشباهُهُ أشهرُ من أن يُذكَر، وأكثرُ من أن يُحصَر،

---

(١) انظر: «كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار» (٣٨١-٣٨٢).
(٢) قوله: «هو وصاحباه مُرارةُ بنُ ربيعةَ العامريُّ وهلالُ بنُ أميَّةَ الواقفيُّ» ليس في (س).
(٣) «غزوة» ليس في (س).
(٤) في (د): «نهى» بدون الواو.
(٥) «صحيح البخاري» (٤٤١٨)، و«صحيح مسلم» (٢٧٦٩).
(٦) «صحيح البخاري» باب من لم يسلم على من اقترف ذنبًا، ولم يرد سلامه، حتى تتبين توبته، وإلى متى تتبيَّن توبة العاصي (٨: ٥٧).
(٧) «صحيح مسلم» (٦٣).
(٨) في (ق): «وقضية».
(٩) «صحيح البخاري» (٦٠٧٣).
(١٠) قوله: «وغير ذلك» في (ج): «وقد بلغ».
(١١) «حتى» ليس في (ج).
(١٢) في (د): «أحدكم».
(١٣) في (ج): «يحلف».
(١٤) في (ق): «يحدث».
(١٥) في (ج): «محل».

والآيةُ فيها أبلغُ كفايةٍ لِمَن أراد الخير، والاغترارُ بما[١] عليه فُقهاءُ السوء، وصوفيّةُ الجهل جهلٌ وتغيير، بل طمسٌ لما مرّ، وهو فسادٌ كبير، والله أعلم.

وهذا عند السلامةِ من الظلمة، أمّا إذا اضطرَّ إلى السلامِ عليهم بأن دخلَ عليهم، وخافَ أن يترتَّبَ مفسدةٌ في دينه أو دنياه أو غيرهما إن لم يُسلِّم أتى بلفظ السلام لا يقصدُ[٢] التحيّة، بل ينوي أنّ السلامَ اسمٌ من أسماءِ الله تعالى، ويحذفُ الخبر، معنى ذلك: الله عليكم رقيبٌ، كذا صرَّحَ به العلماءُ قديمًا وحديثًا[٣]. [١٠/ب]

وممَّن صرَّحَ بنقله عن العلماء: الإمامُ العلّامةُ العبدُ الصالحُ أبو بكرٍ ابنُ العربيِّ المالكيُّ[٤] رحمة الله تعالى عليه[٥]، مع أنّ في «**صحيح مسلم**»[٦] من رواية أبي هريرةَ رضي الله عنه أنّه عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام قال: «**والذي نفسي بيده لا تدخُلُوا الجنّةَ حتَّى تُؤمِنوا، ولا تُؤمِنوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموهُ تحابَبتُم؟ أفشوا السلامَ**».

فانظُر ما بين هذَين المقامَين: أمرٌ بالسلامِ الذي هو سببُ المحبّةِ التي هي باعتبارِ اللفظ شرطٌ للإيمان، وعند التجرُّؤِ على حدودِ الله تعالى لا يُقصد بالتحيّة، بل التخويفُ بكونِه تعالى رقيبًا على هذا المُتعَدِّي.

---

(١) في (س): «والاغترار بأخذ ما»، وفي (د): «والاعتذار بأخذ ما».
(٢) في (س) و(ج): «بقصد».
(٣) انظر: «فتح الباري» (١١: ٤٠)، و«عمدة القاري» (٢٢: ٢٣٦).
(٤) «المالكي» ليس في (د)، وكتب في حاشية «ق»: «ليس هو ابن العربي المشهور بالشيخ الأكبر».
(٥) «المسالك في شرح موطأ مالك» (٧: ٥١٤-٥١٥).
(٦) «صحيح مسلم» (٥٤).

فعليكَ يا هذا بالعلم، ولا تغترَّ[١] بفعل الجهلةِ كهؤلاء المتصوِّفةِ على غير علم، ولا تغترَّ بكثيرٍ من طلبةِ العلمِ الذين لا يعتنونَ بالعمل[٢]؛ فإنّهم من[٣] الأشقياءِ كما نصَّ عليه بعضُ السلفِ كما قدَّمناه.

وممّا يتعلَّقُ بما نحنُ[٤] فيه: مسألةُ الهجرانِ[٥]، وهو حرامٌ فوق ثلاثةِ أيّام؛ ففي «**الصحيحين**»[٦] من حديثِ أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثِ ليال، يلتقيانِ فيُعرِضُ هذا ويُعرِضُ هذا، وخيرُهُما الذي يبدأُ بالسلام**».

وفي «**صحيح مسلم**»[٧] من روايةِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**تُعرَضُ الأعمالُ في كلِّ اثنَين وخميس، فيَغفِرُ الله**[٨] **لكلِّ امرئٍ لا يُشركُ بالله شيئًا، إلّا امرًا كانت بينه وبين أخيه شَحْناء، فيقول: اترُكوا هذَين حتَّى يصطلِحا**[٩]».

وعن حدردٍ[١٠] الأسلميِّ الصحابيِّ رضي الله عنه، أنّه سَمِعَ سيِّدَ الأوَّلين والآخِرين رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَن هجرَ أخاهُ سنةً فهو كسَفْكِ دَمِه**»[١١]. رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح، والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ، ومحلُّها إذا كانت الهجرةُ؛ لغرضٍ دنيويٍّ.

---

(١) قوله: «ولا تغتر» غير واضح في (س) بسبب الرطوبة.
(٢) في (ق) و(ج): «بالعمل بالعلم».
(٣) «من» ليس في (ج).
(٤) في (س): «يجيء».
(٥) في (ج): «مسألة هجران المسلم».
(٦) «صحيح البخاري» (٦٠٧٧)، و«صحيح مسلم» (٢٥٦٠).
(٧) «صحيح مسلم» (٢٥٦٥).
(٨) قوله: «الله» ليس في (س).
(٩) في (د): «يصطلحان».
(١٠) في (د): «حورة».
(١١) «سنن أبي داود» (٤٩١٥).

أمّا إذا كانت لأمرٍ دينيٍّ كهجرانِ الشخص؛ لبدعةٍ فيه، أو تظاهُرٍ بفسق؛ مِن شُرب خمر، وأكل حشيش، وقطع مصانعةٍ من محتسِبٍ وأتباعه، وعريفِ سوقٍ ونُقباء قُضاةِ الرِّشى[١]، والمتردِّدينَ إلى الظلَمةِ وأعوانِهم، وما أشبَهَ ذلك، فهؤلاءِ هجرانُهم ليس بحرامٍ قطعًا، بل هو مندوب[٢]، وعلى ذلك جرى [١١/أ] السلفُ رضي الله عنهم، بل مُجالسَتُهُم على سبيلِ التودُّدِ من المحرَّمات، وهل هو من الكبائر؟ فيه خلافٌ:

ـ مذهبُ ابن عباسٍ رضي الله عنهما ومَن تبعهُ: أنّه من الكبائر، وعزاهُ القاضي عياضٌ إلى المحقِّقين[٣]، قال أبو داودَ بعد أن ذكرَ أحاديثَ الهجران: «وإذا كان ذلك لله فليسَ من هذا في شيءٍ»[٤].

قال سعيدُ بنُ المسيَّب رأسُ التابِعينَ من أهلِ المدينة: «النظرُ إلى أعوانِ الظلَمةِ من غيرِ الإنكار عليهم بالقلبِ جديرٌ بأنْ[٥] يُبطِلَ الأعمالَ الصالحةَ»[٦].

قال العلماءُ: «إذا كان هذا النظرُ بمجرَّدِه يُبطِلُ الأعمالَ الصالحةَ[٧]، فكيف بالمُسالَمة، فكيف بالمُجالَسة، فكيف بالمُوادَدة، فكيف بالمُؤاكَلة، فكيف بالزيارة، فكيف بالمُؤازرة[٨]!».

---

(١) في (ج): «الرشوة».
(٢) في (ج): «مندوب إليه».
(٣) «إكمال المعلم بفوائد مسلم» (١: ٣٥٥).
(٤) «سنن أبي داود» (٤: ٢٧٩).
(٥) قوله: «جدير بأن» ليس في (ق) و(د) و(ج).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٧٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦)، و«مرآة الزمان» (١٠: ١٨)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٣٧٨).
(٧) قوله: «قال العلماءُ: إذا كان هذا النظرُ بمجرَّده يُبطِلُ الأعمالَ الصالحةَ» ليس في (س).
(٨) في (ج): «بالمزاورة».

وفي الترمذيِّ وابنِ ماجه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**استعِيذوا**[١] **بالله من جُبِّ الحزن**»، قالوا: يا رسولَ الله، وما جُبُّ الحزن؟ قال: «**جُبٌّ تستغيثُ منه جهنَّمُ كلَّ يومٍ أربعَ مئة مرّة، أُعِدَّ للقُرّاءِ الذين يؤازِرونَ الأُمراءَ الجَوَرة**»[٢]، وفي روايةِ الترمذيّ: «**يزورون**»[٣].

ودخلَ بعضُ الكَتَبةِ على سفيانَ الثوريِّ رحمةُ الله عليه، فأعرضَ عنه، فقال: «يا مولاي، ما لَكَ تُعرِضُ عني؟ فقال له: كأنِّي بكَ وقد[٤] دُعِيتَ مع فُلانٍ وفُلان، فلا يَبقى مَن لاق[٥] لهم دواة، ولا بَرَى لهم قلمًا إلّا أُتِيَ به، ثمَّ يُؤمَرُ بهم إلى النار، فقال: إنّ لي عيالًا، وأخشى إن تركتُ[٦] ذلك ضاعت عيالي، فقال: انظُروا إلى هذا الأحمق، يظنُّ أنّه إذا عصى الله رَزَقَه، وإذا أطاعه لا[٧] يرزقه!».

رضي الله عنه، ما أعلمَهُ وما أنورَ قلبَهُ وما أخصرَ كلامَهُ وما أكثرَ نُبلَه، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وفي حديث كعبِ بن عُجرةَ رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**مَن دَخَلَ على الظلَمة وصدَّقهُم في كَذِبِهِم وأعانَهُم على ظُلمِهِم؛ فليسَ منِّي ولستُ منه،**

---

(١) في (د): «أستعيذ».

(٢) «جامع الترمذي» (٢٣٨٣)، و«سنن ابن ماجه» (٢٥٦) قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب».

(٣) لم أجد هذه اللفظة عند الترمذي، وهي في «سنن ابن ماجه» (٢٥٦).

(٤) «وقد» ليس في (د).

(٥) جاء في «تاج العروس» (٢٦: ٣٦٨): «لاقَ الدّواةَ، يَليقُها لَيْقَة، ولَيْقًا، وألاقَها إلاقَةً، وَهِي أغْربُ: جعلَ لَهَا لِيَقَةً، أو أصْلَحَ مِدادَها».

(٦) في (س): «يركب».

(٧) في (س): «لم».

ولا يَرِدُ عليَّ الحوض، ومَن لم يدخُل عليهم ولم يصدِّقهُم ولم يُعِنهُم فهو منِّي وأنا منه، وسيَرِدُ عليَّ الحوضَ»[١].

إذا عرفتَ هذا أيُّها **السالكُ في أسنى المسالك** فعليكَ بحديث سُوَيد بن الحارث، وحديث أبي هريرةَ رضي الله عنهما؛ أمّا حديثُ سُويد، فهو أنّه قال: وفَدتُ على رسول الله ﷺ سابعَ سبعةٍ من قومي، فلمّا دخلنا عليه وكلَّمناهُ[٢] أعجبهُ ما رأى من سَمْتِنا وزِيِّنا، فقالَ عليه أفضلُ الصلاة والسلام: «**ما أنتُم؟**»، [١١/ب] قلنا: مؤمنون، فتبسَّمَ عليه الصلاةُ والسلام، وقال: «**إنّ لكلِّ شيءٍ حقيقة، فما حقيقةُ قولِكُم وإيمانِكم؟**».

قلنا: خمسَ عشرةَ[٣] خصلةً، خمسٌ[٤] منها أمَرَتنا رُسُلُكَ أن نُؤمنَ بها، وخمسٌ مِنها[٥] أمَرَتنا رُسُلُك أن نعملَ بها، وخمسٌ منها تخلَّقنا بها في الجاهلية، ونحنُ عليها الآن إلّا أن تكرَهها مِنّا.

قال[٦]: «**فما الخمسُ التي أمَرَتكُم بها رُسُلي أن تؤمنوا بها؟**». قلنا: أمَرَتْنا رُسُلُكَ أن نؤمنَ بالله وملائكتهِ وكُتبهِ ورسولهِ والبعثِ بعد الموت.

قال: «**فما الخمسُ التي أمَرتكُم رُسُلي أن تعملوا بها؟**». قلنا: أمَرَتْنا رُسُلُكَ أن نقولَ جميعًا: لا إله إلّا الله محمَّدٌ رسولُ الله، وأن نُقيمَ الصلاة، ونؤتي الزكاة، ونحجَّ البيتَ مَن استطاعَ إليه سبيلًا، ونصومَ رمضان، فنحنُ على ذلك.

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٢١٢)
(٢) في (د): «وكلمنا».
(٣) في (د): «خمس عشر»، وهو خطأ.
(٤) في (س): «خمسة».
(٥) «منها» ليس في (د).
(٦) في (د): «فقال ﷺ».

قال: «**فما الخمسُ التي تخلَّقتُم بها في الجاهلية؟**». قُلنا: الشكرُ عند الرخاء، والصبرُ عند البلاء، والصدقُ في مواطن اللقاء، والرضا بمواقع القضاء، وتركُ الشماتةِ إذا حلَّت بالأعداء.

فتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ وقال: «**أُدَباء، عُلماء، عقلاء، فُقهاء، كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، بخصالٍ ما أشرَفَها وأنبَلها وأعظم ثوابها**».

ثمَّ قال رسولُ الله ﷺ: «**وأنا أُوصيكُم بخمس خصال، فتُكمِلُ**[١] **لكم عشرين خصلةً**»، قلنا: أوصِنا يا رسول الله، فقال: «**إن كُنتُم كما تقولون فلا تجمعوا**[٢] **ما لا تأكُلُون، ولا تبنوا**[٣] **ما لا تسكنون، ولا تنافَسوا في شيءٍ غدًا عنهُ تزولون، وارغبوا فيما غدًا عليه تَقدَمونَ وفيه تُجازون، واتَّقوا الله الذي إليه تُرجَعون وعليه تُعرَضون**»، رواه أبو نُعَيمٍ في «**الحلية**»[٤]، والبيهقيُّ في كتاب «**الزهد**»[٥]، والخطيبُ في «**تاريخه**»[٦].

وأمّا حديثُ أبي هريرة رضي الله عنه فإنّه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنّ الله يُحِبُّ من خَلْقهِ الأصفياءَ الأخفياءَ الأتقياءَ الشعثةَ رؤوسُهم، المغبَرّةَ وجوهُهم، الخَمصة بُطونُهم، الذين إذا استأذنوا على الأُمراء لم يُؤذَن لهم، وإن خَطَبُوا المنعَّماتِ لم يُنكَحوا، وإن غابوا لم يُفقَدوا، وإن طَلَعُوا لم يُفرَح بطلعتِهم، وإن مرِضُوا لم يُعادوا، وإن ماتوا لم يُشهَدوا**»، قيل: يا رسول الله، كيف لنا برجلٍ منهم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**ذاك أويس**»، قالوا: وما صفتُهُ؟ فذكر ﷺ

---

(١) في (د): «تكمل» بدون الفاء.
(٢) في (س): «تجمعون».
(٣) في (س): «تبنون».
(٤) «حلية الأولياء» (٩: ٢٧٩-٢٨٠).
(٥) «الزهد الكبير» للبيهقي (٣٥٣).
(٦) في (س): «والخطيب في تاريخه والبيهقي في كتاب الزهد».

[١٢/أ] صفةَ[١] ذاته، ثمَّ قال: «رامٍ ببصره إلى موضع سجوده، واضِعٌ يمينَه على شماله، يتلو القرآن، يبكي على نفسه، ذو طِمرَينِ[٢]، لا يُؤبَهُ له[٣]، متَّزِرٌ بإزار صوفٍ ورداءِ صوف، مجهولٌ في أهل الأرض، معروفٌ في أهل السماء، لو أقسمَ على الله لأبَرَّ قَسَمهُ[٤]، ألا وإنّ تحتَ منكبهِ الأيسرِ لمعةً بيضاء، ألا وإنّه إذا كان يوم القيامة قيلَ للعباد: ادخلوا الجنّة، ويقالُ لأويس: قف واشفع، فيُشَفِّعُهُ الله تعالى في مثلِ ربيعةَ ومُضَر، يا عُمَر، وأنت يا عليٌّ، إذا أنتما لقيتُماهُ فاطلُبا منه الدعاء، واسألاه أن يستغفرَ لكما الله[٥]»، فكانا يطلُبانِهِ عشرَ سنين لا يَقدِرانِ عليه، فلمّا كان في آخِرِ[٦] السنةِ التي تُوفِّيَ فيها عمرُ رضي الله عنه قامَ على جبلِ[٧] أبي قُبَيس وقال[٨] بأعلى صوتِه: يا أهلَ الحجيجِ من اليمن[٩]، أفيكُم أُوَيسٌ؟ فقال شيخٌ: إنّا لا ندري ما أُوَيس، ولكنَّ ابنَ أخٍ لي يُقال له: أُوَيس، وهو أخمَلُ ذِكرًا وأقلُّ مالًا وأهونُ أمرًا أن نرفعَهُ[١٠] إليك، وإنّه لَيَرعى إبِلَنا، حقيرٌ بين أظهُرِنا، فعَمَّى[١١] عليه عمرُ رضي الله عنه[١٢] كأنّه لا يُرِيدُه، وقال: أين[١٣] ابنُ أخيك هذا؟ أبِحَرَمِنا[١٤] هو؟ قال: نعم، قال: وأين يُصاب؟ قال: بأراك عرفات، فرَكِبَ عمرُ وعليٌّ رضي الله عنهما سِراعًا إلى عرفات، فإذا هو قائمٌ يُصلِّي إلى شجرة، والإبلُ حوله ترعى،

---

(١) «صفة» ليس في (د).
(٢) في (س): «ظهرين»، وفي (د): «وطمرين».
(٣) «له» ليس في (س)، وفي (د): «لا يؤبه به».
(٤) في (س): «لأبره».
(٥) لفظ الجلالة ليس في (د).
(٦) في (ق): «أواخر».
(٧) «جبل» ليس في (ق) و(س).
(٨) في (ق): «وقاله».
(٩) «من اليمن» ليس في (س).
(١٠) في (س): «ترفعه».
(١١) في (س): «فغمى».
(١٢) في (د): «فعمى عمر رضي الله عنه عليه».
(١٣) «أين» ليس في (س).
(١٤) في (س): «أتحرمنا».

فشدّا حمارَيهما، ثمَّ أقبلا إليه(١) وقالا: السلامُ عليك ورحمة الله، فخفَّفَ أُوَيسٌ الصلاة، ثمَّ قال: وعليكُما السلامُ ورحمةُ الله وبركاته، قالا: مَن الرجلُ؟ قال: راعي إبل، وأجيرُ قوم، قالا: لسنا نسألُك عن ذلك، ما اسمُكَ؟ قال: عبدُ الله، قالا: قد عَلِمنا أنّ أهل السَّماوات وأهل الأرض(٢) كلُّهم عَبِيدُ الله عزَّ وجلّ، فما اسمُك الذي سمَّتكَ أُمُّكَ(٣)؟

فقال: يا هذان، ما تُريدانِ مني؟ فقالا: قد وصفَ لنا محمَّدٌ ﷺ أُوَيسًا القرنيّ، وقد عرَفنا الصُّهوبةَ والسُّهولة، وأخبَرَنا أنّ تحتَ مَنكِبكَ الأيسر لمعةً بيضاء، فأوضِحْها لنا، فإن كانت بك فأنت هو، فأوضَحَ مَنكِبَه، فإذا اللمعة، فابتَدَراه يُقبِّلانه، وقالا: نشهد أنّك أُوَيسٌ، فاستَغفِر لنا يغفر الله لنا، قال: ما أخُصُّ باستغفاري(٤) نفسي ولا أحدًا من وَلدِ آدم، ولكنَّه في البَرِّ والبحر، في المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، يا هذان، قد شَهَرَ الله لكُما حالي، وعرَّفكُما أمري/، [١٢/ب] فمن أنتما؟

قال عليٌّ: أمّا هذا فهو عمرُ أميرُ المؤمنين، وأمّا أنا فعليُّ بنُ أبي طالب، فاستوى أُوَيسٌ قائمًا وقال: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله تعالى وبركاته، وأنت يا ابنَ أبي طالب، فجزاكُما الله عن هذه الأُمّةِ خيرًا، قالا: وأنت جزاكَ الله عن نفسِك خيرًا.

فقال له عمرُ رضي الله عنه: مكانَكَ يرحمكَ الله حتَّى أدخُلَ مكّةَ وآتيك بنَفقةٍ من عطائي، وفَضلِ كسوةٍ من ثيابي، فقال: يا أميرَ المؤمنين، لا ميعادَ بيني وبينك،

(١) «إليه» ليس في (د).
(٢) في (ق) و(س): «والأرض» بدون «أهل».
(٣) قوله: «الذي سمتك أمك» ليس في (د).
(٤) في (ق): «استغفاري».

لا أراكَ بعد اليوم تعرفني، ما أصنعُ بالنفقة؟ ما أصنعُ بالكُسوة؟ أما ترى نَعلَيَّ مَخصوفَتين[١]؟ متى تراني أُبْلِيهِما؟ أما تراني أخذتُ من رعايتي أربعةَ دراهم؟ متى تراني آكلها[٢]؟

يا أميرَ المؤمنين، إنّ بين يديَّ ويدَيك عقبةً كَؤدًا، لا يجاوزها إلّا كلُّ ضامرٍ مُخِفٍّ مهزول، فأخِفَّ رَحِمَكَ الله، فلمّا سَمِعَ عمرُ رضي الله عنه ذلك ضربَ بدُرَّته الأرض، ثمَّ نادى بأعلى صوته: ألا ليت أُمَّ عمرَ لم تَلِد عُمر، يا ليتها كانت عاقرًا لم تعالِج حَملَها[٣]، ألا مَن يأخُذُها بما فيها ولها!

ثمَّ قال: يا أميرَ المؤمنين، خُذ أنتَ هاهنا، حتَّى آخذ أنا هاهنا؛ فولَّى عُمرُ ناحيةَ مكّة، وساقَ أُوَيسٌ إبلَه[٤]، والله أعلم.

وسَمِعَ رجلٌ أويسًا وهو يقول: اللهمَّ إنّي أعتذِرُ إليك من كلِّ كبدٍ جائعةٍ؛ فإنّه ليس في بيتي من الطعامِ إلّا ما في بطني، وليس في بيتي شيءٌ من الرِّياش[٥] إلا ما على ظهري[٦]. وعلى ظهره خِرقةٌ تَردَّى بها.

فقال[٧] له: كيف أصبحت، أو[٨] كيف أمسيت؟ فقال: أصبحتُ أُحِبُّ الله عزَّ وجلّ، وأمسَيتُ أحمَدُ الله عزَّ وجلّ، وما تسألُ عن حال رجلٍ إذا أصبحَ

---

(١) في (ق): «مخصوفتان». (٢) في (ق): «آكلهما».

(٣) «حملها» ليس في (د).

(٤) «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٨٤-٦٨٧)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٥: ٢٧٧-٢٨٨).

(٥) الرياش: اللباس الحسن أو الفاخر. انظر: «العين» (٦: ٢٨٣)، و«المحيط» (٢: ١٧٨)، و«الصحاح» (٣: ١٠٠٨)، و«المحكم» (٨: ١٠٣)، و«لسان العرب» (٦: ٣٠٩).

(٦) في (ق): «ظاهري». (٧) في (ق): «وقال».

(٨) في (د): «و».

ظنَّ أنّه لا يُمسي، وإذا أمسى ظنَّ أنّه لا يُصبِح، إنّ الموتَ وذِكرَهُ لم يَدَع لمؤمنٍ فرحًا، وإنّ حقَّ الله تعالى في مال المُسلِم لم يَدَع له في ماله فضّةً ولا ذهبًا، وإنّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ لم يَدَع للمؤمن صديقًا؛ نأمُرُهم بالمعروف فيشتمونَ أعراضَنا، ويَجِدونَ على ذلك أعوانًا من الفاسقين، واللهِ لقد رَموني بالعظائِم(١)، وأيمُ الله، لا أدَعُ أن أقومَ لله فيهم بحقِّه(٢)، والله أعلم.

يا هذا، إنّ في حديثِ سُوَيدٍ من الإشارات ما يُحقِّق لك سبيلَ النجاة، فالزَم(٣) ما أُنبِّهُكَ عليه، واضرع إلى ربِّك في تيسير ذلك، فالكلُّ منه وإليه.

إنّ في قوله ﷺ: «**إنّ لكلِّ قولٍ حقيقةً**»(٤)/ ما يُرشِدُ إلى أنّ الدعاوى [١٣/أ] المتعلِّقةَ بالظاهر والباطن لا بُدَّ لها من برهانٍ؛ يشهدُ لصِحَّتِها، ثمَّ على تقديرِ وجودِ ما يشهدُ في الظاهر، فلا بُدَّ من تحقيق هذه الأمور في الباطن، ولهذا قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إن كنتُم كما تقولون فلا تَجمَعُوا ولا تبنُوا، وارغبوا...**»، إلى قوله: «**وعليه تُعرَضُون**»، فذَكَرَ الأماراتِ الدالّةَ على تحقيق الإيمان القلبيّ، وختم ﷺ ذلك بقوله: «**وعليه تُعرَضون**»، إشارةً إلى المراقبة، ويشهدُ لهذا قولُه تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٨]، وقولُه: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

---

(١) كذا في المصادر، وفي النسخ: «بالعظام».

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٦: ١٦٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٤٤٦)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠-٣١)، و«السير» للذهبي (٤: ٣٠).

(٣) في (س): «والزم».

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٠٤٢٣)، و«تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر (٦٣٢)، و«حلية الأولياء» (١٠: ١٩٢)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (٩٧٠).

فإذا أنت جمعتَ ما لا تأكُل، وبنيتَ ما لا تسكُن، ونافستَ فيما أنت عنه زائلٌ، ولم ترغَب فيما أنت عليه غدًا قادمٌ[١]، ولم تتَّقِ مَن أنت إليه راجعٌ وعليه تُعرَض؛ دلَّ ذلك على كَذِبك؛ لأنّ «إنِ»[٢] الشرطيّةَ تخلَّفَت هي وشرطُها[٣] وجزاؤها، وهذا موطنٌ يحتاجُ مَن أرادَ أن ينزلَه بعد التضلُّع من العلوم إلى الحزم والعزم، **وعلى قدر أهلِ العزمِ تأتي العزائم**[٤]، **اللَّهُمَ وفِّق**[٥].

وأمّا حديثُ صُهَيب؛ ففيهِ من الصفات ما لا يقدرُ على تعاطيها إلّا ذاك وذاك[٦]، ولهذا كان جزاؤُها حبُّ الله تعالى.

وَيحَك! إنّ مدلولَ هذه الكلِمةِ لا تَدرِيه فضلًا عن[٧] ذَوقِه، متى صفيت؟ كلُّك[٨] كدرٌ، متى أخفيتَ نفسك، إنّك لم تَزَل ساعيًا[٩] في إظهارها ولو بزوال دينك، متى اتَّقيتَ فلم يَرَكَ الله تعالى حيثُ نهاك، ولم يفقدكَ حيثُ أمرك، متى شعَّثتَ رأسَكَ وغبَّرتَ وجهَكَ له، متى أخمَصْتَ بطنَك له، وآثرتَ بقُوتِك، إنّك كالبهيمةِ ساعٍ في تَسمينِ نَفْسِكَ التي هِي[١٠] سببُ ذبحك وأنت لا تشعر.

---

(١) في (س) و(د): «تقدم».
(٢) «إن» ليس في (س) وموضعها بياض.
(٣) في (ق): «وشروطها».
(٤) صدر بيت من الطويل، لأبي الطيب المتنبي، وعجزه:
وتأتــي على قدرِ الكــرامِ المكارمُ
انظر: «ديوان المتنبي» (٣٧٤)، و«يتيمة الدهر» (١: ٤٣)، و«شرح ديوان المتنبي» للواحدي (٢٧٤)، و«بغية الطلب» (١: ٢٤٣).
(٥) قوله: «اللهم وفق» ليس في (س).
(٦) في (د): «وذلك».
(٧) في (س): «من».
(٨) في (س): «لك».
(٩) في (ق): «ساعٍ».
(١٠) في (ق) و(س): «الذي هو».

إنّك إذا ذكرتَ استئذانك على الأمراء، بل على أتباعِهم، وخطبتَ المنعَّمات؛ استصغرتَ نفسك، عكس المطلوبِ منك، إنّك إذا اطَّلعتَ على قومٍ ولم ترَ منهم بشاشةً استصعرتَ[1] نفسك ومَقتَّهم، ورُبَّما وقعتَ فيهم وخالفتَ ربَّك، إنّك إذا مَرِضتَ ولم يَعُدْكَ مَن في طبقَتِك وجدتَ في نفسك، وإن عادكَ مَن هو في عينك أكبرُ منك سُرِرتَ ولو كان مُحاربًا، بئسَ الصفاتُ صفاتُك، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

إنّ في قوله: «لا يجاوزها إلّا كلُّ ضامرٍ مُخِفٍّ مهزُول، فأخِفَّ» ما يُنبِّه على [١٣/ب] حمل النفس على الجوع؛ إذ هذا شأنُ المُضَمَّر، وعلى ترك الأثاث.

وبالجملة فكلُّ ما مرَّ يُرشِدُ إلى ترك الأسباب التي تقتضي الإخلادَ في الأرض، وتَحمِلُ على تَعاطي الأسباب التي فيها رِضا ربِّ الأرباب[2]، وهي صفاتُ المُنعَمِ عليهم، ولهذا قال عليه أفضلُ الصلاة والسلام: «**كادوا من فقهِهم أن يكونوا أنبياءَ**».

وقد ماتَ بين مكّة والمدينةِ سبعونَ نبيًّا بالقمل والجوع، وأحوالُ أهلِ الصُّفَّةِ غيرُ خافية، وناهيكَ بشَرَفِهم أن أنزلَ الله تعالى على نبيِّه سيِّد السابقينَ واللاحقين: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

---

(١) في (ق): «استصغرت»، وهي إشارة عن الكبر. قال الزمخشري في «الفائق في غريب الحديث» (٢: ٢٩٨): «والصّعار: المتكبر الذي يصعِّر خدَّه زهوًا». وانظر: «المجموع المغيث» (٢: ٢٧١)، و«النهاية في غريب الحديث» (٣: ٣١)، و«لسان العرب» (٤: ٤٥٦).

(٢) قوله: «التي فيها رضا ربِّ الأرباب» في (د): «التي أمر فيها ربّ الأرباب».

جرَّدوا أفعالَهُم وأقوالَهُم له، ومحَوْا ما سواه، فيا من مَنَّ[١] عليهم؛ مُنَّ علينا من فضلك، إنّك أنت الوهّاب.

ثمَّ هاهُنا تنبيهٌ مهمٌّ عظيمُ الوَقعِ عند **السالكِ الصادق**؛ إذ فيه معرفةُ قَدرِ سُلوكه، وهو أنّ الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۞ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[٢] [العصر: ١-٣]، أخبرَ الله سبحانه وتعالى بأنّ[٣] الإنسانَ لفي خُسرٍ إلّا مَن اتَّصفَ[٤] بهذه الصفات.

وهـذه السورةُ[٥] هـي[٦] ميزانُ الأعمال، يَـزِنُ المؤمـنُ بها عملَهُ ونفسَه، فيتبيَّن[٧] له بها ربحُهُ من[٨] خُسرانه، ولهذا قال الشافعيّ: «لو فكَّر الناسُ كلُّهُم فيها لكَفَتْهم»[٩].

ثمَّ قبلَ الكلام في الصفات تعلم أنّ في اللفظ فائدةً مهمّةً تتعلَّقُ بصناعة العربيّة تقتضي تأكيدَ الخُسران، وهي أنّ الشيءَ إذا كان ممّا يُعتَنى به يُؤكَّدُ «باللام»، فإن كانت العنايةُ به أشدَّ جيءَ[١٠] بـ«إنّ» الثقيلة، فإن كان الأمرُ في غاية الاهتمام به جِيءَ مع «اللام» و«إنّ» بالقَسَم، وفي الآية الكريمةِ القسَمُ و«إنّ» و«اللام».

---

(١) «منَّ» ليس في (س).

(٢) الآية الأخيرة ليست في (س).

(٣) في (س): «إن».

(٤) في (ق): «انصف».

(٥) في (س): «الصورة».

(٦) «هي» ليس في (س) و(ق).

(٧) في (س): «فيبين».

(٨) في (س): «و».

(٩) انظر: «تفسير ابن كثير» (١: ٢٠٣)، و«نظم الدرر في تناسب الآيات والسور» (٢٢: ٢٣٤)، و«التحرير والتنوير» (٣٠: ٥٢٨).

(١٠) بعدها في (س) كلمة غير واضحة كأنها: «أكد».

إذا عرفتَ هذا فأوّلُ الصفات: الإيمان، ولعلَّك يا هذا قد قُلت: هذه صفةٌ يسيرة؛ لأنّ الإيمانَ إمّا لغةً؛ وهو التصديقُ[١]، أو شرعًا؛ وهو: اعتقادٌ بالجَنان، وقولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان[٢].

بل كأنّي بك وقد قلت، بل اعتقدتَ أنّك مؤمنٌ إيمانًا قلبيًّا حقًّا؛ لأنّ الغرضَ معك **أيُّها السالِكُ الصادق**، وها أنا أذكرُ لك آيةً ومثالًا، فاعرضهما على سَرِيرَتِك، فأنتَ حاكمُ نفسك، / وكُن قوّامًا على نفسك بالقسط كما أمركَ مَن يعلمُ حقائقَك [١٤/أ] ودقائقَك، فإن طابَقَ اعتقادُكَ ما أذكره فلِلَّهِ دَرُّكَ من **سالك**، وقد أخذت والله[٣] في **أسنى المسالك**، وإلّا فعليك[٤] بالإنابة[٥] إلى عالِمِ الغيبِ والشهادة، وإيّاك أن تغترَّ بشهادَتِها، وتزكيةِ تلبيس إبليس لها، فتكونَ قد أبدلتَ النَّفِيسَ[٦] بالخسيس، وخالفت: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وأطعتَ لِمَن ﴿يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وقبل ذِكرِ الآية والمثال[٧] أذكرُ لك نكتةً حسنةً عن بعض السالكينَ بصدق، وهو: أنّه ريَّضَ نفسَه حتّى اطمأنّت إلى حبسها[٨]، وجدّ اجتهادها يسابقُ بذلك الموت، فقعدَ مُدّةً في خلوته في جدٍّ واجتهادٍ في العبادة، فاتَّفقَ أنّه ثارَ غزاةٌ في ناحيتِه، فطالبَته نفسُه بذلك، وقالت: هذا هو الجهادُ الأكبر، فألحَّت نفسه عليه

---

(١) انظر: «تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل» (٣٨٩)، و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢: ٨٨).

(٢) قوله: «وعمل بالأركان» ليس في (س) و(د)، وانظر: «الإيمان الأوسط» (١٨١).

(٣) في (س) و(د): «وقد والله أخذت».

(٤) في (ق): «عليك».

(٥) في (س): «بالأمانة».

(٦) في (ق): «التفليس».

(٧) في (س): «وإلا مثال».

(٨) في (س): «حبيبها».

في الخروج من خلوته، فقال: والله لك دسيسة، اللهُمَّ أطلِعني على دسيسةِ هذه الخبيثة(١)، فأطلعَه الله تعالى على أنّها سَئِمَت(٢) من السجن، فقمَعَها بتوفيق الله تعالى، ثمَّ طالبَتهُ بالجهادِ ثانيًا، فسألَ الله تعالى، فأطلعَه أنّها إذا خرجَت ابتدرَ الناسُ إليه وقبَّلوا يدَه، وطلبوا منه الدعاءَ والتمسوا بركتَه، فقمعها عن ذلك بتوفيق الله تعالى، ثمَّ طالبته ثالثًا(٣)، فما وجد شيئًا ممّا فيه نقصٌ، فقال: تخرُجي بشرط أن تكوني في أوَّل القوم وأوَّل مَن يستشهد. فقالت برغبة: نعم، فقال: والله لك دسيسةٌ عظيمة، وإلّا لَما قَدِمت على هذه المخاطرة، اللهمَّ أنتَ خلقتَها وبرأتَها وقلتَ سبحانك: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] ـ أمّارةٌ: فعّالةٌ(٤) ـ مَن لي بمعرفة أمرك، ثمَّ توجَّه إلى الله تعالى بصدقٍ فأطلعهُ الله تعالى على أنّها يُثنَى عليها، ويقال: خَرَجَت من خلوتها، فكانت أوَّلَ قادمٍ على العدوِّ وأوَّلَ شهيد، فقال: أوَّه! تُرائينَ حتَّى بعدَ الموت، فلِلَّه درُّه من مريدٍ صادق.

إذا عرفتَ هذا فالآيةُ الكريمة: قولُه سبحانهُ وتعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۞ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، وتَأسَوا بمعنى: تَجزَعوا أو تَحزَنوا(٥)، ونَبرَأها؛ يعني: الأنفسَ والمصائبَ(٦). [١٤/ب]

---

(١) في (س): «الخبيث». (٢) في (س): «سمت».

(٣) «ثالثًا» ليس في (ق) و(س).

(٤) انظر: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين» (٣: ٢٥١).

(٥) انظر: «تفسير الرازي» (٢٩: ٤٦٨)، و«تفسير السمرقندي» (٣: ٤٠٩)، و«التحرير والتنوير» (٢٧: ٤١١).

(٦) انظر: «تفسير الرازي» (٢٩: ٤٦٧)، و«الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٨: ٦٢)، و«السراج المنير» للشربيني (٤: ٢١٣).

فبالله عليك، إذا جاءتكَ نازلةٌ في نفسك ولو بفقد حبيبتَيك[١] أو أحدِ أطرافِك تأسى أم لا؟

بالله لو جاءكَ مالُ البحرين تُحِسُّ من نفسك بالسرور أم لا؟ أم بدونِ ذلك ترقُصُ طربًا! أُفٍّ لك من كاذبٍ مخدوع، ما أجرأكَ على دعواك أنّك مؤمنٌ إيمانًا قلبيًّا! والله لو كنتَ كذلك لتلذَّذتَ بالمِحَن كما تلذَّذتَ بالمِنَح، ولقلت:

وبما شِئتَ في هواكَ اختَبِرْني فنَعِيمِي يا سيِّدِي في رِضاكا[٢]

وأمّا المثالُ فهو: لو كان لكَ في منزلكَ من الأطعمة والأشربة والملبس ما يحمي ماء[٣] وجهك عن طَلِبَة الناس، ثمَّ خرجتَ تُريدُ الصلاة، فجاءَت جائحة، فاجتاحَت المنزلَ بما فيه، فجئتَ[٤] فوجَدتَه على تلك الهيئة، هل تأسى[٥]، أو حدثَ لك[٦] مثلُ ذلك بعد أن كنتَ لا تجدُ عَشاءَ نفسِك، فضلًا عن عَشاءِ عيالك، هل تفرحُ بذلك أم لا؟

ولَعَمري إنّ المدَّعين[٧] لكثيرون، وإنّ النازلينَ هذه المنزلةَ لقليلٌ ما هُم.

نَزَلُوا بمَكّةَ في قَبائِلِ هاشِمٍ[٨] ونَزَلتَ بالبَيداءِ أبعَدَ مَنزِلِ[٩]

---

(١) في (س): «حبيبك»، وحبيبتاه: عيناه. انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩: ٣٧٧)، و«مشارق الأنوار» (١: ١٧٥)، و«الإفصاح عن معاني الصحاح» (٥: ٢٨٣)، و«فتح الباري» (١: ١٠١).

(٢) انظر: «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣: ١٥٩٣)، وفيه: «فاختياري ما كان فيه رضاكا». وفي (د): «فنعيمي ما كان فيه رضاكا».

(٣) «ماء» ليس في (ق) و(س).

(٤) «فجئت» ليس في (س).

(٥) في (س): «تيأس»، وفي (ق): «تأس».

(٦) «لك» ليس في (س).

(٧) في (ق) و(د): «المدعيين».

(٨) في بعض المصادر: «قبائل نوفل».

(٩) البيت من الكامل، وهو لعمر بن أبي ربيعة كما في «ديوانه» (٣٢٠)، وبدون نسبة في: =

يا هذا المخدوعُ المغرور، قد والله ظهرَ لك الحقُّ من الباطل، فهل أنت مُوَفٍّ أم مُماطل، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠]، ألا وإنَّ في قول هذا الملك سبحانَه وتعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٥٥]، ما يحملُ النفسَ على تحقيقِ الإيمانِ القلبيِّ دون الإيمانِ العلميّ، والإيمانُ القلبيُّ من قَبيل[١] الأحوال الذَّوقيّةِ الذي يتعجَّبُ منها[٢] صاحبُ الإيمان العلميِّ.

وسببُ ذِكري لهذه الآية نكتةٌ عجيبةٌ تحطُّ على فائدةٍ عظيمة، وهي: أنّ شخصًا من أقرانِ مشايخي، وكان ذا[٣] علم، وجُلُّ معرفتِه الكتابُ[٤] والسُّنّة، وكان له توجُّهٌ وتخشُّع، وأمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ عن منكر، وكنت أقولُ في نفسي: لا بأسَ بهذا، وكنت قد حَلَتْ لي العُزلة، فلا أجتَمِعُ إلّا بأفرادٍ من أصحابي في بعض الأحيان، فاعتَرَضَني هذا العالِمُ المتوجِّهُ يومًا، وأظهرَ لي توجُّعًا وحزنًا، فقلت: ما سببُ ذلك؟

فقال: إنّ ولدي مات، وقد وجدتُ عليه، ولا صبرَ لي، فقلت: يا هذا، إنّك مِمَّن يحبُّ السُّنّة، والصبرُ أليَقُ بك، وذكرت[٥] له حديثَ أبي موسى الأشعريِّ [١٥/أ] رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا ماتَ ولدُ العبد قال الله تعالى للملائكة: قَبَضتُم ولدَ عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: قبضتُم ثمرةَ فؤاده؟ فيقولون: نعم، فيقول: فماذا قال عبدي؟ فيقولون: حَمِدَك واسترجع، فيقول الله تعالى: ابنُوا له**

= «طبقات الفقهاء» (١٢٤)، و«الأنساب» للسمعاني (١٣: ٢٠٥)، و«العاقبة في ذكر الموت» (١٧٧)، و«وفيات الأعيان» (١: ٧٣)، و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (٢: ١٤).

(١) في (س): «قبل».
(٢) في (ق): «منه».
(٣) في (ق) و(س): «ذو».
(٤) في (د): «للكتاب».
(٥) في (ق): «وذكر».

بيتًا في الجنّة، وسمُّوهُ بيتَ الحمد»[١]. وهذا الحديثُ رواه الترمذيّ، وقال: «إنّه حسنٌ غَرِيبٌ[٢]».

فقال لي: أعرفُ هذا الحديثَ وأمثاله[٣]، وذكرَ فيه فوائدَ من حيثُ صناعةُ الحديث، فقلت له[٤]: أنت مؤمنٌ بالقرآنِ إيمانًا قلبيًّا؟ فقال: سبحانَ الله، فقلت: ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤]؟ فقال: أعرفُ هذا وأمثالَه، فقلت: فآمِن، فقال: ما لي قوّة، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

ثمَّ قلت له[٥]: يا هذا، إنّ إيمانَكَ إيمانٌ علميٌّ[٦]، وقد غرَّك ما تحفظُ من العلم، واعتقادُك في[٧] نفسك أنّك سالِكٌ وهم، وقد عرفتُ من أين أُتيتَ؟ فقال: من أين؟ قلت: قلبُكَ فارغٌ عن الله سبحانه وتعالى، يا هذا، ألم يبلُغك قصّةُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه؟ قال: وما هي؟ قلت: كان رضي الله عنه جالسًا يومًا وحولَه أصحابُه، وإلى جانبِه ثلاثةُ أولادٍ له كالبُدور، فنظرَ إلى أصحابه، وهم ينظرونَ إلى أولاده، فقال: لعلَّكُم تَعجَبونَ من حُسنِهم؟ فقالوا: وكيف لا نَعجَبُ من حُسنِهم وهم كالدنانيرِ المُنقوشة[٨]؟ والعربُ تضربُ المَثلَ بالدينار[٩] المنقوش؛ لأنّه لا شيءَ عندهم أحسنَ منه، فقال عبدُ الله رضي الله عنه: والله لفَراغُ

---

(١) «جامع الترمذي» (١٠٢١).
(٢) في (س): «حسن صحيح»، وفي (ق) و(د): «إنه حسن».
(٣) «وأمثاله» ليس في (ق).
(٤) «له» ليس في (س).
(٥) قوله: «ثم قلت له» ليس في (س).
(٦) في (د): «عملي».
(٧) قوله: «واعتقادك في» غير واضح في (س).
(٨) في (ق) و(د): «المنقشة».
(٩) في (ق): «بالدنانير».

يدي من تربيتهم أحبُّ إليَّ من بقائِهم. رضي الله عنه وأرضاه[١].

فهذا لَعَمري هو الإيمانُ القلبيّ، وكأنّه[٢] رضي الله عنه لمّا آثَرَ حُبَّ الله تعالى على ما سواه خشيَ أن يكونَ ما هو[٣] فتنةٌ ـ وهو الولدُ ـ سببًا لانقطاعه عن هذه المرتبة السَّنيّة، فتألّى بمحبوبه بما تألّى، وتأسّى بالحبيب حيثُ قال حبيبُ الحبيب: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]، حَفِظَ آدابَ الحضرةِ ولم يصدَّه ﷺ بما رأى من آياتِ ربِّه عن حبيبه صادٌّ، ولهذا قال بعضُ السلفِ رضي الله عنهم: «إنّما سُمِّيَت المحبّةُ محبّةً لأنّها تمحو من القلبِ ما سوى المحبوب»[٤].

وقال محمَّدُ بنُ الفضل: «المحبّةُ سقوطُ كلِّ محبّةٍ[٥] من القلب، إلّا محبّةَ الحبيب»[٦].

وقال السيدُ الجليلُ العارفُ بالله، المتَّفَقُ على توثيقه وجلالته، عبدُ الله بن المبارك: «مَن أُعطِيَ شيئًا من المحبّةِ ولم يُعطَ مثلَه من الخشيةِ فهو مخدوعٌ»[٧].

[١٥/ب] يا هذا، قد والله تحقَّقتُ من هذا، أين أنت من الله!/ فما أخوفَني عليك أن تدخُلَ في سلك: ﴿كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

وَيحَك! إنّ المقتَ هو البغضُ الشديدُ[٨]، أو أشدُّ البغض على خلافٍ فيه

---

(١) انظر: «كفاية الأخيار» (١٦٦). (٢) في (س): «وكان».

(٣) بعدها في (د): «فيه».

(٤) انظر: «روضة المحبين» (٢٠)، و«مدارج السالكين» (١: ٤٦٦)، و«بريقة محمودية» (١: ٥٢).

(٥) في (س): «محب».

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨٩)، و«موسوعة فقه القلوب» (٢: ١٧٨٣).

(٧) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٩١).

(٨) انظر: «تفسير السمعاني» (٥: ٤٢٥)، و«تفسير البغوي» (٨: ١٠٨)، و«تفسير ابن عطية» (٥: ٣٠١).

بين العلماء[1]، واعلم أنّ المحبّة لها أمارات تُبيِّنُ من بكى ممَّن تَباكَى، ولنا عودةٌ في تحقيق ذلك إن شاءَ الله تعالى، والله أعلم.

---

(١) انظر: «العين» (٥: ١٣٢)، و«تهذيب اللغة» (٩: ٧٠)، و«المحيط» (١: ٤٦٧)، و«الصحاح» (١: ٢٦٦)، و«لسان العرب» (٢: ٩٠).

الصفة الثانية

عمل الصالحات

وفي الألف واللام[١] من العُمومِ والإطلاقِ ما لا قُدرةَ لأحدٍ عليه إلّا مَن وفَّقَه الله تعالى وأقدَرَه، فإن كان هذا مرادًا؛ فلا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون إلى ما[٢] وقعنا فيه من الخُسران.

وعلى تقدير ألّا يكونَ ذلك مرادًا فنعتبرُ عمَلَكَ **أيُّها السالكُ الصادقُ** بجزئيةٍ[٣] من العبادات، وبفرضها الصلاة، فنقول: الصلاةُ لها شروطٌ وأركانٌ وأبعاضٌ وهيئاتٌ على ما هو مذكورٌ في كُتُب الفِقه.

فالشروطُ والأركانُ لا بُدَّ منها، ومن كلٍّ واحدٍ منها لصحّةِ الصلاة.

وللصلاة أيضًا مُفسِداتٌ لا بُدَّ من انتفائِها أيضًا لصحّةِ الصلاة، فلا بُدَّ من معرفة ذلك.

وأمّا الأبعاضُ فهي التي تُجبَرُ بالسَّهْو[٤]، ولا تَبطُلُ الصلاةُ بفَقدِها، وأمّا الهيئاتُ فهي من باب التتِمّة للصلاة، ولا سجودَ في تَركِها عند الشافعيّة[٥].

---

(١) «واللام» ليس في (س).
(٢) في (س): «راجعون لما».
(٣) في (د): «مجزية».
(٤) في حاشية (ق): «لعله: سجود السهو».
(٥) انظر: «البيان في مذهب الإمام الشافعي» (٢: ٣٣٦)، و«المجموع» (٤: ١٢٥)، و«حاشيتا قليوبي وعميرة» (١: ٢٢٩).

ثمَّ للصلاةِ أمورٌ أُخرى، اعتنى الشارعُ ﷺ بها[١]، وحرَّضَ على الإتيانِ بها؛ منها: الخشوع، وناهيكَ به أنّ الله تعالى قد أثنى على فاعليه، فقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٢]، حتَّى إنّ بعضَ العُلماءِ ذهبَ إلى أنّ الخشوعَ لا بُدَّ منه في الصلاة، وإلّا فلا تصحُّ[٢].

والخشوعُ هو قطبُ البدن وما احتوى عليه، واتَّفقوا على أنّ محلَّه القلب[٣]، وللعُلماء رضي الله عنهم في حدِّه ضوابطُ كلٌّ ينطقُ بما فُتِحَ عليه.

فمنهم مَن قال: «الخشوعُ: قيامُ القلب بين يدي الحقِّ بهم مَجموعٍ»[٤].

وقال بعضُهم: «الخشوعُ ذبولٌ يَرِدُ على القلب عند اطِّلاع الربِّ»[٥].

وقال[٦] بعضهم: «مِن شرط الخشوع في الصلاة ألّا يَعرِفَ مَنْ عن يمينه ولا مَنْ عن شماله»[٧].

وفي السُّنّة الشريفة أنّه عليه الصلاةُ والسلامُ رأى رجلًا يعبثُ في لحيته في صلاتِه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**لو خَشَعَ قلبُ هذا لخَشَعَت جوارحُه**»[٨].

---

(١) «بها» ليس في (ق).

(٢) انظر: «نهاية المطلب» (٢: ٢٠٦-٢٠٧)، و«فتح الباري» (٢: ٢٢٦).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (٢: ١٠٠)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٢٧٦)، و«بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية» (٢: ٨٨).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٧٥)، و«فتح الباري» (٢: ٢٢٦).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٧٦).

(٦) في (ق): «قال» بسقوط الواو.

(٧) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٧٦).

(٨) «حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٠)، وضعَّفه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢: ٣٩٩-٤٠٠)، وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (١٧٨)، والصحيح أنه من قول ابن المسيب. انظر: «مصنف عبد الرزاق» (٣٣٠٩)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٦٧٨٧).

[١٦/أ] ثمَّ عدمُ الخشوعِ سببُه الخواطِر، وهي خطابٌ يَرِدُ على الضمائر، وهذا الخطابُ يكون تارةً من قِبَلِ الحقِّ سبحانه وتعالى، وهو خاطرُ حقّ، وإنّما يُعلَمُ صِدقُه بموافقة العلم، وتارةً يكون من قِبَلِ النفس، وتارةً يكون بإلقاءِ الشيطان، ويُقالُ للذي من قِبَلِ النفس: هاجسٌ، وللذي من قِبَلِ الشيطان: وسواسٌ.

والفرقُ بينهما أنّ الذي من قِبَلِ الشيطان أكثرُه يدعو إلى المعاصي، والذي من قِبَلِ النفس يدعو إلى اتِّباع الشهوة، وإلى ما هو من أوصاف النفس(١)، فإذا غَلَبَ على المُصلِّي غيرُ خاطر الحقِّ سَهَا، فيدخُلُ في سلك: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]، وفي سلك: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم: ٥٩].

وقد ذمَّ الله تعالى الذين سَهَوا عن الصلاة، وذلك على وجهَين:

أحدُهما: أن يُؤخِّروها عن وقتها(٢).

والثاني: ألّا يُكمِلُوا واجباتِها من الطهارة والطمأنينة والخشوع وغير ذلك(٣)، كما صحَّ أنّه عليه الصلاة والسلام قال: «**تلك صلاةُ المنافق(٤)، يرقُب، حتَّى إذا كانت الشمسُ بين قرنَي شيطانٍ قامَ فنقرَ أربعًا لا يذكرُ الله تعالى فيها إلّا قليلًا**»(٥)، فوصفَ النبيُّ ﷺ بأنّ المنافقَ يُؤَخِّر ولا يَذكُر الله تعالى إلّا قليلًا(٦).

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ١٩٧).

(٢) في (د): «أوقاتها».

(٣) انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» (١٢: ٨٤٦٢)، و«تفسير السمعاني» (٦: ٢٨٨-٢٩٩)، و«تفسير الرازي» (٣٢: ٣٠٥).

(٤) قوله: «تلك صلاة المنافق» تكرر في (ق) مرتين.

(٥) «صحيح مسلم» (٦٢٢).

(٦) قوله: «فوصف النبي ﷺ بأن المنافق يؤخر ولا يذكر الله تعالى إلّا قليلًا» ليس في (س).

وأمّا قولُه تعالى: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾؛ فقد قالت طائفةٌ من السلف[١]: إضاعَتُها تأخيرُها عن وقتها، وإضاعةُ حقوقها[٢].

قالوا: وكانوا يُصلُّون، ولو تركوها لكانوا كفارًا[٣]؛ فإنّه صَحَّ أنّه عليه الصلاة والسلام قال: «**ليسَ بين العبد وبين الشرك إلّا تَرْكُ الصلاة**»[٤]، وقال: «**العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمَن تَرَكَها فقد كَفَر**»[٥].

وفي الحديث: «**إنّ العبدَ إذا أكملَ الصلاةَ صعدت ولها برهانٌ كبرهان الشمس، وتقول**[٦] **له: حَفِظَكَ الله كما حفظتني، وإذا لم يُكمِلها فإنّها تُلَفُّ كما يُلَفُّ الثوب، ويُضرَبُ بها وجهُ صاحِبها، وتقول له: ضيَّعكَ الله كما ضيَّعتَني**»[٧].

فيا وَيحَ مَن أفضَلُ عبادةِ بدنِه تدعو عليه بالضياع!

وفي السُّنّة الشريفة في «**السنن**»[٨]: أنّه عليه الصلاةُ والسلام قال: «**إنّ**

---

(١) قول ابن مسعود والنخعي وسعيد بن المسيب والقاسم بن مخيمرة وعمر بن عبد العزيز. وانظر: «تفسير الثعلبي» (١٧: ٤٠٦).

(٢) انظر: «التفسير البسيط» (١٤: ٢٧٠)، و«تفسير البغوي» (٥: ٢٤١)، و«زاد المسير» (٣: ١٣٨).

(٣) انظر: «تفسير السمعاني» (٣: ٣٠٢)، و«تفسير البغوي» (٥: ٢٤١)، و«نظم الدرر» (١٢: ٢٢٤).

(٤) «سنن الدارمي» (١٢٦٩)، و«تعظيم قدر الصلاة» (٨٨٨).

(٥) «جامع الترمذي» (٢٦٢١)، و«سنن ابن ماجه» (١٠٧٩)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

(٦) في (د): «ونقول».

(٧) «مسند أبي داود الطيالسي» (٥٨٦)، و«المعجم الأوسط» (٣٠٩٥)، و«الترغيب في فضائل الأعمال» لابن شاهين (٤٢).

(٨) «سنن أبي داود» (٧٩٦)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٦١٥).

العبدَ لينصرفُ من صلاتِه ولم يُكتَب له إلّا نِصفُها، إلّا ثُلُثُها، إلا رُبُعُها، إلا خُمُسُها»، حتَّى قال: «**إلّا عُشرُها**»[١].

وقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «ليس لك من صلاتك إلّا ما عَقِلتَ»[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾، هم الذين يشتغلونَ عن إقامة الصلاة كما أمرَ الله ورسولُه بنوعٍ من أنواع الشهَوات[٣]. [١٦/ب]

وفي السُّنَن: أنّه عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «**لا يقبلُ الله صلاةَ مَن لا يُقيم صُلبَه**[٤] **في الركوع والسجود**»[٥]، ونهى عن نقرٍ كنقر الغُراب[٦].

ورأى عليه الصلاةُ والسلامُ رجلًا يُصلِّي ولا يُتِمُّ ركوعَه وسجودَه، فقال: «**لو متَّ لمِتَّ على غيرِ الفِطرة التي فطرَ الله عليها محمَّدًا ﷺ**»[٧].

واعلم أنّ هذه الآفاتِ التي تحصلُ في الصلاة إنّما هي من تَعاطي الفَضَلات التي هي سببُ دواعي الخواطر المُهلِكات، ولو اقتصدَ العبدُ لَما اعتاضَ عن[٨] القُرب بالصدِّ.

---

(١) «شرح مشكل الآثار» (٣: ١٣٦) (١١٠٣).

(٢) انظر: «كشف اللثام» (١: ١٣٧)، و«موارد الظمآن» (٢: ٤٤٠).

(٣) انظر: «تفسير السمعاني» (٣: ٣٠٢)، و«تفسير البغوي» (٥: ٢٤١).

(٤) «صلبه» ليس في (د).

(٥) «جامع الترمذي» (٢٦٥)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٧٠٣)، و«سنن أبي داود» (٨٥٥)، و«سنن ابن ماجه» (٨٧٠)، قال الترمذي: «حديث أبي مسعود حديث حسن صحيح».

(٦) «مسند أحمد» (١٥٥٣٣).

(٧) «مصنف عبد الرزاق» (٢: ٣٦٨)، وهو من قول حذيفة.

(٨) في (ق): «غير».

ولَعَمري، أعظمُ المصائب عدمُ المبالاة بما يريشه ويغذِّيه(١)، ولهذا قال الصادِقُ ﷺ: «**مَن لم يُبالِ(٢) من أين مطعمُه ومشربُه لم يُبالِ الله من أيِّ بابٍ أدخلَه(٣) النارَ**»(٤).

وَيحَك يا مغرور! إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، ومن الأمور التي اعتنى بها الشارِعُ ﷺ ما جاءَ في حديث عمرَ رضي الله عنه الطويل، وهو مقامُ الإحسان، لَما قالَ جبريلُ للصّادقِ ﷺ(٥): فأخبِرني عن الإحسان قال: «**أن تَعبُدَ الله كأنّك تراه، فإن لم تكُن تراهُ فإنّه يراك**»(٦). وحديثُ عمر رضي الله عنه رواه مسلم.

وفي «**معجم الطبرانيِّ**»(٧): «**إذا صلَّيتَ فصَلِّ صلاةَ مُوَدِّع، واعبُد الله كأنّك تراهُ، فإن لم تكُن تراهُ فإنّه يراك**».

وفيه(٨) إشارةٌ لطيفة، وهي: أنّ مَن اطمأنَّت نفسُه إلى أنّ هذه آخِرُ صلاتِه أتى بها على أكمل حالٍ وأقوَم(٩).

---

(١) في (ق) و(س): «ويغديه». (٢) في (س) و(ق): «يبالي».
(٣) كتب فوقها في (ق): «الله».
(٤) «أخبار الشيوخ وأخلاقهم» للمروذي (٢٠٥)، و«تاريخ أصبهان» (١: ٣٩٩)، قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٥٣٦): «أخرجه أبو منصور الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث ابن عمر، قال ابن العربي في «عارضة الأحوذي شرح الترمذي»: إنه باطل لم يصح ولا يصح».
(٥) في النسخ: «لما قال الصادق ﷺ لجبريل»، والمثبت هو الصحيح الموافق لما في الرواية.
(٦) «صحيح البخاري» (٥٠)، و«صحيح مسلم» (٨).
(٧) «المعجم الأوسط» (٤٤٢٧). (٨) في (س): «وهي».
(٩) انظر: «لمعات التنقيح» (٨: ٤٥٠)، و«التنوير شرح الجامع الصغير» (٢: ١٠٠).

قال: وقد اختَلَفَ[(١)] أئمّةُ الهُدى الذين[(٢)] حَفِظَ الله تعالى بهم الدين، وجعلَ الرحمةَ تتنزَّلُ[(٣)] عند ذِكرِهم: هل هذا مقامُ الإحسانِ تضمَّنَ مقامَ المراقبة فقط، أم تضمَّنَ مقامَ المراقبة والمعرفة؟

وعلى التقدير الثاني فما هو مقامُ المعرفة، والأوْلى أنّ الأوَّل مقام[(٤)] المعرفة[(٥)]، وهو قولُه ﷺ: «**كأنّك تراه**»، والثاني مقامُ المراقبة، وهو الذي تنطبقُ عليه الأدلّة، مثلُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ومثلُ قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩]، ومثلُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]... إلى غير ذلك.

وبالجملة[(٦)] فهُما مقامانِ جليلان، وناهيكَ بتسميتِهما من هذَين الكريمَين بالإحسان، وبالندب إليهما من سيِّد السابقين واللاحقين، ولا بُدَّ للمُصلِّي من معرفة حقيقةِ كلٍّ منهما؛ ليعلَمَ أنّه تحتَ أمر سيِّد الأوَّلين والآخِرين، أم تحتَ أمر الأمّارة بالسوء، عافانا الله منها.

---

(١) في (ق): «اختلفت».
(٢) في (ق): «الذي»، وفي (س): «التي».
(٣) في (س): «تتنزل».
(٤) في (ق): «كمقام».
(٥) قوله: «وعلى التقدير الثاني فما هو مقامُ المعرفة، والأولى أنّ الأول مقام المعرفة» ليس في (س).
(٦) في (س): «فالجملة».

[المراقبة]

أمّا المراقبةُ فهي عبارةٌ عن عِلم العبد باطِّلاع الربِّ سبحانه وتعالى عليه، [١٧/أ] واستدامةِ هذا العلم، فمتى غَفلَ عن هذه الحالة فهو بمَعزِلٍ عنها(١).

وقيل: المراقبةُ خُلوصُ السرِّ والعلانيةِ لله بسياسة العلم(٢).

وقيل: المراقبةُ ألّا يوافِقَ العبدُ غيرَ ربِّه، وما أصعبَ ذلك، فلا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللهِ العليِّ العَظيمِ.

ثمَّ(٣) هذا إذا تجرَّدَت المراقبةُ، فإن انضمَّ إلى ذلك الحياءُ فيا فوزَ مَن رُزقَ ذلك، والحياءُ هو: ذوبانُ الحشا؛ لاطِّلاع المولى(٤)، فبالله يا سالك، هل أنت كذلك، أم مُوَلٍّ لا مُصَلٍّ(٥).

وأمّا المعرفةُ فهي على لسان العُلماء: العلم، فكلُّ معرفةٍ علمٌ، وكلُّ علمٍ معرفةٌ(٦)، ومنهم مَن قال: العلمُ لا يستدعي سَبْقَ جهل، بخلاف المعرفة، ولهذا يُقالُ لله تعالى: عالمٌ، ولا يُقال: عارِفٌ.

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ٣٠٩)، و«بريقة محمودية» (٣: ١٤٩).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٣١).

(٣) «ثم» غير واضحة في (د).

(٤) انظر: «الرسالة القشيرية (١: ٣٧٠).

(٥) في (ق) و(س): «مصلي»، وفي (د): «مولي لا مصلي».

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٧٧).

وأمّا عندَ القوم فقَلَّ مَن حَدَّها، نعم؛ أكثَروا في صفات العارف، وقد حَدَّها أبو الطيِّب السّامريِّ[1] فقال: «طُلوعُ الحقِّ على الأسرار بمواصَلة الأنوار»[2]، وقيل: أمواجٌ تَغُطّ، وترفعُ وتَحُطُّ[3].

وأمّا صفاتُ العارِف فقال بعضُهم: «هو محوٌ لاستهلاكِه[4] في وجوده، واستغراقه في شهوده، مختطَفٌ عن إحساسه»[5].

قال ابنُ عطاء: «للمعرفة ثلاثةُ أركان: الهيبة، والحياء، والأُنس»[6].

وقال الأستاذُ أبو عليٍّ الدقّاق: «أماراتُ المعرفة: حصولُ الهيبة من الله، فمَن ازدادت معرفتُه ازدادت هيبتُه»[7].

واعلم أنّ الهيبةَ مقامٌ صعبٌ يدركه مَنْ مَنَّ الله تعالى عليه به، **ولقد مَنَّ الكريمُ عليَّ به في بعض صَلَواتي**، فكنتُ لا أقدِرُ على الاستمرار على نَصْب قامَتي، فإذا صرتُ إلى فوق حدِّ أَقَلِّ الركوع خِفتُ بُطلانَ صلاتي، فأستعملُ الشريعةَ المُطهَّرة، وأعودُ إلى انتِصابي، وكنتُ أظنُّ أنّي لو دُمتُ على ذلك لسقطت.

---

(١) هو: محمد بن الفرخان بن روزبه أبو الطيب الدوري، ويعرف بالفرخاني، قَدِمَ بغداد، وحدَّث بها عن أبيه وعن أبي خليفة الفضل بن الحباب وغيرهما أحاديث منكرة، وروى عن الجنيد بن محمد، وأبي العباس بن مسروق، حكايات في التصوف، روى عنه يوسف بن عمر القواس، وأبو القاسم بن السوطي، تُوفي سنة ستين وثلاث مئة أو قريبًا منها.
انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٤: ٢٨١)، و«الأنساب المتفقة» (٥٥)، و«المؤتلف والمختلف» لابن القيسراني (٦٤)، و«تاريخ الإسلام» (٢٦: ٢٢٠).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨١).

(٣) في (س): «وتخفض». وانظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨٢).

(٤) في (س): «استهلاكه».

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٧٨).

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٨١).

(٧) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٧٧).

واعلم أنّ المعرفةَ صفةٌ عظيمة، فإنّ اللذةَ والسرورَ وطِيبَ الوقت والنعيمَ الذي لا يُمكن التعبيرُ عنه إنّما هو في[1] معرفة الله تعالى، ولهذا قال بعضُ الشيوخ[2]: كنتُ[3] في حالةٍ إن كان أهلُ الجنّة[4] في مثلِ تلك[5] إنّهم لفي عيشٍ طيِّب، وليسَ في الدنيا نعيمٌ يُشبه نعيمَ الآخرةِ إلّا نعيمَ المعرفة[6]؛ ولهذا كان عليه الصلاةُ والسلامُ يقول: «**أرِحنا بالصلاة يا بلال**»[7]، وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**حُبِّبَ إليَّ من دُنياكُم[8] النساءُ والطِّيب، وجُعِلَت قُرّةُ عيني في الصلاة**»[9].

ولم يَقُل: حُبِّبَ إليَّ ثلاثٌ كما يَرويه بعضُ الناس، كذا[10] رواهُ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه.

وقُرّةُ العين: إنّما تحصلُ بحصول المحبوب المطلوب، وليسَ للقلب سرورٌ ولذّةٌ تامّةٌ إلّا في معرفة الله تعالى، ولا يحصُلُ ذلك إلّا بالإعراض عمّا [١٧/ب] سواه، وهذا في الحقيقة هو لا إله إلّا الله، والله أعلم.

قال السيدُ الجليلُ أبو القاسم الجُنيدُ رحمةُ الله عليه: «أشرفُ كلمةٍ في

---

(١) «في» ليس في (س).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٢٨: ٣١)، و«إغاثة اللهفان» (١: ٧٢)، و«الداء والدواء» (١٢١)، و«لطائف المعارف» لابن رجب الحنبلي (٣٢٤).

(٣) «كنت» ليس في (س).

(٤) من قوله: «إنما هو في معرفة الله» إلى هنا سقط من (د).

(٥) في (د): «ذلك».

(٦) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٢: ١٥٢٢).

(٧) «سنن أبي داود» (٤٩٨٦).

(٨) بعدها في (س) بياض بمقدار كلمة.

(٩) «مسند أحمد» (١٢٣١٥)، و«سنن النسائي» (٣٩٣٩).

(١٠) «كذا» ليس في (س).

التوحيدِ ما قالهُ الصدِّيقُ رضي الله عنه: سُبحانَ[١] مَن لم يجعل لخَلقِه[٢] سبيلًا إلى معرفته إلّا بالعجز عن معرفته»[٣].

واعلم أنّ في كلام المحبوب ما يحملُ النفسَ الزكيّةَ على دأبها في الأعمال الصالحة، بل فيه ما يُشَوِّقُ إلى العمل، والآياتُ في ذلك كثيرة، فمنها قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، أيُّ منزلٍ أطيبُ من هذا وألذُّ من هذا وأطيب، بل «كلُّ الصَّيْد في جَوفِ الفَرا»[٤].

---

(١) «سبحان» ليس في (س). (٢) في (د): «إلى خلقه».

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٤٦٥).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٦٧٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٧٩)، و«عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ» (٣: ٢٢٥)، و«الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية» (٣: ١١٧٦)، و«المقاصد الحسنة» (٨٢٦)، و«تذكرة الموضوعات» للفتني (١٦٨)، و«كشف الخفاء» (٢: ١٤٣)، قال الميداني: «قال ابن السكيت: الفَرا: الحمار الوحشي، وجمعه: فراء.
قالوا: وأصل المثل أن ثلاثة نَفَرٍ خرجوا متصيِّدين، فاصطاد أحدُهم أرنبًا، والآخر ظبيًا، والثالث: حمارًا، فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا، وتطاولا عليه، فقال الثالث: كُلُّ الصَّيدِ في جوف الفَرا، أي هذا الذي رُزِقتُ وظَفِرتُ به يشتمل على ما عندكما، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظَمُ من الحمار الوحشي.
وتألَّفَ النبيُّ ﷺ أبا سُفيانَ بهذا القول، حين استأذن على النبي ﷺ، فحُجِبَ قليلًا ثم أُذِنَ له، فلما دخل قال: ما كِدتَ تأذَنُ لي حتى تأذنَ لحجارة الجلهمتين، قال أبو عبيد: الصواب: الجلهتين، وهما جانبا الوادي، فقال ﷺ: يا أبا سفيان، أنتَ كما قِيل: كل الصيد في جوف الفَرا، يتألَّفه على الإسلام.
وقال أبو العباس: معناه إذا حَجَبتُكَ قنع كل محجوب. يضرب لمن يُفَضَّل على أقرانه».
وانظر: «جمهرة الأمثال» (٢: ١٦٣)، و«الأمثال» للهاشمي (١: ١٨٨)، و«مجمع الأمثال» للميداني (٢: ١٣٦).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، أيُّ نعيمٍ أعظمُ من هذا؟

لقد شوَّقَت هذه الصفةُ أقوامًا، حتَّى تَلَهَّبَت منهمُ القلوب، واحتَرَقَت منهمُ الأحشاء، وتقَطَّعَت منهمُ الأكباد، ولولا تَسَلِّيهم بقول حبيبهم: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُوا۟ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖ﴾ [العنكبوت: ٥] لماتوا[1] شَوقًا من ساعَتِهِم، فسُبحانَ مَنْ مَنَّ عليهم ووهبَهُم، **اللهمَّ هَبْ لنا ممّا[2] وهبتَهُم، إنّك أنت الوهّاب.**

ونختِمُ هذه الصفةَ بهذه الآية الكريمة، وهي قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩-١٠].

(١) قبلها في (س): «وهو».
(٢) في (د): «ما».

الصفة الثالثة

التواصي بالحق

اعلم أنّ الحقَّ عمودُ الدين، وذروةُ سنامِه، وهو قطبُ سعادة الدنيا والآخرة، وبه جاءَ التنزيلُ خبرًا وأمرًا، قال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الكهف: ٢٩]... إلى غير ذلك.

ثمَّ الحقُّ هو ضدُّ الباطل، قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، ثمَّ لفظُ الحقِّ يندَرِجُ تحتَه ما لا نهايةَ له من الأنواع، ولا يكادُ يُحصَر، وإقامتُه بالقولِ تارةً وبالفِعلِ أُخرى، وبالاعتقادِ مرّةً، وبالكلِّ أُخرى، وكذا يندَرِجُ تحتَ ضدِّه ما لا يكادُ يُحصَر، ومَن يَقدِرُ على إقامة(١) الأوَّل وهجران الثاني! إنّا لله فيما وقعنا فيه من الخُسران.

ثمَّ الانقيادُ إلى الحقِّ مع طمأنينة النفس بالتسليم القلبيِّ لا يكادُ يوجدُ إلّا في ذاك وذاك(٢)، وقليلٌ ما هُم؛ لأنّ النفسَ بطبعها تجري في ميدان المخالفة، فإن لم تكن عنايةُ عنانها مُحْكَمة(٣) بتوفيقٍ من بارئها، وإلّا فراكبُ مَتنِ جوادِها يركضُ في ميدان الهوى وهو لا يشعر، فيَضِلُّ سعيُه مع الأخسرينَ أعمالًا، وهو يَحسَبُ أنّه يُحسِنُ صُنعًا. [١٨/أ]

(١) في (د): «إقامته».

(٢) قوله: «يوجد إلا في ذاك وذاك» في (د): «يوجد إلا في ذلك».

(٣) «محكمة» ليس في (س)، وفي (ق): «محكم».

ولهذا نصَّ القرآنُ على الأمر بإقامة الحقِّ في غير موضع، فتارةً يذكره مطلقًا كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨]، ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩]، إلى[1] غير ذلك[2].

وتارةً يذكره بسبب[3] متعلَّق الشخص، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وتارةً بالنسبة إلى الشخص نفسه، كقوله تعالى: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]، إلى غير ذلك.

ثمَّ سعادةُ الدارَين في إقامة الحقّ، وشقاوتُهما في عدم إقامته ومخالفةِ أمره سبحانه وتعالى، ومخالفةِ رسوله ﷺ، وهو سببُ هلاك مَنْ قبلَنا من الأُمم، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، قال بعضُ العُلماء: الفِتنةُ هنا: الكُفرُ[4]، عافانا الله الكريمُ من ذلك.

وفي الحديث من روايةِ عائشةَ رضي الله عنها، أنّ قريشًا أهمَّهُم شأنُ المخزوميّة التي سَرَقَت، فقالوا: من يُكلِّم فيها رسولَ الله ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئُ عليه إلّا أُسامةُ بنُ زيدٍ حِبُّ رسول الله ﷺ! فكلَّمَه أُسامة، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أتشفعُ في حدٍّ من حدود الله تعالى؟ ثمَّ قامَ فاختطب، ثمَّ قال: إنّما أهلكَ[5] الذين من قَبلِكُم أنّهم كانوا إذا سرقَ فيهم الشريفُ تركوه، وإذا سرقَ فيهم الضعيفُ أقاموا**

(١) في (ق): «و».
(٢) قوله: «﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ إلى غير ذلك» ليس في (س).
(٣) في (س): «لسبب».
(٤) انظر: «تفسير الماتريدي» (٧: ٦٠٢)، و«تفسير السمرقندي» (٢: ٥٢٧).
(٥) في (د): «هلك».

عليه الحدّ، وَايْمُ[١] **الله، لو أنّ فاطمةَ بنتَ محمَّدٍ سَرَقَت لقطعتُ يَدَها**»، رواه البخاريُّ ومُسلِم[٢].

وفي رواية: فتَلَوَّنَ وجهُ رسولِ الله ﷺ، ثمَّ أمَرَ بتلك المرأةِ فقُطِعَت يَدُها[٣].

وَيحَك! هذا سيِّدُ السابقينَ واللاحقين يُقسِمُ بالله إنّ ابنتَه التي هي بَضعةٌ منه لو سَرَقَت أقامَ عليها الحدَّ[٤]؛ ليُشَرِّع لك ذلك، ويُخبِرَك[٥] بأنّ سببَ هلاكِ الأُمَم قبلك ما أخبر به، وأنت لا تنقادُ لا بظاهرك ولا بباطنك، وتَدَّعي في كلِّ وقتٍ أنّك على الحقّ، وتُحبُّ الحقّ، كَذَبت، بل والله إنّك لَترتَكِبُ العظائمَ ولا تُبالي، إمّا لجَهلِك بها، أو لاتِّباعك العادة، ثمَّ تعتقدُ في نفسِك أنّك تُحِبُّ[٦] الحقّ، كذبتَ أيُّها المغرور، أنت لو سَرَقتَ ما يُوجِبُ قطعَ يَدِكَ تجدُ في نفسكَ حلاوةَ إيمانٍ بَذلِها مع هَتكِكَ بين الخلائق؟

وَيحَك! إنّ فيكَ ثلاثين ألف وصفٍ رديءٍ أنت منها في خسران، لعلَّك والله لا تَعُدُّ[٧] منها ثلاثَ مئة خصلة، بل مئةً، إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

[١٨/ب] وقولُه تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ [العصر: ٣]،/ هذه الصيغةُ[٨] تقتضي المُفاعلة، وهي المشاركةُ في التعاون، حتى لو أمرَ واحدٌ بالحقِّ وآخَرُ ساكتٌ كان الساكِتُ واقعًا في الخُسران.

---

(١) في (ق): «ويم».
(٢) «صحيح البخاري» (٣٤٧٥)، و«صحيح مسلم» (١٣١٥).
(٣) «صحيح البخاري» (٢٣٥٩)، و«صحيح مسلم» (١٦٨٨).
(٤) كذا في (د)، وفي (ق) و(س): «الحق»، وفي هامش (س): «لعله: الحد».
(٥) كأنها في (ق): «ومخبرك». (٦) في (د): «محب».
(٧) في (د): «تعتد». (٨) في (ق): «الصفة».

وهذه الآيةُ تدلُّ لِمَن ادَّعى أنّ مَن سَكَتَ[١] عن إعانة مَن نهى عن السوء داخلٌ في الذين ظَلَمُوا في قوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وَيحَك! إنّ سببَ هلاكِكَ وهلاك غيرِك عدمُ المبالاةِ بإقامة الحقّ، هذا رسولُ الله ﷺ يقول: لَمّا وقَعَت بنو إسرائيلَ في المعاصي نهَتهُم علماؤُهُم فلم يَنتهوا، فجالَسُوهُم في مجالِسِهم وواكَلوهم وشارَبوهم، فضربَ الله قلوبَ بعضهم ببعض، ولعَنَهُم على لسانِ داودَ وعيسى بنِ مريمَ؛ ذلك بما عصَوا وكانوا يعتدون، فجلسَ رسولُ الله ﷺ وكان مُتَّكِئًا، فقال: «**لا والذي نفسي بيده، حتّى تَأْطُرُوهُمْ على الحقِّ أطرًا**»[٢].

وفي حديثِ الصدِّيقِ في قوله: يا أيُّها الناس، إنّكم تقرؤون هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ الناس إذا رأوا الظالمَ فلم يأخُذوا على يديه أوشكَ أن يَعُمَّهم الله بعقابٍ منه**»[٣]، رواه الترمذيُّ والنسائيُّ وأبو داودَ بأسانيدَ صحيحة.

وفي الحديثِ من روايةِ حذيفة، أنّه عليه الصلاةُ والسلامُ قال: «**والذي**

(١) في (س): «يسكت».

(٢) «جامع الترمذي» (٣٠٤٧)، و«مسند أحمد» (٣٧١٣)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٣) «جامع الترمذي» (٢١٦٨)، و«السنن الكبرى» للنسائي (١١٠٩٢)، و«سنن أبي داود» (٤٣٣٨)، و«سنن ابن ماجه» (٤٠٠٥).

نفسي بيده، لتأمُرُنّ بالمعروف، ولتَنهَوُنَّ عن المُنكَر، أو ليُوشِكَنَّ الله أنْ[١] **يبعثَ عليكُم عقابًا منه، ثمَّ تدعُونَه فلا يُستجابُ لكم**»[٢]، رواه الترمذيُّ وحسَّنَه.

لعلَّك رَكِبتَ هوى نفسك، وظَنَنتَ[٣] أنّك تُحِبُّ الحقّ، إنّ الهوى أعظمُ حجابٍ بينك وبين الحقِّ.

ها أنا أضربُ لك مثلًا[٤] يُظهِرُ لك دسيسةَ الهوى، وأنت حاكِمْ نفسَك، أنت كثيرًا ما ترى ما يفعلُ الظَلَمةُ برعاياهُم، وبالشريعة المُطهَّرة، وتجدُ في نفسِك من ذلك شِدّة، ثُمَّ لو[٥] أنّ أحدًا[٦] منهم فعلَ بك أو بولَدِكَ عُشرَ ما يُفعَلُ في غيرِكما هل تَجدُ حُرقةً[٧] وغمًّا مثل غمِّكَ للشريعةِ أو أشدَّ من ذلك، أم يكون غمُّكَ لهذا العُشر أعظم، بل لو[٨] أصابَ جارَكَ أمرٌ لم يُصِبك[٩] سُرِرتَ إذ أخطأكَ وسلِمت، بئس الجارُ أنت، بل بئس المؤمنُ أنت، هذا رسولُ الله ﷺ يقول: «**المؤمنونَ في تَوادِّهِم وتراحُمِهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى**[١٠] **عضوٌ تَداعى له سائرُ الجسدِ بالحُمَّى والسَّهَر**»[١١].

[١٩/أ] بالله الذي/ يعلمُ حقائقَكَ ودقائقَك، هل تجدُ في نفسِك حُرقةً على غريبٍ مُلقًى في الطرُقات كما تَجِدُها على ولدك؟

---

(١) «أن» ليس في (ق) و(س). (٢) «جامع الترمذي» (٢١٦٩).
(٣) في (س): «وطبقت».
(٤) قوله: «ها أنا أضرب لك مثلًا» غير واضح في (س).
(٥) «لو» ليس في (س). (٦) في (س): «لواحد».
(٧) في (س): «حرفة». (٨) «لو» ليس في (ق).
(٩) في (ق) و(د): «يصيبك». (١٠) في (س): «شكى».
(١١) «صحيح مسلم» (٢٥٨٦).

بالله لو رأيتَ ولدًا صغيرًا عريانًا تُرعَدُ فرائصُه من المرض والبرد تجدُ في نفسِك حُرقةً عليه كما تَجِدُها في حقِّ ولدِكَ؟

لا حول ولا قوّةَ إلّا بالله من دعوى مَحبّةِ رسولِ الله ﷺ، ودعوى ذَوقِ طعمِ الإيمانِ القلبيِّ بكلامه[١].

وَيحَك! تدَّعي دعوى تقطعُ في نفسِك بكذِبِها، ثمَّ إذا عُوتِبتَ في ذلك تجدُ في نفسك[٢] حرجًا، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣].

لقد عرفتُ من أين أُتِيت؛ إنّك تعلَّمت لتقولَ[٣] لا لتعمَل، فأنتَ غائبُ القلب، وماذا يُدرِكُ البصيرُ مع طمس البصيرةَ!

ماذا يفهمُ القلبُ إذا لم يجاوز الكلامُ السمعَ؟ كيف يكون جسمٌ في[٤] حَيِّـزَين في أوانٍ واحدٍ؟ إنّ هذا بحكم العقل من المُحال.

قال مجاهدٌ رضي الله عنه: «القلبُ لا يُحدِّثُ نفسَه بشيءٍ غائبٍ لا يتصوَّره»[٥].

هذا سَفَهٌ؛ تصديقٌ بلا تصوُّر! هذا جهلٌ، علمٌ على غيرِ ما هو به، هذا عينُ الجهل، فكيف[٦] يكون[٧] علمًا اعتقادًا مع ذلك؟ هذا جهلٌ مركَّب.

---

(١) «بكلامه» ليس في (د).

(٢) قوله: «بكذبها، ثمَّ إذا عُوتِبتَ في ذلك تجدُ في نفسك» ليس في (د).

(٣) في (س): «ليقل».

(٤) «في» ليس في (ق).

(٥) في (د): «يتصور»، وانظر: «تفسير الثعالبي» (٥: ٢٩٢).

(٦) «فكيف» ليس في (س).

(٧) في (س): «فيكون».

وَيحَك! بل ويلَك! تدَّعي أنّك تستمعُ القولَ فتتَّبعُ أحسنَه، كذبتَ يا مطموسَ البصيرة، إنّك لم تَزَل تتجرَّأ على مخالفة الله تعالى في قوله: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾(١) [الأعراف: ٢٠٤].

قال وهْبُ بنُ مُنبِّه: «مِن أدبِ الاستماع: سكونُ الجوارح، وغضُّ البصر، والإصغاءُ بالسمع، وحضورُ القلب(٢)، والعزمُ على العمل بما يسمع، وذلك هو الاستماعُ كما يُحِبُّ(٣) الله تعالى، فبعدمِ(٤) سُكون الجوارح يشغلُ قلبَه، وبعدم غضِّ البصر يلهو قلبُه بما يرى، وبعدم إحضار قلبه لا يَعقِلُ ما يسمع(٥)، وبعدم العزم على العمل لا ثمرةَ لذلك»(٦).

فأوَّل ما أدَّب الله تعالى به خلقَه أن يُقدِّموا الإرادةَ والعزمَ على طلب(٧) الفَهم عنه، ثمَّ يَسمَعُوا(٨) بإحضار عُقُولهم، ونيّاتُهم في ذلك أن يَفهموا عنه فيَعمَلوا له بما يَفهمونَ عنه، وقد قال بعض السلف: «إنّ من علامة الشَّقاوة أن يُرزَقَ الشخصُ العلم، ويُحرَمَ العملَ»، كما مَرَّ(٩).

وَيحَك! بل ويلَك! أيُّ مصيبةٍ أعظمُ من الشَّقاوة، أيُّ فتنةٍ(١٠) أعظمُ من أن يقولَ العبد: قال الله تعالى، ثمَّ يتعاطى خلافَ ذلك؟!

---

(١) قوله تعالى: ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ ليس في (د).
(٢) في (ق) و(د): «العقل».
(٣) في (ق): «يجب».
(٤) في (ق): «فعدم».
(٥) من قوله: «وبعدم غض البصر» إلى هنا ليس في (س).
(٦) انظر: «تفسير القرطبي» (١١: ١٧٦)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧: ٣١٧).
(٧) في (ق): «الطلب».
(٨) في (د): «يستمعوا».
(٩) قوله: «كما مر» ليس في (د).
(١٠) قوله: «أعظم من الشقاوة، أي فتنة» ليس في (ش).

إنّ الشخصَ لا يكادُ يتعقَّل ذلك، دعوى حقٍّ واعتقادٌ مُطابِق، ومُخالَفةٌ ظاهِرة، وحرجٌ[١] عند طلب الحقّ، أمورٌ مُتضادّةٌ لو صَدَرَت من مختلٍّ لقيل: لا إله إلّا الله، انظروا إلى هذا يفعلُ أمورًا مُتضادّةً ويظنُّ أنّه مُصيب. [١٩/ب]

العجبُ من قائلِ هذا في حقِّ زائلِ العقل كالبهيمة، ولا يَعجَبُ من صُنعه الذي فيه هذا الاختلافُ وهو لا يشعر، هذا لَعَمري أشدُّ جنونًا ممَّن يعجبُ منه، والعجبُ منه أشدُّ عجبًا من فعلِ البهيمة، هذا عينُ الطرد، مَفتونٌ لا يشعر، أو يشعرُ ولا يتحوَّل.

فإن كُنتَ لا تَـدرِي فتِلكَ مُصِيبةٌ ... وإن كُنتَ تَدرِي فالمُصِيبةُ أعظَمُ[٢]

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: «أوَّلُ العلمِ الاستماع، ثمَّ الفَهم، ثمَّ الحِفظ، ثمَّ العمل، ثمَّ النشرُ»[٣].

وَيحَك! بل وَيلَك! لقد ضلَّ بسببِك خلقٌ كثيرٌ تفعلُ الأمورَ المحرَّمةَ بالإجماعِ مع الإشارةِ إليك بالعلم، فيقولون: لولا أنّ له وجهًا لَما فعلَه، أنت ساعٍ في درس الشريعة، قاتَلَك الله، أتَهدِمُ ما بناهُ سيِّدُ الأوَّلينَ والآخرين، أخِفْتَ أن يكونَ قد حافَ عليك رسولُ ربِّ العالمين؟ هذا جزاؤُه منك أن[٤] أخذَ بحُجُزَتِك عن النار[٥]؟

(١) في (ق): «وخرج». (٢) سبق الكلام عليه في أول الكتاب.

(٣) انظر: «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص: ٣٤)، و«تفسير القرطبي» (١١: ١٧٦).

(٤) قوله: «منك أن» ليس في (د).

(٥) لعله يشير رحمه الله إلى حديث في «صحيح البخاري» (٦٤٨٣)، و«صحيح مسلم» (٢٢٨٤): «مثلي كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حولها جعل الفَراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحَّمن فيها، قال: فذلكم مثَلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار، هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني، تقحَّمون فيها».

بئسَ العبدُ أنت، أتتكَ آياتُ ربِّكَ فلم ترْعَها حقَّ رعايَتِها، وتدَّعي الإيمانَ القلبيَّ بها، قاتلَك الله أنّى تُؤفَكُ.

لقد ذمَّ الله تعالى قومًا من بني إسرائيلَ ابتَدَعوا رهبانيّةً لم يُؤمَروا بها، فما رَعَوها حقَّ رعايتها، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

فذمَّهُم الله تعالى بترك رعايةِ ما لم يَفترِض ولم يُوجِب عليهم، فكيف بمن ضيَّعَ رعايةَ حقوقِ الله تعالى الواجبة التي يُوجِبُ تضييعُها غضبَه وعقابَه.

قال الزمخشريّ: «قال وهب: قال الله عزَّ وجلَّ فيما يعيبُ به بني إسرائيل: «تفقهون لغير الدين، وتعلمون لغير العمل، وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة»[(١)].

وَيلَكَ يا ظالمَ[(٢)] القلب، أيُّ عِتابٍ أعظمُ من هذا! بل أيُّ مُصيبةٍ أعظمُ من مُصيبَتِكَ! تجعلُ أشرفَ الأشياء وعينَ الطاعة عينَ المعصية، إنّا لله وإنّا إليه راجعون من هذه المصيبة الجسيمة[(٣)].

وَيلَكَ! أما تَخشَى سوءَ عاقبة الغفلة والاغترار، فكأنِّي بكَ وقد شاهدتَ سوءَ غفلتِكَ واغترارِكَ فنَدِمتَ ولاتَ[(٤)] حين مناص، فانظُر بأيِّ بدنٍ تقفُ بين يدَيه، وبأيِّ جوابٍ صوابٍ تؤدِّيه إليه[(٥)]، فعليكَ بتقوى الله تعالى في السرِّ والعلانية؛ فإنَّه سبحانه وتعالى لا تَخفَى عليه خافية.

---

(١) «تفسير الزمخشري» (١: ٦٩). (٢) في (ق): «ظلم».
(٣) «الجسيمة» ليس في (س). (٤) في النسخ: «فندمت حين لات».
(٥) قوله: «وبأي جواب صواب تؤديه إليه» في (د): «وبأي جواب تؤديه».

لعلَّك تظنُّ في نفسك أنّك على تقوى، هيهاتَ! إنّ التقوى لَمِن أعزِّ المطالب، ودعواها من غير معرفة ماهيَّتها لَمِن أعظم المصائب، أنا أذكرُ لك(١) ما التقوى بعدَ إصغائكَ إلى أمر الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾... وإلى(٢) قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ [٢٠/أ] ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وجدتَ هيبةَ الأمر؟ عَرَفتَ قَدْرَ الآمِر؟ لعلَّك قَرَعَ سَمعَكَ اللفظُ فقط، إن كان كذلك لا تنتفعُ بما هنالك، اصغِ، عِ، غِبتَ عن وجودك بمعرفة المُخاطِب، أم قلبُكَ في ميدان اللهو غائب، إن كان كذلك فلا فائدةَ في ذِكرِ المسؤول عنه.

أنا أضربُ لك مثلًا تعرف الحقَّ على نفسِك، بالله عليك، إذا بَعثَ أميرُ البلد يتطلَّبُك، وتحقَّقتَ أنّه طالِبُكَ لا محالة، وأنّ طالبَك لا بُدَّ له منك، كيف حالُك في خوفك منه(٣)، لا سيَّما وقد علمتَ أنّه يُوقِعُ بك الفعلَ(٤) لا مَحالة، وأنّ الفعلَ إذهابُ عضوٍ من أعضائك، أو إذهابُ(٥) نفسك، كيف يكون خوفُك منه؟

هل وجدتَ مثلَ ذلك في نفسك خوفًا من الله تعالى؟ فأين الصدقُ في دعوى التقوى، وهي من ثمرة الخوف؟ وهذا يدلُّ على خلخلة الإيمان، قال الله تعالى: ﴿أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾(٦) [التوبة: ١٣].

نذكرُ لك التقوى، عسى بذِكرها ترجعُ على نفسِكَ باللوم، وتقول لها: ما عِلمتُكِ يا غدارةُ شَمَمتِ رائحةَ التقوى فضلًا عن ذَوقِه، ومن أين لك ذلك؟

---

(١) «لك» ليس في (ق).
(٢) في (س): «إلى» بدون الواو.
(٣) «منه» ليس في (س).
(٤) في (س): «العقل».
(٥) في (د): «أو ذهاب».
(٦) قوله تعالى: «﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾» ليس في (س).

إنّ التقوى لوَصفٌ عظيمٌ، وناهيكَ به قولُ ربِّ العالمين: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد جاءَ في خبر: «**عليك بتقوى الله؛ فإنّه جِماع كلِّ خيرٍ**»[١]، ولهذا جُعِلَ القيامُ بالتقوى مِفتاحَ كلِّ خيرٍ في الدنيا والأُخرى، ولأهلها أُعِدَّت الجنّة، أُعِدَّت للمتقين[٢].

فهل ترى فيها موضعًا لغير المُتَّقين، ولأهلها جُعِلَ الأمرُ في الآخرة، ولأهلها وُعِدَ قَبولُ الأعمال، ووُسِمَ[٣] أهلُها بالولاية، ورُفِعَ عنهُمُ الحزنُ والخوفُ يومَ الحزن والإخافة، وجُعِلَ لأهلها المخرجُ من كلِّ ما ضاقَ[٤] على العباد، ولهم ضمانُ[٥] الرزق من غير الوجوه التي يحتَسِبُونَها... إلى غيرِ ذلك من الآياتِ والأخبار[٦].

ولمّا كانتِ التقوى في المرتبة المُنيفة كان جزاؤُها هذه المِنحَ الشريفة، قال الله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [الحجرات: ٣]؛ أي: ضربَ قلوبَهُم بأنواع المِحَنِ والتكاليف الصعبة[٧] لأجلِ[٨] التقوى[٩]؛ أي:

---

(١) «مسند أبي يعلى» (١٠٠٠)، و«المعجم الصغير» للطبراني (٩٤٩)، و«الآداب» للبيهقي (٨٣٥)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤: ٢١٥): «ورجال أحمد ثقات، وفي إسناد أبي يعلى: ابن أبي سليم، وهو مدلس».

(٢) قوله: «أُعِدت للمتقين» في (ق): «تلك الجنة اعتدت للمتقين».

(٣) في (د): «ورسم».

(٤) في (د): «من كل مضاق».

(٥) في (س): «ضمن».

(٦) «والأخبار» ليس في (د).

(٧) «الصعبة» ليس في (د).

(٨) في (ق): «لأهل».

(٩) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥: ١٣٣)، و«فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٤: ٤٥٢).

لتثبت فتظهر تقواها(١)، ويُعلَمَ أنّهم مُتَّقونَ؛ لأنّ حقيقةَ التقوى لا تُعلَمُ إلّا عندَ المِحَنِ والشدائدِ والاصطبارِ عليها.

قال ابنُ عطاء: «التقوى لها ظاهرٌ وباطن، فالظاهرُ مُحافظةُ الحدود، والباطنُ النيّةُ والإخلاص»(٢). [٢٠/ب]

ومَن يَقدِر على الإخلاص؛ لأنّ(٣) الرياءَ أخفى من دبيب النملةِ السوداء في الظُّلمة الظَّلماءِ على الصخرة(٤)، كما قاله رسولُ الله ﷺ، خرَّجهُ الإمامُ أحمدُ والطبرانيّ، وفي رواية ابن حبّانَ والدارقطنيّ: «اتَّقوا هذا الشِّركَ؛ فإنّه أخفى من دبيب النمل»(٥)، يعني: الرياء(٦).

وقال(٧) طَلْقُ بنُ حبيبٍ حين سأله بكرٌ المُزَنيُّ عن التقوى؟ فقال: «العملُ بطاعة الله على نورٍ من الله، مخافةَ عقاب الله»(٨).

---

(١) انظر: «البحر المحيط» لأبي حيان (٩: ٥٠٨).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩).

(٣) في (د): «إن».

(٤) «حلية الأولياء» (٨: ٣٦٨)، و«الذريعة إلى مكارم الشريعة» (١٠٤).

(٥) «مسند أحمد» (١٩٦٢٢)، و«الأدب المفرد» (٧١٦)، قال ابن القيسراني في «تذكرة الحفاظ» (٤٢١-٤٢٢): «رواه يحيى بن كثير أبو النضر البصري، عن الثوري، عن أبي إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن أبي بكر الصديق. ويحيى هذا يروي عن الثقات ما ليس من حديثهم، لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وليس هذا بيحيى بن كثير بن درهم، ذاك ثقة كُنيته أبو غسان، وهذا يقال له: أبو النضر».

(٦) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١: ١١٣)، و«فتح الباري» لابن رجب (١: ١٤٦)، و«التوضيح لشرح الجامع الصحيح» لابن الملقن (٣: ١٥٥)، و«اللامع الصبيح» للبرماوي (١: ٢٧٦).

(٧) في (س): «قال».

(٨) انظر: «تاريخ الإسلام» (٧: ١٢١)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٤: ٤١١)، و«البداية والنهاية» (٩: ١٠١).

ومن أين يجدُ القلبُ النورَ وهو مُنغمِرٌ في بِحارِ الشهوات، ومَحجوبٌ عن لَذاذة الطاعاتِ بارتكاب المُخالَفات، بل غالِبُ المتعبِّدة المُجِدَّةِ[1] لاهيةٌ في أعمالها، وأقلُّ درجاتهم عدمُ لَذاذة المُناجاة.

وقال بعضهم: «التقوى مُجانبةُ ما يُبعِدُكَ عن الله»[2]، وقال بعضُهم: «الوقوفُ مع الله تعالى»[3]، وقِيل غيرُ ذلك.

وللتقوى علامات، منها: الاشتياقُ إلى مُفارقةِ الدنيا، ومُصادقةُ قولِه تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[4] [الأنعام: ٣٢].

ومنها: أن تَهُون على قلبه أعراضُ الدنيا، وقال ذو النون رحمةُ الله تعالى عليه: «التقيُّ مَن لا يُدنِّس ظاهرَه بالمُعارَضات، ولا باطنَه بالمُعاملات»[5].

وقال بعضُهم: «يُستَدَلُّ على التقوى بثلاث خصال: بحُسنِ التوكُّلِ فيما لم يُنَل، وحسنِ الرضا فيما نِيل، وحسنِ الصبر على ما قد فاتَ»[6].

وقال بعضُهم: «التّقيُّ مثلُ[7] فلانٍ اشترى أربعينَ جرّةً دُهنًا، فخرجت[8] فأرةٌ من أحدها ولم يَدرِ أيها، فأراقَها كلَّها»[9].

---

(١) «المجدة» ليس في (ق).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٤٧)، و«سير السلف الصالحين» (١٢١٨)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧١).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ١٤٤).

(٤) انظر: «شرح البخاري» للسفيري (١: ٤٦٤).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٣).

(٦) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٢).

(٧) «مثل» ليس في (س).

(٨) في النسخ: «فخرج».

(٩) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٢٩)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٣-٢٧٤).

ومن ذلك أنّ أبا حنيفةَ رحمهُ الله تعالى كان لا يجلسُ في ظلِّ شجرةٍ لغريمٍ له، ويقول: كلُّ قرضٍ جرَّ نفعًا فهو ربًا[١]. لله دَرُّه من فقيهٍ مُتَّق، رضي الله عنه.

ودخلَ أبو يزيدَ الجامع، فغرزَ عصاهُ في الأرض، فسقطَت على عصا شيخ، فوقَعَت، فانحنى الشيخُ وأخذَ عصاه وذهب، فلمّا فرغَ أبو يزيدَ لَحِقَ الشيخَ إلى بيته واستحلَّه، وقال: كان السببُ في انحنائكَ عصاي[٢].

ومن ذلك أنّ[٣] إبراهيمَ بنَ أدهمَ باتَ ليلةً تحتَ الصخرةِ ببيت المقدس، فلمّا كان بعضُ الليل نزلَ ملَكان، فقال أحدُهما لصاحبه: مَن هاهنا؟ فقال الآخر: إبراهيم، فقال: الذي حطَّ الله درجةً من درجاته؟ فقال: لِمَ؟ فقال: لأنّه اشترى من البصرة التمرَ[٤] فوقَعَت تمرةٌ[٥] على تَمْرِه من تمر[٦] البائع[٧].

قال إبراهيم: فمَضيتُ إلى البصرة واشتريتُ من ذلك البائع[٨] تمرًا، وأوقعتُ تمرةً على تمرِه، ورَجَعتُ إلى بيت المقدس، وبِتُّ في الصخرة، فلمّا كان بعضُ الليل أتى مَلَكان[٩] ونزلا[١٠] من السماء،/ فقال أحدُهُما لصاحبه: مَنْ هاهُنا؟ فقال: [٢١/أ] إبراهيمُ[١١] بنُ أدهم، فقال: الذي ردَّ التمرةَ[١٢] إلى مكانِها فردَّ الله درجتَه[١٣].

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٣٠)، و«بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية» (٤: ٢٠٥).
(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٣٠).
(٣) «أن» ليس في (س).
(٤) في (س): «الثمر».
(٥) في (س): «ثمر»، وكذا في المواضع الآتية.
(٦) «تمر» ليس في (د).
(٧) في (ق) و(د): «البياع».
(٨) في (ق) و(د): «البياع».
(٩) قوله: «أتى ملكان» ليس في (د).
(١٠) في (ق) و(د): «نزلا».
(١١) «إبراهيم» ليس في (ق) و(س).
(١٢) في (د): «الثمرة».
(١٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٢٣٠-٢٣١)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (١: ٢٧٤)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٣١٠).

وفي هذا المعنى أمورٌ كثيرةٌ لا تكادُ تُحْصَر؛ منها: أنّ عمرَ رضي الله عنه أُتيَ بمِسك، فأمرَ أن يُقسَّم بينَ المُسلمين، فسَدَّ أنفَه، فقيلَ له في ذلك، فقال: وهل يُنتَفَعُ إلّا بريحِه(١)؟

ومن ذلك ما صنعَ أبو بكرٍ الصدِّيقُ رضي الله عنه لمّا جاءَ غلامُه بطعام، فأكلَ منه لُقمةً، فقال الغلام: أتدري ما هو؟ فقال: الصدِّيق: ما هو؟ فقال: تكَهَّنتُ في الجاهليّةِ وما أُحسِنُ الكَهانة، إلّا أنّي خدعتُه، فلَقيَني فأعطاني، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخلَ الصدِّيقُ يدَه، فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطنه(٢).

وفي رواية: فجعلَ يتقيَّأُ(٣) فلا تخرُج اللقمة، فقيلَ له(٤): كلُّ هذا لأجل لقمةٍ؟ فقال: لو لم تخرُج إلّا بنفسي لأخرجتُها؛ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كلُّ جسدٍ نبتَ على حرامٍ فالنارُ أولى به**»، خشيتُ أن ينبتَ شيءٌ من جسدي من هذه اللقمة(٥).

ألا إنّ مدارَ التقوى على معرفةِ الحلالِ والحرام، وإلّا فالشخصُ في النارِ وهو لا يشعر، ولَعَمري إنّ مَن لا يعرفُ الحلالَ والحرامَ لم يَزَل في الحرامِ ولو في عباداتِه، وهو يَحسبُ أنّه يُحسِنُ صُنعًا، وهو قد خَسِرَ الدنيا والآخرة، وقد دسَّ الشيطانُ عليهِ مصائبَ أخرَجَهُ بها من الدِّين(٦)، وهو يظنُّ أنّه **سالكٌ إلى الله تعالى**، وهو سالكٌ(٧) سبيلَ الخُسْران.

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٨).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٤٢).

(٣) في (د): «يتقايأ».

(٤) في (س): «فقيل لك في ذلك».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣١)، و«المنتظم» (٤: ٦٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٥).

(٦) في «إنارة الفكر» للبقاعي: «الدنيا».

(٧) في (س): «سالك إلى».

ولقد وقعَ لي مع جماعةٍ من ذلك أمورٌ:

فمن ذلك: أنّي خرجتُ يومًا من بيتي أُريدُ الصلاةَ في الصفِّ الأوَّل في الأقصى، فحانَت منِّي التفاتة، فوجدتُ شخصًا عليه أمراطٌ شَعثة، فقلتُ في نفسي: هذا شخصٌ عليه آثارُ الجُوع، فلو جلستُ إليه ووانَستُه[١] بالكلامِ وبالبرِّ لكانَ نِعمَ الرأي، فلمّا دنوتُ منه فإذا بشخصٍ[٢] حَسنِ الوجه، كثيرِ الذِّكر، فسمعتُ من ذِكره، فإذا فيه خللٌ[٣]، فقلت: لو صحَّحْتَ هذا الذِّكرَ لكان أجملَ بك، فأجابَني بجوابٍ ضاقَ ذَرعي منه، فراوَدتُه على التوجُّه إلى الطريقِ المُوصِلِ إلى الله[٤]، فأبى أن يكونَ إلّا على ضلالِه القديم، فبِتُّ تلك الليلةَ حزينًا مرعوبًا، أجدُ في نفسي رجفانًا[٥] مِمّا اعتراني من معرفتي بما[٦] صنعَ الشيطانُ بهذا وأمثالِه.

فعليكَ **أيُّها السالكُ** بالعلم؛ فإنّ[٧] به النجاة، وإلّا فأنتَ هالِكٌ لا محالة، وإيّاكَ والضجرَ من طلبه؛ فإنّ النفسَ الأمّارةَ لا حظَّ لها في المجاهدة، إنّما حَظُّها [٢١/ب] في الشهواتِ والارتياحِ في ميدان الغَفلاتِ التي تُورِثُ الندامةَ والخسران[٨].

ولقد رأيتُ ناسًا[٩] كثيرًا تَركوا العلمَ لصُعُوبته، فأخذوا في العبادةِ على جهل، وزيَّنَ لهم الشيطانُ أعمالَهُم، فأصبَحُوا خاسِرين، واعتَقَدُوا قُربةَ ما حرَّمَ الله عليهم فأصبَحُوا هالِكِين.

(١) في «إنارة الفكر»: «وواسيته». (٢) في (ق): «شخص».
(٣) في «إنارة الفكر»: «علل». (٤) قوله: «الموصل إلى الله» ليس في (س).
(٥) كتب في حاشية (د): «رجفانًا: اضطرابًا شديدًا».
(٦) في «إنارة الفكر»: «ما». (٧) في (س): «فإنه».
(٨) في (ق): «والحسرات». (٩) «ناسًا» ليس في (د).

ولقد والله وقفتُ على خطراتٍ في السلوك يكونُ الشخصُ في سجدةٍ واحدةٍ في أوَّلها في مقام المعرفة ـ وناهيكَ به من مقامٍ ـ ثمَّ يكونُ في آخر السجدة كافرًا، وهو يظنُّ في تلك الحالة أنّه ترقَّى إلى المقام الأعلى والمنزل الأسنى، وقد وهَى إلى أسفل السافلين.

قال السيِّدُ الجليلُ العارفُ بالله تعالى أبو يزيدَ طيفورٌ البسطاميُّ ـ وهو من القُدماء، ماتَ بعد المئتين[١]ـ: «عملتُ في المجاهدةِ ثلاثينَ سنة، فما وجدتُ شيئًا أشدَّ عليَّ من العلم ومتابعته»[٢]، وكان لا يتحرَّكُ إلّا بكتابٍ أو سُنّة، حتّى قال يومًا: أُريدُ أن أسألَ الله شيئًا، ثمَّ قال: لا أسألُ شيئًا لم يسأله رسولُ الله ﷺ[٣].

فانظُر[٤] يا جاهِلُ في تَبَحُّر هذا في العِلمِ كيفَ جدَّ في طلب العِلمِ حتَّى في الأمور التي هي في جانب النفي[٥] خوفًا من أن يقعَ في مخالفة سُنّة.

وقال السيِّدُ الجليلُ العارِفُ بالله تعالى أبو القاسم الجنيد: «الطرقُ كلُّها مَسدودةٌ على الخَلْق، إلّا مَن اقتفى أثرَ رسولِ الله ﷺ، واتَّبعَ سُنَّته، ولزِمَ طريقتَه؛ فإنّ طُرُقَ الخيرات مفتوحةٌ كُلُّها عليه، وعِلمُنا هذا مضبوطٌ بالكتاب والسُّنّة»[٦].

---

(١) سنة إحدى وستين، وقيل: أربع وستين ومئتين. انظر: «المنتظم» (١٢: ١٦٦)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٥٣١)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١١٠).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٧٠)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٥٧)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٠٤).

(٣) في (د): «لم يسأله الله»، وانظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٥٧).

(٤) في (ق): «انظر».

(٥) في (س): «النقي».

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (١٣٢)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٧٩)، و«إنارة الفكر» للبقاعي (٨٨-٨٩)، و«البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣: ١٥٥٤).

وَيحَك يا جاهل! تأخُذُ أخسَّ الأشياء وهو الجهل، وتجعله وسيلةً إلى أشرف المطالب، لا أجهلَ منك ولا أحمق(١).

وَيحَك! تركبُ(٢) هواكَ وتزعمُ أنّك مُصيبٌ، إنّها فتنةٌ وأيُّ فتنة، لقد ذمَّ الله تعالى الذين اتَّبعوا أهواءَهُم بغير علم، فقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ﴾ [النجم: ٢٣]، أتظنُّ أنّ(٣) هواكَ في كثرة العبادة من الصوم والصلاة وأنواع العبادة مُوصِل، إن هو إلّا عينُ الطرد، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

قال الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه وأرضاه: «أصولُ السُّنّة عندنا: التمسُّكُ بما كان عليه أصحابُ رسولِ الله ﷺ، والاقتداءُ(٤) بهم، وتَركُ البِدَع، وكلُّ بدعةٍ ضلالة، وليست(٥) السُّنّةُ قياسًا ولا تُضرَبُ لها الأمثال، ولا تُدرَكُ بالعقول والأهواء؛ إنّما/ هي الاتِّباعُ وتَركُ الهوى»(٦). [٢٢/أ]

وقال عبدُ الله بنُ مسعود رضيَ الله عنه: «عليكُم بالأمر الأوَّل»(٧).

وقال السيِّدُ الجليلُ ضِرارُ بنُ عمرو(٨) رضي الله عنه: «إنّ قومًا تركوا العلمَ ومجالسةَ أهل العلم، واتَّخذوا محاريب، وصلَّوا وصامُوا؛ حتَّى يَبِسَ جلدُ

(١) في (د): «ولا أحمق منك».
(٢) في (ق) و(د): «ترتكب».
(٣) في (س): «أن في».
(٤) في (ق) و(د): «في الاقتداء».
(٥) في (ق): «وليس».
(٦) «أصول السنة» لأحمد بن حنبل (١٤-١٧).
(٧) قوله: «وقال عبد الله بن مسعود: عليكم بالأمر الأولَ» ليس في (س). انظر: «طبقات الحنابلة» (١: ٦٩).
(٨) في (ق) و(س) و(د): «عمر»، والصواب ما أثبت.

أحدِهم على عظمه، خالَفوا فهَلَكُوا، والذي لا إلهَ غيرُه، ما عَمِلَ عاملٌ على جهلٍ إلّا كان ما يُفسِدُ أكثرَ ممّا يُصلِحُ»[١].

وليس المُرادُ علماءَ زمانِنا الذين اتَّخذوا العِلمَ مأكلةً، وترقُّوا به إلى مُجالسةِ هذه الظَّلَمة؛ فإنّهم أفسقُ الفُسّاق، وأوثَقُ عُرى النِّفاق، دينُ أحدِهم لَعقةٌ على لسانه، قاتَلَهُم الله تعالى، ما أفسَدَهُم لهذه الشريعةِ المُطهَّرة!

الفقيه مثلُ طاوسَ رضي الله عنه؛ صانَ العلمَ وعلِمَ؛ ليعمَل، مشى إليه سُلَيْمانُ بنُ عبد الملك فاستأذنَ عليه فأذِنَ له، فلمّا دَخَلَ لم يَقُم له، ولم يعبأ به، فلمّا انصرف قيل له: مشى إليك أميرُ المؤمنين فلم تَلوِ عليه!

فقال: «أردتُ أن يُعلَمَ أنّ لله رجالًا يَزهَدونَ فيما لدى سليمان، وليسَ مطلَبُهُم سوى الله، ولا يخافونَ غيرَه، ولا يرجونَ إلّا إيّاه»[٢].

وقال مالِكُ بنُ أنسٍ رضي الله عنه: بعثَ المنصورُ خلفي وخلفَ ابنِ طاوس، فدخلنا عليه، فإذا هو جالسٌ على نطعٍ قد بُسِطَت، وفُرُشٍ قد نُضِدَت، وبين يدَيه جَلاوِزةٌ بأيديهمُ السيوفُ يَضرِبُونَ الأعناق، فأومأ إلينا أن اجلسا، فجَلَسنا، فأطرقَ عنّا طويلًا[٣]، ثمَّ رفعَ رأسَه والتفتَ إلى ابنِ طاوس، وقال: حدِّثني عن أبيك. فقال[٤]: سمعتُ أبي يقول[٥]: «إنّ أشدَّ الناسِ عذابًا يومَ القيامة رجلٌ

(١) انظر: «تلبيس إبليس» (٢٨٧).

(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٢٧)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٦٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٤٢).

(٣) كتب فوقها في (د): «أرخى عينيه ينظر إلى الأرض».

(٤) في (س): «قال».

(٥) بعدها في (د) و(ق): «قال رسول الله ﷺ»، والسياق المثبت موافق لما في المصادر.

أشرَكَه الله في مُلكِه فأدخلَ عليه الجَورَ في حُكمِه»، فأمسكَ المنصورُ ساعةً(١).

قال مالكٌ: فضمَمتُ ثيابي مَخافةَ أن يَنضَحَني دمُه، واسودَّ ما بيننا وبينه، ثمَّ قال: يا ابنَ طاوس، ناوِلنِي هذه الدواة، فأمسكَ عنه، ثمَّ قال: ناوِلنِي هذه الدواة، فأمسكَ عنهُ(٢)، ثمَّ قال: ما يشغَلُكَ أن تُناولنِيها؟ فقال: أخافُ أن تكتُبَ بها معصيةً فأكونَ شريكَكَ فيها، فلمّا سَمِعَ ذلك قال: قُوما عنِّي، فقالَ ابنُ طاوس: ذلكَ ما كُنّا نبغي منذُ اليوم.

قال(٣) مالكٌ: فما زِلتُ أعرِفُها لابن طاوس وأعرفُ فضلَه(٤).

وقال بِشرُ بنُ السَّريّ: بينما الحَجّاجُ جالسٌ في الحِجْرِ إذ دَخَلَ رجلٌ من أهلِ اليمنِ يُريدُ الطوافَ بالبيت، فوكَّلَ الحَجّاجُ به بعضَ أعوانه، وقال: إذا فرغَ من طوافِه فائتِني به، فلمّا فرغَ أتاهُ به، فقال: أنت من أين؟

قال: رجلٌ من اليمن ، قال: فلكَ عِلمٌ بمحمَّدِ بنِ يوسفَ؟ قال: نعم، قال: [٢٢/ب]
فأخبرني عنه، قال: لقد تَركتُه سمينًا عريضًا، قال: وَيلَك! ليس عن هذا أسألُك، قال: فعمَّ تسألني؟ قال: عن سيرته وطُعمَتِه؟ فقال(٥): فأجورُ السِّيرةِ(٦) وأخبثُ الطُّعم، وأعدى العُداةِ على الله وعلى أحكامِه. فغَضِبَ الحَجّاج، وقال: وَيلَك! أما عَلِمتَ أنّه أخي، قال: بلى، قال: فما خِفتَ مني؟ فقال: يا حجّاج، أما عَلِمت

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» (٢: ٥١١). (٢) «عنه» ليس في (ق).

(٣) في (د): «فقال».

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» (٢: ٥١١)، و«مرآة الجنان» (١: ٢١٧)، و«قلادة النحر» (٢: ١٠٧).

(٥) في (س): «قال».

(٦) في النسخ: «السير»، والمثبت موافق لما في المصادر.

أنّ الله عزَّ وجلَّ ربِّي، واللهِ[١] لهوَ أمنعُ لي منك[٢] أكثرُ منكَ لأخيك[٣].

قال بعضُ العلماء: لله[٤] دَرُّه من رجل، تمسَّكَ بقولِه سبحانَه وتعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وصَدَقَ مع الله فلم يَخَف غيرَه، وقالَ الحقَّ في مَواطِن الهَلَكة، رضي الله عنه.

واجتمعَ أبو حازمٍ رضي الله عنه بسليمانَ بنِ عبد المَلِك يومًا ـ وكان عندَه الزهريُّ ـ فقال سليمان: يا أبا حازم، ما لَنا نكرَه الموتَ؟

قال[٥]: لأنّكم خرَّبتُم آخرتكُم، وعَمَّرتُم دُنياكُم، فأنتم تكرهونَ[٦] الانتقالَ[٧] من العُمرانِ إلى الخراب. قال: صَدَقت، فكيفَ القُدومُ على الله تعالى؟ قال[٨]: أمّا المُحسِنُ فكالغائب يَقدَمُ على أهلِه[٩]، وأمّا المُسيءُ فكالآبِقِ يَقدَم[١٠]، فبكى سليمان، ثمَّ قال: ليتَ شِعري، ما لنا عند الله تعالى!

فقال: اعرض نفسكَ على كتاب الله تعالى تَعلَمُ ما لكَ عند الله[١١]، فقال: أين أجدُ ذلك؟ فقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، فقال سليمان: فأينَ رحمةُ الله تعالى؟ فقال[١٢]: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

---

(١) في (د): «وهو».
(٢) في (د): «لهو مانعي منك».
(٣) انظر: «قمع النفوس» (١٧٨).
(٤) قوله: «لله» ليس في (ق).
(٥) في (د): «فقال».
(٦) في (ق) و(د): «فتكرهون».
(٧) في (س): «النقلة».
(٨) في (د): «فقال».
(٩) جاء بعدها في «المنتظم»: «مسرورًا».
(١٠) جاء بعدها في (د): «على مولاه»، وفي «المنتظم»: «على أهله محزونًا».
(١١) قوله: «تعلم ما لك عند الله» ليس في (د).
(١٢) في (س): «قال».

[الأعراف: ٥٦]، فقال: ما تقولُ فيما نحنُ فيه؟ فقال: اعفِني، قال سليمان: نصيحةً تُلقِيها.

فقال[١] أبو حازم: إنّ أُناسًا[٢] أخذوا هذا الأمرَ عَنوةً عن غيرِ مُشاورةٍ من المسلمين، ولا اجتماعٍ من رأيهم، فسَفَكُوا فيه الدماءَ على طلبِ الدُّنيا[٣]، ثمَّ ارتَحَلوا عنها، فليتَ شِعري ما قالوا وما قيلَ لهم!

فقالَ بعضُ جلسائِه: بئسَ ما قُلت يا شيخ! قال أبو حازم: كذَبتَ، إنّ الله تعالى أخذَ ميثاقه[٤] على العلماء؛ ليُبَيِّنُنَّه للناس ولا يكتمونَه، فقال له[٥] سليمان: اصحبنا تُصِب مِنّا ونُصِب منك، فقال: أعوذُ بالله من ذلك، قال: ولِمَ؟

قال: أخافُ أن أركنَ إليكم شيئًا قليلًا فيُذيقني الله[٦] ضِعفَ الحياةِ وضِعفَ المماتِ، ثمَّ قال: اتَّقِ الله أن يَراكَ حيثُ نهاك، وأن يَفقدَكَ حيثُ أمرك.

فقال سليمان: يا غُلام، هاتِ[٧] مئةَ دينار، ثمَّ قال: خُذها[٨]، فقال: لا حاجةَ لي فيها؛ إنّي أخافُ أن تكونَ لِما سمعتَ من كلامي، فكأنَّ سليمانَ أُعجِبَ بأبي حازم، فقال الزهريّ: إنّه لَجاري منذ ثلاثين سنةً ما كلَّمتُه قطّ، فقال أبو حازم: إنّك نسيتَ اللهَ فنسيتَني، ولو أحببتَ اللهَ/ لأحببتَني، فقال الزهريّ: [٢٣/أ] أتشتُمني؟ فقال سليمان: بل أنتَ شتمتَ نفسَك، أما عَلِمتَ أنّ للجارِ على جارِه حقًّا؟

---

(١) في (س): «قال».
(٢) في (ق) و(س): «ناسًا».
(٣) قوله: «على طلب الدنيا» ليس في (ق) و(س).
(٤) «ميثاقه» ليس في (ق) و(د).
(٥) «له» ليس في (س).
(٦) لفظ الجلالة ليس في (س) و(د).
(٧) «هات» ليس في (ق) و(س).
(٨) في (س): «خذهما».

فقال أبو حازم: إنّ بني إسرائيلَ لمّا كانوا على الصوابِ كانت الأُمراءُ يحتاجونَ إلى العُلماء، وكانت تَفِرُّ بدينِها من الأمراء، فلمّا رأى[(١)] ذلك قومٌ من أذلّةِ الناس تعلَّموا ذلك العلم، وأتوا به إلى الأُمراءِ فاستغنَت[(٢)] بهم عن العلماء، واجتمعَ القومُ على المعصيةِ فسقَطوا وانتكَسوا، ولو كان علماؤُنا يصونونَ عِلمَهُم لكانت الأُمراءُ لم تَزَل تأتيهم[(٣)].

فقال الزهريّ: كأنّكَ إيّاي تُريدُ وبي تُعرِّضُ[(٤)]، فقال: هو ما تسمعُ[(٥)]، والله أعلم.

أشارَ أبو حازمٍ رحمة الله عليه إلى لَعنِهم على لسانِ الأنبياء كما وردَ في القرآن، وحذَّرَنا منه سيِّدُ السابقِين واللاحقِين ﷺ، ففي[(٦)] حديثِ عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قال[(٧)]: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنّ أوّلَ ما دخلَ النقصُ على بني إسرائيلَ أنّهُ[(٨)] كانَ الرجلُ يَلقَى الرجل، فيقول: يا هذا، اتَّقِ الله ودع ما تصنع؛ فإنّه لا يَحِلُّ لك، ثمَّ يَلقاهُ من الغد وهو على حالِه، فلا يمنعه ذلك أن يكونَ أكِيلَه وشرِيبَه وقعِيدَه، فلمّا فعلوا ذلك ضَرَبَ الله قلوبَ بعضِهم ببعض**، ثمَّ قال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۞ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۞ تَرَىٰ

---

(١) «رأى» ليس في (ق). (٢) في (د): «فاستغنوا».
(٣) في «المنتظم»: «تهابهم». (٤) قوله: «وبي تعرض» ليس في (د).
(٥) انظر: «المنتظم» (٨: ٣٣-٣٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٧-٣٨٨)، و«مرآة الزمان» (١٠: ١٥٠-١٥١).
(٦) في (د): «في». (٧) في (س): «فقال».
(٨) في (ق): «أن».

كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾[١]، إلى قوله: ﴿فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٨١].

ثم قال عليه الصلاةُ والسلام: «**كلّا**[٢] **والله، لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهَوُنَّ عن المنكر، ولتأخُذُنَّ على الظالم، ولتأطرنَّه**[٣] **على الحقِّ أطرًا**[٤]**، ولتقصرُنَّه على الحقِّ قصرًا، أو ليَضرِبَنَّ الله بقلوبِ بَعضِكُم**[٥] **على بعض، ثمَّ ليلعنَكُم كما لعَنَهُم**»، رواه أبو داود[٦]، والترمذيّ، وقال: «حسنٌ»[٧].

ولفظُ الترمذيّ: «**لمّا وقَعَت بنو إسرائيلَ في المعاصي نَهَتهُم عُلماؤُهُم فلم ينتهوا، فجالَسوهُم في مجالسِهِم، وواكَلوهُم وشارَبوهُم، فضَرَبَ الله قلوبَ بعضهم ببعض، ولعَنَهُم** ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾»، فجلسَ رسولُ الله ﷺ وكان مُتَّكِئًا، فقال: «**لا والذي نفسي بيدِه حتَّى تُطروهُم**[٨] **على الحقِّ أطرًا**»[٩]. ومعنى تُطرُوهُم: تعطِفُوهُم على الحقِّ عَطفًا[١٠].

ويحَكُم، بل ويلَكُم يا فُقهاءَ السوء! إنّكُم لا تُنكِرونَ البَتّة، بل تُعينُوهم

---

(١) قوله تعالى: «﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ * تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾» ليس في (س).

(٢) في (س): «بلى».

(٣) في (د): «ولتطرونه».

(٤) في (د): «إطراءً».

(٥) في (ق) و(س): «بعضهم».

(٦) «سنن أبي داود» (٤٣٣٦-٤٣٣٧).

(٧) في «جامع الترمذي»: «حسن غريب».

(٨) في «جامع الترمذي»: «تأطروهم».

(٩) «جامع الترمذي» (٣٠٤٧)، و«سنن أبي داود» (٤٣٣٦).

(١٠) انظر: «تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة» (٣: ٢٨٤).

[٢٣/ب] وتُعطُوهم أموالَ اليَتامَى ظُلمًا وتُقوُّوهم على معاصي الله تعالى، وعلى إهدارِ الشريعة وطمسِها، أيُّ لعنٍ يُناسبُ حالَكُم؟!

إنّا لله وإنّا إليه راجعون فيما قد حلَّ بالشريعةِ المُطهَّرة منكم، تَتحقَّقُونَ ما هُم عليه من شُربِ الخُمورِ والاشتغال بآلات اللهو المُجمَعِ على تحريمِها، وأخذِ المُكوس، وقَهرِ الناس على أموالِهم، وسَفكِ الدماء، والرِّشوة على تركِ القصاص ممَّن استوجبَه بجناية، واعتقادِهم أنّ دارَ الإسلام دارُ قهرٍ وغَلَبة، إلى غير ذلك من المصائب العِظام، ومع تحقُّقِكُم ذلك لو عُوتِبتُم[١] في ذلك لوجَدتُم في أنفُسِكُم حرجًا: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[٢] [النساء: ٦٥]، ألا لعنةُ الله على الظالمين الذين يصدُّونَ عن سبيلِ الله ويَبغُونَها عِوَجًا، والله أعلم.

---

(١) في (س): «عوقبتم».

(٢) قوله تعالى: «﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾» ليس في (س)، وبعدها: «الآية».

ومن جملة العلماء الذين يصدعون بالحق

[ابن أبي ذئب]

[١] محمد، المشهور بابن أبي ذئبٍ(١).

قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله تعالى: «إنّه كان(٢) يُشبِهُ سعيدَ بنَ المُسيَّب»(٣)، ولم يُخلَّف(٤) ببلاده وغيرِها مثلُه.

ولمّا حجَّ المنصورُ دعاه، فقال له: ناشدتُكَ بالله، ألستُ أعمَلُ(٥) بالحقّ؟ ألستَ تراني أعدِلُ؟

فقال ابنُ أبي ذئب: أمّا إذا ناشدتَني بالله تعالى فأقول: اللَّهُمَّ لا؛ ما أراكَ تَعدِل، وإنّك لَجائر، وإنّك لتَستَعمِلُ الظَّلَمةَ وتَدَعُ أهلَ الخير.

قال إبراهيمُ بنُ يحيى وعيسى بنُ عليّ: فظَنَنّا أنّه سيُعاجِلُه، فجَعلنا نكفُّ ثيابَنا مخافةَ أن يُصيبَنا دمُه، وجزِعَ أبو جعفرٍ واغتمّ، وقال: قُم واخرُج(٦)، رضي الله عنه.

---

(١) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٧: ٣٩٠)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٨٦)، و«العبر في خبر من غبر» (١: ١٧٧).

(٢) «كان» ليس في (س) و(ق).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (٣: ٥١٥)، و«طبقات الحنابلة» (١: ١٦١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٨٦).

(٤) في (د): «يتخلف».

(٥) في (د): «ألست ذا عمل».

(٦) في (د): «فاخرج». وانظر: «مرآة الزمان» (١٢: ٢٩٦-٢٩٧).

ومن العلماء الذين يصدعون بالحق

[عبد الله العُمَريُّ]

[٢] عبدُ اللـه العُمريُّ[١].

كان سَكنُه مدينةَ رسولِ الله ﷺ، وماتَ في القرن الثاني، أنكرَ على الرشيدِ ولم يَسعَ[٢] إليه.

قال أبو قُدامةَ السرخسيُّ[٣]: وقفَ العُمريُّ للرشيدِ على الطريق[٤]، وذكرَ له ما ذكر، فقال له هارون: نعم يا عمُّ[٥]، نعم يا عمُّ[٦].

وكان يأوِي المقابر، ولا يُرى إلّا وحدَه، فقِيلَ له في ذلك[٧]، فقال: ما

---

(١) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٧: ١٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١١)، و«تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٥: ٢١٢).

(٢) في (د): «يسمع».

(٣) عبيد الله بن سعيد بن يحيى بن برد مولى بني يشكر، أبو قدامة السرخسي، سمع ابن عيينة ويحيى بن سعيد، مات سنة إحدى وأربعين ومئتين.
انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» (٥: ٣٨٣)، و«الثقات» لابن حبان (٨: ٤٠٦)، و«رجال صحيح البخاري» (١: ٤٦٤)، و«طبقات الحنابلة» (١: ١٩٨).

(٤) في (د): «طريق».

(٥) قوله: «نعم يا عم» ليس في (د).

(٦) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٣٧٤)، و«الوافي بالوفيات» (١٧: ١٥٧).

(٧) قوله: «فقيل له في ذلك» ليس في (س).

رأيتُ أوعظَ من قبر، ولا أسلمَ من الوحدة، فقيلَ له: قد جاءَ في الوحدة، فقال: لا تُفسِدُ إلّا جاهلًا[١].

وقال سعيدُ[٢] بنُ سُليمانَ رضي الله عنه: كنت بمكّةَ وإلى جانبي العُمريّ، وقد حجَّ الرشيد، فقال للعُمريِّ إنسانٌ: هذا أميرُ المؤمنينَ يَسعَى قد أُخليَ لهُ المَسْعَى، فقال العُمريُّ للرجُل: لا جزاكَ الله عنِّي خيرًا، كلَّفتَني أمرًا كنتُ غنيًّا عنه، ثمَّ قامَ فأقبلَ هارونُ من المروةِ إلى الصفا، فصاحَ به: يا هارون، فلمّا سَمِعَ[٣] نَظَرَ إليه، قال: لبيكَ يا عمّ، قال: ارقَ الصَّفا وانظر[٤]، فلمّا رقاهُ[٥]، قال: ارمِ بنظَرِكَ إلى[٦] البيت، قال: قد فعلت، قال: كم هُم[٧]؟ قال: ومَن يُحصِيهم؟ قال: فكَم [٢٤/أ] في الناس مثلُهُم؟ قال: خلقٌ لا يُحصيهم إلّا الله تعالى، قال: اعلم أيُّها الرجلُ أنّ كلَّ واحدٍ منهم يُسألُ عن خاصّةِ[٨] نفسِه، وأنت وحدَكَ تُسألُ عنهم كُلِّهم، فانظر كيف تكون؟

قال[٩]: فبكى هارونُ وجلس، وجَعَلوا يُعطونَه مِنديلًا للدموع، ثمَّ قال العُمريّ: وأُخرى أقولُها لك، قال: قُل يا عمُّ.

قال: والله إنّ الواحدَ ليُسرِفَ في مالِه فيستحقُّ الحَجْرَ عليه، فكيفَ بمَنْ أسرفَ في مال المسلمين!

ثمَّ مَضَى وهارونُ يبكي رضي الله عنه وجزاهُ الله تعالى عن هذه الطويّةِ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٨).
(٢) في (د): «سعد».
(٣) «سمع» ليس في (ق) و(س).
(٤) «وانظر» ليس في (ق) و(د).
(٥) في «المنتظم»: «رقيه».
(٦) «إلى» ليس في (د).
(٧) «هم» ليس في (س).
(٨) في «المنتظم»: «حاجة».
(٩) «قال» ليس في (س).

خيرًا[١]، وتقبَّلَ الله بُكاءَ هذا الخليفةِ الذي لم يَمُجَّ قلبُه كلامَ الحقّ، وقاتَلَ[٢] الله[٣] أُمراءَ زمانِنا هذا، ما أبغضَهُم لِمَن يدعُوهُم إلى الله وإلى رسولِه.

ولَقِيَ الرشيدَ مرّةً أُخرى، فأخذَ بلِجامِ فَرسِه، فأهوَت إليه الأجناد، فكفَّهُم عنه الرشيد، فقال: يا هارون، قد فعلتَ وفعلت، فجعلَ يسمعُ منه ويقول: مقبولٌ منكَ يا عمُّ، على الرأسِ والعين[٤].

ومن كلامِه النافع أنْ سأَلَهُ رجلٌ أن يَعِظَه، فأخَذَ حصاةً[٥] من الأرض، وقال: «زِنةُ هذه من الوَرَعِ يدخلُ قلبَك خيرٌ لك من صلاةِ أهلِ الأرض»[٦]، والله أعلم.

* * *

[عبدُ العزيز بنُ أبي رَوّادٍ رضي الله عنه]

[٣] **ومنهم**: عبدُ العزيز بن أبي رَوّاد[٧].

وهو سيِّدٌ جليل، وكان بمكّةَ[٨]، وكان عالِمًا عابدًا، وكان يومًا[٩] يطوفُ بالبيت، فأقبلَ الرشيدُ نحوَه، فقطعَ الطواف، وتلا هذه الآية: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ

---

(١) انظر: «المنتظم» (٩: ٩٩)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٧)، و«مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» (٣٩٥).

(٢) في (د): «وقائل».

(٣) لفظ الجلالة ليس في (د).

(٤) انظر: «المنتظم» (٩: ١٠٠).

(٥) في (س): «عصاة».

(٦) انظر: «مرآة الزمان» (١٣: ٢٩).

(٧) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ٢٣١)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٩٤)، و«الوافي بالوفيات» (١٨: ٢٩٢).

(٨) «وكان بمكة» ليس في (د).

(٩) «يومًا» ليس في (ق) و(س).

بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[1] [المجادلة: ٢٢]، الآية[2].

قال يوسفُ بنُ أسباط: بَينا هُو[3] يطوفُ بالبيت[4] إذ طعنَه المنصورُ في خاصِرَته بأصبعِه، فالتفتَ إليه وقال: قد علمتُ أنّها طعنةُ[5] جبّار[6].

وَيحَكم يا عُلماءَ السوء! هذا كلامُ ربِّنا ينطقُ عليكم بالحقِّ في نفي وجدان الإيمانِ لمن وادَدَ الظَّلَمة، فكيفَ بمن وازَرَهُم وأعانَهُم على ظُلمِهِم بدفعِ[7] أموال اليتامى ظُلمًا[8] والضُعفاء، إنّا لله وإنّا إليه راجعون في هذه المُصيبة الجسيمة.

قال شقيقٌ البلخيّ: «ذهبَ بَصَرُ عبد العزيز عشرينَ سنةً لم يَعلَم به أهلُه ولا ولده، فتأمَّلَه ابنُه ذات يوم، فقال له: يا أبتِ[9] قد ذَهَبَت عينُكَ؟ فقال: نعم يا بُنيّ، الرضا عن الله عزَّ وجلَّ أذهَبَ عينَ أبيكَ منذ عشرينَ سنةً»[10]، رضي الله عنهم، ورَضُوا عنه.

تُوفِّيَ بمكّةَ سنة تسعٍ وخمسين ومئة، رحمةُ الله تعالى عليه، والله أعلم./ [٢٤/ب]

(١) قوله تعالى: «﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾» ليس في (س).
(٢) انظر: «كفاية الأخيار» (٣٧٦).
(٣) في النسخ: «بيناه».
(٤) «بالبيت» ليس في (د).
(٥) في «المنتظم»: «إصبع»، واللفظة مثبتة في «مرآة الزمان»، و«الوافي بالوفيات».
(٦) انظر: «المنتظم» (٨: ٢٣١)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٢٩٤)، و«الوافي بالوفيات» (١٨: ٢٩٢).
(٧) في (س): «لدفع».
(٨) «ظلمًا» ليس في (ق) و(د).
(٩) في (ق): «فقال: يا آبه».
(١٠) انظر: «مرآة الزمان» (١٢: ٢٩٤).

[الفضيل بن عياض رضي الله عنه]

[٤] **ومنهم**: الفُضَيلُ بنُ عياضٍ رحمةُ الله عليه[١].

كان[٢] مُقِيمًا بمكّة، فلمّا حجَّ الرشيدُ قال ابنُ الربيع: قال لي أميرُ المؤمِنين: قد حاكَ[٣] في نفسي[٤] شيءٌ فانظُر لي رجُلًا أسألُه، فقلت: هنا سُفيانُ بنُ عُيَينة، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعتُ البابَ فقال: مَن؟

قلت: أجِب أميرَ المُؤمنين، فخرجَ مُسرِعًا، وقال: يا أميرَ المؤمنين، لو أرسَلتَ إليَّ أتيتُك، فقال الرشيد: خُذ لِما جِئناكَ له رحِمَكَ الله، فحدَّثَه[٥] ساعة، ثمَّ قال له: أعليكَ[٦] دَين؟ فقال: نعم، فقال: يا أبا العبّاس، اقضِ دَينه[٧]، فلمّا خرَجنا، فقال[٨]: ما أغنى صاحِبُكَ شيئًا، فانظُر لي رجُلًا أسأله.

فقلت: هنا عبدُ الرزّاق، فقال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعتُ الباب، فقال: مَن؟ فقلت: أجِب أميرَ المُؤمِنين، فخَرَجَ مُسرعًا، فقال: يا أميرَ المُؤمنين، لو أرسلتَ إليَّ أتيتُك، فقال: خُذ لِما جِئناك، فحادَثَه ساعة، ثمَّ قال له: عليك دَينٌ؟ فقال: نعم، فقال: يا أبا العبّاس، اقضِ دَينَه، فلمّا خَرجنا، قال: ما أغنى صاحبُكَ شيئًا، انظُر لي رجُلًا أسأله.

قلت: هنا **الفُضَيلُ بنُ عِياض**، قال: امضِ بنا إليه، فأتيناه، فإذا هو قائمٌ يُصلِّي

---

(١) انظر ترجمته في: «وفيات الأعيان» (٤: ٤٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٢١)، و«التاريخ المعتبر في أنباء من غبر» (٣: ١١٠).

(٢) في (ق) و(د): «وكان».

(٣) في (ق) و(د): «حك».

(٤) «نفسي» ليس في (د).

(٥) في (س) و(د): «فحدث».

(٦) في (ق) و(س): «عليك».

(٧) في (د): «اقضه».

(٨) في (د): «قال».

يتلو آيةً من القرآن يُردِّدُها، فقال: اقرَع الباب، فقرعتُه، فقال: مَن هذا؟ قلتُ[١]: أجِب أميرَ المُؤمنين، فقال: ما لي ولأمير المؤمنين، فقلت: سبحانَ الله، أما عليكَ طاعتُه؟! فنزلَ وفتح، ثمَّ ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ[٢] المصباح، ثمَّ التجأ إلى زاوية، فدَخلنا، وجعلنا نجولُ عليه بأيدينا، فسَبَقَت كفُّ الرشيد قَبلِي إليه، فقال الفُضَيل: يا لها من يدٍ ما ألينَها إن نَجَت غدًا من عذاب الله تعالى، فقلتُ في نفسي: ليُكلِّمَنَّه الليلةَ بكلامٍ نقيٍّ من قلبٍ تقيٍّ، فقالَ له[٣] الرشيدُ[٤]: خُذ لِما جِئناكَ له[٥] رحمك الله تعالى.

فقال: إنّ عمرَ بنَ عبد العزيز لمّا وُلِّيَ الخلافةَ دعا سالمَ بنَ عبد الله، ومحمَّدَ بنَ كعبٍ القرظيّ، ورجاءَ بنَ حَيْوة، فقال: إنّي ابتُليتُ بهذا البلاء، فأشِيروا عليّ، فعدَّ الخلافةَ بلاءً، وعدَدتَها أنت وأصحابُك نعمةً.

فقال[٦] له سالِم: إن أردتَ النجاةَ غدًا من عذاب الله فصُم عن[٧] الدنيا، وليكُن إفطارُك منها الموتُ.

وقال له محمَّدٌ القرظيّ: إن أردتَ النجاةَ من عذابِ الله فليَكُن كبيرُ المُسلِمينَ عندكَ أبًا، وأوسَطُهُم أخًا، وأصغَرُهُم ولدًا، فوَقِّر أباك، وأكرِم أخاك، وتحنَّن على ولدِك.

وقالَ له رجاءٌ[٨]: إن أردتَ النجاةَ غدًا من عذابِ الله تعالى فأحِبَّ للمُسلمينَ ما تُحبُّ لنفسِك، واكرَه لهم ما تكرَه لنفسِك، ثمَّ مُت إن[٩] شِئت. [٢٥/أ]

(١) في (د): «فقلت».
(٢) في (س): «فأنهى».
(٣) «له» ليس في (س).
(٤) كذا في (د)، وفي (ق) و(س): «الرجل».
(٥) «له» ليس في (د).
(٦) في (ق) و(د) و(س): «وقال».
(٧) «عن» ليس في (ق) و(س).
(٨) في (س): «رجاء بن حيوة».
(٩) في (س) و(د): «إذا».

وإنّي أقول: إنّي أخافُ عليكَ أشدَّ الخوفِ يومًا[١] تزِلُّ فيه الأقدام، فهل معك مَن يُشيرُ عليكَ بمثل هذا؟

فبكى الرشيدُ حتَّى غشي، فقلت له[٢]: ارفق بأمير المؤمنين؟ فقال: يا ابنَ أُمِّ[٣] الربيع، تقتُلُه أنت وأصحابُكَ وأرفقُ به أنا؟!

ثمَّ أفاقَ الرشيد، وقال له[٤]: زِدنِي رَحِمَكَ الله تعالى.

فقال: يا أميرَ المُؤمنين، بلَغَني أنّ عاملًا لعمرَ بنِ عبد العزيز شُكِيَ إليه، فكتبَ إليه عمر: يا أخي، اذكر طول سَهرِ أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإيّاك أن يُنصرَفَ بكَ من عند الله فيكونَ آخرَ العهد وانقطاع الرجاء، قال: فلمّا قرأ الكتابَ طوى البلادَ حتَّى قَدِمَ على عمرَ بنِ عبد العزيز، فقال له: ما أقدَمَك؟ فقال: خلعتَ قلبي بكتابك، لا أعودُ إلى ولايةٍ أبدًا[٥] حتَّى ألقى الله تعالى، فبكى الرشيدُ بُكاءً شديدًا، ثمَّ قال: زِدنِي.

ثُمَّ قال[٦]: يا أميرَ المُؤمنين، إنّ العباس عم المصطفى ﷺ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أمِّرْني على إمارة، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**إنّ الإمارةَ حسرةٌ وندامةٌ يومَ القيامة، فإن استطعتَ ألّا تكون أميرًا فافعل**»[٧]، فبكى هارونُ[٨] بُكاءً شديدًا، وقال له: زِدنِي[٩].

فقال: يا حَسَنَ الوجه، أنت الذي يسألُكَ الله تعالى عن هذا الخَلقِ يومَ

---

(١) في (د) و(ق): «يوم».
(٢) «له» ليس في (س).
(٣) «أم» ليس في (س).
(٤) في (س): «لي».
(٥) «أبدًا» ليس في (س) و(د).
(٦) في (ق) و(س): «فقال».
(٧) «حلية الأولياء» (٨: ١٠٥).
(٨) في (د): «الرشيد».
(٩) انظر: «تذهيب تهذيب الكمال» (٧: ٣٤٨).

القيامة، فإن استطعتَ أن تَقِيَ هذا الوجهَ من النار فافعل، وإيّاك أن تُصبِحَ وتُمسيَ وفي قلبك غِشٌّ لأحدٍ من رعيَّتِك؛ فإنّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَن أصبَحَ غاشًّا لَهُم لَم يَرَحْ رائِحةَ الجَنّةِ**»[1]، فبكى هارونُ وقال: عليك دَينٌ؟

قال: نعم؛ دَينٌ لربِّي عزَّ وجلّ، فالويلُ لي إن ساءلَني، والويلُ لي إن ناقَشَني، والويلُ لي إن لم أُلهَم[2] حُجَّتي.

قال: إنّما أعني دَين العباد.

فقال: إنّ ربِّي لم يأمُرني بهذا؛ أمَرَني أن أوحِّدَه وأُطيعَ أمرَه، فقال عزَّ وجلّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۞ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[3] [الذاريات: ٥٦-٥٨]، فقال له الرشيد: هذه ألفُ دينارٍ خُذها فأنفِقها على عيالك، وتقوَّى بها على عبادتكَ.

فقال: سُبحانَ الله! أنا أدلُّكَ على طريق النجاةِ وأنت تُكافِئُني بمثلِ هذا؟ وفَّقَكَ الله.

ثمَّ صَمَتَ فلم يُكلِّمنا، فخَرَجنا من عنده، فلمّا صِرنا بالباب قال الرشيد: إذا دلَلتَني على رجلٍ فدُلَّني على مثل هذا[4]، فدَخَلَت عليه امرأةٌ من نسائه، [٢٥/ب] وقالت: يا هذا، قد رأيتَ ما نحنُ فيه من ضِيقِ الحال، فلو قبلتَ هذا المالَ فتفرَّجْنا[5] به؟

---

(١) «صحيح مسلم» (١٤٢). (٢) في (د): «يلهمني».

(٣) قوله تعالى: «﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾» ليس في (س) وموضعها في (س): «إلى قوله: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾».

(٤) بعدها في «الحلية»: «هذا سيد المسلمين». (٥) في (س): «فتفرحنا».

فقال لها: مَثَلي ومَثَلُكُم كمَثَلِ قومٍ كان[١] لهم بعيرٌ يأكلونَ من كسبه، فلمّا كبرَ نحروه وأكلوا[٢] لحمَه.

فلمّا سَمِعَ هارونُ الكلام قال[٣]: ندخُل، فعسى أن يقبلَ المال، فلمّا عَلِمَ الفُضَيلُ خَرَجَ وجَلَسَ في السَّطحِ على باب الغرفة، فجاءَ الرشيدُ فجَلَسَ إلى جنبه[٤]، فجعلَ يكلِّمُه فلا يُجيبُه، فبينا نحن كذلك إذ خَرَجَت جاريةٌ سوداء، فقال: يا هذا، قد آذَيتَ الشيخَ منذ الليلة[٥]، فانصرِف رَحِمَكَ الله. فانصرفنا. ذكرتُ ذلك مُلخَّصًا[٦].

توفِّي الفُضيلُ[٧] بمكّةَ رحمه الله سنةَ سبعٍ وثمانين ومئة، رحمةُ الله عليه.

ومن كلامِهِ البليغِ النافعِ لمَن كان له قلبٌ: الزَم طرقَ الهُدى[٨]، ولا يضرُّكَ قلّةُ السالكين، وإيّاكَ وطرقَ الضلالة، ولا تغترَّ بكثرةِ الهالِكين[٩]. واللهُ أعلم.

* * *

[طاوس]

[٥] **ومنهم**: طاوس[١٠].

وكان جليلًا عظيمَ العلم والخوف، وكان إذا مرَّ إلى الصلاة فرأى الرؤوسَ

---

(١) «كان» ليس في (د).
(٢) في (ق) و(د): «فأكلوا».
(٣) في (ق) و(د): «فقال».
(٤) قوله: «إلى جنبه» ليس في (د).
(٥) قوله: «منذ الليلة» ليس في (د).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٠٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٨: ٤٤٠-٤٤٢)، و«مرآة الزمان» (١٣: ١٠٧-١٠٩)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٧: ٣٤٦).
(٧) «الفضيل» ليس في (د).
(٨) في (ق): «المهدي».
(٩) انظر: «الأذكار» للنووي (١٦٠)، و«الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» (٤: ١٨٣).
(١٠) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٢)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٣٦).

المَشويّةَ لم يتعَشَّ تلك الليلةَ من خوفِ[١] النار[٢].

قال الصلتُ بنُ راشد[٣]: «كنت عند طاوس، فسألَه سلم بنُ قتيبةَ عن شيء، فزَبرَه وانتهرَه، فقلت له: إنّه صاحِبُ خُراسان، قال: ذاكَ أهونُه عليَّ[٤]، وكان طاوسُ باليمن، ومحمَّدُ بنُ يوسفَ أخو الحجّاجِ عاملًا عليها، فمرَّ أخو الحَجّاج وأيُّوبُ بنُ يحيى عليه وهو ساجدٌ، وكان أخو الحَجّاج موكبًا[٥]، وكان في غَداةٍ باردة، فأمَرَ بساجٍ[٦] أو طيلسانٍ فطُرِحَ عليه، فلم يَرفَع رأسَه حتَّى فرَغَ من حاجته، فَلَمَّا سَلَّمَ نَظَرَ فَإِذَا السَّاجُ عَلَيْهِ فَانْتَفَضَ[٧]، ولم ينظُر إليه ومضى إلى منزله»[٨].

قال الصنعاني: «دخلَ طاوسُ ووهبُ بنُ مُنبِّهٍ على محمَّدِ بن يوسفَ ـ أخي الحَجّاج، وكان عاملًا علينا ـ في غداةٍ باردة، فقعدَ طاوسُ على الكرسيّ، فقال أخو الحَجّاج: يا غُلام، هَلُمَّ ذلك الطَّيْلَسانَ فألقِه على طاوس، فألقَوه عليه، فلم يَزَل يُحرِّكُ كتِفَيه حتَّى ألقاه عنه، فغَضِبَ أخو الحَجّاج، فقال وهبٌ: والله إن كنتَ لغَنِيًّا أن تُغضِبَه علينا، لو أخذتَه فبِعتَه وأعطَيتَ ثمنَه المساكين، فقال:

---

(١) قوله: «من خوف» في (د): «خوفًا».

(٢) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٢١٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٢).

(٣) الصلت بن راشد، سَمِعَ طاوسًا ومجاهدًا، روى عنه جرير بن حازم وأبان بن يزيد وحماد ابن زيد. انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» (٤: ٣٠١)، و«الثقات» لابن حبان (٦: ٤٧١)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٣٤).

(٤) قوله: «فقلت له: إنه صاحب خراسان، قال: ذاك أهوَنه عليّ» ليس في (س).

(٥) في (س): «مركبًا».

(٦) في (د): «بتاج».

(٧) قوله: «فلما سلم نظر فإذا الساج عليه فانتفض» في النسخ: «فلما نظر إليه انتفض».

(٨) «الزهد» للإمام أحمد (٢٢٠٤)، و«المعرفة والتاريخ» (١: ٧٠٩)، و«تهذيب الكمال» (١٣: ٣٦١)، و«البداية والنهاية» (٩: ٢٤٢).

أخشى أن يُقالَ بعدي[١]: أخذَه طاوسُ[٢].

رضي الله عنه، خَشيَ أن يُقتَدَى به في الأخذ من الأُمراءِ فتركَه؛ لئلّا يُقتدَى به»[٣].

ويلَكُم يا فُقهاءَ زمانِنا !يا فُقهاءَ السوء! ويا سُعاةً في هَدمِ الشريعة، تأخُذونَ أموالَ مَن جعلَها[٤] الله تعالى لهم في القرآنِ فتُعطُونَه لِمَن حاربَ الله ورسولَه وسعَى في الأرض فسادًا، استعِدُّوا لِما تَوَعَّدَكُم الله تعالى عليه، لاحَت بسببِ [٢٦/أ] أفعالِكم أعلامُ هَدمِ الشريعة، إنّا لله وإنّا إليه راجعون. والله أعلم.

* * *

[إبراهيم الحربي رضي الله عنه]

[٦] **ومنهم**: إبراهيمُ الحربيُّ[٥].

وُلِد في القرن الثاني[٦]، وكان إمامًا في علومٍ عديدة، وكان زاهدًا في الدنيا عكسَ عَبيد الخَمّارين[٧].

قال الرازيّ: «جاءَ رجلٌ من أصحابِ المُعتضِد إلى إبراهيمَ الحربيِّ بعشرةِ آلاف دِرهَمٍ من عند المعتضدِ يسألُه تَفرِقَتَها، فردَّه، فانصرفَ الرسولُ ثمَّ عاد،

---

(١) «بعدي» ليس في (ق).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٥٦: ٣١١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٢).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٢: ١٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٢)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٣٦).

(٤) في (ق): «جعله».

(٥) انظر ترجمته في: «طبقات الحنابلة» (١: ٨٦)، و«المنتظم» (١٠: ١٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢١: ١٠١).

(٦) وُلِد سنة ثمانٍ وتسعين ومئة. انظر: «طبقات الحنابلة» (١: ٨٦).

(٧) في (س): «الخمامين».

فقال: إنّ أميرَ المُؤمنينَ يسألُكَ أن تُفرِّقَها في جيرانِك، فقال: هذا لم نَشتَغل[١] بجَمعِه، فلا نَشغَلها بتفرِقَته، قُل لأمير المؤمنين: إن تَرَكَنا[٢] وإلّا تَحوَّلنا من جِواره»[٣]. رضي الله عنه.

مَرِضَ فعادَه بعضُ إخوانِه، فقالت له ابنتُه: يا عمّ، نحنُ في أمرٍ عظيم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهرُ والدهرُ ما لنا طعامٌ إلّا كسرةٌ[٤] يابسةٌ وملح، ورُبَّما عَدِمنا المِلح، وبالأمس قد وجَّهَ إليه المعتضِدُ ألفَ دينارٍ فلم يأخُذها[٥]. والله أعلم.

* * *

[سفيان الثوري رضي الله عنه]

[٧] ومنهم: سفيانُ الثوريُّ[٦].

لما حجَّ المهديّ قال: لا بُدَّ لي من سُفيانَ الثوريّ، فوَضَعوا لي الرصدَ حولَ البيت، فأخَذُوني[٧] بالليل فجئتُه[٨]، فقال: لأيِّ شيءٍ لا تأتينا[٩] فنستشيركَ في أمرِنا[١٠]، فما أمَرتَنا صِرنا إليه، وما نَهيتَنا عنه انتهينا؟

فقلت له: كم أنفقتَ في سفرك هذا؟ قال: لا أدري، قلت: فما عُذرُكَ غدًا إذا وقفتَ بين يَدَي الله تعالى فسألكَ عن ذلك. رضي الله عنه.

---

(١) في (س): «تشتغل». (٢) في (د): «تركتنا».
(٣) انظر: «طبقات الحنابلة» (١: ٨٨)، و«المنتظم» (١٢: ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥١٣).
(٤) في (س): «كسر». (٥) انظر: «تاريخ الإسلام» (٢١: ١٠٥).
(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٦: ٤٠١)، و«تاريخ جرجان» (٢١٦)، و«طبقات الفقهاء» (٨٤)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٣٨٦).
(٧) في (س): «فأخذوه». (٨) في (س): «فجاءه».
(٩) في (س): «لا تأتنا». (١٠) في (ق) و(د): «أمورنا».

[ابن السمّاك رضي الله عنه]

[٨] **ومنهم**: ابنُ السمّاك[١].

قال للرشيد: يا أميرَ المؤمنين، إنّك تموتُ وحدَك، وتُحاسَبُ وحدَك، وإنّك لا تَقدَم إلّا على نادمٍ[٢] مشغول، ولا تُخَلِّف إلّا مغبونًا[٣] مغرورًا، وإنّك وإيّانا في دارِ سفر، وجيرانِ ظَعنٍ[٤]، فلا ترضَ لنفسكَ إلّا بما يرضى به[٥] الله عنك[٦]. واللهُ أعلم.

وقال أبو حازمٍ[٧] لسُليمانَ بنِ عبد الملك: اعلم أنّ هذا الأمر لم يَصِل إليك إلّا بمَوتِ مَن كان قبلك، وهو خارجٌ عنكَ بمثلِ ما صارَ إليك، ثمَّ قال له: نَزِّه ربَّكَ في عظَمَتِه عن أن يراكَ حيثُ نَهاك، أو يَفقِدَكَ حيثُ أمَرَك، إنّما أنت سوقٌ، فما نفقَ عندكَ يُحمَلُ إليك من خيرٍ وشرّ، فاختَر لنفسكَ أيَّهما شئتَ.

قال له[٨] سليمان: لِمَ لا تأتينا[٩]؟ قال: وما أصنعُ بإتيانِك؟ إن أدنَيتَني فتَنتَني، وليس عندي مالٌ أخافُك عليه، ولا عندكَ مالٌ أرجوكَ عليه.

قال: فارفَع إلينا حاجَتَك. قال[١٠]: قد رَفعتُها إلى من هو أقْدَرُ منك عليها، فما أعطاني منها قَبِلت، وما منعَني رَضِيت، / فمَن ذا الذي يستطيعُ أن يُنقِصَ [٢٦/ب]

---

(١) انظر ترجمته في: «مرآة الزمان» (١٣: ٥١)، و«وفيات الأعيان» (٤: ٣٠١)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٣٦٧).

(٢) في «مختصر تاريخ دمشق»: «قادم».

(٣) في «تاريخ دمشق»: «يخلف إلا جاهل».

(٤) في (ق): «طعن».

(٥) «به» ليس في (د).

(٦) انظر: «مختصر تاريخ دمشق» (٢٧: ٢٠)، و«البداية والنهاية» (١٠: ٢١٧).

(٧) في (د): «حاتم».

(٨) «له» ليس في (د).

(٩) في (ق): «تأتنا».

(١٠) في (د): «فقال».

عن كثيرٍ ما قُسِمَ له، أو يزيدَ ما قُسِمَ له[١]. فبكى سليمانُ بكاءً شديدًا.

فقال رجلٌ من جلسائِه: أسأتَ إلى أمير المؤمنين، فقال أبو حازم: اسكُت؛ فإنّ الله أخذَ ميثاقَ الذين أُوتُوا الكتابَ ليُبيِّنُنَّه للناس ولا يكتمُونَه، فلمّا فارَقَه وصارَ إلى منزله بعثَ إليه بمالٍ فرَدَّه، وقال للرسول: قُل لأمير المؤمنين: والله ما أرضاه لك، فكيف أرضاه لنفسي[٢]؟! واللهُ أعلم.

ويلكُم يا فُقهاءَ السوء! تكتُمُونَ كتابَ الله، وتدرسُونَ شريعتَه، وتأخذونَ أموالَ الضعفاء والمساكين، وتعطُونَها[٣] لِمَن حاربَ الله ورسولَه، وتَسعَونَ في الأرض فسادًا، وتقولون: إنّكم قوّامونَ بالحقّ، كَذَبتُم يا فسَدةَ الشريعة، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

[عمرو بن عُبَيد رضي الله عنه]

[٩] **ومنهم**: عمرو بن عُبَيد[٤].

دَخَلَ على المنصورِ فقرأ عليه: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾؛ حتَّى بَلَغ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١-١٤]، لِمَن فعَلَ مثلَ فِعالِهِم، فاتَّقِ الله؛ فإنّ ببابِكَ نيرانًا تأجَّجُ لا يُعمَلُ فيها بكتابٍ ولا سُنّة، وأنت مسؤولٌ عمّا اجترَحُوا، وليسوا مسؤولينَ عمّا اجترَحْت، فلا تُصلِح دُنياهُم بفساد[٥] آخِرَتك.

---

(١) قوله: «أو يزيد ما قسم له» ليس في (س).
(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٩٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٣٤)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٤٢٣).
(٣) في النسخ: «وتعطونه».
(٤) انظر ترجمته في: «مرآة الزمان» (١٢: ١٦٨)، و«إكمال تهذيب الكمال» (١٠: ٢١٤).
(٥) في (د): «فساد».

فقال سليمانُ بنُ مجالد[١]: أعميتَ أميرَ المؤمنين، فقال عمرٌو: ويلَكَ يا ابن مجالد! أما[٢] كفاكَ أن خَزَنتَ نصيحتَكَ عن أمير المؤمنينَ حتَّى أردتَ أن تَحُولَ بينه وبين نصيحتِهِ، اتَّقِ الله يا أميرَ المؤمنين؛ فإنّ هؤلاء اتَّخذُوكَ سُلَّمًا إلى شَهَواتهم، فأنتَ كالماسِك بالقرن[٣] وغيرُكَ يَحلُبُ؛ فإنّ هؤلاء لن[٤] يُغنُوا عنك من الله شيئًا[٥]. والله أعلم.

❋ ❋ ❋

[الأوزاعي رضي الله عنه]

[١٠] ومنهم: الأوزاعيُّ رضي الله عنه[٦].

قال للمنصورِ في بعض كلامِه: أما عَلِمتَ أنّه كان بيد رسولِ الله ﷺ جريدةً يابِسةً يَستاكُ بها، ويردَعُ[٧] بها الناس، فأتاهُ جبريلُ عليه السلام، فقال: يا محمَّد، ما هذه الجريدةُ؟ اقذِفها، لا تملأ قلوبَهُم رعبًا[٨].

فكيف بمن سفكَ دماءَ المسلمين، وشقَّقَ أبشارَهُم، وانتهبَ أموالَهُم، إنّ المغفورَ له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّرَ دعا إلى القصاص من نفسه[٩] بخَدشةٍ خَدَشَها أعرابيًّا من غيرِ تَعمُّد، فقال له جبريلُ عليه السلام: إنّ الله لم يَبعَثكَ

---

(١) في النسخ: «مخالد» في الموضعين.
(٢) في (س): «ما».
(٣) في المصادر: «كالآخذ بالقرنين».
(٤) في النسخ: «لم».
(٥) انظر: «مرآة الجنان» (١: ٢٦٣).
(٦) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٧: ٦٢)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٤١٢)، و«وفيات الأعيان» (٣: ١٢٧).
(٧) في (س): «ويرع».
(٨) «حلية الأولياء» (٦: ١٣٧).
(٩) في (س): «نفسه الشريفة».

جبّارًا(١) تكسِرُ قلوبَ رعيَّتك(٢).

يا أميرَ المؤمنين، لو أنّ ثوبًا من النارِ صُبَّ على مَن في الأرض لأجَنَّهُم، فكيف بمَن يَتقَمصُهُ(٣) وحدَه، ولو أنّ ذَنوبًا من نارٍ صُبَّ على مَن في الأرض لأجَنَّهُم، فكيف بمَن يتجرَّعُه وحدَه، ولو أنّ حلقةً من سلاسلِ جهنَّم وُضِعَت على جبلٍ لذاب، فكيف بمن يَتسلسَلُ فِيها، ويُرَدُّ/ فاضِلُها على عاتِقِه(٤). والله أعلم. [٢٧/أ]

* * *

[مالك بن دينار رضي الله عنه]

[١١] ومنهم: مالكُ بنُ دينار(٥).

رأى المهلَّبَ يومًا يجرُّ أذيالَه، ويتبَختَرُ في أذيالِ خُيَلائه(٦)، فناداه أن ارفَع ثَوبَك(٧)، فقال له المهلَّب: أوَما تعرِفُني؟

قال مالك: بلى إنّي أعرِفك، أوَّلُكَ نُطفةٌ مَذِرة(٨)، وآخِرُكَ جيفةٌ قَذِرة، وأنت فيما بين ذلك تَحمِلُ العَذِرة(٩). والله أعلم.

---

(١) «جبارًا» ليس في (س).

(٢) «مستدرك الحاكم» (٧٩٤٣)، و«شعب الإيمان» (٧٠٢٤).

(٣) في (ق): «تقمصه».

(٤) في حاشية (د): «موضع الرداء من المنكب». وانظر: «المستطرف في كل فن مستظرف» (٩٠).

(٥) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٠٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٣٩٣)، و«صفة الصفوة» (٢: ١٦٢).

(٦) في (س): «خيلاته». (٧) في (د): «صوتك».

(٨) كتب فوقها في (د): «فاسدة».

(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦١: ٣٠٢-٣٠٣)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٢١٧).

ودخلَ ابنُ السمّاكِ[١] على هارونَ الرشيد، فقال له: أتُحِبُّ الله؟ قال الرشيد: نعم، قال: أفَتَعصِيه؟ قال: نعم، قال: كذبتَ والله في حبِّكَ إيّاه؛ لو أحبَبتَه ما عصيتَه[٢]. والله أعلم.

ودخلَ بلالٌ أميرُ البصرةِ المَقبرةَ لأجلِ جنازة، فنظرَ إلى جماعةٍ وُقوف، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مالكُ بنُ دينارٍ يُذكِّرُ الناس، فقال لوصيف: اذهب إليه، وقل له[٣]: ليرتَفِع إلينا إلى المقبرة، فأدَّى الوصيفُ الرسالة، فصاحَ به مالِك، وقال: ما لي إليه[٤] حاجةٌ فأُجِيبه، فإن يكن له حاجةٌ فليَجِئ إلى حاجةِ نفسِه.

فلمّا دَفَنوا ميِّتَهم قامَ بلالٌ بمَن معه إلى حلقةِ مالكِ بن دينار، فلمّا دنا منها نزلَ ونزلَ مَن معه، ثمَّ جاءَ يَمشِي إلى الحلقةِ حتَّى جلس، فلمّا رآه مالكُ بنُ دينارٍ سكت، فأطالَ السكُوت، فقال له بلال: يا أبا يحيى، ذَكِّرنا، فقال له: نسيتَ شيئًا فأُذَكِّرك؟

قال: فحَدِّثنا، فقال: أمّا[٥] هذا فنَعَم، ثمَّ قال: قَدِمَ علينا مِن قَبلِكَ أميرُ البصرة، فماتَ فدفنّاه، ثمَّ أُتِينا بزَنجِيٍّ فدَفنّاه إلى جَنبِه[٦]، فوالله ما أدري أيُّهما كان أكرمَ على الله.

فقال بلال: يا أبا يحيى، ما الذي جرَّأكَ[٧] علينا، وما الذي أسْكَتَني[٨] عنك، إلّا أنّك[٩] لم تأخُذ من دراهِمنا شيئًا، أما والله لو أخذتَ من دراهِمنا شيئًا ما

---

(١) في «الشهب اللامعة»: «الفضيل بن عياض».
(٢) انظر: «الشهب اللامعة في السياسة النافعة» (٢٠).
(٣) «له» ليس في (س).
(٤) «إليه» ليس في (د).
(٥) في (ق): «أمَّ».
(٦) في (س): «جانبه».
(٧) في (س): «أجرأك».
(٨) في (ق) و(د): «سكتني».
(٩) في (د): «لأنك».

اجترأتَ عليَّ هذه الجرأة. فأفادَنِي هذا الحديثُ علمًا، ألا فاتَّقوا دراهِمَهُم[١]، والله أعلم.

ودخلَ الشيخُ نصرٌ المقدسيُّ دمشق، فجاءَه سلطانُها وهو جالسٌ في الجامع، فسلَّمَ عليه فلم يَردَّ عليه السلامَ[٢] ولم يلتفت إليه.

ودخل ابنُ عبدِ السلام مِصر، فكلَّم سُلطانَها كلامًا غليظًا، فقِيل له: ألم تَخَف؟ فقال: نظَرتُ في عظمةِ الله تعالى فوجَدتُه في عيني أحقرَ من قِطٍّ[٣].

هكذا كانوا رحمةُ الله عليهم[٤] وأرضاهُم، وكانوا إذا طَلَبوا[٥] العلمَ طلبوه للعمل، فكانوا كلَّما ازدادوا علمًا ازدادوا خوفًا من خوفِ البُعد، متمسِّكينَ بالأخبار، فمنها قولُه عليه الصلاةُ والسلام: «**مَن ازدادَ علمًا ولم يزدَد هُدًى[٦] لم يزدَد من الله إلّا بُعدًا**»[٧].

ومن ذلك حديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه ـ وهو في «**صحيح مسلم**»[٨] ـ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ أوّلَ الناس يُقضَى يومَ القيامةِ عليه، وذَكرَ ثلاثة، منهم: رجلٌ تعلَّم العِلمَ وعلَّمَه، وقرأ القُرآن، فأتى به فعرَّفَه نِعَمَه فعرَفَها، قال: فماذا عَمِلتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العلمَ وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، فقال: كذبتَ، ولكنَّك تعلَّمتَ ليُقال: عالِمٌ، وقرأتَ ليُقال: قارئٌ، وقد** [٢٧/ب]

---

(١) انظر: «سراج الملوك» (٣٧).
(٢) «السلام» ليس في (ق) و(س).
(٣) انظر: «رفع الإصر عن قضاة مصر» (٢٤٠).
(٤) في (س): «رحمهم الله».
(٥) «طلبوا» ليس في (د).
(٦) في «الفردوس»: «في الدنيا زهدًا».
(٧) «الفردوس بمأثور الخطاب» (٥٨٨٦)، والحديث ضعيف، وعند ابن حبان موقوف على الحسن. انظر: «تخريج أحاديث الإحياء» (٧٢)، و«كشف الخفاء» (٢: ٢٧٥).
(٨) «صحيح مسلم» (١٩٠٥).

قِيل، ثمَّ أُمِرَ به فسُحِبَ على وَجهِه حتَّى أُلقِيَ في النار».

وعن أبي هريرةَ أيضًا[١] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن تعلَّمَ علمًا ممّا يُبتغَى به وجهُ الله تعالى لا يتعلَّمه إلّا ليُصيبَ به عَرَضَ[٢] الدنيا لم يَجِد عَرفَ الجنّةِ يومَ القيامة**»[٣]، يعني: رِيحَها[٤]. رواه أبو داودَ وغيرُه بإسنادٍ صحيح.

وفي رواية: «**مَن تَعلَّمَ علمًا يُنتفَعُ به في الآخرةِ يريدُ به عرَضًا من الدنيا لم يَرَح رائحةَ الجنّة**»[٥].

وعن أنسٍ رضي الله عنه، وكذا عن حذيفةَ رضي الله عنهما، قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «**مَن طلب العلمَ لِيُمارِيَ به السفهاء، أو لِيُكاثِرَ به العلماء، أو يَصرِفَ به وجوهَ الناس إليه؛ فليتبوَّأ مَقعَدَه من النار**»[٦]. رواه الترمذيُّ من روايةِ كعبِ بن مالك، وقال: «**أدخَلَه النارَ**»[٧].

وعن أبي الدَّرْداءِ[٨] رضي الله عنه، أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**أَشَرُّ[٩] الناس**

---

(١) «أيضًا» ليس في (ق) و(س). (٢) في (ق): «غرض».

(٣) «سنن أبي داود» (٣٦٦٤)، و«سنن ابن ماجه» (٢٥٢)، وصحَّحه المناوي في «كشف المناهج والتناقيح» (١: ١٦٥).

(٤) انظر: «الصحاح» (٤: ١٤٠٠)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣: ٢١٧)، و«القاموس المحيط» (٨٣٦)، و«تاج العروس» (٢٤: ١٣٤).

(٥) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٦).

(٦) «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١: ٢٣٧).

(٧) «جامع الترمذي» (٢٦٥٤)، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسحاق بن يحيى بن طلحة ليس بذاك القوي عندهم، تُكلِّم فيه من قِبَل حفظه».

(٨) في (س): «وعن أبي هريرة»، وفي (ق) و(د): «وعن أُبي»، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج.

(٩) في النسخ: «أشد»، والمثبت موافق لما في مصادر التخريج.

عذابًا يومَ القيامةِ عالِمٌ لا يُنتفَعُ بعِلمِه»(١).

وقال ﷺ: «**شِرارُ الناسِ شرارُ العلماء**»(٢).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: «يا حَمَلةَ العلم، اعمَلوا به؛ فإنّما العالِمُ مَن عمل بما عَلِم، ووافَقَ علمُهُ عَملَه، وسيكون أقوامٌ يَحمِلُون العلمَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهم، يُخالِف عَملُهم عِلمَهم، وتُخالِفُ سريرتُهم علانيتَهم، يجلسون(٣) حِلَقًا يُباهي بعضُهم بعضًا، حتَّى إنّ الرجلَ لَيغضَبُ(٤) على جليسِه أن يجلسَ إلى غيرِه ويَدعَه، أولئك لا تَصعَدُ أعمالُهم في مجالِسِهم تلك إلى الله تعالى»(٥).

وعن حمّادِ بنِ سلمة: «مَن طلب الحديثَ لغيرِ الله مَكرَ الله به»(٦).

وروى الحافِظُ أبو نُعَيم، أنّه لمّا أُسرِيَ برسول الله ﷺ قال: «**مررتُ بأقوامٍ تُقرَضُ(٧) شِفاهُهم(٨) بمقاريضَ من نار، كلَّما قُرِضَت وفَّت(٩)، فقلت: مَن هؤلاء يا أخي(١٠) يا جبريلُ؟ فقال: خطباءُ من أمَّتك يقولون ما لا يفعلون**»(١١).

والآثارُ والأخبارُ والآياتُ في ذلك كثيرة، **ومن جُملَتِها**: قولُه سبحانه وتعالى:

---

(١) في (س): «به»، والحديث في «سنن الدارمي» (٢٦٨)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١: ٦٢٧).
(٢) «مسند البزار» (٢٦٤٩)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٤٢).
(٣) في (د): «يجلون».
(٤) في (س): «لغضب».
(٥) «سنن الدارمي» (٣٩٤)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١٢٣٤).
(٦) «حلية الأولياء» (٦: ٢٥١)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١١٥٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٠: ١٥٠).
(٧) في (ق): «تقرظ».
(٨) في (ق) و(د): «مشافرهم».
(٩) «وفت» موضعها بياض في (س).
(١٠) قوله: «يا أخي» ليس في (د).
(١١) «حلية الأولياء» (٢: ٣٨٦).

﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]، والمَقتُ أشدُّ البُغض[1]، عافانا الله تعالى من ذلك، إنّه وليُّ ذلك، واللهُ أعلم.

---

(١) انظر: «تفسير السمعاني» (٥: ٤٢٥)، و«تفسير البغوي» (٨: ١٠٨)، و«تفسير ابن عطية» (٥: ٣٠١).

الصفة الرابعة
التواصي بالصبر

اعلم أنّ الصبرَ زمامُ سائر الخصال، وزعيمُ الغُنْم والظَّفر بغايات المطلوب، ومِلاكُ كلِّ فضيلة، وبه يُنالُ كلُّ خيرٍ ومَكرُمة، ألم تَسمَع قولَه تعالى: ﴿وَتَمَّتْ [٢٨/أ] كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟﴾ [السجدة: ٢٤].

قال سفيانُ بنُ عُيينة: «لمّا أخذوا برأسِ الأمرِ جعَلَهُم الله تعالى رُؤوسًا»[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

قال العُلماء: «مُعظمُ الوظائف التي ذَكَرَ الله تعالى ورسولُه جَعَلَ لها جزاءً معلومًا لِمَن أقامَ بها إلّا الصبر، فإنّ القائمَ به جزاؤُه بغير حساب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]»[(٢)].

قال عليٌّ رضي الله عنه: «كلُّ مُطِيعٍ يُكالُ له كيلًا ويُوزَنُ له وزنًا إلّا الصابرونَ؛ فإنّه يُحثى عليهم[(٣)] حثيًا»[(٤)].

قال أهلُ التفسير: «يُؤتَى بأهل البلاء، فلا يُنصَبُ لهم ميزان، ولا يُنشَرُ

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦: ٣٧٢). (٢) انظر: «قوت القلوب» (١: ١٣٣).

(٣) في (ق): «عليه».

(٤) انظر: «تفسير السمعاني» (٤: ٤٦٢)، و«تفسير البغوي» (٧: ١١١)، و«تفسير القرطبي» (١٥: ٢٤١).

لهم ديوان، ويُصَبُّ عليهم الأجرُ صَبًّا بغير حساب، حتَّى يتمنَّى أهلُ العافيةِ في الدنيا أنّ[١] أجسادَهُم تُقرَضُ بالمقاريضِ ممّا يذهبُ به أهلُ البلاء من الفضل»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١]، والآياتُ في الصبر باعتبار الأمر به[٣] وبيانِ فضيلته كثيرةٌ.

وأمّا الأخبارُ فكثيرةٌ جدًّا، منها:

ـ قولُه ﷺ: «**من يَستَعفِف[٤] يُعِفُّه الله، ومَن يَستَغنِ يُغنِه الله، ومَن يَتصبَّر يُصَبِّره الله، وما أُعطِيَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ من الصبر**»[٥]، رواه البخاريُّ ومُسلِمٌ.

ـ وعن صُهَيبِ بنِ سنانٍ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنّ أمرَه كلَّه خيرٌ له، وليس ذلك لأحدٍ إلّا للمؤمن**[٦]**، إن أصابَته سرّاءُ فشَكَرَ كان خيرًا له**[٧]**، وإن أصابَته ضرّاءُ فصَبَرَ كان خيرًا له**»[٨]. رواه مسلمٌ.

ـ وعن أبي مالكٍ الحارثِ بن عاصمٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الطُّهورُ شَطرُ الإيمان، والحمدُ لله تملأُ الميزان، وسُبحانَ**[٩] **الله**[١٠]

(١) «أنَّ» ليس في (د).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٧: ١١١)، و«تفسير الرازي» (٢٦: ٤٣١).

(٣) في (د): «الأمرية».

(٤) في (د): «يستعف».

(٥) «صحيح البخاري» (١٤٦٩)، و«صحيح مسلم» (١٠٥٣).

(٦) في (د): «للمؤمنين».

(٧) قوله: «كان خيرًا له» ليس في (س) و(د).

(٨) «صحيح مسلم» (٢٩٩٩).

(٩) من هنا لنهاية الحديث ليس في (س).

(١٠) لفظ الجلالة ليس في (د).

والحمدُ لله تملآنِ ـ أو تملأُ ـ ما بين السَّماواتِ والأرض، والصلاةُ نور، والصدقةُ بُرهان، والصبرُ ضياءٌ[١]**، والقرآنُ حُجّةٌ لكَ أو عليك، كلُّ الناس يَغدُو فبائعٌ نفسَه فمعتقُها أو مُوبِقُها»**[٢]. رواه مُسلِم.

هذا حديثٌ عظيمٌ اشتملَ على مُهِمّاتٍ ينبغي الاعتناءُ بها؛ فإنّ بها سعادةَ الأولى والأخرى.

أمّا كونُ الطُّهورِ شَطرَ الإيمان[٣] ففي ذلك ما يُؤكِّدُ الاعتناءَ به، وقد اختَلفَ العُلماءُ في معنى ذلك هنا، فقيل: لأنّ الأجرَ فيه ينتهي تَضعِيفُه إلى نصفِ أجرِ الإيمان، ويا لها من فائدة.

وقيل: إنّ معناه: أنّ الإيمانَ يَجُبُّ ما قبلَه من الخطايا، وكذا الوضوء، إلّا أنّ الوضوءَ/ لا يصحُّ إلّا مع الإيمان، فصارَ لتوقُّفِه على الإيمان في معنَى الشطر. [٢٨/ب]

وقيل: المُرادُ بالإيمان هنا: الصلاةُ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، والطهارةُ شرطٌ في صحّة الصلاة، فصارَت كالشطر، وقيلَ غيرُ ذلك[٤].

والطُّهورُ بضمِّ الطاء عند الأكثرين، ويجوزُ فتحُها، والله أعلم.

وأمّا معنى: «**والحمدُ لله تملأُ الميزانَ**»، أي: عِظَمُ أجرِ هذه الكلمةِ يملؤه[٥]، والله أعلم[٦].

---

(١) قوله: «والصبر ضياء» ليس في (د). (٢) «صحيح مسلم» (٢٢٣).

(٣) «الإيمان» ليس في (ق).

(٤) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» (١: ٣٤٧)، و«المسالك في شرح موطأ مالك» (٢: ٧٥-٧٦)، و«شرح النووي على مسلم» (٣: ١٠٠).

(٥) في (س): «يملاؤه».

(٦) انظر: «فيض القدير» (١: ٤٨٤)، و«مرعاة المفاتيح» (٢: ٢)، و«ذخيرة العقبى» (٢١: ٣٨٦).

وأمّا معنى: «**وسُبحانَ الله والحمدُ لله**[١] **تملآنِ ـ أو تملأُ ـ ما بينَ السَّماواتِ والأرض**»، فقيل: لو قُدِّرَ ثَوابُهُما جِسمًا لملأ ما بين السَّماواتِ والأرض، وسَبَبُ فَضلِهما ما اشتملَتا عليه[٢] من التنزيهِ لله تعالى بقوله: سُبحانَ الله، والتفويضِ[٣] والافتقارِ إلى الله تعالى بقوله: والحمدُ لله[٤]، والله أعلم.

وأمّا كونُ «**الصلاةُ نورٌ**» فلأنّها تَمنَعُ من المعاصي، وتَنهَى عن الفحشاءِ والمُنكَر، وتَهدِي إلى الصواب، كما أنّ النورَ يُستضاءُ به، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إنّا لله وإنّا إليهِ راجعونَ على مُصيبتنا[٥] بسببِ صَلاةٍ لا تَنْهى عن الفحشاءِ والمنكر[٦]، كم من فاحشةٍ ومُنكَرٍ ترتكِبُه[٧] حتَّى في نفس الصلاة، وأقلُّه جوَلانُ الفِكر، وهو سببُ إعراضِ الله تعالى عن العبد؛ لأنّ العبدَ إذا كبَّرَ ورفعَ[٨] يدَيه فقد كبَّرَ عظيمًا، وجعلَ رَفعَ يدَيه إشارةً إلى أنّ ما ثمَّ[٩] إلّا الله، فإذا جالَ فِكرُه بسبب نَظرِه أو غيرِ ذلك تَحوَّلَ عن تلكَ الصفة، فجاءَ[١٠] الإعراض، فعُوقِبَ به، ثمَّ إنّه مع ذلك تدعُو عليه صلاتُه بالضياع، فيأتي بالصلاةِ على أنّها نورٌ فينعَكِسُ عليه ظُلمةً.

---

(١) من قوله: «تملأ الميزان» إلى هنا ليس في (د).

(٢) «عليه» ليس في (د).

(٣) «والتفويض» ليس في (س).

(٤) انظر: «فيض القدير» (١: ٤٨٤).

(٥) في (د): «مصيبات».

(٦) قوله: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون على مصيبتنا بسبب صلاةٍ لا تنهى عن الفحشاء والمنكر» ليس في (ق).

(٧) في (ق): «نرتكبه».

(٨) في (س): «رفع» بدون الواو.

(٩) في (س) و(د): «تم».

(١٠) في (د): «في».

لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله، من حالٍ يَدَّعي الشخصُ أنّه بها في الحضرةِ وهو مطرودٌ ممقوت(١)، فإذا كانَ الشخصُ في حال عبادَتِه مطرودًا، فكيف حالُه في غيرِها، فهو في ظُلمة الظلمة.

وقيل: معنى: «**والصلاةُ نورٌ**»، أي: يكونُ أجرُها نورًا لصاحِبِها يومَ القيامة.

وقيل: لأنّها سببٌ لإشراقِ أنوار المعارفِ وانشراحِ القلب، ومُكاشَفات الحقائق بفراغ(٢) القلب، وإقباله إلى الله بظاهِرِه وباطنِه(٣)، ولَعَمري هذه الصلاةُ التي يُطفِئُ نورُها نورَ النار.

أخبَرَني بعضُ أصحابي ـ وكان من أقرانِ مشايخي، وكان له فضلٌ، وزادَ على أصحابه بكَثرةِ العبادةِ من الحجِّ والمُجاورةِ وغيرِها ـ قال: جلستُ يومًا في الجامعِ الأقصى، فتلوتُ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فحاكَ في صدري شيءٌ ممّا أرى من هذه الصلاةِ التي نأتي(٤) بها، وتصدرُ مع ذلك أمورٌ، فلقِيتُ شخصًا، [٢٩/أ]
وكان ذلك من العُلماءِ بالكتاب والسُّنّة، وله مجاهَدات، قال: فجلستُ إليه، وذكرتُ له ذلك، فأطرقَ الشيخُ ساعةً، ثمَّ رفعَ رأسَه، والتفتَ إليّ، وقال لِي(٥): صَدقَ الله العظيم، ثمَّ قال: إنّ الصلاةَ التي هي صلاة ـ وعَنَى بذلك إليَّ ـ الصلاةُ التي ذكَرَها الله تعالى، ولهذا قال عبدُ الله(٦) بنُ مسعودٍ

(١) في (د): «وممقوت». (٢) في (ق) و(د): «الفراغ».
(٣) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣: ١٠١)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٣: ٧٣٩-٧٤٠)، و«حاشية السيوطي على سنن النسائي» (٥: ٦).
(٤) في (ق): «تأتي». (٥) «لي» ليس في (ق) و(س).
(٦) قوله: «عبد الله» ليس في (د).

رضي الله عنه: «مَن لم تأمُره الصلاةُ بالمعروف[١]، وتنهاهُ عن المُنكر؛ لم يَزدَدْ بها[٢] من الله إلّا بُعدًا»[٣].

إنّا لله وإنّا إليه راجعون من صلاةٍ نزدادُ بها بُعدًا، أيُّ فتنةٍ أعظمُ من هذه[٤]!

وقيل: معنى: «**الصلاةُ نورٌ**»، أي: نورٌ ظاهرٌ على وجه المُصلِّي يومَ القيامة، ويكونُ على وجهِه في الدُّنيا بَهاء، بخلافِ مَن لم يُصلِّ[٥]. والله أعلم.

وأمّا كونُ «**الصدقة بُرهان**» قيل: معناه: يُفْزَعُ إليها كما يُفزَعُ[٦] إلى البراهين.

والبُرهانُ هو: الدليلُ والحُجّة[٧].

فكأنّ العبدَ إذا سُئِلَ يومَ القيامةِ عن مَصرِف مالِه كانت الصدقةُ برهانًا في جواب السؤال، فيقول: تصدَّقتُ به.

وقيل: إنّ المُتصدِّقَ يُوسَمُ بعلامةٍ يُعرَفُ بها، فتكونُ بُرهانًا له عن حالِه، ولا يُسألُ عن مصرِف مالِه، ويكونُ هذا بهذا المعنى مُخَصِّصًا لعموم[٨]: «**لا تَزِلُّ قَدَمٌ عن قَدَمٍ حتَّى[٩] يُسألَ عن ثلاثٍ أو أربع، منها: وعن ماله ممّا اكتسبَه، وفيما أنفقَه**»[١٠].

---

(١) «بالمعروف» ليس في (ق) و(س). (٢) «بها» ليس في (ق).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٦: ٤٦٥). (٤) في (س): «هذا».

(٥) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣: ١٠١)، و«المفاتيح في شرح المصابيح» (١: ٣٤٦)، و«حاشية السيوطي على سنن النسائي» (٥: ٦).

(٦) كأنها في (س): «يقرع».

(٧) انظر: «النهاية» (١: ١٢٢)، و«تاج العروس» (٥: ٤٦٤).

(٨) «لعموم» ليس في (ق).

(٩) «حتى» ليس في (س)، وفي حاشية (ق): «لعله سقط هنا».

(١٠) «جامع الترمذي» (٢٤١٧)، قال الترمذي عقبه: «هذا حديث حسن صحيح».

وقيل: الصدَقةُ حُجّةٌ على إيمانِ فاعِلها؛ فإنّ المُنافِقَ يَمتَنِعُ منها؛ لكَونه لا يعتقدُها، فمن تصدَّقَ استُدِلَّ بصَدقَتِه على صِدقِ إيمانِه[١]. والله أعلم.

وأمّا قوله ﷺ: «**والصبرُ ضِياءٌ**» فمعناه: الصبرُ المحبوبُ في الشرع، وهو: الصبرُ على طاعةِ الله تعالى، والصبرُ عن معصيةِ الله تعالى، وكذا الصبرُ على النائباتِ وأنواعِ المَكارِه في الدنيا.

والمراد: أنّ الصبرَ محمودٌ لا يزالُ صاحبُه مُستضيئًا مُهتدِيًا مُستمرًّا على الصواب، والله أعلم.

واعلم أنّ في الصبرِ أحاديثَ سنُورِدُ بعضَها بعد ذِكرِ حدِّ الصبر، وللقوم عباراتٌ في الصبر[٢]:

قال ابنُ عطاء: «هو الوقوفُ مع البلاءِ[٣] بحُسن[٤] الأدب».

وقال رُوَيم[٥]: «تَرْكُ الشكوى من أَلَم البلوى».

وقال بعضُهم: «هو الغنى في البلوى بلا ظُهُور الشكوى».

---

(١) انظر: «شرح النووي على مسلم» (٣: ١٠١)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٣: ٧٤٠)، و«تحفة الأحوذي» (٩: ٣٥٠).

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٢٣)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ٣٢٨)، و«عدة الصابرين» (١٦)، و«مدارج السالكين» (٢: ١٥٧)، و«سبل الهدى والرشاد» (١: ٤٧٦).

(٣) كذا في المصادر، وفي النسخ: «الوقوف مع الله».

(٤) في (د): «مع حسن».

(٥) في (د): «بعضهم»، وهو: رُوَيم بن أحمد بن يزيد بن رويم، يكنى: أبا محمد، وهو من أهل بغداد من جِلّة مشايخهم، كان فقيهًا على مذهب داود الأصبهاني، وكان مُقرئًا، فقرأ على إدريس بن عبد الكريم الحداد، مات سنة ثلاث وثلاث مئة. انظر ترجمته في: «سير السلف الصالحين» (١١١٣)، و«الأعلام» للزركلي (٣: ٣٧).

وقال بعضُهم: «هو المُقامُ مع البلاء بحُسنِ الصحبة كالمُقام مع العافية».

وقال بعضُهم: «هو تَلقِّي بلائِه بالرحبِ والدعةِ».

وقال الخَوّاص: «الصبر: الثباتُ على أحكام الكتاب والسُّنّة». [٢٩/ب]

وقال بعضُهم[١]: «الصبر: هوَ[٢] حبسُ النفسِ عندَ وُرودِ المَصائبِ المُؤلِمة الكريهة».

وقال بعضُهم: «الصبر: عبارةٌ عن ثباتِ باعِث الدينِ في مُقابَلةِ باعِث الشهوة، وتَركُ الأفعالِ المشتَبِهات[٣]»، وقيل غيرُ ذلك.

وعندي أنّ الصبرَ حملُ النفس على تنفيذ: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان: ٢٤]، حتَّى يَنتَهيَ إلى حالةٍ يَجِدُ فيها حلاوةَ المِحَنِ كما يجدُ حلاوةَ المِنَح.

ويُقال أيضًا: معاكسةُ النفسِ فيما تُحِبُّ.

قال عيسى عليه الصلاةُ والسلام: «إنّكم لا تُدرِكُونَ ما تُحِبُّونَ[٤] إلّا بالصبرِ على ما تَكرهُون»[٥].

واعلم أنّ الصبرَ من أخلاقِ الأنبياء، فمَنْ أكرمَه الله تعالى بكرامةِ[٦] الأنبياء أدخَلَه الجنّة، وقد جاءَ في الحديثِ من روايةِ أنسٍ رضي الله عنه، قال: قال[٧]

---

(١) «بعضهم» ليس في (د). (٢) «هو» ليس في (ق) و(س).

(٣) في (س): «المشبهات». (٤) في (س): «تحسبون».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ٤٥٢)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٣٦٥)، و«مرآة الزمان» (٢: ٣١٨).

(٦) في (د): «بكرامات». (٧) في (ق): «قال: سمعت».

رسول الله ﷺ: يقولُ الله تعالى[١]: «**إذا ابتَلَيتُ عبدي بحبيبتَيه فصبرَ عوَّضتُه منهما**[٢] **الجنّةَ**»[٣]، يُريد: عينَيه[٤]، رواه البُخاريّ.

ـ وعن عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابنُ عبّاسٍ[٥] رضي الله عنهما: ألا أُرِيكَ امرأةً من أهل الجنّة؟ قلت: بلى، قال: هذه[٦] المرأةُ السوداء، أتت النبيَّ ﷺ فقالت: إنّي أُصرَع، وإنّي أتكَشَّف[٧]، فادعُ الله لي، قال: «**إن شِئتِ صَبَرتِ ولكِ الجنّة، وإن شِئتِ دَعَوتُ الله لكِ أن يُعافيَك**»، فقالت: أصبِر، فادعُ الله لي[٨] ألّا أتكَشَّف، فدعا لها[٩]. رواه البخاريُّ ومسلم.

ـ وعن أبي سعيد الخدريِّ وأبي هريرةَ رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما يُصيبُ المسلمَ من نَصَبٍ ولا وَصَب، ولا هَمٍّ ولا حَزن، ولا أذًى ولا غَمّ، حتَّى الشوكةُ يُشاكُها، إلّا كَفَّرَ الله بها من خطاياه**»[١٠]. رواه البخاريُّ ومسلم. والوَصَب: المرضُ[١١].

---

(١) قوله: «يقول الله تعالى» ليس في (ق) و(س).

(٢) في (س): «منها»، وفي (د): «عنهما». (٣) «صحيح البخاري» (٥٦٥٣).

(٤) انظر: «شرح صحيح البخارى» لابن بطال (٩: ٣٧٧)، و«شرح المشكاة» للطيبي (٤: ١٣٤٣)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٠: ١١٦).

(٥) في (د): «عنان». (٦) «هذه» ليس في (د).

(٧) في (د): «أنكشف». (٨) «لي» ليس في (س).

(٩) «صحيح البخاري» (٥٦٥٢)، و«صحيح مسلم» (٢٥٧٦).

(١٠) «صحيح البخاري» (٥٦٤١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٧٣).

(١١) انظر: «المحيط» (٢: ٢٣٦)، و«الصحاح» (١: ٢٣٣)، و«النهاية» (٥: ١٩٠)، و«لسان العرب» (١: ٧٩٧)، و«القاموس المحيط» (١٤١)، و«تاج العروس» (٤: ٣٤٣).

ـ وفي روايةٍ لهما: «**ما من مُسلمٍ يُصيبُه أذى شوكةٌ فما فوقَها إلّا كَفَّرَ الله بها سيئاتِه كما تَحُطُّ الشجرةُ ورَقَها**»[١].

ـ وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من يُرِدِ الله به خيرًا يُصَب**[٢] **منه**»[٣]، رواه البخاري، ويجوزُ في الصاد الفتحُ والكسر.

ـ وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**إذا أرادَ الله بعبدِه الخيرَ عَجَّلَ له العُقوبةَ في الدنيا، وإذا أرادَ بعبدِه الشرَّ أمسَكَ عنه بذنبِه حتَّى يُوافِيَ**[٤] **يومَ القيامة**»[٥].

ـ وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**إنّ عِظمَ**[٦] **الجزاءِ**[٧] **مع عِظَمِ البلاء، وإنّ الله عزَّ وجلَّ إذا أحبَّ قومًا ابتلاهُم، فمَن رَضيَ فله الرِّضَا، ومَن سَخِطَ فلَه السُّخطُ**»[٨]، رواه الترمذيّ، وقال: «حديثٌ حسنٌ».

[٣٠/أ] ـ وفي «**صحيحِ مُسلم**»: مات ابنٌ لأبي طلحةَ من أُمِّ/ سُلَيم، فقالت لأهلِه[٩]: لا تُحَدِّثُوا أبا طلحةَ بابنه حتَّى أكونَ أنا أُحدِّثُه، فجاء، فقرَّبَت له عَشاءً[١٠] فأكَلَ وشَرِب، ثمَّ تَصنَّعَت له أحسنَ[١١] ما كانت تصنعُ قبلَ ذلك، فوقعَ بها، فلمّا رَأت أنّه قد شَبِعَ وأصابَ منها قالت: يا أبا طلحة، أرأيتَ لو أنّ قومًا أعاروا عاريَتَهم أهلَ بيت، فطلبوا عاريَتَهم، ألَهُم أن يمنَعُوهم؟ قال: لا.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٦٤٨)، و«صحيح مسلم» (٤: ١٩٩١).
(٢) في (د): «يصيب».
(٣) «صحيح البخاري» (٥٦٤٥).
(٤) «يوافق» ليس في (د).
(٥) «جامع الترمذي» (٢٣٩٦).
(٦) في (ق): «أعظم».
(٧) قوله: «الجزاء» تكرر مرتين في (د).
(٨) «جامع الترمذي» (٢٣٩٦).
(٩) في «صحيح مسلم»: «لأهلها».
(١٠) في (س): «عيشًا».
(١١) في (د): «أحسنت».

قالت: فاحتَسِب ابنَك، قال: فغضِب، ثمَّ قال: تركتِيني حتَّى تلطَّخت، ثمَّ أخبرتيني بابني. فانطلَقَ حتَّى أتى رسولَ الله ﷺ فأخبرَه بما كان منها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**بارَكَ الله لكُما في ليلتِكما**»، فحَمَلَت، قالت: وكان رسولُ الله ﷺ في سَفَرٍ وهي معه، وكان رسولُ الله ﷺ إذا أتى المدينةَ لا يَطرُقُها طروقًا، فدَنَوا من المدينة، فضَرَبَها المخاضُ[١]، فاحتبس عليها أبو طلحة، وانطلقَ رسولُ الله ﷺ، قال: يقولُ أبو طلحة: إنّك لتَعلَمُ[٢] يا ربِّ أنّه يُعجِبُني أن أخرُجَ مع رسولِ الله ﷺ إذا خَرَج، وأدخُلَ معه[٣] إذا[٤] دَخَل، وقد احتبستُ بما ترى.

تقول أُمُّ سُلَيم: يا أبا طلحة، ما أجِدُ الذي كنتُ أجِد، انطَلِق، فانطَلَقنا، وضَرَبَها[٥] المخاضُ حين قَدِمنا، فولَدَت غُلامًا، فقالت لي أُمِّي: يا أنس، لا يُرضِعه أحدٌ حتَّى تَغدو به على رسول الله ﷺ، فلمّا أصبَحَ احتَمَلتُه فانطلَقتُ به إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: «**أمعَه شيءٌ؟**»، قال: نعم، تمرات، فأخذَه النبيُّ ﷺ، ثمَّ أخذَها من فِيه فجعَلَها في فِي الصبيِّ، ثمَّ حنَّكَه وسمّاه: عبد الله[٦].

ـ وفي روايةِ البخاريِّ[٧]: قال ابنُ عُيينة: فقال رجلٌ من الأنصار: فرأيتُ تسعةَ أولادٍ كلُّهم قد قرأ[٨] القرآن[٩]، يعني: من أولادِ عبدِ الله المولود.

---

(١) في (س): «الطلق».
(٢) في (د): «تعلم».
(٣) قوله: «وأدخل معه» ليس في (د).
(٤) في (س): «إذ»، وفي (د): «وإذا».
(٥) في (د): «فضربها».
(٦) «صحيح مسلم» (٢١٤٤).
(٧) في (ق) و(د): «للبخاري».
(٨) في (د): «قرأو».
(٩) «صحيح البخاري» (١٣٠١).

ـ وعن معاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه، أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**من كَظَمَ غيظًا وهو قادِرٌ على أن يُنفِذَه دعاه الله على رُؤوسِ الخلائقِ يومَ القيامة حتَّى يُخيِّرَه من الحُورِ ما شاءَ**»[١]، رواهُ أبو داود، والترمذيّ، وقال: «حديثٌ[٢] حسنٌ»[٣].

ـ وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما يَزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في نفسِه وولَدِه ومالِه حتَّى يَلقَى الله تعالى وما عليه خطيئةٌ**»[٤]، رواه الترمذيّ، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»[٥].

واعلم أنّ الأخبارَ والآياتِ في الصبر كثيرة، ويَكفي في شرَفِه قولُ الله تعالى في حقِّ أيُّوبَ عليه الصلاةُ والسلام: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[٦] [ص: ٤٤].

[٣٠/ب] وقد عَلِمتَ أنّ «نِعْمَ» من أفعالِ المدح، وناهيكَ شَرَفًا أنّ الصبرَ أثمَرَ ثناءَ ربِ العالمين، ثمَّ الصبرُ يختلفُ باختلاف طَبَقات الناس.

فالصبرُ للمُريد[٧] هو الاستعانةُ[٨] بالله، ولهذا[٩] قال يُوسُفُ عليه الصلاةُ والسلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، يعني: غير[١٠] الصابرين.

---

(١) «جامع الترمذي» (٢٠٢١)، و«سنن أبي داود» (٤٧٧٧).

(٢) «حديث» ليس في (د).

(٣) في (س): «حديث حسن صحيح».

(٤) «جامع الترمذي» (٢٣٩٩).

(٥) الحديث سقط كله من (س).

(٦) قوله تعالى: «﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾» ليس في (ق).

(٧) في (س): «المريد».

(٨) في (ق): «الاستغاثة».

(٩) من قوله: «في حق أيوب عليه الصلاة والسلام» إلى هنا ليس في (د).

(١٠) «غير» ليس في (س) و(ق).

والتصَبُّرُ للعارف(١)، وهو السكون، كما قال يعقوبُ عليه الصلاةُ والسلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ٨٣]، أي: لا شَكوى فيه(٢).

وأمّا الاصطِبارُ فهو حالُ سيِّدِ السابقينَ واللاحقين محمَّدٍ ﷺ، كما في قوله: ﴿وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾ [مريم: ٦٥].

والصَّبّارُ(٣) هو: الذي يمرُّ به البلاءُ فيَرى اختيارَ الله في ذلك، فيَشكُرُه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣]، يَصبِرُ ويَشكُرُ في الصبر.

قال بعضُ أهل التفسير في قولِه تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾(٤) [الرعد: ٢٤]، أي: صَبَرتُم علينا فوصَلتُم إلينا.

قِيلَ للسيِّدِ الجليلِ الفُضَيل: ما رأسُ الدِّين؟ قال: العقل، قيل له(٥): وما رأسُ العقل؟ قال: الحِلم، قيل له(٦): وما رأس الحِلم(٧)؟ قال: الصبر.

وقد قيل: الصبرُ من الإيمان بمنزلةِ الرأس من الجسد، ويُروَى عن عليٍّ رضي الله عنه(٨)، وقد رواهُ بعضُهم حديثًا: قال بعضُ العارفين: «الصبرُ ثَمرةُ اليَقين».

---

(١) في (س): «المعارف».

(٢) انظر: «تفسير السمعاني» (٣: ١٦)، و«تفسير القرطبي» (٩: ١٥١)، و«تفسير البيضاوي» (٣: ١٥٨).

(٣) في (د): «والصابر».

(٤) في (د): «﴿صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ﴾».

(٥) «له» ليس في (ق).

(٦) «له» ليس في (ق) و(س).

(٧) قوله: «قال: الحلمُ، قيل: وما رأس الحلم» ليس في (ق).

(٨) انظر: «الزهد» لوكيع (١٩٩)، و«أدب الدنيا والدين» (٧٤)، و«الرسالة القشيرية» (١: ٣٢٢).

قال السيِّدُ الجليلُ أبو القاسم الجُنَيد: «يقول الله تعالى: لو أنّ ابنَ آدمَ قَصَدَني في أوَّل المصائبِ لرأى منِّي العجائب، ولو انقطعَ إليَّ في أوَّل النوائب لشاهدَ منِّي الغرائب، ولكنَّه انصرَفَ إلى إشْكالِه فرُدَّ في إشْغالِه»[١].

قال عمرٌو المكِّيّ: «مَن صَبَرَ على رُؤية العوض يكونُ صبرُه مَشوبًا، ومن صَبَرَ على رُؤية المِنّة يكونُ متلذِّذًا بالبلاء كما يكونُ متلذِّذًا بالنعمة»[٢].

قال بعضُهم: «علامةُ الصبر ثلاثة: تركُ الشكوى، وصِدقُ الرِّضا، وقَبولُ القضاء بحلاوة القلب»[٣].

وعن عبد الله بن المبارك أنّه قال: «لا تجزَع من الهُموم؛ فإنّها بمنزلةِ ضيفٍ نَزَلَ فأحسِنْ صُحبَتَه حتَّى يَرتَحِلَ وهو عنك راضٍ».

وسُئِلَ عبدُ الله بنُ مبارك: متى يجوزُ للعبد أن ينفيَ[٤] الأسبابَ[٥] عن نفسه؟ قال: إذا كان في التدبيرِ كأصحابِ القُبور، فما دامَ يتحرَّكُ منه عِرقٌ واحدٌ فليسَ له ذلك[٦].

كان لمحمَّد بن حامدٍ الترمذي[٧] صديقٌ نُقِبَ بَيتُه وذُهِبَ بمتاعه، فجاءَه

---

(١) انظر: «قوانين حكم الإشراق» (١٥٢). (٢) انظر: «تفسير السلمي» (١: ٨٩).

(٣) انظر: «ذم الهوى» (٦٢)، و«بريقة محمودية» (٣: ٨٠)، و«طبقات الصوفية» للسلمي (٢٢٣).

(٤) في (د): «يتقي». (٥) كذا في المصادر، وفي النسخ: «الأشياء».

(٦) انظر: «تهذيب خالصة الحقائق» (٤٢٨).

(٧) «الترمذي» ليس في (ق)، وهو: أبو بكرٍ محمد بن حامد بن محمد بن إسماعيل بن خالد الترمذي، من أعيان مشايخ خراسان وأطهرهم خلقًا وأحسنهم سياسةً، لقي المشايخ ببلخ، مثل: أحمد بن خضرويه ومَن دونه، وله أصحاب ينتمون إليه. انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» (٢١٧).

وذكرَ له(١) ذلك، فقال: كان المُتقدِّمُونَ يَفرَحُونَ بمثل هذا(٢)، حتَّى إنّ فرَحَهُم يَحملهم على أن(٣) يتصدَّقُوا بالباقي.

وسُئِلَ السَّريُّ(٤) عن الصبرِ فجَعَلَ يتكلَّمُ فيه، فدَبَّ على رِجلِه عقرب، فجَعَلَت تَضربُه بإبرَتِها، فقيلَ له: ألا تَدفَعها عن نَفسِكَ؟ فقال: أسْتَحيِي [٣١/أ] من الله أن أتكلَّمَ في حالٍ ثمَّ أُخالِفُ ما أتكلَّمُ فيه(٥).

قال(٦) الأصمعيّ: أُصيبَت امرأةٌ من الأعراب بابنٍ لها، فأحسَنَتِ العزاءَ والصبرَ عليه، فقيل له: ما رأيناكِ جَزِعتِ على ابنك؟

فقالت: إنّ القلبَ يحترق، والكبدَ(٧) ينقطعُ(٨)، ولكن(٩) آثَرتُ طاعةَ الله على محبّةِ الشيطان(١٠).

وقال الفُضَيل: «الصبرُ في السرّاءِ نعمةُ التفضيل، وفي الضرّاء نعمةُ التطهير، فكُن في السرّاءِ عبدًا شَكورًا، وفي الضرّاء عبدًا صَبُورًا».

قيل ليحيى بن معاذٍ رضي الله عنه: إنّ(١١) قومًا يغتابونك(١٢)، قال: مَهْ، إن غَفَرَ الله تعالى لي فلا تَضُرُّني غِيبتُهم، وإن عذَّبَني فأنا شرٌّ ممّا قالوا.

---

(١) «به» ليس في (د).
(٢) في (ق) و(د): «بمثله».
(٣) «أن» ليس في (س).
(٤) في (س): «الثوري».
(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٢٧).
(٦) «قال» تكرر مرتين في (د).
(٧) في النسخ: «والقلب»، والمثبت موافق لما في المصادر.
(٨) في (ق) و(س): «يتقطع».
(٩) «ولكن» ليس في (د).
(١٠) انظر: «تهذيب خالصة الحقائق» للفريابي (١: ٤٢٨).
(١١) «إن» ليس في (س).
(١٢) في (ق): «يغتابوك».

ابتُليَ رجلٌ بالعَمى فصبَر، ولم يَنقَطع عن الخروجِ إلى المسجد، فخرجَ ليلةً مُمطرةً[١]، فقالت له امرأتُه: لِمَ لا تُصلِّ في البيت؟ فقال: أخرُجُ إلى المسجدِ لكي أُؤدِّيَ شُكرَ يَدَيَّ ورِجلَيّ، فلمّا أصبَحَ أصبَحَ بصيرًا، فقال: نِعم الربُّ ربِّي، شكرتُه فجازاني بما هو أهلُه.

لله دَرُّه من رجلٍ صبورٍ شكور.

قال عبدُ الله البصريّ: «وَقَفَ رجلٌ على الشِّبليّ، فقال: أيُّ صبرٍ أشدُّ على الصابر؟ قال: الصبرُ في الله؟ قال: لا، قال: الصبرُ لله؟ قال: لا، قال: الصبرُ مع الله؟ قال: لا، قال: فأيُّ شيء؟ قال: الصبرُ عن الله، فصرخَ الشِّبليُّ صرخةً كادَت رُوحُه تذهبُ»[٢].

والصبرُ عنكَ فمَذمُومٌ[٣] عَواقِبُه ... والصَّبرُ في سائرِ الأشياءِ مَحمودُ[٤]

وقال بعضُهم: المُصِيبةُ بالصَّبرِ أعظَمُ المُصِيبَتَينِ[٥].

قال بعضُهم:

ويَمنَعُني الشَّكوَى إلى الناسِ أنّني ... عَلِيلٌ ومَن أشكو إليه عَلِيلُ
ويَمنَعُنِي الشَّكوَى إلى الله أنّه[٦] ... عَلِيمٌ بما ألقاهُ قَبلَ أقُولُ

(١) في (ق): «مطيرة».

(٢) انظر: «الرسالة القشيرية» (١: ٣٢٤)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٨٠)، و«الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ٣٢٧).

(٣) في (س): «محمود».

(٤) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٨٠).

(٥) انظر: «أدب الدنيا والدين» (٢٩٨).

(٦) كأنها في (س): «أنني».

واعلم رَحِمَكَ الله عزَّ وجلَّ أيُّها المُصابُ أنّ هاهُنا دقيقةً تَرقى بها بعد الصبرِ إلى مقام الرِّضا، وإلّا فأنتَ مطرود، وهي أنّ الجزَعَ الحاصِلَ عند[1] المصيبةِ بشَيءٍ ممّا يُبتَلَى به المرءُ مِن[2] مالٍ أو غيرِه إنّما[3] هو لأجلِ احتياجِه إليه؛ لأجلِ انتفاعِه به وقتَ حاجته، ولا شكَّ ولا ريبَ أنّ ما يُبتلَى به المرء مِن[4] فَقْدِ مالٍ أو ولدٍ ونحوه فهو مُدَّخَرٌ له، يجده[5] في أشدِّ أوقات احتياجِه إليه، وإذا كانَ الأمرُ كذلك فينبغي السرورُ بذلك.

فإذا مَنَّ الله عليكَ بالسرور فحَقِّق ذلك، وإيّاك أن[6] تُدلِّس[7] عليكَ النفسُ وتقول: طُوبى لك! صَبَرتَ أيُّها المُصابُ على مُصيبَتِك، ثمَّ تَرقَّيتَ إلى مقام الرضا، وتلقَّفتَ مواقعَ القدَرِ تلقُّفًا، الحمدُ لله على ذلك/ وعلى كلِّ حال. [٣١/ب]

فإذا أنت جارَيتَ نفسَك في ذلك وقطعتَ بأنّ الأمرَ كذلك فأنا أُنبِّهُكَ على أمرٍ يُظهِرُ لك تلبيسَ النفسِ عليك، فإن اطمأنَّت نفسُكَ إلى[8] ما أُنبِّهُكَ فاحمَد الله عزَّ وجلَّ على هذا الخير، وإلّا فارجِع؛ فإنّ إظهارَ ما ليسَ أنت عليه علامةُ مَقتِكَ؛ إذ هذا[9] شأنُ المُتزيِّن بما ليس فيه، **وتَزيُّن المرء[10] بما ليسَ فيهِ[11] هُو[12] سببُ سقوطِ العبد مِن عينِ الله عزَّ وجل.**

ونفرِضُ لك أنّك أُصِبتَ في ولدِكَ مثلًا، فنقولُ لك: بالله الذي يعلمُ حقائقَكَ

---

(١) في (د): «عن».

(٢) قوله: «المرء من» في (د): «المؤمن».

(٣) في (د): «وإنما».

(٤) قوله: «المرء من» في (د): «المؤمن».

(٥) «يجده» ليس في (س).

(٦) «أن» ليس في (د).

(٧) في (س): «تدنس».

(٨) في (د): «على».

(٩) في (ق): «هو».

(١٠) قوله: «بما ليس فيه، وتزيُّن المرء» ليس في (س).

(١١) «فيه» ليس في (د).

(١٢) في (س): «وهو».

ودقائقَكَ لو كنتَ تَقدِرُ على إحيائه أكُنتَ تُحييه؟ فإن اطمأنَّت نفسُك إلى عدمِ إحيائِه بصدقٍ فللَّهِ دَرُّكَ من صَبورٍ راضٍ، ذُقتَ والله طعم: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [التين: ٨]، وإلّا فلا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم[١] من هذه الدعوى الكاذبة حتَّى على الله عزَّ وجلّ، هذه المصيبةُ التي أنتَ عليها أعظمُ مِن[٢] سبَبِها، فعليكَ بالإنابة؛ فإنّه جوادٌ كريمٌ، والله أعلم.

واعلم رَحِمَكَ الله تعالى أنّ في هذه السورةِ الكريمة[٣] وعيدًا شديدًا؛ لأنّه تعالى حَكَمَ بالخُسران على جميعِ النّاس، إلّا مَن أتى بهذِه الصفات الأربع، وهي: الإيمان، والعملُ الصالح، والتواصي بالحقّ، والتواصي بالصبر، فدلَّ على أنّ النجاةَ مُعلَّقةٌ بمجموعِ هذه الأمور الأربعة، وأنّه كما يلزمُ المكلَّفَ تحصيلُ ما يخصُّ نفسَه، يلزمه ذلك في حقِّ غيرِه[٤] بأمور، منها:

ـ الدعاءُ إلى الدين والنصيحة، والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المُنكَر، وأنْ يُحبَّ لغيره ما يُحبُّ لنفسه؛ لأنّ التواصيَ بالحقِّ يَدخُلُ فيه[٥] سائرُ الدِّين من علمٍ وعَمَلٍ وغَيرِهِما، والتواصي بالصبرِ يَدخُلُ فيه حَملُ النفس على مشقّةِ التكليف في القيام بما يجب، وفي اجتنابِ ما يَحرُم، والإقدامُ على المكروه، والإحجامُ عن المُراد، وكلاهما فيه مشاقٌّ شديدةٌ إلّا مَن وُفِّق.

أذاقَنا الله الكريمُ طعمَ فَهمِ كلامه، والعملَ به، إنّه على ما يشاءُ قدير، وبالإجابةِ جدير.

---

(١) قوله: «العلي العظيم» ليس في (د).
(٢) «من» ليس في (د).
(٣) يقصد: سورة العصر.
(٤) في (س): «غيره».
(٥) «فيه» ليس في (د).

ولسائلٍ أن يقولَ[١]: ما الحِكمةُ في إتيانِه سُبحانه وتعالى بصيغةِ الماضي في قولِه تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣] دونَ الإتيانِ بالمضارعِ، كقولِه: ويتواصَونَ بكذا؟

والجواب: حتَّى لا يقع أمرًا؛ لأنَّ الغرضَ مدحُهُم بما يَصدرُ عنهم في الماضي، وذلك يفيدُ ترغيبَهُم إلى الثباتِ عليه في المستقبل[٢]، والله أعلم.

---

(١) قوله: «أن يقول» ليس في (د).

(٢) انظر: «تفسير الرازي» (٣٢: ٢٨٢).

فصل مهم

[٣٢/أ] يَعرفُ به السالِكُ خديعةَ النَّفْس، وطولَ ما لَبَّسَته عليه، وليس الكلامُ مع العامِّيِّ الذي هو خائض، بل سابِح، بل غارِقٌ في بحار الجهل، يتخبَّطه أصاغرُ المَرَدة؛ لأنّ مَن[١] عَجَزت هِمَّتُه عن إتقانِ بابِ العِباداتِ مع كَثرة وقوعِه في[٢] المُعاملات التي لا بُدَّ لكلِّ أحدٍ من تعاطيها، وكذا مع مَن جَهِلَ أحكامَ الزوجيّة حتَّى يُحسِنَ يُعاشرُ بالمعروف، وكذا مع مَنْ تركَ تعلُّمَ أسباب الضمان التي هي أكثرُ وقوعًا[٣] من القَطْر، وكذا مع من جَهل طُرُقَ الأمرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المُنكَر، وكذا مع[٤] مَن جَهل ما يَجبُ عليه أن يتعاطاه وأن يتركَه من سائرِ الوجوه الشرعيّة باعتبارِ الظّاهِر والباطِن، وغير ذلك ممّا لا يكادُ يُحصى ولا يُحصر[٥]، إلى غيرِ ذلك ممّا يجبُ فيه الإظهار، وما يجبُ فيه الكِتمان، وما يُكرَه وما يُستحَبّ، وغيرِ ذلك من الأمورِ المهمّةِ في الدِّينِ التي[٦] حثَّ عليها[٧] الكتابُ والسنّة، ومَن حادَ عنها؛ فقد شَرَّعَ شرعًا فصارَ من الأخسَرِين.

وأكثرُ أهل زمانِنا هذا من فُقراء الزوايا والرُّبَطِ على ذلك، وقد أحدَثوا

---

(١) «من» ليس في (د).
(٢) «في» ليس في (د).
(٣) «وقوعًا» ليس في (س) و(ق).
(٤) «مع» ليس في (س).
(٥) قوله: «ولا يحصر» ليس في (د).
(٦) في (ق) و(د): «الذي».
(٧) في (ق): «عليه».

ما لم يُنَزِّل به من سُلطانٍ[١]، وتَقوَّلُوا[٢] على الله ورسولِه ما لم يَكُن، وزيَّنَ لهم[٣] الشيطانُ أعمالَهُم فاسترسَلوا فيها، حتَّى بَقِيَت لهم مَلَكةً، حتَّى لو أوردَ شخصٌ آيةً أو خبرًا[٤] ظاهر الدلالة، أو نصَّ على بُطلان ما ارتكبوه واعتادوه لَما قَبِلُوه، وإن قَبِلُوه ظاهرًا فقلوبُهُم غيرُ مؤمنةٍ به، نعوذُ بالله من مُضِلّات الفِتَن ما ظَهَرَ منها وما بَطَن.

وكان سببُ وقوع هذه[٥] الأخباث[٦] في هذه المصائب طائفةٌ وسَمُوا[٧] أنفُسَهم بأنّهم حَمَلةُ الشريعة، وبهم يُقامُ الدين، غَلَبَت عليهم شَهوةُ ما يُؤدِّي إلى المِيض[٨] من المآكل اللذيذة التي هي في بُطُونهم نارٌ، وكذا[٩] المُستحسَناتُ من المألوفات، فسَكَتُوا عمّا أمرَ الله تعالى بإظهاره من الآيات البيِّنات، واشتروا[١٠] به ثمنًا قليلًا، أولئك لهم عذابٌ أليمٌ[١١].

فإذا حَصَلَت لك العناية، وسَلِمتَ **أيُّها السالكُ** من صفاتِ هاتَين الطائفتَين الخبيثتَين، وتعلَّمتَ ما يجبُ عليك تَعلُّمه، وسارعتَ إلى القيامِ بوظائفِ ما عَلِمت، حينئذٍ ذكرتُ لكَ ما أرجو من الله تعالى أن يُبيِّن[١٢] لك أنّك مخدوعٌ

(١) قوله: «من سلطان» في (س): «سلطانًا»، وفي (د): «سلطان».
(٢) في (س) و(د): «ويقولوا».
(٣) «لهم» ليس في (د).
(٤) بعدها في (ق): «هو».
(٥) في (ق): «هذا».
(٦) في (س): «الأخبار».
(٧) كذا في (ق)، وفي (د): «رسموا».
(٨) في حاشية (د): «الميض: جمع ميضة، أي: المستراح».
(٩) في (س): «كذا» بدون الواو.
(١٠) في (د): «فاشتروا».
(١١) انظر: «إنارة الفكر» للبقاعي (٨٩-٩٠).
(١٢) في (س): «يتبين».

مع نفسِك، وقد غرَّتكَ(١) حتَّى لا تشعُر؛ لأنّك معذورٌ(٢)؛ لأنّك قد دلَّست(٣) عليك حبّ رسول الله ﷺ حتَّى قطعتَ في نفسكَ بمحبَّته القلبيّة، ولو قيل: لا تُحِبُّه محبّةً صادقة لوجدتَ في نفسِكَ شيئًا؛ لأنّ نفسكَ هي التي دلَّسَت(٤) عليك محبَّتَه، فهذه أيضًا ممّا غرَّتكَ به. [٣٢/ب]

فإذا سَمِعتَ بشخصٍ قد قِيلَ عنه: إنّهُ شيخٌ في هذه الطريقة، وله معارفُ وأحوالٌ سَنيّة، ولاحَت عليه أعلامُ اقتفاءِ(٥) أثر(٦) خير البريّة؛ أسرعتَ التوجُّهَ إليه، وأقبلتَ بقالَبِكَ وقلبِكَ(٧) إليه، فتجدُ من ذلك الشيخِ أمورًا تَظهَرُ أنّها في قالبِ الرَّحمة والشفقة، فتحلو لك مع أنّها ممقوتةٌ شرعًا عند العارفِ بالله وبرسولِه.

وسببُ حلاوتِه عندك أنّ الشيطان تخلَّى عنك في تلكَ الحالةِ من وسوَسةِ الفِكْرِ المُتعِب، فظنَنتَ أنّ ذلك حلاوةُ إيمانٍ وتحسينُ رحمان، وإنّما ذلك خديعةُ شيطان.

ثمَّ إنّك أيُّها المغرورُ لم يَزَل بك(٨) الشيطانُ والنفسُ الخداعةُ في تَحَبُّبِ(٩) تلك الأمور حتَّى صارَت لك ملَكةً(١٠)، ثمَّ ماتَ أقرانُكَ الذين هم صُلَحاءُ زمانِك، فانتَهت المَشيَخةُ إليك، فسَلَكتَ سَنَنَ(١١) مَن اعتقدتَ أنّه وسيلةٌ

---

(١) في (س): «عدتك».
(٢) في (د): «مغرور».
(٣) في النسخ: «دست»، ولعل الصواب ما أثبت.
(٤) في (ق): «دست».
(٥) «اقتفاء» غير واضح في (د).
(٦) في (د): «آثار».
(٧) في (ق): «في قلبك».
(٨) «بك» ليس في (س).
(٩) كذا في (س)، وفي (ق) و(د): «تجنب».
(١٠) في (س): «مدكه».
(١١) في (س): «سير».

إلى الله، وإنّما هو سببُ هلاك المُريد، إنّا لله وإنّا إليه راجعون في هذهِ المَصائِب العِظام الجِسام.

إذا عَرَفتَ ذلك **أيُّها السالكُ المخدوعُ** بأنّه يسيرُ في **أسنَى المسالك** فحينئذٍ أنشُدُكَ الله الذي يعلمُ حقائقَكَ ودقائقَك، وهل تعرفُ معنى هذا الإنشاد، فإن عرفتَه وذُقتَ طعمَ معناه ذَوقًا قلبيًّا، حينئذٍ لا تُخدَعُ[1] فيما بينك وبين ما ناشدتُكَ به، وتعترفُ بأنّكَ مخدوعٌ مع نفسك، فإذا علمتَ خديعَتَها وتلبيسَها جاءَت العناية، وسَلَكتَ بمَنِّ الله تعالى وفَضلِه سبيلَ الرعاية، فرُعِيتَ وهُدِيت.

فأول[2] شيءٍ أذكُرُه لك أيُّها المُتقشِّفُ الهارِبُ من نفسه إلى ربِّه، الذي[3] مَضَت عليه أيام، بل شهورٌ وأعوامٌ، هل غابَت عنك شمسُ يوم حَفِظتَ فيه جوارِحَكَ ممّا كرِهَه الله عزَّ وجلَّ ونَهَى عنه، وقُمتَ فيه بما أَوجَبَ الله[4] عليك وافتَرَضَه في ظاهِرِكَ وباطِنِكَ في حقِّكَ وحقِّ غيرِكَ؟

فإن خدَعَتكَ وقالت: نعم، وهو بعيد، وهو[5] من جُملةِ خديعةِ النفس إن ادَّعَت ذلك، فيُقالُ لك: فهذا لسانُك، تعلمُ أنّك لم تتكلَّم بكلمةٍ فيها سخطُ الله تعالى، أو سَكَتَّ عن كلمةٍ أوجَبَها الله تعالى، وكذلك يُقالُ لك في حقِّ سَمعِكَ وبَصَرِكَ وخُطاكَ وحركة يَدِكَ وجميعِ جوارِحِكَ.

فلو خَدَعتكَ نفسُكَ وقالت: قد مضى عليَّ يومٌ[6] كذلك[7]، فهل أنت

---

(١) في هامش (س): «لعله: تجزع». (٢) «فأول» ليس في (ق) وموضعها بياض.

(٣) في (ق) و(س): «التي». (٤) لفظ الجلالة ليس في (س).

(٥) «وهو» ليس في (د).

(٦) قوله: «عليّ يوم» ليس في (س) وموضعها بياض، ومكتوب على الحاشية: «لعله: عليك يوم».

(٧) في (د): «كذا».

[٣٣/أ] مستمرٌّ يا مخدوعُ على ذلك في جميعِ أيامِ(١) خَلواتكَ واجتماعكَ مع أقرانك، ويُقالُ لك: بالله، هل وجدتَ خِفّةَ سعيِكَ إلى المسجدِ الجامع؟ وهل هذه الخفّةُ تَجدُها عند سعيِكَ إلى المسجدِ الخفيِّ؟

وعلى تقدير وُجودِكَ لذلك مرّةً أو مرارًا، فهل تجدُ تلك الخفّةَ عند مَن إذا مَرَرتَ عليهم ويعرفونَ منكَ ما كان مكروهًا، هل تجدُ تلك الخفّةَ الحاصلة عند مَن يرى أنّك مُستجابُ الدعوةِ أم لا؟

فأين الخطوةُ الخالصة، تبًّا لك، ما أجهَلَكَ بغرَّتك! سَلَّمنا لك أن حَفِظتَ جوارِحَكَ بعد تقريرِكَ(٢) مع نفسِكَ أنّ الله مُطَّلعٌ عليك، فيا خسارَتكَ إن كُنتَ كاذبًا حتَّى على الله تعالى، يا ليتَكَ تركتَ هذا السلوكَ المُهلِك، سلَّمنا(٣) حمايةَ الله تعالى لك من آفاتِ جوارِحِك، فهل مضى على قلبك يومٌ وأنت حَذِرٌ من اطِّلاعِ الله تعالى على ما أضمَرَ قلبُك، وحَرَستَ هواك، فلم تَخطُر بقلبِكَ خطرةٌ يكرهُها الله تعالى من الرياءِ والتصنُّع؟

بالله لو دَخَلَ عليك مَن تَترجّاه، ووجَدَكَ على هيئة المُتوجِّه، هل تَجِدُ في نفسكَ حَلاوةَ دُخُوله عليكَ وأنت في هذه الحالة أو(٤) لا تَجِدُ ذلك؟

فهل تَجِدُ في نفسِكَ(٥) عدمَ كراهيةِ ذلك؟ مع أنّا قد ضَرَبنا عن مؤاخَذَتِكَ بما حَصَلَ في ضَميرِكَ من العُجب وسُوءِ الظنّ، وغير ذلك من الآفاتِ التي

(١) «أيام» ليس في (ق).
(٢) في (س): «تقديرك».
(٣) «سلمنا» غير واضح في (د)؛ بسبب الرطوبة.
(٤) في (د): «و».
(٥) قوله: «حلاوة دخوله عليك وأنت في هذه الحالة أو لا تجدُ ذلك؟ فهل تجدُ في نفسك» ليس في (س).

قد تَخفَى عن السرِّ[١] الخفيّ، فإن كنتَ لا تعرفُ ذلك فكيفَ[٢] تَدَّعي عدمَ خَديعةِ نفسِكَ به، والعِلمُ بالشيءِ فرعُ تَصوُّرِه[٣].

لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله من أفعال المُفتَرين، وهُم يَظنُّونَ بغرَّتهم أنّهم إليه بها[٤] واصِلُون، **فأين السالِكُ** الخالِصُ من[٥] آفات الجوارحِ وذُنوبِ الضمائر.

بل واللهِ لو جَلستَ إلى شخصٍ تعتقدُ في نفسِكَ أنّه يرى أنّكَ من الصادقين في السلوكِ فلَم يَهشَّ لك، وأظهرَ لقرينِكَ[٦] المَودّةَ أكثرَ منكَ؛ لوجدتَ في نفسِك، ولو راسَلَك شخصٌ فيه لَتَبِعتَه[٧]، وعلى تقديرِ ألّا تُراسِلَه لم تَجِد في نفسِكَ كراهيةَ ذِكره بذلك[٨].

بل أنا خائفٌ عليك أن تُظهِرَ الكَراهةَ وقلبُكَ لا يَجِدُ موافَقةَ اللفظ، فيا لها من فِتنة، المُتجاهِرونَ بالمعاصي خيرٌ منكَ؛ لأنّهم يَرَونَ التقصيرَ في جانب الله تعالى، وأنت ترى التقصيرَ في جانب نفسِك، فأنت عبدُها وتَدَّعي أنّ حُكمَكَ عليها، هذه قضيّةٌ كُلُّها بَلِيّة[٩].

تُب يا مَن خَسِرَ أعزَّ الأشياء، إنّ هذه لَصفقةٌ خاسرة، فيا مغرور، أنت تزدادُ بسلوكِكَ كثرةَ الذنُوب/ والبُعدَ عن المحبوب، ارجِع إلى نفسك، وقُل: تعالَي [٣٣/ب] أُحاكمكِ أنتِ من حين البلوغ إلى هذا الأوان سَلِمتِ من الآفاتِ والخَطَراتِ؟

---

(١) في (د): «السير».
(٢) «فكيف» ليس في (د).
(٣) في (س): «الصوره».
(٤) «بها» ليس في (د).
(٥) في (س): «من».
(٦) في (ق): «لقرنك».
(٧) في (د): «لتبعنه».
(٨) «بذلك» ليس في (د).
(٩) في (س): «بينة».

هيهاتَ هيهات، إنّ السلامةَ من ذلك فرعُ[١] العلمِ بكتاب الله تعالى وسُنّةِ رسولِه ﷺ؛ لأنّ الطاعةَ ودفعَ المخالفةِ لا تُعلَمُ إلّا بهما، فمن أينَ النجاةُ! لأنّ[٢] الطاعةَ سبيلُ النجاة، والعلمُ هو الدليل، فمَن لا عِلمَ له لا طاعةَ له، ومَن لا طاعةَ له لا ورَعَ له، ومن لا ورَعَ له لا تقوَى له، ومن لا تقوى له لا مُحاسَبةَ له لنفسه، ومن لا مُحاسَبةَ له لنفسه فلا خوفَ له، ومَن لا خوفَ له لا مُبالاةَ له، ومن لا مُبالاةَ له لا مَعرِفةَ له، ومن لا مَعرِفةَ له فهو غارِقٌ في بحرِ الجَهالات، تَغُطُّه الأمواجُ تارة، وترفعُه أُخرى، ومَنْ هذه حالُه[٣] كيفَ تَسلَمُ جوارِحُه من الشبُهات والتَّبِعات؟ وكيف يَخلو ضميرُه عن السوء والخَطَرات؟ هيهاتَ هيهات هيهات[٤]، ما يَسَعُنا إلّا حِلمُ مُوجِدِ[٥] الكائنات، والله أعلم.

وإذا تحقَّقتَ من نَفْسِكَ وقُوعَكَ في بعضِ هذه الآفات فبادِر بالإنابةِ إلى عالم الطَّوِيّات، واجأرْ[٦] إليه في حِندِسِ الظُّلُمات، وإيّاكَ مع عِلمِكَ بما أنتَ عليه أن تُنَصِّبَ نفسَكَ شيخًا مُربِّيًا، فتكون قد تعاطيتَ سببَ مَقتِك، وما يُدرِيكَ أنّ الله عزَّ وجلَّ قد اطَّلَعَ عليك وعلى سريرَتِكَ التي هي خلافُ لفظِكَ وسَمْتِكَ وزِيِّكَ فقال: اذهَب لا غَفَرتُ لك، فتَهلِك هلاكَ الأبد[٧].

ولقد كان السلفُ رضي الله عنهم يهرُبُونَ[٨] ممّا هو دونَ ذلك؛ خوفًا ممّا أشَرنا إليه؛ للآياتِ والأخبار الدالّة على ذلك.

---

(١) في (س): «قرع».
(٢) «لأن» ليس في (س).
(٣) في (س): «حالته».
(٤) كذا في (س) و(د)، وفي (ق): «هيهات هيهات».
(٥) في (س): «موجب».
(٦) في (س): «واجرأ»، وفي (د): «والجأ».
(٧) قوله: «فتهلك هلاك الأبد» ليس في (س).
(٨) في (س): «يهبون».

قال سفيان: «جلسنا[١] إلى عُبَيدِ الله[٢] بن عمر، فقال: ما أنا أهلٌ لأُحَدِّث[٣]، ولا أنتُم أهلٌ لأن تُحدَّثُوا، وما مَثلي ومَثلُكم إلّا كما قال الأوَّل: افتُضِحُوا فاصطَلَحُوا، لو أدرَكَنا عمرُ لأوجَعَنا ضربًا»[٤].

(١) في (د): «جلست».
(٢) في (ق): «عبد الله».
(٣) في (د): «لأن أحدث».
(٤) هنا آخر ما في النسخة (س)، والأثر في: «العزلة» للخطابي (٩٣)، وفيه: «قال: سفيان بن عيينة: جلسنا إلى عبيد الله بن عمر فأحطنا به، فنظر إلينا فقال: شِنتُم العلم وذهبتم بنوره، لو أدركَني وإياكم عمر رضي الله عنه لأوجَعَنا ضربًا.
قال المظفري: وزادني غير عمرو: ما أنا أهل لأن أحدِّث، ولا أنتم أهل لأن تُحدَّثوا، وما مثلي ومثلكم إلا كما قال الأول: افتضحوا فاصطلحوا». وانظر: «سير أعلام النبلاء» (٨: ١٦٧).

فصل مهم

كثيرُ النفع عَظيمُ الوَقع، يَشتَمِلُ على ذِكر الأحباب وصفات ذَوي الألباب، ترى أحوالَهُم عجبًا، وترقُصُ من عُذوبةِ كلامِهم طَرَبًا، ويُنادي السالِكُ الصادقُ عند ذِكرِ صِفاتِهم: وا حربا.

❋ ❋ ❋

[أبو بكر الصدِّيق]

[١٢] فأوَّلُ ما نبدأُ بذِكر رأس الأولياء: الصدِّيقُ رضي الله عنه وأرضاه(١).

وإنّما بدأتُ به؛ لأنّ اسمي باسم كُنيته، وأرجو ممَّن كَساهُ هذه الخِلعةَ السَّنيّةَ أن أكونَ صادقًا في محبَّته.

قال عمير بن إسحاق: خَرَجَ أبو بكرٍ رضي الله عنه وعلى عاتِقِه عباءة، فقالَ له رجلٌ: أرِني أكُفَّك، فقال: إليكَ عنِّي، لا تَغرَّني(٢).

[٣٤/أ] وَيحَك يا مخدوع! إذا كان هذا رأسُ الأولياء يَفزَعُ أن يُغَرَّ/ بمثل هذه الجزئيّة، فكيف حالُ مَن تُقبَّلُ يَدُه(٣) ويُحمَلُ مَتاعُه، ويُكرَمُ بأنواع كراماتِ أهل الجهالات؟

---

(١) انظر ترجمته في: «التاريخ الأوسط» (١: ٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٨٩)، و«وفيات الأعيان» (٣: ٦٤).

(٢) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٥٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٧)، و«مرآة الزمان» (٥: ١٧).

(٣) في (د): «متاعه».

تنبّه[١] فكَأنّي بكَ وقد شقَّ عليك أن يراكَ الناسُ في سوقٍ[٢] تشتري حاجَتك، وكأنِّي بكَ وقد اشتَرَيتَها، فبادَرَ أحدٌ لحَملِها فسُرِّيَ عنك ما كنت تجدُ من ألَمٍ أن تُرَى أنّك حامِلُها، قبّحَكَ الله على هذه الطَّوِيّة[٣]، فلو رأوا منك معصيةً كيف كان حالُكَ؟ هذه خجلتُكَ من المخلوقين، ولا تستحي من الخالق، وتغتَرُّ بأنّك على الطريقة وأنت مُبايِنٌ لها، بل فاسقٌ مطرودٌ على الحقيقة؛ لأنّ هذه صفةُ إبليس: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[٤] [النحل: ٢٣]، القرآنُ ناطِقٌ بأنّ مَن تدَّعي محبَّتَه لا يُحبُّك، والأمرُ عليك معكوسٌ يا منكوسُ ظُلمةً فوقَ ظُلمة، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قال عطاءُ بنُ السائب: «لمّا استُخلِفَ أبو بكرٍ رضي الله عنه أصبحَ غادِيًا إلى السوقِ وعلى رقَبَتِه أثوابٌ يَتَّجِرُ فيها، فلقِيَه عمرُ وأبو عُبَيدةَ رضي الله عنهما، فقالا: أين تُريدُ يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ؟ قال: السوق، قالا: تصنعُ ماذا وقد[٥] وُلِّيتَ أمرَ المُسلمينَ؟ فقال[٦]: فمِن أين أُطعِمُ عيالي؟ فقال: انطلِق حتَّى يُفرَضَ لك شيءٌ، ففُرِضَ له بُردانِ إذا أخلَقَهُما وضَعَهُما وأخذَ مِثلَهُما، وظهرًا[٧] إذا سافَر، ونفقةً على أهلِه كما كان يُنفِقُ قبلَ أن يُستَخلَف، فقال رضي الله عنه: رَضِيتُ»[٨].

---

(١) في (د): «تنبيه». (٢) في (د): «السوق».

(٣) في حاشية (ق): «بالفتح وتشديد الياء ضمير».

(٤) في النسخ: «إن الله لا يحب المتكبرين». (٥) في (د): «قد» بسقوط الواو.

(٦) في (ق): «قال». (٧) في حاشية (ق): «أي: جملًا».

(٨) انظر: «تلبيس إبليس» (٢٥١)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٧)، و«مرآة الزمان» (٥: ١٦).

وقيل: لمّا أصبحَ أخذَ رِزمةَ[١] متاعِه ودَخَلَ السوق، فكَرِه المسلمونَ ذلك، وقالوا: كيف تفعلُ ذلك وقد أُقِمتَ لِخِلافةِ النبوّة؟ فقال: لا تَشغَلوني عن عيالي؛ فإنّي إن أضَعتُهُم كنتُ لِما سِواهُم أضيَع، ففَرَضُوا له[٢].

وكان يقول: «أيُّها الناس، إنّما أنا مُتَّبِعٌ ولستُ بمُبتَدِع، فإن أحسنتُ فأعينُوني، وإن زِغتُ فقَوِّمُوني»[٣].

وَيحَك يا أحمق! هذا رأسُ الأولياء يقول: فإن زِغتُ فقوِّمُوني، وأنت ويلكَ يا مغرورُ[٤] مُنغَمِرٌ[٥] في الخَطَرات الشيطانيّة، ولو قادَكَ شخصٌ بآيةٍ من كتابِ الله لحَرِجَ[٦] صدرُك، كذبتَ في إيمانِك بالله، فضلًا عن طاعَتِك وسُلُوكِك.

وقال رضيَ الله عنه يومًا في خُطبَته: «إنّما أنا بشرٌ، ولستُ[٧] بخيرٍ من أحدٍ منكُم، فراعُوني، فإن رأيتُمُوني استقَمتُ فاتَّبِعُوني، وإن رأيتُمُوني زِغتُ فقوِّمُوني، واعلموا أنّ لي شيطانًا يَعْتَرِينِي[٨]، فإذا رأيتُمُوني غَضِبتُ فاجتَنِبُوني»[٩].

وخطبَ رضي الله عنه يومًا، فقال: «أمّا بعد؛ فإنّي أُوصِيكُم بتَقوى الله، وأن تُثنُوا عليه بما هو أهلُه، وأن تَخلِطُوا الرغبةَ بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف[١٠]

---

(١) في حاشية (ق): «الرِّزمة؛ بكسر الراء: ما يُحمل على الظهر من الثياب، وقيل: الرزمة الثياب المجموعة وغيرها، والفتح لغة فيه».
(٢) انظر: «وفيات الأعيان» (٣: ٦٥)
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٩٨)، و«مرآة الزمان» (٥: ١٦)، و«وفيات الأعيان» (٣: ٦٦).
(٤) قوله: «يا مغرور» ليس في (ق).
(٥) «منغمر» ليس في (د).
(٦) في (د): «لخرج».
(٧) في (ق): «فلست».
(٨) في (ق): «يقربني».
(٩) انظر: «المنتظم» (٤: ٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٨)، و«تاريخ الخلفاء» (٥٨).
(١٠) في (ق): «الإلحاق».

بالمسألة، فإنّ الله أثنى على زكريّا وأهلِ بيتِه، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي [٣٤/ب]
ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ثمَّ اعلَموا عبادَ الله، أنّ الله قد ارتَهَنَ بحقِّه أنفُسَكُم، وأخَذَ على ذلك مواثيقَكُم، واشترى منكُمُ القليلَ الفانيَ بالكثيرِ الباقي، وهذا كتابُ الله فيكُم، لا تَفنَى عجائبُه، ولا يُطفَأُ نُورُه، فصدِّقوا قولَه، وانتَصِحُوا لكتابِه، واستَضيئوا منه ليومِ الظُّلمة، وإنّما خَلَقَكُم لعبادَتِه، ووكَّلَ بكُم الكِرامَ الكاتبِينَ يَعلَمُونَ ما تَفعَلون.

ثمَّ اعلَموا عبادَ الله أنّكُم تَغدُونَ وتَروحُونَ في أجَلٍ قد غُيِّبَ عنكُم عِلمُه، فإن استَطَعتُم أن تنقضيَ الآجالُ وأنتُم في عملٍ فافعَلوا، ولن تَستَطيعُوا ذلك إلّا بالله، فتسابَقوا[(١)] في مَهَلِ آجالِكم قبلَ أن[(٢)] تَنقضي آجالُكُم، فتَرُدَّكُم إلى أسوأ[(٣)] أعمالِكُم.

إنّ أقوامًا جعلوا أحوالَهُم لغيرِهم، ونسوا[(٤)] أنفُسَهم، فأنهاكُم أن تكونوا أمثالَهُم، الوحا الوحا[(٥)]، النجا النجا[(٦)]، إنّ وراءكُم طالبًا حثيثًا[(٧)]، أمرُه سريع»[(٨)]، والله أعلم.

---

(١) في (د): «فسابقوا». (٢) «أن» ليس في (د).
(٣) في (د): «سوء». (٤) في (ق): «دنسوا».
(٥) في حاشية (ق): «الوحاء: بمعنى السرعة». انظر: «جمهرة اللغة» (١: ٢٣١)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢: ١٩).
(٦) في حاشية (ق): «النجاء: بمعنى السرعة أيضًا». انظر: «المحكم» (٧: ٥٥٧)، و«لسان العرب» (٣: ١٢٣).
(٧) في حاشية (ق): «حثيث: بمعنى السرعة. أي: سريع في سريع». انظر: «المحيط» (١: ١٥٧)، و«الصحاح» (١: ٢٧٨).
(٨) انظر: «المنتظم» (٤: ٦٩-٧٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٩)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٣: ١٠٧).

قال سيفُ بنُ عمر: «كان سببَ موتِ الصدِّيق وفاةُ رسولِ الله كمدًا عليه، فما زالَ جسمُه يَضْوِي[١] حتَّى ماتَ»[٢]، والكَمَد: الحزنُ المكتُومُ[٣].

ولمّا عادَه الناسُ في مرضه قالوا له: ألا ندعو لك طبيبًا ينظُرُ إليك؟ فقال: قد نَظَرَ إليّ، قالوا: وما قال لك؟ قال: إنّي فعّالٌ لما أُريد[٤].

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: ماتَ أبو بكرٍ وعليه ثوبٌ فيهِ[٥] ثلاثَ عشرةَ رُقعةً بعضُها من أدَم، أي: من[٦] جِلدٍ[٧].

وكان رضي الله عنه يقولُ عن لسانه: «هذا الذي أورَدَني المَوارِدَ»[٨]، ويقول: «ليتني شجرةٌ تُعضَد»[٩].

وسأل عمرُ رضي الله عنه امرأةَ[١٠] الصدِّيقِ عمّا كان يعملُ في بيتِه، فأخبَرَته بقيامه بالليل وغيره، وكان يتوضَّأُ ويَجلِس، ويَضَعُ رأسَهُ على رُكبَتَيه، فإذا كان

(١) في (د): «يجري»، وفي (ق): «يحري».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٩٩)، و«تاريخ الخلفاء» (٦٥)، و«سمط النجوم» (٢: ٤٦٥).
(٣) انظر: «الصحاح» (٢: ٥٣١)، و«لسان العرب» (٣: ٣٨١)، و«القاموس المحيط» (٣١٥)، و«تاج العروس» (٩: ١١٣).
(٤) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ١٩٠)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٣: ١١٩)، و«تاريخ الخلفاء» (٦٦).
(٥) قوله: «ثوب فيه» ليس في (ق).
(٦) «أي: من» ليس في (د).
(٧) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١: ١٩٥).
(٨) انظر: «الزهد» لوكيع (٥٥٦)، و«إحياء علوم الدين» (٣: ١١١)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٦).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٩٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ١٣٩).
(١٠) في (د): «لامرأة»، وفي (ق): «لمرأة».

وقتُ السَّحَرِ رَفَعَ رأسَه وتنفَّسَ الصعَداء، فنشُمُّ في البيت روائحَ كبدٍ مشويّة، فبَكى عمر، وقال: أنَّى لابن الخطّاب بكبدٍ مشويّة(١)!

وكان رضي الله عنه يقول: إني واللهِ لا أدَعُ أمرًا رأيتُ رسولَ الله ﷺ يصنَعُه إلّا صنعتُه، وإنّي أخشَى إن تركتُ شيئًا من أمرِه أن أزِيغَ(٢).

قال أبو عمرانَ الجَونيّ: «قال الصدِّيق: لَودِدتُ أنِّي شعرةٌ في جنب عبدٍ(٣) مؤمنٍ»(٤).

ولمّا مَرِضَ مَرَضَه الذي ماتَ فيه قال لعائشةَ رضي الله عنها: «يا بُنيّة، انظُرِي ما زادَ في مال(٥) أبي بكرٍ منذ وُلِّينا هذا الأمرَ ورُدِّيه على المُسلمين، فوالله ما نِلنا(٦) من أموالِهم إلّا ما أكَلنا في بُطونِنا من جَرِيش الطعام(٧)، ولَبِسنا على ظُهُورِنا من خَشِن ثيابِهم، فنَظَرَت فإذا بكرٌ وجَرْدٍ/ قطيفةٍ لا تُساوي [٣٥/أ]
خمسةَ دراهم، فلمّا جاءَت الخلافةُ(٨) إلى عمر، قال عبدُ الرحمن بنُ عوف: أتَسلُبُ هذا ولدَ أبي بكرٍ؟ قال عمر: ورَبِّ الكعبةِ لا يتأثَّمُ بها أبو بكرٍ في حياتِه وأتَحَمَّلُها بعد موته، رَحِمَ الله أبا بكر، لقد كلَّفَ مَن بعدَه تعبًا(٩).

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (١: ١٩٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٧٢٦)، و«صحيح مسلم» (١٧٥٩).

(٣) «عبد» ليس في (د).

(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٥٦٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٩٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ١٣٩).

(٥) «في مال» ليس في (د).

(٦) في «المعارف»: «نابنا».

(٧) جريش الطعام: غليظه، وجرشت الشيء: إذا لم يُنعم دَقّه، وملح جريش: لم يطيب. انظر: «الرياض النضرة» (١: ٢٠١).

(٨) «الخلافة» ليس في (ق).

(٩) انظر: «المعارف» (١: ١٧١)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ٧٠).

وقد ذكرتُ جملةً مفيدةً تتعلَّقُ بذلك في كتاب: «**قمع النفوس**»، وهو كتابٌ كثيرُ النفع، عَظيمُ الوقعِ إن شاءَ الله تعالى.

توفِّيَ رضي الله عنه في جُمادى الآخرة سنةَ ثلاثَ عشرةَ من الهجرة، وعمرُه ثلاثٌ وستُّونَ سنة، رضي الله عنه[1]، وقد اقتصَرنا على نقطةٍ من سيرَتِه، واللهُ أعلم.

❊ ❊ ❊

[عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

[١٣] **ومنهم**: أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه[2].

وهو أوَّلُ مَن سُمِّي أميرَ المؤمنين، وهو من المُهاجرينَ الأوَّلين، وصلَّى إلى القِبلَتَين، وشَهِدَ بدرًا وبيعةَ الرضوانِ وجميعَ المشاهدِ كُلِّها[3] مع رسول الله ﷺ، وأعزَّ الله به الإسلام، وتُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو عنه راضٍ[4].

وكان سبب إسلامِه رضي الله عنه أنّه خرجَ يومًا يتعرَّضُ للنبيِّ ﷺ، فوجدَه قد سبقَه إلى المسجد، قال عمر: فقُمتُ خلفَه ﷺ، فاستفتحَ سورةَ الحاقّة، فجعلتُ أعجَبُ من تأليفِ القرآن، قال: فقلت: هذا والله[5] شاعِرٌ كما قالت

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» (٣: ٦٥)، و«طبقات علماء الحديث» (١: ٧٨)، و«تاريخ ابن الوردي» (١: ١٣٦).

(٢) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١١٤٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٩)، و«المنتظم» (٤: ٣٢٩).

(٣) «كلها» ليس في (ق).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١١٤٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٩)، و«المنتظم» (٤: ٣٢٩).

(٥) في (د): «والله هذا».

قريش، فلمّا قرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]، قلت: كاهنٌ، فقرأ: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٢-٤٣]، قال: فوقعَ الإسلامُ في قلبي كلَّ موقع[١].

وفي روايةِ أنَس: خرجَ عمرُ مُتقلِّدًا السيف، فلَقِيَه رجلٌ من بني زهرة، فقال: أين تَعمِدُ يا عمرُ؟ قال: أُريدُ أن أقتُلَ محمَّدًا، فقال: فكيفَ تأمَنُ من بني زهرةَ وبني هاشمٍ وقد قتلتَ محمَّدًا؟ فقال له عمر: ما أراكَ إلّا قد صبأتَ وتركتَ دينَكَ الذي كنت عليه، قال: أفلا أدُلُّكَ على العجب؟ إنّ أُختَكَ وخَتنكَ[٢] قد صَبَوَا[٣]، وتَركا دينَك، فمَشى عمرُ حتَّى أتاهُما وعندهُما خبّاب، فلمّا سَمِعَ خبّابٌ حِسَّ عمرَ توارَى في البيت، فدَخَلَ عليهما فقال: ما هذه الهينمةُ[٤] التي سَمِعتُها عندكم؟ وكانوا يقرؤون ﴿طه﴾ [طه: ١]، فقالا: ما عدا حديثنا[٥] تحدَّثناه بيننا، فقال: لعلَّكُما قد صَبوتُما، فقال له خَتَنُه: أرأيتَ يا عمرُ إن كان الحقُّ في غيرِ دينكَ؟ فوثَبَ عمرُ على خَتنِه فوطِئَه وطئًا شديدًا، فجاءَت أُختُه فدفَعَته عن زوجِها، فنفَحَها نفحةً بيده فدمَّى وجهها، فقالت: وهي غَضبَى: يا عمر، إن كان الحقُّ في غير دينكَ؛ أشهدُ أن لا إلهَ إلّا الله وأشهدُ أنّ محمَّدًا رسولُ الله، فلمّا

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠١)، و«مرآة الزمان» (٣: ١١٤).

(٢) في حاشية (ق): «أي: زوج أختك».

(٣) في «التبصرة»: «صبآ».

(٤) الهينمة: الصوت الخفي، وهو شبه قراءة غير بينة. انظر: «العين» (٤: ٦٠)، و«الصحاح» (٥: ٢٠٦٢)، و«النهاية» (٥: ٢٩٠)، و«لسان العرب» (١٢: ٦٢٣)، و«القاموس المحيط» (١١٧٢).

(٥) في (ق): «حديثًا».

[٣٥/ب] تَبيَّنَ(١) عُمرُ(٢)؛ قال: أعطوني هذا الكتابَ الذي عندكُم فأقْرَأهُ ـ وكان عمرُ يقرأُ الكُتبَ ـ فقالت أختُه: إنّك رجس، ولا يمسُّه إلّا المطَّهرون، فقُم واغتَسِل(٣) أو توضَّأ، فقامَ فتوضَّأ(٤)، ثمَّ أخذَ الكتابَ فقرأ: ﴿طه﴾، حتَّى أتى إلى قوله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤]، فقالَ عمر: دلُّوني على محمَّدٍ ﷺ.

فلمّا سَمِعَ خبّابٌ قولَ عمرَ خَرَج، فقال: أبشِر يا عمر؛ فإنّي واللهِ أرجو(٥) أن تكونَ دعوةُ رسول الله ﷺ لك ليلةَ الخميس: «**اللَّهُمَ أعِزَّ الإسلامَ بعمرَ بن الخطاب، أو بعمرِو بن هشام**»، قال: ورسولُ الله ﷺ في الدار التي في أصل الصَّفا، فانطلقَ عمرُ حتَّى أتى الدارَ وعلى بابها حمزةُ وطلحةُ وناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فوَجِلَ القومُ منه، فلمّا رأى حمزةُ وجَلَهُم من عمر، قال حمزة: إن يُرِد الله به خيرًا يُسلم، وإن يُرِد غيرَ ذلك يَكُن قتلُه علينا هيِّنًا(٦).

قال: والنبيُّ ﷺ داخِلَ يُوحَى إليه، فخَرَجَ رسولُ الله ﷺ حتَّى أتى عمر، فأخذَ بمجامعِ ثَوْبِه وحمائِل سَيْفِه، فقال: «**أما أنت مُنتَهٍ يا عمرُ حتَّى يُنزِلَ الله بك من الخِزي والنكال ما أنزَلَ بالوليدِ بن المُغيرة، اللهُمَّ اهدِ عمرَ بنَ الخطّاب، اللهُمَ أعِزَّ الإسلامَ بعمرَ بنِ الخطّاب**»، فقال عمر: أشهد أن لا إلهَ إلّا الله وأنّك رسولُ الله، وقال: اخرُج يا رسولَ الله(٧).

---

(١) في «التبصرة»: «يئس».
(٢) «عمر» ليس في (د).
(٣) في (ق): «فاغتسل».
(٤) في (د): «وتوضأ».
(٥) في (ق): «أرجو الله».
(٦) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٢٦٧).
(٧) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١: ٤٢٢-٤٢٣)، و«المنتظم» (٤: ١٣٣-١٣٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠٢).

وفي رواية: فأخذَ رسولُ الله ﷺ بمَجامِع ثَوْبِه، فما تَمالَكَ أن وقَعَ على رُكبَتَيه، فلمّا أسْلَم كبَّرَ أهلُ الدّارِ تكبيرةً سَمِعَها أهلُ المسجد.

ثمَّ قال عمر: يا رسول الله، أَلَسْنا على الحقِّ إنْ مِتْنا وإنْ حَيينا، قال: «**بلى والذي نفسي بيده، إنّكُم على الحقِّ إن مِتُّم وإن حَيِيتُم**»[١]، فقلت: فَفِيمَ[٢] الاختفاء؟ والذي بعَثَكَ بالحقِّ لنخرُجَنَّ[٣]، فأخرَجناه في صَفَّينِ؛ حمزةُ في أحدهما، وأنا في الآخر، له كديدٌ كَكَديد الطحين حتَّى دَخَلنا المسجد، قال: فنَظَرَت إليَّ قريشٌ وإلى حمزة، فأصابَهم كآبةٌ لم يُصِبهُم مثلُها، فسمّاني رسولُ الله ﷺ يومئذٍ: الفاروق[٤].

قال صُهَيبٌ رضي الله عنه: لمّا أسلمَ عمرُ رضي الله عنه جَلَسنا حولَ البيت حِلَقًا، وطُفنا وانتَصَفنا ممَّن غَلَّظَ علينا.

وحصلَ له رضي الله عنه بدعوةِ النبيِّ ﷺ من الإيمان، ما إذا سَلَكَ فجًّا سَلَكَ الشيطانُ فجًّا غيرَه، كما جاءَ في «**الصحيحين**»[٥]، وقال عليه الصلاةُ والسلام: «**أشَدُّ أُمَّتي في أمر الله عمر**»[٦].

---

(١) «حلية الأولياء» (١: ٤٠)، و«دلائل النبوة» لأبي نعيم (١٩٢).

(٢) في (د): «ففيما». (٣) في (د): «لتخرجن».

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٢٧٢).

(٥) «صحيح البخاري» (٣٢٩٤)، و«صحيح مسلم» (٢٣٩٦).

(٦) «جامع الترمذي» (٣٧٩١)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨١٨٥)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٤). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح». وانظر: «سمط النجوم العوالي» (٢: ٤٩٤)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٠٣)، و«محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (١: ٢٠٣).

قال بعضُهم: «كانت[(١)] دِرّةُ عمرَ أهيبَ من سيفِ الحَجّاج»[(٢)].

[٣٦/أ] وكان تَخافُه ملوكُ فارسَ والروم وغيرُهم، ولمّا وُلِّيَ بقيَ على حالِه قَبلَ الولايةِ في لِباسِه وزيِّه وأفعالِه وتواضُعِه، يسيرُ مُفرَدًا في حَضَرِهِ وسَفَرِهِ بلا حرسٍ ولا حُجّاب، لم تُغيِّره الإمارة، ولم يَستَطِل على مؤمنٍ بلسانه، ولا حابَى أحدًا في الحقِّ؛ لمَنزِلَته، لا يَطمَعُ الشريفُ في حَيفِه، ولا يَيأسُ الضعيفُ مِن عَدلِه، ولا يخافُ في الله لومةَ لائم، نَزَّلَ نفسَه من مال الله تعالى منزلةَ رجُلٍ من المُسلمين، وكان وقّافًا عندَ كتاب الله تعالى، ولم يَزَل مُقتَفيًا آثارَ النبوّةِ رضوانُ الله عنه.

قالت له حفصةُ رضي الله عنها: لو لَبستَ ثوبًا هو ألينَ من ثَوبِك، وأكلتَ طعامًا أطيبَ من طعامِك، فقد وسَّعَ الله تعالى من الرزق وأكثرَ من الخير، فقال: إنّي سأُخاصِمُك إلى نَفسِك، أما[(٣)] تَذكُرينَ ما كان رسولُ الله ﷺ يَلقَى من شدّةِ العيش؟ فما زال يُذكِّرها حتَّى أبكاها[(٤)].

وفي رواية: يا بُنيّة، كيف رأيتِ عيشَ رسول الله ﷺ، قالت: واللهِ يُقيمُ الشهرَ لا يُوقَدُ في بيتِه سراج، ولا يَغلي له قِدر، ولقد كانت له[(٥)] عباءةٌ يَجعَلُها غطاءَه وغطاءَنا[(٦)].

---

(١) «كانت» غير واضحة في (د)؛ بسبب الترميم.

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٢٨٠)، و«وفيات الأعيان» (٣: ١٤)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣١٤).

(٣) في (د): «ما».

(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٦٦٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٢٨٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠٦).

(٥) «له» ليس في (ق).

(٦) في «الرياض النضرة»: «غطاء ووطاء».

فقال: كيف كان عيشُ صاحبِه؟ قالت: مثلُ ذلك، قال: فما تَقولِينَ في ثلاثةِ أصحابٍ مضى اثنانِ على طريقةٍ واحدة، وخالفَهُما الثالث، أفيَلحَقُ بهما؟ قالت: لا، فقال: أما والله لَأُشارِكَنَّهُما في مثل عَيشِهما الشديد؛ لَعلِّي أُدرِكُ عَيشَهما الرخيَّ[١].

وقال في قضيّةٍ أُخرى: «إنّه مضى لي صاحِبان عَمِلا عَمَلًا وسَلَكا طريقًا، إنّي إن عَمِلتُ بغير عَمَلِهما سُلِكَ بي غيرُ طَريقِهما»[٢].

قال ولدُه عبدُ الله: «لَبِسَ عمرُ قميصًا جديدًا، ثمَّ دَعا بالشفرة ثمَّ قال: مُدَّ يا بُنيَّ كُمَّ القميص، وألصِق يدكَ بأطراف أصابعي، ثمَّ اقطَع، فقطَعتُ كما قال، ثمَّ قلت: إنّه لو سَوَّيتَه؟ فقال: يا بُنيّ، دَعه هكذا، رأيتُ رسول الله ﷺ قد فعَل، فما زالَ عليه حتَّى تَقَطَّع، وربَّما كانت الخيوطُ تنتَثِرُ على قدميه»[٣].

قال قتادة: «كان عمرُ يلبسُ وهو أميرُ المؤمنينَ جُبّةً من صوفٍ مُرقَّعة، بعضُها من أدَم، ويَطُوفُ في الأسواق وعلى عاتِقِه الدِّرّةُ يُؤدِّبُ الناسَ بها، ويَمُرُّ بالنّكثِ والنوى فيَلتَقطَه[٤] ويُلقيه في منازل الناس؛ ليُغزَلَ ثانيةً»[٥].

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٣٧).

(٢) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٣٨).

(٣) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٣٨)، و«محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (٢: ٥٧٠).

(٤) في (د): «فيلقطه».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣٠٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة (٢: ٣٦٧-٣٦٨).

والنكث: الغزلُ المنقوض، سواءٌ كان من القُطن أو الأكسية[١].

وقال أنسٌ: «لقد رأيتُ بين كَتِفَي عمرَ أربعَ رِقاعٍ في قميصٍ»[٢].

وقال الحسن: «خَطَبَ عمرُ الناسَ وهو خليفةٌ وعليه إزارٌ فيه اثنا عَشَرَ رُقعةً»[٣].

وكان رضي الله عنه يأكُلُ خُبزَ الشَّعِير، ويَأْتَدِمُ بالزَّيت، ويَلبَسُ المَرقُوع، ويَخدِمُ نفسَه.

[٣٦/ب] قال ابنُ أبي مُلَيكة: «بينا عُمَرُ وُضِعَ له طعامٌ فقيلَ له: هذا عُتبةُ بنُ فَرقَدٍ بالباب، فأذِنَ له، فلمّا دَخَلَ وجَدَ بين يدَيهِ طَعامًا وزَيتًا، فقال: أَصِبْ مِن هَذا، فذهبَ يأكُلُ فإذا هُوَ بطَعامٍ جَشبٍ[٤] لا يستطيعُ أن يُسِيغَه، فقال له عُتبة: هَل لَكَ في طعامٍ يُقالُ له: الحُوّارَى[٥]، قال عمر: وَيلَك! ويَسعُ ذلك المُسلمينَ؟ قال: لا والله، فقال: يا عُتبةُ[٦]، أفأرَدتَ أن آكُلَ طَيِّباتي في حياتي الدنيا وأستمتعَ بها؟»[٧].

---

(١) انظر: «مجمل اللغة» (٨٨٤)، و«مقاييس اللغة» (٥: ٤٧٥).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣٠٣)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٢٦٨).

(٣) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠٦)، و«مختصر منهاج القاصدين» (٣٢٧).

(٤) في «تاريخ دمشق»: «خشب».

(٥) الخبز الحُوّارى؛ بضم الحاء وتشديد الواو: الذي نُخِل مرّة بعد مرة. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (١: ٤٥٨).

(٦) في (د): «يا أبا عتبة».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٢٩٥-٢٩٦)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٥)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٢٦٨).

والجَشبُ: الغليظ، يعني الخَشن[١].

وفي رواية: فقال عمر: سَمِعتُ الله[٢] عَيَّرَ أقوامًا، فقال: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾[٣] [الأحقاف: ٢٠].

وكان يقول: «إيّاكَ واللحمَ؛ فإنّ له ضَراوةً[٤] كضراوةِ الخمر»[٥].

وكان يقول: «لا تَنخُلُوا الدقيقَ فإنّه كلَّه طعامٌ»[٦].

وجَعَلَ مرّةً يأكُلُ ويقول لجُلسائه: «لتأكُلوا، فجَعَلنا نعتذرُ[٧]، فقال: ما لَكُم لا تأكُلُونَ؟ فقلنا: لا نأكُله؛ لأنّهُ كان خشِنًا»[٨].

قالت حفصةُ رضي الله عنها: «دَخَلَ عمر فقَدَّمتُ[٩] إليه مرقةً باردة، وصببتُ عليها زيتًا، فقال: إدامان في إناءٍ واحد! لا أذوقُه أبدًا حتَّى ألقَى الله تعالى»[١٠].

---

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٧: ٤٤)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (١: ٢٧٢)، و«لسان العرب» (١: ٢٦٦).

(٢) قوله: «سمعت الله» ليس في (د).

(٣) انظر: «مختصر تاريخ دمشق» (١٨: ٣٢٨)، و«حياة الصحابة» (٢: ٥٦٥)، و«تزكية النفوس» (٦٠).

(٤) في حاشية (ق): «الضراوة؛ بالفتح: عادة وممارسة، أي: عادة كعادة الخمر في إفساد المال والإسراف فيه». انظر: «غريب الحديث» للقاسم بن سلام (٥: ٣٤٦)، و«تهذيب اللغة» (١٢: ٤٠)، و«الصحاح» (٦: ٢٤٠٨).

(٥) انظر: «الزهد» للمعافى (٢٦٢)، و«الآداب الشرعية والمنح المرعية» (٢: ٤٣٠).

(٦) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٧).

(٧) في (ق) و(د): «نعذر».

(٨) في (د): «لأنه خشن». وانظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٧).

(٩) في (د): «فقدمنا».

(١٠) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٧).

قال عبدُ الله ابنُه: «دَخَلَ أميرُ المؤمنينَ عمرُ[١] ونحنُ على مائدة، فأوسَعتُ له عن صدر المجلس، فقال: بسم الله، ثمَّ أخذ بيده لُقمةً[٢]، ثمَّ ثنَّى بأُخرى، ثمَّ قال: إنّي لأجِدُ طعمَ دَسَمٍ غيرِ[٣] دَسَم اللحم، فقال عبدُ الله: يا أميرَ المُؤمنين، إنّي خَرَجتُ إلى السوق أطلبُ السَّمينَ فوجدتُهُ غاليًا، فاشتريتُ بدرهمٍ من المهزول، وجعلتُ عليه سَمْنًا.

فقال عمرُ رضي الله عنه: ما اجتَمَعا عند رسول الله ﷺ إلّا أكَلَ أحَدَهُما وتصدَّقَ بالآخَر، فقال ولدُه عبدُ الله: يا أميرَ[٤] المُؤمنين، فلن يَجتَمِعا عندي أبدًا إلّا فعلتُ ذلك»[٥].

ولمّا فتَحَ العراقَ وحُمِلَت إليه خزائنُ كِسرى، قال له صاحبُ بيتِ المال: «ألا نُدخِلُه بيتَ المال؟ فقال: لا والله، ولا يَأوي تحتَ سقفٍ حتَّى أُقَسِّمَه، فكَشَفُوا عَنِ الأموالِ فرأى منظرًا عظيمًا من الذَّهَبِ والجَوهَر، فقال: إنّ الذي أدَّى هذا لَأمين، فقالوا: أنت أمينُ الله، وهم يُؤدُّونَ إليك ما أدَّيتَ إلى الله، فإذا زِغتَ زاغُوا، فقَسَّمَه ولم يأخُذ منه لنفسِهِ شَيئًا»[٦].

قال ابنُ أبي كثير: «قال عمرُ رضي الله عنه: لو نادى مُنادٍ من السماء: يا أيُّها الناس، لا يَدخُلُ النارَ إلّا رجلٌ واحد، لَخِفتُ أن أكُونَ أنا ذَلكَ الرجُل»[٧].

---

(١) «عمر» ليس في (ق).

(٢) قوله: «ثم أخذ بيده لقمة» في (ق): «ثم ضرب بيده في لقمة».

(٣) قوله: «دسم غير» ليس في (د). (٤) في (د): «أينه يا أمير».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣٠٢)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٧).

(٦) «معرفة السنن والآثار» (١٣١٩٦)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦: ٥٨١).

(٧) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٣)، و«البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣: ١٢٦٥).

قال عبدُ الله بنُ عامرٍ رضي الله عنه قال: «رأيت عمرَ أخَذَ تِبنةً من الأرضِ [٣٧/أ] وقال: يا لَيتَنِي كُنتُ هذه التِّبنة، لَيتَنِي لَم أُخلَق، ليتَ أُمِّي لَم تَلِدنِي، لَيتَنِي لَم أكُن شَيئًا، لَيتَنِي كُنتُ نَسيًا مَنسِيًّا»(١).

قال عبدُ الله بنُ عيسى: «كان في(٢) وجهِ عمرَ خطَّانِ أسودان من البكاء»(٣).

قال الحسن: «كان عمرُ يبكي في وِردِه حتى يَخِرَّ على وجهه، ويبقى في بيتِه أيّامًا يُعادُ من الخوف»(٤).

قالت أمُّ سلمة: دخلَ عليَّ عبدُ الرحمن بنُ عوف، فقال: يا أمَّه، قد خشيتُ أن يُهلِكَني كثرةُ مالي، فقالت: يا بُنيّ، تصدَّق؛ فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ مِن أصحابي مَن لا يراني بعدَ أن أُفارقَه**»، فخرج عبدُ الرحمن، فلَقِي عمرَ فأخبره بذلك، فجاء عمر، فدخلَ عليها، فقال: بالله، أنا منهم؟ قالت: لا، ولن أقولَ لأحدٍ بعدك(٥).

وفي رواية: فأتاها يشتدُّ وهو مُسرِع، فقال لها: أنشُدُك بالله، أنا منهم؟ فقالت: لا، ولن أبرِّئَ بعدك أحدًا أبدًا(٦).

---

(١) انظر: «المنتظم» (٤: ١٤١)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٢٧٠)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٣).

(٢) في (د): «على».

(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٣٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٠٧)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٧٧).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٣٢)، و«محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (٢: ٦١٦).

(٥) انظر: «الاستيعاب» (٢: ٨٤٨-٨٤٩)، و«الجامع الصحيح للسنن والمسانيد» (٢: ٣٠٩).

(٦) انظر: «الاستيعاب» (٢: ٨٤٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣٠٧)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٤).

وقرأ يومًا: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]، حتَّى بلغ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠]، فخرَّ مغشيًّا عليه، وبقي أيامًا يُعاد(١).

قال أنس: «رأيتُ عمرَ دخل حائطًا، فسمعته من وراء الجدار وهو يقول: واللهِ لتتقِيَنَّ بُنَيَّ(٢) الخطاب أو ليُعذِّبنَّك، ما صنعت كذا، ما صنعت كذا، ثم يضرب ظهرَه بالدِّرّة»(٣).

قال سلمةُ بنُ سعيد: «أُتِي عمرُ بمال، فقال له عبدُ الرحمن بنُ عوف: يا أميرَ المؤمنين، لو حبستَ هذا المالَ في بيت المال لنائبةٍ أو أمرٍ(٤) يحدث؟ فقال: أعصي الله العامَ مخافةَ قابلٍ؟ أُعِدُّ لهم تقوى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، ويكون فتنةً على مَن بعدي»(٥).

وأُتي بمِسك، فأُمِرَ به فقُسِّمَ بين المسلمين، فسَدَّ أنفه، فقيل له في ذلك؟ فقال: وهل يُنتفَع إلّا بريحه(٦)؟

ودخل يومًا على زوجتِهِ فوجد معها ريحَ المِسك، فقال: ما هذا؟ فقالت(٧): إنّي بِعتُ مِسْكًا من بيتِ المال، ووَزَنتُ بيدي، فلمّا وزنتُ مسحتُ أصبعي

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ١٨٤)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٥).

(٢) في (د): «يا بن».

(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١١)، و«ذم الهوى» (٤١)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٦).

(٤) في (د): «وأمر».

(٥) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٧٦).

(٦) انظر: «الرياض النضرة» (٢: ٣٧٨).

(٧) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

في قِناعي، فقال: ناوِلنِيه، فأخذه فصبَّ عليه الماء، فلم يَزَل يَدلُكه في التراب ويصبُّ عليه الماء حتى ذهب رِيحُه.

وكان إذا قِيلَ له: اتَّقِ الله. فَرِحَ وشَكرَ قائِلَه، وكان يقول: رحم الله امرًا أهدَى إلَينا عُيُوبَنا[١].

قال زيدُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه: «رأيتُ على عمرَ مُرَقَّعةً فيها سبعَ عشرةَ رُقعةً، فانصرَفتُ إلى بيتي باكيًا، ثمَّ عُدتُ في طَريقِي فوجدت عمرَ وعلى عاتِقِه قِربةُ ماءٍ وهو يتخلَّل الناس، فسِرتُ معه حتَّى صبَّها في بيت عجوزٍ»[٢].

قال طلحة: «خرج عمرُ ليلةً في سواد الليل، فدخل بيتًا، ثمَّ دخل بيتًا آخر، فلمّا أصبح طلحةُ ذهب إلى ذلك البيت، فإذا بعجوزٍ عمياءَ مُقعَدة، فقال لها: [٣٧/ب] ما هذا الرجلُ يأتيكِ؟ فقالت: إنّه يتعاهَدُني منذُ كذا وكذا، يأتيني بما يُصلِحُني، ويُخرِجُ عنِّي الأذى»[٣].

قال زيدُ بنُ أسلم: «طاف عمرُ ليلةً، فإذا بامرأةٍ في دارٍ لها[٤] وحولَها صبيانٌ يبكون، وإذا قِدرٌ على النار قد مَلَأتها ماءً، فدنا عمرُ من الباب، ثمَّ قال: يا أمةَ الله، ما بكاءُ هؤلاء الصبيان؟ فقالت: من الجوع، قال: فما هذه القِدرُ التي

---

(١) انظر: «صيد الخاطر» (٦٩)، و«مختصر منهاج القاصدين» (١٥٧)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٨٠).

(٢) بعدها في (د): «عمياء»، وانظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٨٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٠٥-١٠٦)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٨١)، و«البداية والنهاية» (٧: ١٣٥).

(٤) في (د): «في دارها».

على النار؟ فقالت: أُعلِّلُهم حتَّى يناموا، وأُوهِمُهم(١) أنّ فيها شيئًا، فجلس عمرُ يبكي، ثمَّ جاء إلى دار الصدقة وأخذ غِرارةً وجعل فيها شيئًا(٢) من دقيقٍ وسمنٍ وشحمٍ وتمرٍ وثيابٍ ودراهمَ حتَّى ملأ الغِرارة، ثمَّ قال: يا أسْلَم، احمِل عليّ، قلت: يا أميرَ المؤمنين، أنا أحمله عنك، قال: لا أُمَّ لك يا أسلم، أنا أحمِلُه؛ لأنِّي المسؤولُ عنه(٣) في الآخرة.

قال: فحمله على عاتقه حتَّى أتى منزلَ(٤) المرأة، وأخذ القِدرَ، وجعل فيها دقيقًا وشيئًا من شحمٍ وتمر، وجعل يُحرِّكُه بيده، وينفخُ تحت القِدر، وكانت لحيتُه كَثّة، فرأيت الدخانَ يخرج من خَلَلِ لحيته حتَّى طبخ لهم، ثم جعل يَغرِف بيده ويُطعِمُهم حتَّى شَبِعوا، ثمَّ خرج رضي الله عنه»(٥).

وكان رضي الله عنه يصوم الدهرَ ويقوم الليلَ(٦).

قال ليثُ بنُ أبي سُلَيم: «بلغني أنّ عمرَ رضي الله عنه عُوتِبَ في جهده نهارًا في أمور الناس، وفي اجتهاده ليلًا في أمور آخِرَته، فقال: إن نمتُ نهاري ضاعت الرعيّة، وإن نِمتُ ليلي ضيَّعتُ نفسي، فكيف بالنوم معهما؟»(٧).

وكان رضي الله عنه يحبُّ الصلاةَ في كبِدِ الليل، يعني: وسطه(٨).

---

(١) في (ق): «وأوهم». (٢) «شيئًا» ليس في (د).

(٣) في «تاريخ دمشق» لابن عساكر: «عنهم».

(٤) «منزل» ليس في (د).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٣٥٢)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٨٢).

(٦) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١: ٤٢٨)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٧٧).

(٧) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٨٤).

(٨) انظر: «مرآة الزمان» (٥: ٣٧٧)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٢: ٣٦٣).

ومناقِبُه رضي الله عنه كثيرةٌ، وقد ذكرت جملةً منها في كتابي[(١)] «**قمع النفوس**»، يشتمل على فوائد.

طعنَه أبو لؤلؤةَ في صلاة الصبح، ثمَّ طار بسكِّينٍ ذاتِ طرفَين لا يمرُّ على أحدٍ يمينًا وشمالًا إلّا طعنه، حتَّى طعن ثلاثةَ عشر، مات منهم سبعة، فلمّا رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه بُرنسًا[(٢)]، فلمّا ظنَّ أنّه مأخوذ نحر نفسَه[(٣)].

قال الشعبيّ: «قُبِضَ عمرُ وهو ابنُ ثلاثٍ وستِّين سنةً»[(٤)].

قال ابنُه عبدُ الله: «قال لي: ضع خَدِّي على الأرض، فقلت: فخِذِي والأرضُ سواءٌ، فقال: ضع خدِّي بالأرض لا أُمَّ لك، ويلي وويل أمِّي إن لم يغفر الله[(٥)] لي. حتَّى فاضت نفسُه رضوان الله عليه»[(٦)].

توفِّي في ذي الحجة سنةَ ثلاثٍ وعشرين، رضي الله تعالى عنه وأرضاه[(٧)].

---

(١) في (ق): «كتاب».

(٢) البرنس: كل ثوب رأسه منه ملتزق به، دراعة كان أو ممطرًا أو جبة، وقيل: البُرنُس: كُمّة طويلة كان النُّسّاك يلبسونها في صدر الإسلام. انظر: «العين» (٧: ٣٤٣)، و«جمهرة اللغة» (٢: ١١٢٠)، و«الصحاح» (٣: ٩٠٨)، و«لسان العرب» (٦: ٢٦).

(٣) انظر: «المحن» (٦٥-٦٦)، و«المنتظم» (٤: ٣٢٩)، و«البداية والنهاية» (٧: ١٣٧).

(٤) انظر: «الأخبار الطوال» (١٣٩)، و«المستخرج من كتب الناس للتذكرة» (٢: ٤٧٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٤٦٣).

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ق).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٤٤٥)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٢٨٢).

(٧) انظر: «الأخبار الطوال» (١٣٩)، و«المستخرج من كتب الناس للتذكرة» (٢: ٤٧٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٤: ٤٦٣).

[عثمان بن عفّان رضي الله عنه]

[١٤] ومنهم: عثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنه(١).

ولم يَزَل هذا اسمَه في الإسلام والجاهليّة، ويُكنى: أبا عبد الله وأبا عمر(٢).

[٣٨/أ] وهو أوَّلُ مَن هاجر إلى أرض الحبشة فارًّا/ بدينه ومعه زوجتُه رُقيّةُ بنتُ رسول الله ﷺ، ثمَّ تابَعه الناسُ(٣)، وكان رسولُ الله ﷺ يتوكَّف(٤) خبرَهما، فقَدِمت امرأةٌ من قريشٍ من أرض الحبشة، فسألها رسولُ الله ﷺ عنها؟ فقالت: رأيتُها، فقال ﷺ: «**على أيِّ حالٍ؟**»، قالت: رأيتُها وقد حَمَلها على حمارٍ وهو يَسُوقها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**صَحِبَهُما الله، إن كان عثمانُ لأوَّلَ مَن هاجر إلى الله تعالى بعد لُوطٍ عليه السلام**»(٥).

---

(١) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٤٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٢٩).

(٢) انظر: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٤٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٢٩).

(٣) انظر: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٤٣)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٢٩).

(٤) التوكف: التوقع والانتظار، وفي حديث ابن عمير: «أهل القبور يتوكفون الأخبار»، أي: ينتظرونها ويسألون عنها، وفي «التهذيب»: أي يتوقعونها، فإذا مات الميت سألوه: ما فعل فلان وما فعل فلان؟ يقال: هو يتوكف الخبر، أي: يتوقَّعه، ونقول: ما زلت أتوكفه حتى لقيته. انظر: «المحكم» (٧: ١٥١)، و«لسان العرب» (٩: ٣٦٤).

(٥) قوله: «بعد لوط» ليس في (د)، وانظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦: ٣١٩٧)، و«سير السلف الصالحين» (١٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٣٠).

وخصَّه الله تعالى بكثرةِ الحياء، وبأنّه أصدقُ الأمّةِ حياءً[١]، رواه أنسٌ عن النبيِّ ﷺ، ذكره البغويُّ في «**الحسان**»[٢].

وقَبِلَ وصيّةَ رسول الله ﷺ في عدم نزع القميص، قالت عائشةُ رضي الله عنها: قال رسولُ الله لعثمانَ ذاتَ يوم: «**إنّ الله تعالى لعلَّه يُقمِّصُكَ قميصًا، فإن أرادوك[٣] على خلعه فلا تخلعه**»، ثلاثًا.

رواه أبو حاتمٍ[٤]، والترمذيّ، وقال: «حسنٌ غريبٌ»[٥].

قال ابنُ مَهديّ: «كان لعثمانَ شيئانِ ليسا لأبي بكرٍ وعمر: صبرُه نفسَه[٦] حتَّى قُتِلَ مظلومًا، وجمعُه المُصحَفَ»[٧].

قال شدّادُ بنُ أوسٍ رضي الله عنه: «لمّا اشتدَّ الحصارُ بعثمانَ يوم الدار أشرف على الناس، فقال: يا عبادَ الله، قال: فرأيتُ عليَّ بنَ أبي طالبٍ رضي الله عنه خارجًا من منزله مُعتمًّا بعمامةِ رسول الله ﷺ، مُتقلِّدًا سيفَه، أمامَهُ الحسنُ وعبدُ الله بنُ عمرَ في نفرٍ من المهاجرين والأنصار، رضي الله عنهم أجمعين، حتَّى حمَلوا على الناس وفرَّقُوهم، ثمَّ دخلوا على عثمان، فقال له: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين، إنّ رسولَ الله ﷺ لم يلحق هذا الأمرَ حتَّى ضرب

---

(١) «مسند أحمد» (١٣٩٩٠)، و«جامع الترمذي» (٣٧٩٠)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨١٨٥)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٤)، وانظر الكلام عليه في: «علل الدارقطني» (١٢: ٢٤٨) (٢٦٧٦)، و«الأحكام الوسطى» (٣: ٣٣٩)، و«البدر المنير» (٧: ١٩٠).

(٢) «مصابيح السنة» للبغوي (٤٧٨٧).

(٣) في (ق): «أرادوا».

(٤) «علل الحديث» لابن أبي حاتم (٦: ٣٧٢).

(٥) «جامع الترمذي» (٣٧٠٥).

(٦) في (د): «على نفسه».

(٧) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٦٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٢٥٠)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٣٢).

بالمُقبلِ المُدبِر، وإنّي والله لا أرى[١] القومَ إلّا قاتِليك فمُرنا فلنُقاتل.

فقال عثمان: أنشُدُ الله رجلًا رأى لله حقًّا، وأقرَّ أنّ لي عليه حقًّا، أن يُهريق في سببي ملء[٢] مِحجَمةٍ من دم، أو يُهرِيق فيَّ دمَه، فأعاد عليه القول، فأجابَه بمثل ما أجابه، قال: فرأيت عليًّا خارجًا من الباب وهو يقول: اللهمَّ إنّك تعلم أنّا بذلنا المجهود، ثمَّ دخل المسجد، فاقتحَمُوا عليه الدارَ»[٣].

وكان أبو هريرةَ رضي الله عنه معه، فرُمِيَ رجلٌ، فقال له أبو هريرةَ رضي الله عنه: الآن طابَ الضِّراب، قَتلُوا منّا رجلًا، فقال عثمانُ رضي الله عنه: عزمتُ عليك يا أبا هريرةَ إلّا رميتَ سيفَك؛ فإنّما تُراد نفسي، وسأقِي المؤمنين بنفسي، قال أبو هريرة: فرَمَيتُ بسيفي لا أدري أين هو / إلى الساعة[٤]. [٣٨/ب]

قال هارونُ بنُ يحيى: «إنّ عثمانَ لمّا ضُرِبَ والدمُ يسيل على لحيته، قال: لا إلهَ إلّا أنت سبحانك إنّي كنتُ من الظالمين، رضي الله عنه»[٥].

قال مُحمدُ بنُ سيرين: «كان عثمانُ رضي الله عنه يُحيِي الليلَ كلَّه بركعة، يجمع فيها القرآنَ»[٦].

وعن مَولاةٍ لعثمان، قالت: «كان عثمانُ يصوم الدهرَ»[٧].

---

(١) في (ق) و(د): «لأرى». (٢) «ملء» ليس في (د).

(٣) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٦٨).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١٠٤٦)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٦٩)، و«تهذيب الكمال» (١٩: ٤٥٦).

(٥) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٧٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٤٠١).

(٦) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٦٧١)، و«المحن» (٩١)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٧٥).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١١٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٤٣)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٦: ١٦٧).

وعن الزبيرِ بنِ عبد الله عن جَدَّتِه قالَت: «كانَ عُثمانُ يَصومُ الدَّهر[١]، ويَقومُ اللَّيلَ إلّا هَجعةً مِن أوَّلِه»[٢].

عن شُرَحبيلَ بنِ مُسلم، قال: «كان عثمانُ يُطعِمُ الناسَ طعامَ الإمارة[٣]، ويأكل الخلَّ والزيتَ»[٤].

وعن عبد الله بنِ شدّاد قال: «رأيت عثمانَ يومَ الجمعة يَخطُبُ وهو يومئذٍ أميرُ المؤمنين، وعليه ثوبٌ قيمتُه أربعةُ دارهمَ أو خمسة»[٥].

قال أبو الفُرات: «كان لعثمانَ عبد، فقال له: إنّي كنت عَركتُ أُذنَك، فاقتصَّ منِّي، فأخذ بأُذُنه، فقال: اشدُد، يا حبَّذا قصاصٌ في الدنيا لا في الآخِرة»[٦].

قال رضي الله عنه: «أنا[٧] بين الجنّةِ والنار، ولا أدري إلى أيَّتِهما يُؤمَر بي لاخترتُ أن أكون رمادًا قبل أن أعلمَ إلى أيَّتِهما أصِير»[٨].

كان رفيقًا رحيمًا، زاهدًا مُتعبِّدًا، خوّافًا، متتبِّعًا آثار النبوّة، يُضيِّق على نفسِه ويوسِّع على الناس.

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «قَحَطَ الناسُ في زمنِ[٩] أبي بكرٍ رضي الله

---

(١) قوله: «وعن الزبير بن عبد الله عن جدَّته قالت: كان عثمان يصوم الدهر» ليس في (ق).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٦٦١١)، و«حلية الأولياء» (١: ٥٦)، و«سير السلف الصالحين» (١٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١١٣).

(٣) في (د) و(ق): «الإمرة».

(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٦٨٤)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٤٣٨)، و«مرآة الزمان» (٦: ٦٤).

(٥) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٤٤).

(٦) انظر: «تاريخ واسط» (١٨٤).

(٧) في (د): «إني».

(٨) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٦٨٦).

(٩) في (ق): «زمان».

عنه، فقال الصدِّيق: لا تُمسُون حتَّى يُفرِّج الله عنكم، فلمّا كان من الغدِ جاء البشيرُ إليه، فقال: قَدِمت لعثمانَ ألفُ راحلة بُرًّا وطعامًا، قال: فغدا التجّارُ على عثمان، فقرعوا عليه الباب، فخرج إليهم وعليه ملاءةٌ قد خالَفَ بين طرفَيها على عاتقَيه، فقال لهم: ما تريدون؟ فقالوا: بلغَنا أنّك قَدِم لك ألفُ راحلة، بِعْنا حتَّى نُوسِّعَ به على فقراءِ المدينة، فقال لهم: ادخلوا، فدخلوا، فإذا ألفُ وِقرٍ قد صُبَّ في دارِه، فقال لهم: كم تُربِحُوني على شرائي من الشام؟ فقالوا: العشرةُ اثنَي عشر، قال: قد زادوني، قالوا: العشرةُ بأربعةَ عشر، قال: قد زادوني، قالوا: العشرةُ خمسةَ عشر، قال: قد زادوني، قالوا: مَن زادك ونحن تُجّارُ المدينة؟

قال: قد زادَني بكلِّ درهمٍ عشرةً، عندكم زيادة؟ قالوا: لا، قال: فأُشهِدُكُم مَعشَرَ التجّارِ أنّها صدقةٌ على فقراءِ المَدِينة»[١].

عن عثمانَ التَّيمِيِّ قال: قلت: «لأغلِبَنَّ[٢] الليلةَ على المَقام، فلما صلَّيتُ العَتمةَ تخلَّصت إلى المقام حتَّى قمت فيه، فبينا أنا قائمٌ إذا رجلٌ وضع يدَه على كتفي، فإذا هو عثمانُ رضي الله عنه، قال: فبدأ بأمِّ القرآنِ حتَّى ختم، فرَكَعَ وسَجَد، ثم أخذ نعلَيه، فلا أدري صلَّى قبل[٣] ذلك شيئًا أم لا»[٤]. [٣٩/أ]

وله مناقبُ كثيرةٌ[٥]، ذكرنا جملةً منها في «**قَمعِ النُّفوسِ**».

ويومَ قُتِلَ كانَ صائمًا رضي الله عنه، وهُوَ يَقرأُ[٦] في المُصحَف، ودُفِنَ

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٤٣-٤٤).
(٢) في (ق): «لأعلين». (٣) في (د): «قبلي».
(٤) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٧٧)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٤٢).
(٥) في (ق): «غزيرة». (٦) في (د): «يقرأ القرآن».

بالبقِيع، وسنُّهُ تسعون، وقيل: خَمسٌ وتِسعُون، وقيلَ غير[١] ذلك، وعاش في الخلافةِ اثنتَي عَشرةَ[٢] سنة، رضي الله عنه[٣].

* * *

[علي بن أبي طالب رضي الله عنه]

[١٥] **ومنهم**: عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه[٤].

ولم يَزَل ذلك اسمَه في الجاهليّة والإسلام[٥].

وكُنيتُه: أبو الحسن، وكنّاه رسولُ الله ﷺ: أبا ترابٍ[٦]، وكان أحَبَّ الأسماء إليه؛ لأنّه عليه الصلاةُ والسلامُ دخل على فاطمة، فقال: «**أين ابنُ عمِّك؟**»، قالت: هو ذا مضطجعٌ في المسجد، فوجَدَه رسولُ الله ﷺ وقد سقط رداؤُه عن ظهره، فجعلَ رسولُ الله ﷺ يمسحُ الترابَ عن ظهره، ويقول: «**اجلِس أبا تراب**»[٧]، قال زيدُ بنُ أرقم: هو أوَّلُ مَن أسلم. خرَّجه الإمامُ أحمدُ[٨]، والترمذيُّ[٩] وصحَّحه، يعني: بعدَ خديجة.

---

(١) قوله: «وقيل غير ذلك» في (د): «وغير ذلك».

(٢) في (ق) و(د): «اثني عشر».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١١٤)، و«مرآة الجنان» (١: ٧٧)، و«البداية والنهاية» (٧: ١٨٣).

(٤) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦: ١٩١)، و«المتفق والمفترق» (٣: ١٦٢٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١١٥).

(٥) في (د): «في الإسلام والجاهلية».

(٦) «صحيح البخاري» (٤٤١)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٩)، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ١١٥)، و«أسد الغابة» (٣: ٥٨٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٤٤).

(٧) «صحيح البخاري» (٣٧٠٣)، و«صحيح مسلم» (٢٤٠٩).

(٨) «مسند أحمد» (١٩٣٢٥). (٩) «جامع الترمذي» (٣٧٣٥).

فإن قيل: فعن ابن عبّاس، أنّ أوَّلَ مَن أسلم أبو بكرٍ رضي الله عنه، **والجواب**: أنّ أبا بكر أوَّلُ مَن أظهر الإسلام، وهو أوَّل مَن صلَّى[1]، يعني: عليًّا[2]. خرَّجه الترمذيّ.

وأجمَعوا على أنّه صلَّى إلى القبلتَين، وهاجر، وشهد بدرًا والحديبية، وبيعةَ الرضوان، وشهد المَشاهدَ كلَّها إلّا تبوك؛ استخلَفه رسولُ الله ﷺ فيها على المدينة، وهو بابُ دار العلم[3].

قِيل لعبد الله بن عيّاشٍ الزرقيّ: أخبِرْنا عن عليٍّ؟ قال: «كان إذا فَزِعَ[4] فَزِعَ[5] إلى[6] ضِرْسٍ من حديد، قيل: وما ضِرسٌ من حديد؟ قال: قراءةُ القرآن، وفِقهٌ في الدين، وشجاعةٌ وسماحةٌ»[7]. خرَّجه الإمامُ أحمد.

وكان من شأنه اتِّباعُ السنّة، وكان شديدًا في دين الله تعالى.

قال عليٌّ رضي الله عنه: إذا حدَّثتكم حديثًا عن رسولِ الله ﷺ فوالله لأنْ أخِرَّ من السماء أحَبُّ إليَّ مِن أن أكذِبَ عليه[8]. رواه الشيخان.

---

(١) في (د): «أسلم». (٢) «جامع الترمذي» (٣٧٣٤).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١٠٩٦-١٠٩٧)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٤٨٣)، و«الوافي بالوفيات» (٢١: ١٧٨).

(٤) في (د): «قرع» في الموضعين.

(٥) كذا في (ق) و«فضائل الصحابة»: «إذا فزع، فزع»، وفي «السنة» للخلال (٢: ٣٤٢) (٤٥٠): «إذا قرع، قرع»، وكذا في «الرياض النضرة» (٣: ٢٠٠)، وانظر: «غريب الحديث» للخطابي (٢: ١٦١)، و«الغريبين في القرآن والحديث» (٤: ١١٢٤)، و«الفائق» (٣: ٣١٩)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣: ٤٤٤).

(٦) في (د): «على».

(٧) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٩٧٥)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٢٠٠).

(٨) «صحيح البخاري» (٦٩٣٠)، و«صحيح مسلم» (١٠٦٦).

وكان رضي الله عنه كثيرَ التعبُّد، له وقفةٌ في الصلاة يُرى فيها العجب، قال معاويةُ لضرار الصدائيّ: صِف لِي عليًّا؟ فقال: اعفِني يا أميرَ المؤمنين، قال: لتَصِفَنَّه، قال: أمّا إذ[١] لا بدَّ من وصفه فإنّه كان والله بعيدَ المَدَى، شديدَ القُوَى، يقول فصلًا، ويَحكُم عدلًا، يتفجَّر العلمُ من جوانبه، وتنطق الحكمةُ من نواحيه[٢]، يَستوحِشُ من الدنيا وزهرتها، ويأنَس إلى[٣] الليل ووحشتِه، كان غزيرَ العَبرة، طويلَ الفكرة، يعجبه من اللباس ما قَصُر، ومن الطعام/ ما خَشُن، كان فينا كأحَدِنا، [٣٩/ب] يُجِيبُنا إذا سألناه، ويُنبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقُربه منّا لا نكاد نُكلِّمه هيبةً له، يُعظِّمُ أهلَ الدين، ويُقرِّبُ المساكين، لا يَطمَعُ القويُّ في باطله، ولا ييأسُ الضعيفُ من عَدلِه.

وأشهد لقد رأيتُه في بعض مواقفه وقد أرخى الليلُ سُدولَه وغارت نجومُه، قابضًا على لحيته يتمَلملُ تَملمُلَ السليم، ويبكي بُكاءَ الحزين، ويقول: يا دنيا، غُرِّي غيرِي، إليَّ تعرَّضتِ أم إليَّ تَشوَّفت، هيهات هيهات، قد طلَّقتُك ثلاثًا لا رجعةَ لي فيك، فعُمرُك قصير، وخَطرُك طويل، آهٍ آهٍ من قلّةِ الزاد وبُعدِ السفر ووحشةِ الطريق.

فبَكى معاوية، وقال: رَحِمَ الله أبا الحسن، كان والله كذلك، واختنَقَ بالبكاء هو والقوم، ثمَّ قال لضِرار: كيف حُزنُك عليه؟ فقال: حُزنُ مَن ذُبِحَ ولدُها في حَجرِها، فلا ترقأ عَبرتُها، ولا تسكن حسرتُها، والله أعلم[٤].

---

(١) في (ق): «إذا». (٢) في (د): «نواصيه».

(٣) في (ق): «في».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٨٤)، و«الاستيعاب» (٣: ١١٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١١٨)، و«مرآة الزمان» (٦: ٤٤٥).

قال له رسولُ الله ﷺ: «**يا عليّ، كيف أنت إذا زهد الناسُ في الآخرة، ورغِبوا في الدنيا، وأكلُوا التراثَ أكلًا لَمًّا، وأحَبُّوا[١] المالَ حبًّا جمًّا، واتَّخَذوا دينَ الله دَغَلًا، ومالَ الله دِوَلًا؟**».

قلت: أتركُهم وما اختاروا، وأختار الله ورسولَه والدارَ الآخرة، وأصبِرُ على مصيبات الدنيا وبَلواها حتَّى ألحقَ بك إن شاء الله تعالى، قال: «**صدَقت، اللهمَّ افعل ذلك به**»[٢]. أخرجَه الحافِظُ الثَّقفيُّ في «**الأربعين**»[٣].

قال عليُّ بنُ أبي ربيعة: «جاء التيّاحُ إلى عليٍّ رضي الله عنه، قال: يا أميرَ المؤمنين، امتلأ بيتُ المال من صفراءَ وبيضاء[٤]، قال: الله أكبر، فقام مُتوكِّئًا[٥] على ابن التيّاح، حتَّى قام على المال، فنُودِي في الناس، فأعطى جميعَ ما في بيت مال المسلمين[٦]، وهو يقول: يا صفراءُ يا بيضاءُ[٧] غُرِّي غيري، ها وها، حتَّى ما بَقِي منهُ[٨] دينارٌ ولا درهم، ثم أمر بنَضحِه، وصلَّى فيه ركعتَين[٩]. أخرجه الإمامُ أحمدُ وغيرُه.

قولُه: ها وها: هاك وهاك.

---

(١) في (د): «وحبوا».

(٢) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٢١٠)، و«سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي» (٣: ٥٩).

(٣) قوله: «في الأربعين» ليس في (د)، وانظر: «ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى» (١٢١).

(٤) في (د): «بيضاء وصفراء». (٥) في (د): «متكئًا».

(٦) في (د): «المال للمسلمين». (٧) في (د): «يا بيضاء يا صفراء».

(٨) «منه» ليس في (د).

(٩) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٨٨٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٢٠٤).

قال يومًا رضي الله عنه: «والله لقد رأيتُني مع رسولِ الله ﷺ وإنّي لأربِطُ الحجرَ على بطني من الجوع، وإنّ صدقتي اليومَ لأربعون ألفًا، وفي رواية: أربعون ألفَ دينارٍ»[١]، رواه الإمامُ أحمد.

قال الإمامُ أحمد: قال أبو السَّوّار: «رأيتُ عليًّا اشترى ثوبَين غليظَين، فخيَّر قَنبرَ في أحدهما، واشترى ثوبًا بثلاثةِ دراهمَ»[٢].

قال عبدُ الله بنُ أبي[٣] الهُذَيل: «رأيتُ عليًّا خَرجَ وعليهِ قَميصٌ غَلِيظٌ دارس[٤]، إذا مَدَّ كُمَّ قَمِيصِه بَلغَ الظُّفر، وإلا فهو إلى نِصفِ الساعدِ»[٥]. [٤٠/أ]

قال أبو سعيدٍ الأزديّ: «رأيتُ عليًّا في السوق وهو يقول: مَن عندهُ قميصٌ صالِحٌ بثلاثةِ دراهم، فقال له[٦] رجل: عندي، فجاء به فأعجبه، فأعطاه ثمَّ لَبِسه[٧]، فإذا هو يَفضُلُ عن أطرافِ أصابعه، فأمرَ به فقُطِع ما فَضَلَ عن أطراف أصابعه»[٨].

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «اشترى عليٌّ قميصًا بثلاثة دراهم وهو خليفة، وقطع كُمَّه من موضع الرُّسغَين، وقال: الحمدُ لله الذي هذا من رِياشِه»[٩].

---

(١) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٩٢٧)، و«حديث أبي الفضل الزهري» (٤٨٨).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١١٩)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٢١١).
(٣) «أبي» ليس في (د).
(٤) «دارس» مثبت من المصادر، وفي بعضها: «قميص غليظ رازي».
(٥) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١١١٢)، و«الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة» (٢: ٢٥١)، و«الرياض النضرة» (٣: ٢١١)، و«الوافي بالوفيات» (٢١: ١٨٠).
(٦) «له» ليس في (د).
(٧) في (د): «فأعطاه فلبسه».
(٨) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٩١٢)، و«حلية الأولياء» (١: ٨٣).
(٩) «المجالسة وجواهر العلم» (٢٦٨).

دخلوا عليهِ يومًا فوجَدُوه مؤتزرًا[١] بعباءةٍ مُتحجِّرًا بعقال، وهو يَهْنَأ بَعِيرًا[٢].
يَهنَأ: يطلي بالهناء، وهو: القَطِران[٣].

قال عليُّ بنُ الأرقم: قال أبي: «لقد رأيتُ عليًّا يبيع سيفًا في السوق، ويقول: مَن يشتري منِّي هذا السيفَ[٤]؟ فوالذي فلق الحبّةَ لطالَ ما كشفتُ به الحروبَ عن وجهِ رسول الله ﷺ، ولو كان عندي ثَمنُ إزارٍ ما بِعتُه»[٥].

قال هارونُ بنُ عنترة: قال أبي: «دخلتُ على عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه، فوجدته يُرعدُ تحت شَملٍ[٦] قطيفة، فقلت: يا أميرَ المؤمنين، إنّ الله تعالى قد جعل لك ولأهل بيتِك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسِك ما تصنع! فقال رضي الله عنه: ما أرزَؤُكم[٧] مالَكم، وإنّها لقطيفَتِي التي خرجتُ بها من منزِلي، أو من المدينة[٨].

قوله: أرزؤُكم[٩]؛ أي: أصِيبُ منكم[١٠].

وكان جهازُ فاطمةَ رضي الله عنها خميلةً ووسادةً من أدَمٍ حَشوُها ليفٌ ورَحَيَينِ وجَرَّتَين[١١].

---

(١) في (د): «متوزرًا». (٢) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٨٩١).
(٣) انظر: «معالم السنن» (٤: ١٢٧)، و«شرح النووي على مسلم» (١٤: ١٢٣).
(٤) «السيف» ليس في (د). (٥) «حلية الأولياء» (١: ٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١١٩).
(٦) في «صفة الصفوة» و«مرآة الزمان»: «سمل».
(٧) في (ق): «أرزاكم»، وفي (د): «أرذاكم».
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١١٩)، و«مرآة الزمان» (٦: ٤٤٦)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٢٢٠).
(٩) في (د): «أرذاكم». (١٠) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٣: ٢٢٠).
(١١) «مسند أحمد» (٨١٩)، و«صحيح ابن حبان» (٦٩٤٧).

قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه لِفاطِمةَ رضي الله عنها ذاتَ يَوم: واللهِ لَقَد سَنَوتُ حتى لقد اشتَكَيتُ صَدرِي، وقَد جاءَ الله أباكِ بسَبي، فاذهَبي فاستَخدِميه[١]، فقالَت: وأنا واللهِ قَد طَحَنتُ حتى مَجَلَت يَداي، ثمَّ أتيا رسولَ الله ﷺ، فقالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: يا رَسولَ الله، لَقَد سَنَوتُ حتى اشتَكَيتُ[٢] صَدرِي، وقالَت فاطِمةُ رضي الله عنها: وقَد طَحَنتُ حتى مَجَلَت يَداي، وقَد جاءَكَ[٣] الله بسَبيٍ وسَعةٍ فأخدِمنا، فقالَ ﷺ: «**واللهِ لا أُعطِيكُما وأدَعُ أهلَ الصُّفّةِ تَطوَى بُطونُهم، لا أجِدُ ما أُنفِقُ عَلَيهم، ولَكِنّي أبيعُهُ وأُنفِقُ عَلَيهم**»، فرَجَعا، فأتاهُما النَّبيُّ ﷺ وقَد دَخَلا في قَطِيفَتِهِما، إذا غَطَّت رُؤوسَهُما انكشفت أقدامُهُما، وإذا غَطَّت أقدامَهُما انكشفت رُؤوسُهُما، فثارا، فقالَ ﷺ: «**مَكانَكُما**»، ثُمَّ قال: «**ألا أُخبِرُكُما بخَيرٍ مِمّا سَألتُمانِي؟**»، قالا: بَلَى.

قال: «**كَلِماتٌ عَلَّمَنيهِنَّ جِبريلُ عليه السلامُ**»، فقال: «**تُسَبِّحانِ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ عَشرًا، / وتَحمَدانِ عَشرًا، وتُكَبِّرانِ عَشرًا، وإذا أوَيتُما إلى فِراشِكما فسَبِّحا ثَلاثًا وثَلاثِين، واحمَدا ثَلاثًا وثَلاثِين، وكَبِّرا أربَعًا وثَلاثِينَ**». [٤٠/ب]

قالَ عليٌّ رضي الله عنه: فما تَرَكتُهُنَّ مُنذُ عَلَّمَنيهِنَّ رَسُولُ الله ﷺ، فقيل: ولا لَيلةَ صِفِّينَ؟ فقال: ولا لَيلةَ صِفِّينَ[٤]. أخرجه الإمامُ أحمد.

قولُها: مَجَلَت[٥]: نَفَطَت[٦] من العمل[٧].

وفي رواية البخاريّ: «**إذا أخذتُما مضاجِعَكما فكبِّرا أربعًا وثلاثين، وسبِّحا**

(١) في حاشية (د): «أي: اطلبي منه خادمًا». (٢) في (ق): «اشتكوت».
(٣) في (د): «جاء». (٤) «مسند أحمد» (٨٣٨).
(٥) في (د): «مجلت يداي». (٦) في (د): «تقطعت».
(٧) انظر: «لمعات التنقيح» (٨: ٥٩١)، و«نيل الأوطار» (٥: ٣٥١)، و«تحفة الأحوذي» (٩: ٢٥٠).

ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادمٍ يَخدُمكما»[١]، والله أعلم.

قال أبو مطرف: رأيت عليًّا مُؤتَزرًا بإزار، مرتديًا[٢] برداء، ومعه دِرّةٌ كأنّه أعرابيٌّ بدويّ، حتَّى بلغ سوقَ الكرابيس[٣]، فقال: يا شيخ، أحسِن بيعي في قميصٍ بثلاثةِ دراهم، فلمّا عرَفَه لم يشترِ منه شيئًا، فأتى آخر، فلمّا عرَفَه لم يشترِ منه شيئًا، فأتى غلامًا حدَثًا فاشترى منه قميصًا بثلاثةِ دراهم، ثمَّ جاء أبو الغلامِ فأخبرَه، فأخذَ أبوه دِرهمًا، ثمَّ جاء به إلى عليٍّ رضي الله عنه، فقال: هذا[٤] الدِّرهَمُ يا أميرَ المؤمنين، فقال: ما شأنُه؟ فقال: كان القميصُ ثمنَ[٥] درهمَين، فقال: باعَني رضائي وأخذ رضاه[٦]. خرَّجه أحمدُ[٧] وغيرُه.

والكرباس: ثوبٌ غليظٌ[٨].

واشترى يومًا تمرًا بدرهم، فحمَله في مِلحفَتِه، فقيل له: يا أميرَ المؤمنين، ألا نَحمِلُه عنك؟ فقال: «أبو العيالِ أحقُّ بحَملِه»[٩].

قال زاذان: «رأيتُ عليًّا يمشي في الأسواق، فيُمسِك الشُّسُوعَ بيده، فيُناوِل الرجلَ الشِّسع، ويُرشِدُ الضالّ، ويُعِين الحَمّالَ على الحمولة، وهو يقرأ هذه

---

(١) «صحيح البخاري» (٣١١٣).
(٢) في (ق) و(د): «مرتدًا».
(٣) بعدها في (د): «فجاء إلى رجل».
(٤) في (د): «خذ هذا».
(٥) في (د): «بثمن».
(٦) «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (٩٦).
(٧) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٨٧٨).
(٨) انظر: «الصحاح» (٣: ٩٧٠)، و«لسان العرب» (٦: ١٩٥)، و«المصباح المنير» (٢: ٥٢٩)، و«القاموس المحيط» (٥٧٠).
(٩) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٩١٦)، و«الأدب المفرد» (٥٥١).

الآية: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، ثمَّ يقول: هذه الآيةُ نزلَت في ذَوي القُدرةِ من الناس»[١]. أخرجَه الإمامُ أحمد.

قال: «إنّ[٢] أخوَفَ ما أخافُ اتِّباعُ الهوى وطولُ الأمل، أمّا[٣] اتِّباعُ الهوى، فيَصُدُّ عن الحقّ، وأمّا طُولُ الأمل فيُنسِي الآخرة، ألا وإنّ الدنيا قد ترحَّلَت مُدبِرة، ألا وإنّ الآخرةَ قد ترحَّلَت مُقبِلة، ولكلٍّ واحدةٍ بنون، فكونوا من أبناءِ الآخرة، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا؛ فإنّ اليومَ عملٌ ولا حساب، وغدًا حسابٌ ولا عمل، واعلموا أنّكم مَيِّتون ومُبعَثون، ومَوقوفون على أعمالِكم، ومَجزِيُّون بها، فليَكُن همُّكم لِما بعد الموت»[٤].

قال بِشر: «رأيتُ أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالبٍ في المنام، فقلت: عِظنِي، فقال: ما أحسنَ عَطفَ الأغنياءِ على الفقراء؛ طلبًا لثوابِ الله تعالى، وأحسنُ من ذلك تِيهُ الفقراءِ على الأغنياءِ ثقةً بالله»[٥].

[٤١/أ] قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما في قولِه تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، قال: آجَرَ عليٌّ نفسَه، يسقي نخلًا بشيءٍ من شعيرٍ ليلةً حتّى أصبح، فلمّا أصبحَ قبضَ الشعيرَ فطحن منه، فجعلوا منه شيئًا ليأكلوه، يُقال له: الحريرةُ[٦]؛ دقيقٌ بلا دُهن، فلمّا تمَّ إنضاجُه أتى مسكينٌ

---

(١) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٤٩٧-١٠٦٤).

(٢) في (ق): «إني». (٣) في (د): «فأما».

(٤) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٤٩٥)، و«الزهد» لأبي داود (١٠٦).

(٥) انظر: «الرسالة القشيرية» (٢: ٥٦٣)، و«التدوين في أخبار قزوين» (١: ٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (١٤: ٣٥٦).

(٦) في (د): «الخزيرة».

فأطعَمُوه إيّاه، ثم صنَعوا الثُّلثَ الثاني، فلمّا تمَّ إنضاجُه جاء يتيمٌ فسأل فأطعَمُوه إيّاه، ثم صنَعُوا الثُّلثَ الثالِث، فلمّا تمَّ إنضاجُه أتى أسيرٌ فأطعَمُوه إيّاه، وطوَوْا يومهم، فنزلت هذه الآيةُ(١).

قال السُّدِّيّ: قال أبو أراكةَ(٢): صلَّيتُ مع عليٍّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه الصبح، فلمّا سلَّم انفتلَ عن يمينِه، ثمَّ مكث كأنّ عليه كآبة، حتَّى إذا كانت الشمسُ على حائط المسجدِ قِيدَ رُمحٍ قال وقَلب يدَه: لقد رأيتُ أصحابَ رسول الله ﷺ، فما أرى شيئًا اليومَ(٣) يُشبِهُهم، لقد كانوا يُصبِحون شُعثًا غُبرًا، بين أعيُنِهم أمثالُ رُكَب المِعزى، لقد(٤) باتوا والله سُجَّدًا وقيامًا، يتلون كتابَ الله تعالى يُراوِحون بين جِباهِهم وأقدامهم، فإذا أصبَحوا فذكَروا(٥) الله مادُوا كما تَمِيدُ الشجرُ في يومِ الرِّيح، وهَمَلَت أعينُهم حتَّى تَبلَّ ثيابَهم، والله لكأنّ القومَ باتوا غافلين، فما رُئِي مُفتَرًّا يَضحَك حتَّى ضربَه ابنُ مُلجَم(٦).

ضربه عبدُ الرحمن بنُ مُلجَمٍ(٧) بالكوفةِ يوم الجمعة لثلاثَ(٨) عشرةَ بَقِيَت من رمضان، وقيل: ليلة إحدى وعشرين سنةَ أربعين، فبَقِي الجمعةَ والسبت، ومات ليلةَ الأحد، وقيل: يوم الأحد، ودُفِنَ في وقتِ السَّحَر، ومات وعُمرُه قيل: ثلاثٌ وستون، وقيل: خمسٌ وستون، وقيل غيرُ ذلك.

---

(١) انظر: «مناقب علي» لابن المغازلي (٣٢٠).
(٢) في (د): «أبو راكة».
(٣) «اليوم» ليس في (ق).
(٤) في (د): «قد».
(٥) في (ق): «فذكر».
(٦) انظر: «مقتل علي رضي الله عنه» لابن أبي الدنيا (٦)، و«المجالسة وجواهر العلم» (١٤٦٦)، و«التبصرة» لابن الجوزي (١: ٥٠٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٤).
(٧) قوله: «ضربه عبد الرحمن بن ملجم» ليس في (د).
(٨) في (د): «لثالث».

رضي الله عنه وأرضاه(١)، وله مَناقِبُ كثيرةٌ(٢) ذكرنا بعضَها في «**قمع النفوس**»، والله أعلم.

* * *

[طلحة بن عُبَيد الله رضي الله عليه]

[١٦] ومنهم: أبو مُحمد، طلحةُ بنُ عُبَيد الله التيميُّ القرشيُّ(٣).

يجتمعُ مع رسولِ الله ﷺ في مُرّةَ بن كعب، ويجتمع مع الصدِّيقِ في كعب ابن سعد، وكان يُلقَّبُ بـ: طلحةَ الخَير؛ لقَّبه رسولُ الله ﷺ، وبطلحةَ الجُود(٤).

وكان سبب إسلامِه أنّه حضر سوقَ بُصرى من الشام، فإذا راهبٌ في صومعةٍ يقول: سَلُوا أهلَ هذا المَوسِم أفيهم أحدٌ من أهل الحرم؟ قال طلحة: نعم، قال: هل ظهر أحمدُ بعدُ؟ قال: قلت: ومَن أحمدُ؟ قال: ابنُ عبد الله بن عبد المُطَّلب، وهذا شهرُه الذي يَخرُج فيه، وهو آخِرُ الأنبياء، ومَخرَجُه الحرم، ومُهاجَرُه إلى نخلٍ وحَرّةٍ(٥) وسِباخ، فإيّاك أن تُسبَقَ إليه.

قال طلحة: فوقَع في قلبي قَولُه، فخرَجت مُسرعًا حتَّى قَدِمت مكّة، فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم؛ مُحمَّدُ بنُ عبدِ الله تَنبَّأ(٦)، وقد تَبِعه/ [٤١/ب]

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٥: ١٤٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٥).

(٢) «كثيرة» ليس في (ق).

(٣) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (١: ٣٢٧)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ١٤١)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٤٥).

(٤) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣٧٢)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٤٥).

(٥) في (د): «وجرة».

(٦) في (ق): «نبيًّا».

ابنُ أبي قحافة، قال: فخرجت حتَّى دخلتُ على أبي بكرٍ رضي الله عنه، فقلت: أتَبِعت هذا الرجلَ[١]؟ قال: نعم؛ فانطَلِق إليهِ فاتَّبِعهُ؛ فإنّه يدعو إلى الحقّ، وأخبَرَه طلحةُ بقول الراهب، فسُرَّ رسولُ الله ﷺ بذلك.

فلمّا أسلم أبو بكرٍ وطلحةُ أخذهما نوفلُ بنُ خُوَيلد، وشدَّهما في حبلٍ واحد[٢]، فلذلك سُمِّيا القَرِينَين[٣].

وأسلَم أخُوهُ ـ أعنِي طلحة ـ وهو عثمانُ رضي الله عنه.

بَرَكَ طلحةُ للنبيِّ ﷺ يومَ أحدٍ؛ لأنّه عليه الصلاة والسلام كان عليه دِرعان، فنهض على صخرةٍ فلم يستطع، فبَرَكَ له طلحة، فصعد رسولُ الله ﷺ على ظَهرِه حتَّى صعد على الصخرة.

قال الزبير: فسَمِعتُ رسولَ الله ﷺ: «**أوجَبَ طلحةُ**»[٤]. أخرجه الإمامُ أحمد، والترمذيُّ وصحَّحه.

وقالت[٥] عائشةُ رضي الله عنها: لمّا كان يومُ أحُدٍ كُسرِت رَباعيةُ النبيِّ ﷺ وشُجَّ وجهُه، وعلاه الغَشي، فجعل طلحةُ يَحمِله[٦] ويرجع القهقرى، وكلَّما أدركه أحَدٌ من المشركين قاتَل دونه حتَّى أسندَه إلى الشِّعب.

---

(١) في (د): «هذا الرجل ﷺ».

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٢١٤)، و«سير السلف الصالحين» (٢١٨)، و«المنتظم» (٥: ١١٢)، و«أسد الغابة» (٢: ٤٦٨).

(٣) «مستدرك الحاكم» (٥٥٨٦).

(٤) «مسند أحمد» (١٤١٧)، و«فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١٢٨٨)، و«جامع الترمذي» (١٦٩٢).

(٥) في (د): «قالت».

(٦) في (ق): «يحتمله».

وكان الصدِّيقُ رضي الله عنه إذا ذُكِرَ يومُ أحُدٍ قال: ذلك كلُّه يومُ طلحة، وجدنا فيه بضعًا وسبعين أو أقلَّ أو أكثرَ بينَ طعنةٍ وضربةٍ ورمية، وقد[١] قُطِعَت أصبعُه، وجدناه في بعض تلك الحِفارِ[٢] وقد نزف، فأصلَحنا من شأنه، ثمَّ مسح رسول الله ﷺ جسدَه، وقال: «**اللهمَّ اشفِه وقَوِّه**»، فقام صحيحًا، فرجع إلى مُبارَزة العدوّ، وكانت يدُه قد[٣] شُلَّت؛ لأنّه وقى بها رسولَ الله ﷺ[٤].

وشهد المشاهِدَ كلَّها، وهو أحدُ العشرةِ المَشهود لهم بالجنّة، وَكانَ لهُ رِقّةٌ ورحمةٌ وصدقةٌ[٥].

قال الحسن: «باع طلحةُ أرضًا له بسبعِ مئة ألف، فبات أرِقًا من مخافةِ ذلك المال، ثمَّ قال: إنّ رجلًا تَبِيتُ هذه عندَه في بيتِه لا يدري ما يطرقُه من أمر الله لَغَريرٌ بالله، فبات ورُسُلُه تختلف في سِكَك المدينة، فما أسحَرَ وعنده منها درهمٌ»[٦].

وكان رضي الله عنه لا يدَعُ أحدًا من بني تميمٍ عائلًا[٧] إلّا كفاه مُؤنةَ عياله، ويزوِّج أياماهُم، ويُخدِم عائِلَهُم، ويقضي دَينَ غارمهم[٨].

وكان يرسل إلى عائشةَ رضي الله عنها إذا جاءت غَلَّتُه كلَّ سنةٍ عشرةَ آلاف، ولقد قضى صبيحةَ يومٍ ثلاثين ألفَ درهم[٩].

---

(١) في (د): «ولما». (٢) في (د): «الجفار».

(٣) «قد» ليس في (د).

(٤) انظر: «المنتظم» (٥: ١١٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٥٢-٢٥٤).

(٥) قوله: «وكان له رقة ورحمة وصدقة» ليس في (ق).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٧).

(٧) «عائلًا» ليس في (د).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥: ١٠٢)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٥٠).

(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٥: ١٠٢)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٥١)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٦٢).

قالت امرأةُ طلحةَ سُعدَى بنتُ عوف: «لقد تصدَّق طلحةُ يومًا بمئة ألف، فلم يحبِسه عن الرَّواحِ إلى المسجد إلّا أنِّي جمعتُ له بينَ طرَفَي ثوبه، رضي الله عنه»(١).

قالت: ودخل عليَّ يومًا وهو مُغتَمّ، فقلت: ما(٢) شأنُك؟ فقال: المالُ الذي عندي قد كرَبَني، فقلت: وما عليك، اقسِمْه، فقسَمَه حتَّى ما بقي منه درهم، [٤٢/أ] وكان أربعَ مئة ألف، رضي الله عنه.

هكذا كانوا رضي الله عنهم، تأتيهم هذه الأموالُ العظيمةُ في الكثرة والحِلّ، فيبَرُّون بها، ويقعدون شُعثًا غُبرًا(٣) جياعًا.

وأنتم ويحَكم عكسُهم، لا جَرَمَ أنّه بين أيديكم حسرةٌ في الدنيا، وعذابٌ في الآخرة، تتناولونه من وجهه ومن غير وجهه(٤)، وتكنزونه مخافةَ الفقر، وتنسون: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٢٨].

قُتِلَ طلحة يوم الجمل في جمادى الآخرة سنةَ ستٍّ وثلاثين، وقع في حلقه سَهم فقال: بسم الله، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]، ودُفِنَ بالبصرة وهو ابنُ ستِّين، وقيل: أربع وستِّين، وقيل غيرُ ذلك(٥)، واللهُ أعلم.

* * *

---

(١) «حلية الأولياء» (١: ٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٧)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١١: ٢٠٢).

(٢) في (د): «وما».

(٣) «غبرًا» ليس في (ق).

(٤) قوله: «ومن غير وجهه» في (د): «وغير وجهه».

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٢٢١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٧)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٤٨).

[الزبير بن العوام رضي الله عنه]

[١٧] ومنهم: الزبيرُ بنُ العوّام[١].

وهو قرشيٌّ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في قُصَيٍّ بن كلاب[٢]، ولم يزَل ذلك اسمَه في الجاهليّة والإسلام.

أسلم وهو ابنُ ثمانِ سنين، وقيل: وهو ابنُ ستَّ عشرةَ سنة، وقيل: اثنتي[٣] عشرةَ سنة[٤].

قال أبو الأسود: لمّا أسلم الزبيرُ كان عمُّه يُعلِّقُه في حصير ويُدخِّنُ عليه بالنار، ويقول له: ارجع إلى الكفر، فيقول له الزبير: لا أكفر أبدًا[٥].

وهو أوَّلُ مَن سلَّ سيفًا في سبيل الله تعالى، قاله ابنُ المُسيَّب[٦].

وسببه: أنّه كان بمكّةَ إذ سمعَ نغمةً[٧] أنّ[٨] النبيَّ ﷺ قد قُتِل، فخرج عُريانًا ما عليه شيءٌ، بيده السيفُ مُصلَتًا، فتلقّاه النبيُّ ﷺ، فقال: «**ما لك يا زبيرُ؟**»، قال: سمعتُ أنّك قد قُتِلت، قال: «**فما كنتَ صانعًا؟**»، قال: أردت والله أنْ أستعرِض أهلَ مكّة، فدعا له النبيُّ ﷺ[٩].

---

(١) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢١٩)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٢٥)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٧١).

(٢) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٧١).

(٣) في (ق) و(د): «اثني».

(٤) انظر: «تهذيب التهذيب» (٣: ٣١٨).

(٥) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٧٣)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٥: ٤٧)، و«الوافي بالوفيات» (١٤: ١٢٢).

(٦) انظر: «مرآة الزمان» (٦: ٢١٩).

(٧) في (ق) و(د): «نعمة».

(٨) «أن» ليس في (د).

(٩) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١٢٦٠)، و«أخبار مكة» للفاكهي (٢٤٦٩)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦: ٥٩٧)، و«دلائل النبوة» (٥٦٢).

وفي روايةٍ بعد قوله «أستعرض أهلَ مكّة»: وأُجري دماءهم كالنهر، ولا أترك أحدًا منهم إلّا قتلتُه(١)، حتى أقتلَهم عن آخرهم. فضحك النبيُّ ﷺ وخلع رداءه وألبسه إيّاه(٢).

قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، الآية، وذلك أن خُبَيبًا(٣) أخرجه المشركون ليقتلوه، فقال: دعوني حتى أصلِّيَ ركعتَين، فتركوه حتَّى صلَّى ركعتَين، ثمَّ قال: لولا أن تقولوا: جزع، لزدت، وأنشأ يقول:

ولَستُ أُبالي حينَ أُقتَلُ مُسلِمًا   على أيِّ جنبٍ كان لله(٤) مَصرَعي(٥)

فصلَبوه حيًّا ثم قال: اللهمَّ إنّك تعلم أنه ليس حوالَيَّ أحدٌ يُبلِّغُ رسولكَ بمُقامِي، فأبْلِغْهُ سَلامِي، ثمَّ رموهُ بسَهْمٍ وطَعَنوه برُمح، فبلغ النبيَّ ﷺ خبرُه، فقال/ عليه الصلاةُ والسلام: «**أيُّكم يحتمل خُبَيبًا من خَشَبَتِه وله الجنّة؟**»، فقال الزبير: أنا وصاحبي المقداد، فخرجا يسيران الليلَ والنَّهارَ حتَّى وافَيا المكان، فإذا حول الخشبة أربعون رجلًا نيامًا، وإذا هو رطبٌ لم يتغيَّر منه شيءٌ بعد أربعين يومًا، فحمله الزبيرُ على فرسه وسار(٦)، فلَحِقَه سبعون منهم، فقذَف خُبَيبًا فابتلعَته الأرض، وقال: وما جرَّأكم علينا يا معشرَ قريش، ثم رفع العمامةَ عن رأسه، وقال: أنا الزبيرُ بنُ العوّام وأمِّي صفيّةُ بنتُ عبد المطلب، وصاحبي [٤٢/ب]

(١) قوله: «إلا قتلته» ليس في (د).
(٢) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢: ٧٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٩).
(٣) في (ق): «حبيبًا».
(٤) في بعض المصادر: «في الله».
(٥) من الطويل. وخبر مقتل خبيب بن عدي رضي الله عنه في: «صحيح البخاري» (٧٤٠٢).
(٦) «وسار» ليس في (د).

المقدادُ بنُ الأسود أسدانِ رابِضان، إن شِئتُم ناضَلتُكم، وإن شِئتُم نازَلتُكم، وإن شِئتُم انصرفتُم، فانصرَفوا، فقَدِموا على رسول الله ﷺ وعنده جبريل، فقال: يا مُحمَّد، إنّ الملائكةَ تُباهِي بهذَينِ مِن أصحابِك، ونزل قولُه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ﴾ الآية(١).

وهذا أحدُ أقوالٍ خمسةٍ في سبَبِ نُزُولِها، وهو قولُ ابنِ عبّاسٍ والضحّاك(٢).

وقيل: نزلت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قاله عليٌّ وابنُ عمر، وقيل: في صهيب، وقيل: في المهاجرين والأنصار، وقيل: في الأنصار فقط(٣).

شهد الزبيرُ بدرًا والحديبيةَ والمشاهدَ كلَّها، وهو أحدُ العشرة المشهود لهم بالجنّة، وهاجَر الهجرتَين(٤)، رضوانُ الله عليهم أجمعين.

قال فيه حسانُ أبياتًا، منها:

أقامَ على عَهدِ النَّبيِّ وهَديِه ... حَوارِيُّه والقَولُ بالفِعلِ يُعدَلُ
أقامَ على مِنهاجِهِ وطَرِيقِهِ ... يُوالِي وَلِيَّ الحقِّ والحقُّ أعْدَلُ
فكَمْ كُربةٍ ذَبَّ الزُّبَيرُ بسَيفِهِ ... عن المُصطَفَى واللهُ يُعطِي ويُجزِلُ(٥)

قال عروة: أوصى الزبير إلى ابنه عبد الله صبيحةَ الجمل، فقال: «يا بُنيّ،

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٧٩-٢٨٠).
(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٤: ٢٣١).
(٣) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٨٠).
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٣٣٢)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ١٩٤)، و«الوافي بالوفيات» (١٤: ١٢١).
(٥) من الطويل، وانظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٨١)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٥٠٠).

ما من عضوٍ إلّا وقد جُرِحَ مع رسولِ الله ﷺ حتّى انتهى ذلك إلى فَرجِه»[١]. خرَّجه الترمذيُّ وحسَّنَه.

وكان رضي الله عنه في النهاية من الورع، قال له ولدُه عبدُ الله: ما يمنعك أن تُحدِّثَ عن رسولِ الله ﷺ كما يُحدِّثُ عنه أصحابُه؟ قال: أما والله لم أفارقه منذُ أسلمت، ولكنِّي سمعتُه يقول: «**مَن كذب عليَّ مُتعَمِّدًا فليتبوَّأ مَقعدَهُ من النار**»[٢]. أخرجه البخاريُّ[٣].

ومعنى: يتبوَّأ: ينزل منزِلتَهُ[٤] منها، يقال: بوَّأه الله منزلًا، أي: أسكنَه إيّاه، والمَباءة: المنزل، وقيل غيرُ ذلك[٥].

وكان له حُنوٌّ وشفقةٌ وصدقة، قالت أمُّ درّة: «بعث الزبيرُ إلى عائشةَ رضي الله عنها بغِرارَتَينِ تبلغ الواحدة منهما[٦] ثمانِينَ ومئة ألفِ درهمٍ»[٧].

قال كعبُ بنُ مالك: «كان للزبير ألفُ مملوكٍ يُؤدُّون إليه الخَراج، فما كان يدخلُ بيتَه منها درهمٌ واحدٌ،/ كان يتصدَّق بذلك كلِّه»[٨]. أخرجه غيرُ[٩] واحدٍ من أئمّةِ الحديث. [٤٣/أ]

---

(١) «جامع الترمذي» (٣٧٤٦). (٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٣٣٤).

(٣) «صحيح البخاري» (١١٠)، و«صحيح مسلم» (٣).

(٤) في (ق): «منزلة». (٥) انظر: «شرح سنن أبي داود» لابن رسلان (١٥: ٨٥).

(٦) قوله: «الواحدة منهما» مثبت من «الرياض النضرة».

(٧) «درهم» ليس في (د)، وانظر: «الزهد» لهناد بن السري (٦١٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«الرياض النضرة» (٤: ٢٨٥)، و«التحبير لإيضاح معاني التيسير» (٤: ٥٦٠).

(٨) انظر: «كتاب الأربعين في إرشاد السائرين» (٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٢٩)، و«المعرفة والتاريخ» (٣: ٣١١).

(٩) «غير» ليس في (د).

وعن جُوَيرية[١]، قالت: باع الزبيرُ دارًا له بستٍّ مئة ألف، فقيل: غُبِنتَ. قال: كلّا والله، لتعلمَنَّ أنِّي لم أُغبَن هي في سبيل الله. أخرجه صاحِبُ «**الصفوة**»[٢].

قُتِلَ رضي الله عنه يوم الجمل.

قال أبو عمرٍ: شهد الزبيرُ يوم الجمل، فقاتل فيه ساعة، فناداه عليٌّ وانفرد به، فذكَّره أنّ رسول الله ﷺ قال له وقد وجدهما يضحكان بعضهما إلى بعض: «**أما إنّك ستُقاتِلُ عليًّا وأنت ظالِم**»[٣]، فذكر الزبيرُ ذلك وانصرَفَ عن القتالِ راجعًا إلى المدينةِ نادمًا، مُفارِقًا للجماعةِ التي خرج فيها[٤]، فأتبعه ابنُ جُرموزٍ فقتله بموضعٍ يُعرَفُ بوادي السباع، وجاء برأسِه إلى عليٍّ[٥]، فقال عليٌّ رضي الله عنه: «بَشِّر قاتِلَ ابنِ صفيّةَ بالنار»[٦]، وقيل غيرُ ذلك[٧].

قُتِلَ[٨] يومَ الخميس لعشرٍ خَلَون من جُمادى الآخرة سنةَ ستٍّ وثلاثين، وفي ذلك اليوم كانت وقعةُ الجمل، واختُلِفَ في عمره، فقيل: سبعٌ وستُّون، وقيل: ستٌّ وستُّون، وقيل غيرُ ذلك[٩]، وكان له عشرون ولدًا؛ أحدَ عشرَ ذَكرًا[١٠].

---

(١) في (د) و(ق): «جويرة».
(٢) «صفة الصفوة» (١: ١٣٠).
(٣) «مسند أبي يعلى» (٦٦٦)، و«مستدرك الحاكم» (٥٥٧٣)، وانظر في الكلام عليه: «علل الدارقطني» (٤: ٢٤٦) (٥٤١)، و«المغني عن الحفظ والكتاب» (٢: ٥٢٧) (٩٤)، و«مجمع الزوائد» (٧: ٢٣٥) (١٢٠٢٨).
(٤) في (ق) و(د): «منها».
(٥) انظر: «التحفة اللطيفة» (١: ٣٥٦-٣٥٧).
(٦) «مسند أحمد» (٦٨١)، و«الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم (١٩٦).
(٧) «الاستيعاب» (٢: ٥١٥)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٢٢).
(٨) في (ق): «توفي».
(٩) انظر: «تاريخ مولد العلماء ووفياتهم» (١: ١٢٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨: ٤١٨)، و«البداية والنهاية» (٥: ٣٤٤).
(١٠) انظر: «الرياض النضرة» (٤: ٢٩١).

[عبد الله بن الزبير رضي الله عنه]

[١٨] ومنهم: عبدُ الله بنُ الزبير[١].

ويكنَّى أبا بكر، وأمُّهُ أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ الصدِّيق، رضي الله عنه.

وهو أوَّلُ مَولودٍ وُلِدَ في الإسلام، أتوا به النبيَّ ﷺ، فأخذ ﷺ تمرةً فلاكها ثمَّ أدخلها في فيه، فأوَّلُ ما دخل في بطنه ريقُ النبيِّ ﷺ[٢]. قالت أسماء: «ثمَّ مسحه وصلَّى عليه، وسمّاهُ عبدَ الله»[٣].

كان رضي الله عنه كثيرَ الصومِ والصلاة، كان إذا صلَّى كأنّه عُودٌ من الخشوع[٤]. قاله مُجاهِدٌ.

وكان إذا سجد يُطوِّلُ حتَّى تنزلَ العصافيرُ على ظهره لا تَحسِبُه إلّا جِذْمًا. قاله يحيى بن وثاب[٥]. والجِذم: أصلُ الشيء، والجِذمة: القطعةُ من الحبل، ونحوه[٦].

قال ابنُ المنكدر: «لو رأيتَ ابنَ الزبير يُصلِّي كأنّه غصنُ[٧] شجرةٍ تَصفِقُه الريحُ»[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ٢٣)، و«المنتظم» (٦: ١٣٧).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«البداية والنهاية» (٨: ٣٣٢)، و«مرآة الزمان» (٩: ٥٨).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٥٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩١).

(٤) انظر: «الغنية لطالبي طريق الحق» (٢: ١٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢).

(٦) انظر: «جمهرة اللغة» (١: ٤٥٤)، و«الصحاح» (٥: ١٨٨٣).

(٧) «غصن» ليس في (د).

(٨) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٠٣٧)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٣٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢).

قال عمرُ بنُ قيس: قالت أمِّي: دخلتُ على ابن الزبير بيتَه وهو يُصلِّي، فسقطت حيّةٌ من السقف على ابنه، ثم تطوَّقت على بطنه وهو نائمٌ، فصاح أهلُ البيت، ولم يزالوا بها حتَّى قتلوها، وابنُ الزبير يُصلِّي ما التفتَ ولا عَجِل، ثمَّ فرغَ بعدما قُتِلَتِ[1] الحيّة، فقال: ما بالُكم؟ فقالت زوجتُه: رحمك الله، أرأيت إن كُنّا هُنّا عليك، أيَهُونُ عليك ابنُك[2]؟

قال مُحمدُ بنُ حُميد: كان ابنُ الزبيرِ يُحيِي الدهرَ أجمع، ليلةً قائمًا حتَّى يُصبِح، وليلةً راكعًا حتى يُصبِح، وليلةً ساجدًا حتَّى يصبح[3]. [٤٣/ب]

كان رضي الله عنه يصومُ يومَ الجمعة، فلا يُفطِر إلّا ليلةَ الجمعةِ الأخرى، ويصومُ بالمدينةِ فلا يُفطِرُ إلّا بمكّة، ويصوم بمكّةَ فلا يفطر إلّا بالمدينة، وأوَّلُ ما يُفطِرُ عَلَى لَبَنِ لِقحةٍ[4].

قالت أمُّه أسماء: «كان صوّامًا بالنهارِ قوّامًا بالليل، وكان يُسمَّى: خادِمَ المسجد»[5].

قال وهبُ بنُ كَيسان: «ما رأيت ابن الزبير يعطِي قطُّ لرغبةٍ ولا لرهبةٍ سلطانًا ولا غيره».

---

(١) قوله: «بعد ما قتلت الحية» في (د): «من بعد ما قتلوا الحية».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢-٣٠٣)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٩: ٦١)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩٢).

(٣) انظر: «مختصر قيام الليل» (٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩٣).

(٥) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩٣)

قُتِلَ في أيّام عبد الملك بن مروانَ سنةَ ثلاثٍ وسبعين، وعمرُه ثلاثٌ وسبعون سنةً، وقيل غيرُ ذلك، وصُلِبَ بعد قتله بمكّة، وحاصرَه[١] الحجّاجُ الخبيثُ بمَن معه.

قال له رجلٌ من قريش: يا عبدَ الله، ألا نفتحُ لك الكعبةَ[٢] فتدخلها؟ فقال: واللهِ لو وَجدُوكم تحت أستارِ الكعبة لقتلوكم، وهل حرمةُ المسجدِ إلّا كحُرمةِ البيت؟ ثمَّ شدَّ عليه أصحابُ الحَجّاج الخبيث، فقال: أين أهلُ مِصرَ؟ فقالوا: هؤلاء من هذا الباب، أحدِ أبواب المسجد، فقال لأصحابِه رضي الله عنه وعنهم: اكسروا أغمادَ سُيوفِكم، ولا تميلوا عنِّي، ثمَّ حمل عليهم وحملوا عليه، وكان يضرب بسيفَين، فلحق رجلًا فضربَه بالسيف فقطع يدَه، وانهزموا[٣]، وجعل يضربُهم حتَّى أخرجَهم من بابِ المسجد، ثمَّ دخل عليه أهلُ حمص، فشدَّ عليهم وجعلَ يَضرِبُهم حتَّى أخرجَهم من بابِ المسجد، ثمَّ دخل عليه أهلُ الأردن من بابٍ آخر، فجعل يضربهم حتَّى أخرجَهم من بابِ[٤] المسجد، فأقبل عليه حجرٌ من باب الصفا فوقعَ بين عينَيه، فنكس رأسه، فاجتمعوا عليه، ولم يزالوا يضربونَه حتَّى قتلوه ومَولِيَّته جميعًا، فلمّا قُتِلَ كبَّر عليه أهلُ الشام[٥].

فقال عبدُ الله بنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: «المُكبِّرون عليه يومَ وُلِدَ خيرٌ مِن المُكبِّرين عليه يَومَ قُتِلَ»[٦].

---

(١) في (د): «حاصره» بسقوط الواو.
(٢) في (د): «باب الكعبة».
(٣) في (د): «فانهزموا».
(٤) «باب» ليس في (ق).
(٥) «المعجم الكبير» للطبراني (١٣: ٩٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ٢٣١-٢٣٢)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩٤).
(٦) انظر: «الاستيعاب» (٣: ٩٠٩)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٢٩٥)، و«فوات الوفيات» (٢: ١٧٤).

قال مجاهدٌ: كنت مع ابنِ عُمر، فمرَّ على ابن الزبير وهو مَصلوبٌ، فوقف عليه فقال: رحمك الله؛ فإنّك كنت صوّامًا قوّامًا وَصُولًا للرحم، وإنّي لأرجو ألّا يُعذِّبَك الله، فبلغ ذلك الحَجّاج، فأنزله[1] عن جذعِه، ثمَّ أرسل إلى أمِّه أسماءَ[2] بنتِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ، رضي الله عنه، فأبَت أن تأتِيَه، فأعاد عليها الرسول، إمّا أن تأتيني أوْ لأبعَثنَّ إليك مَن يَسحَبُكِ بقُرونِك، فأبَت، وقالت: والله لا آتِيكَ حتَّى تبعثَ إليَّ مَن يسحبني بقروني، فقال الخبيث: أرُوني سَبْتِيَّتي[3]، فأخذ نعلَيه، ثمَّ انطلق حتَّى دخل عليها، فقال: كيف رَأيْتِنِي[4] قد صنعتُ بعدوِّ الله؟

فقالت رضي الله عنها: رأيتُك أفسدتَ عليهِ دُنياه، وأفسدَ عليك آخرتَك، بلغَني أنّك تقول له: يا ابنَ ذاتِ النِّطاقَين؛ أمّا أحدُهما فكنت[5] أرفعُ بهِ طَعامَ [٤٤/أ] رسولِ الله ﷺ وطعامَ أبي بكر من الدَّواب، وأما الآخرُ فنِطاقُ المرأةِ التي لا تَستَغنِي عنه، أما إنّ رسولَ الله ﷺ حدَّثنا **«أنّ في ثقيفَ كذّابًا ومُبِيرًا»**، فأمّا الكذّابُ فرأيناه، وأمّا المُبيرُ فلا إخالُك إلّا إيّاه، فقام عنها ولم يُراجِعها. أخرجه مُسلِم[6]. والكذّاب: المُختارُ بنُ عُبَيدٍ الثقفيُّ[7]، والله أعلم.

* * *

---

(١) في (د): «فأرسل فأنزله». (٢) «أسماء» ليس في (د).

(٣) النعال السبتية: هي التي تتخذ من جلود البقر المدبوغة بالقرظ. وسميت بذلك؛ لأن شعرها سبت عنها أي: أزيل. وقيل: لأنها انسبتت بالدباغ أي لانت. انظر: «الصحاح» (١: ٢٥١)، و«النهاية في غريب الحديث» (٢: ٣٣٠)، و«لسان العرب» (٢: ٣٦).

(٤) في (ق): «رأتني». (٥) في (ق): «كنت».

(٦) «صحيح مسلم» (٢٥٤٥).

(٧) «الثقفي» ليس في (د)، وانظر: «مختصر تاريخ دمشق» (٥: ١٤٣).

[عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه]

[١٩] **ومنهم**: عبدُ الرحمن بنُ عوف[١].

وكنيتُه: أبو مُحمَّد.

وهو قرشيٌّ[٢]، يجتمع مع رسول الله ﷺ في كلاب بنِ مُرّة، وكان اسمُه في الجاهلية عبدَ عمرٍو، وقيل: عبدُ الحارث، فسمّاه رسولُ الله ﷺ: عبدَ الرحمن الصادِقَ البارَّ[٣]، ذكره الدارقطنيُّ.

أسلم قديمًا قبل أن يدخلَ رسولُ الله ﷺ دارَ الأرقم[٤].

قال ابنُ الضحّاك: وهاجَر الهجرتَين[٥]، وصلَّى رسولُ الله ﷺ خلفه في غزوةِ تبوك الركعةَ الأخيرة، وكانت صلاةَ الصبح، والعادةُ أنّه لا يموت نبيٌّ حتَّى يُصلِّيَ خلف رجلٍ صالحٍ من أمَّته[٦].

وكان بارًّا رحيمًا، جاء يومًا بأربعةِ آلاف درهم صدقةً إلى النبيِّ ﷺ، وقال: كان عندي ثمانية، أمسكتُ أربعةَ آلاف لنفسي وعيالي، وأربعةً أُقْرِضُها[٧] ربِّي عزَّ وجلّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**بارك الله لك فيما أمسكتَ وفيما أعطيت**»،

---

(١) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٢٤٧)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٤٠١).

(٢) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٢٤٧)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٤٠١).

(٣) «مسند أحمد» (٢٦٥٥٩)، و«مستدرك الحاكم» (٥٣٥٧).

(٤) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٣: ٣٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٣١).

(٥) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٤٠١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٣٠١)، و«مرآة الزمان» (٥: ٢٨٦).

(٦) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٣١).

(٧) في (د): «أقرضتها».

ونزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢]، نزلت فيه، وفي عثمانَ رضي الله عنهما. قاله الواحِديُّ[١] وابنُ الجوزيِّ[٢].

شهد المَشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وثبت[٣] مع رسول الله ﷺ يوم أُحُد، وهو أحَدُ العشرةِ المشهود لهم بالجنّة[٤].

قال عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنه: رأيت النبيَّ ﷺ في منزل فاطمةَ والحسنُ والحسينُ يبكيان جوعًا ويتضوَّران، فطلع عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ بصحيفةٍ فيها حَيسٌ ورغيفان بينهما إهالة، فقال رسول الله ﷺ: «**كفاك الله**[٥] **أمرَ دنياك، وأمّا**[٦] **آخِرَتُك فأنا لها ضامِنٌ**». أخرجه الحافِظُ أبو القاسم في «**الأربعين**» في الطِّوال.

وكان رضي الله عنه شديدَ الخوف.

قال سعدُ بنُ إبراهيم: قال أبي: «أُتِي عبدُ الرحمن بطعام، وكان صائمًا، فقال: قُتِلَ مصعبُ بنُ عمير، وهو خيرٌ منِّي، فكُفِّنَ في بُرْدةٍ إن غُطِّيَ رأسُه؛ بدت رِجْلاه، وإن غُطِّيَ رجلاه؛ بدا رأسُه، وقُتِلَ حمزةُ وهو خيرٌ منِّي، فلم [٤٤/ب] يوجد له ما يُكفَّن فيه إلّا بُرْدةٌ، ثمَّ بُسِطَ لنا من الدنيا ما بُسِطَ».

وقال: «أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا، وقد خشينا أن تكونَ حسناتُنا قد عُجِّلَت لنا، ثمَّ جعل يبكي حتَّى ترك الطعامَ». أخرجه البخاريُّ[٧].

وعَن نَوفَل بنِ أبان، قال: أُتِيَ عبدُ الرحمنِ بصحيفةٍ فيها خبزٌ ولَحمٌ، فلمّا

---

(١) «أسباب النزول» للواحدي (٨٩).
(٢) «زاد المسير» (١: ٢٣٨).
(٣) في (د): «وثبت رضي الله عنه».
(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ٢٤٧).
(٥) لفظ الجلالة ليس في (ق).
(٦) في (د): «وأمر».
(٧) «صحيح البخاري» (١٢٧٥).

وُضِعَت بكى عبدُ الرحمن، فقُلنا: يا أبا عبدِ الرحمن ما يُبكيك؟ فقال: مات[١] رسولُ الله ﷺ، ولم يشبع هو وأهلُ بيته من خُبزِ الشَّعير، ولا[٢] أرانا أُخِّرنا لما هو خيرٌ لنا[٣].

قال المِسوَرُ بنُ مَخرمة: باع عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ أرضًا له بأربعين ألف دينار، فقسمه في أمَّهاتِ المُؤمِنينَ وفقراء المسلمين، وتصدَّق مرّةً بأربعين ألفًا من الدَّراهِم، ثُمَّ بأربعين ألفَ دِينار، ثمَّ خمس مئة فرسٍ في سبيل الله[٤]، ثمَّ وردت لهُ قافلةُ تجارةٍ من الشام، فحمَلها إلى رسول الله ﷺ، فدعا له بالجنّة.

قال طلحةُ بنُ عبد الرحمن بن عوف: كان أهلُ المدينة عيالًا على عبد الرحمن بن عوف؛ ثلثٌ يُقرِضُهم[٥]، وثُلثٌ يقضي دَينَهم، وثُلثٌ يَصِلُهم[٦].

قال عروةُ بنُ الزبير: أوصى عبدُ الرحمن بخمس مئة ألف دينارٍ في سبيل الله[٧]. أخرجه الفضائليّ.

قال جعفرُ بنُ برقانٍ[٨]: بلغني عن عبد الرحمن بن عوف أنّه أعتق ثلاثين ألفًا، وأعتق في يومٍ ثلاثين عبدًا[٩].

---

(١) في (ق): «هلك». (٢) في (د): «ولو».

(٣) «حلية الأولياء» (١: ٩٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٣٣).

(٤) «مسند إسحاق بن راهويه» (١٧٥٥)، و«الزهد» للإمام أحمد (١٠٩٧).

(٥) في (د): «يقرض».

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ٢٩٤)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣١٢).

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ١٣٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٥: ٢٩٩)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢٠).

(٨) في النسخ: «برقاد»، والمثبت موافق لما في المصادر.

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٣٣)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣١٣).

وكُلُّ هذا المال من بركةِ دعوةِ النَّبيِّ[(١)] ﷺ، وكان فقيرًا[(٢)] مع عِفَّة.

قال: لمّا قدِمتُ المدينةَ آخَى رسولُ الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال لي سعدٌ: إنّي أكثرُ الأنصار مالًا، فأقسم لك نصفَ مالِي، وانظر أيَّ[(٣)] زَوجَتَيَّ هَوِيت، فأنزِلُ لك عنها، فإذا حلَّت تزوَّجتَها[(٤)]، فقلت: لا حاجةَ لي في ذلك، هل من سوق تجارةٍ؟ قيل: سوقُ بني قَينُقاع، فغدَوت إليه.

قال الراوي: فما لبث أن جاء وعليه أثرُ صُفرة، فقال رسول الله ﷺ: «**تزوَّجتَ؟**»، قال: نعم، قال: «**ومَن؟**»، قال: امرأةً من الأنصار، قال: «**فكم سُقتَ؟**»، قال: زِنةَ نواةٍ[(٥)] من ذهب، أو نواةً من ذهبٍ[(٦)]، فقال ﷺ: «**أولِم ولو بشاةٍ**»[(٧)]. أخرجه البخاري.

قال الزهريّ: «كان عامّةُ ماله من التجارة»، قال عثمانُ بنُ عفّانَ رضي الله عنه: «مالُه حلالٌ».

قال أنسٌ رضي الله عنه: «بَينا عائشةُ رضي الله عنها في بيتها إذ سمعت صوتًا رَجَّت منه المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا:/ عيرٌ قَدِمت لعبد الرحمن بن عوفٍ [٤٥/أ] من الشام، وكانت سبعَ مئة راحلة، فقالت عائشةُ رضي الله عنها: أما إنّي سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**رأيتُ عبدَ الرحمن بن عوف يدخل الجنّةَ حبوًا**»، فبلغه ذلك، فأتاها فسألها عمّا بلغَه، فحدَّثَته، فقال: فإنّي أُشهِدُكِ أنّها بأحمالها[(٨)]

---

(١) «صحيح البخاري» (٥١٥٥)، و«صحيح مسلم» (١٤٢٧).

(٢) في (د): «فقرًا».

(٣) في (د): «إلى أي».

(٤) في (د): «تزوجها».

(٥) في (د): «نواية».

(٦) قوله: «أو نواة من ذهب» ليس في (د).

(٧) «صحيح البخاري» (٢٠٤٨).

(٨) في (د): «بأحملها».

وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عزَّ وجلَّ»[(١)].

وكان يومًا صائمًا، فأُتِيَ بطعام، فذكر أصحابَ رسول الله ﷺ وضِيقَ عَيشِهِم، فلم يَزَل يبكي، وترك الطعام، ثمَّ جعل يقول: قد خشِيتُ[(٢)] أن تكونَ حسناتُنا عُجِّلَت لنا من بَسْطِ الدُّنيا[(٣)].

تُوفِّي رحمه الله تعالى سنةَ اثنين وثلاثين، ودُفن بالبقيع وهو ابنُ اثنين وسبعين سنةً، وقيل غيرُ ذلك، واللهُ أعلم.

هكذا كانوا رضي الله عنهم تأتيهم الدنيا بأهونِ سَعي، ثمَّ يُحَرِّمُونَ أنفسَهم ويَبرُّون بها رجاءَ ما عندَ الله.

وأنتم يا سَفلةُ يا أبناءَ المزبلة يجمع أحدُكم هذا المالَ الخبيثَ بكَدٍّ وتعب، ومَشقَّةِ أسفار، وغيرها، ويُضَيِّعُ بسببِها دِينَه، حتَّى إنَّ صَلاتَهُ تَلعَنُه، ويحرص على تحصيلها ولو بذهاب راحتِهِ وتشتُّتِه، ولا يتوقَّف فيمَن يُعامِلُه، سواءً كان بَرًّا أو فاجرًا، ولا يعرف العقدَ الصحيحَ من الفاسِد، ويُكوِّرُ نفسَه في نارِ المُخالَفات، ويَبذُل من هذا المالِ الخبيثِ جُمَلًا في وُجوهِ المَعاصِي والشَّهَوات، ويتلذَّذ بإعطاءِ الظَّلَمةِ والتقرُّب إلى خَواطِرِهم، وإن كانَ فيه[(٤)] غضبُ الربِّ وغضبُ رسولِه ﷺ، ويمرُّ على الضعيفِ والضعيفة، واليتيمِ واليتيمة، والزَّمِنِ والزَّمِنة، ويرى مِن حالِه ما يَهُدُّ قَلبَ مَن ذاقَ طَعمَ لا إلَهَ إلّا الله، فلا يلوي عليه، وربَّما أغضى عنه، ولا ينظر بعينه الملأى من الحرامِ إلَيه.

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٢٦٤)، و«حلية الأولياء» (١: ٩٨).

(٢) في (د): «خشينا».

(٣) «الجهاد» لابن المبارك (٩٦).

(٤) في (د): «في».

قاتَلَكم الله، ما أجهلَكم وأحبَّكم فيما يُرضِي الشيطان ويُغضِبُ الرحمن! فكأنِّي بأحدكم وقد سُلَّت نَفسُه الخبيثةُ سَلًّا عنيفًا، ووُضِعَ عليه خِرقة، ودُسَّ في قبرٍ مُظلِم، فجاءه مُنكَرٌ ونَكيرٌ عليهما من الله السلام، وشمّا بطنَك فوجدا فيه لُقمةً من الحرام، فنفخا فيه نفخةً فالتهبَ جسمُك نارًا.

وقد ذكرت جُمَلًا ممّا يتعلَّق بذلك في كتاب «**قمع النفوس**»، وهو ممّا لا يُستغنَى عنه، فعليك بتحصيله؛ فإنّه مُفيد، والله أعلم.

* * *

[سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه][1]

[٢٠] **ومنهم**: سعدُ بنُ أبي وقّاص.

ولم يَزَل اسمُه سعدًا[2] في الجاهليّة والإسلام، ويُكنَّى: أبا إسحاق، أسلم قديمًا بعد ستّةٍ هو سابعُهم، وهو ابنُ سبعَ[3] عشرةَ سنةً[4].

وهو أوّلُ مَن رمى بسهمٍ في سبيل الله تعالى من العرب[5]، وهو قُرَشيٌّ يجتمع مع رسول الله ﷺ في كلاب بنِ مُرّة[6].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٣: ١٠١)، و«معجم الصحابة» لابن قانع (١: ٢٤٧)، و«الرياض النضرة» (٤: ٣١٩).

(٢) «سعدًا» ليس في (د).

(٣) في (ق) و(د): «تسع».

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ١٠٣).

(٥) «مسند أحمد» (١٤٩٧)، و«مصنف عبد الرزاق» (١٦٣١٠)، و«مسند الحميدي» (٧٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (١٩٣٨٩).

(٦) انظر: «أسد الغابة» (٢: ٤٥٢).

[٤٥/ب] وهو الذي قال للنبيِّ ﷺ: مَن أنا يا رسولَ الله؟ قال: «**سعدُ بنُ مالك بن وُهَيب بن عبد مناف**»(١).

ولم يَزَل مُلازِمًا رسولَ الله ﷺ إلى أن تُوفِّي وهو عنه راضٍ، وكان مُستجابَ(٢) الدعوة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**اللهمّ استجب لسعدٍ إذا دعاك**»(٣). أخرجه الترمذيّ.

وكان قد قال للنبي ﷺ: ادعُ لي أن(٤) يستجيبَ الله دعائي، فقال: «**يا سعد، إنّ الله تعالى لا يستجيب دعاءَ عبدٍ حتَّى يُطيِّبَ طُعمتَه**»، فقال: يا رسولَ الله، ادعُ لي أن يُطيِّبَ طُعمَتي؛ فإنّي لا أقوى إلّا بدعائك، فقال: «**اللهمّ أطب طُعمةَ سعدٍ**»، فكان رضي الله عنه يرى السنبلةَ من القمح في حشيشِ دوابِّه، فيقول: رُدُّوها من حيث حصدتُموها(٥).

قال سعد: يا ربِّ، إن لي صغارًا فأخِّر عنِّي الموت، فأُخِّر عنه عشرين سنة(٦).

وشكا أهلُ الكوفة سعدَ بنَ مالكٍ إلى عمر، فقالوا: لا يُحسِنُ الصلاة، فقال سعد: أمّا أنا فكنت أصلِّي بهم صلاةَ رسول الله ﷺ، أركد(٧) في الأولَيين، وأُخفِّف في الأُخرَيَين(٨).

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ١٠١)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٣: ٤).
(٢) في (د): «مجاب».
(٣) «جامع الترمذي» (٣٧٥١)، و«مستدرك الحاكم» (٤٣١٤).
(٤) «أن» ليس في (ق).
(٥) قوله: «حصدتموها» ليس في (ق). وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٣٤٠)، و«الرياض النضرة» (٤: ٣٢٣).
(٦) في (ق) و(د): «عشر سنين». وانظر: «دلائل النبوة» (٦: ١٦١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٣٥٠)، و«المنتظم» (٥: ٢٨١).
(٧) في (د): «أركض». (٨) في (ق): «الأخيرين».

فقال عمرُ رضي الله عنه: ذلك الظنُّ بك يا أبا إسحاق، فبعث عمرُ رجالًا يسألون عنه في مساجد الكوفة، فلا يأتون مسجدًا إلّا أثنَوا خيرًا، حتَّى أتوا مسجدًا من مساجد بني عبس، فقال رجلٌ يقال له أبو سَعدة: اللهمَّ إنَّه[1] كان لا يسير بالسريّة، ولا يَعدِل في القضيّة، ولا يَقسِم بالسويّة، فقال سعدٌ رضي الله عنه: اللهمّ إن كان كاذبًا فأطِل عُمرَه، وأطِل فَقرَه، وعرِّضه للفتن.

قال جابرُ بنُ سَمرة: فأنا رأيته بعد أن قد[2] سقطَ حاجباه على عينَيه من الكِبَر وإنّه ليتعرَّضُ للجواري في الطرق[3] فيغمِزُهنّ، فإذا قيل له: كيف أنت يا أبا سَعدة؟ قال: شيخٌ كبيرٌ مَفتونٌ أصابتني دعوةُ سعد[4].

وكانت آيِسة[5] تُشرِفُ[6] عَلَيه في وُضُوئِه، فنَهاها فلَم تَنتَه، فقال: شاهَ وجْهُك، فلَمْ تَزَل شوهاءَ[7].

ودخل عليه مولًى لابنِه عُميرٍ يَشتَكِي ضَربَه حتَّى أدماه، فنهاهُ عن ضَربِه، وأمَرَهُ فيهِ بمعروف، فأغلظ له القول، فقال: أجرَى الله دمَك في عَقِبك، فقتلَه المُختارُ[8]، وكان مَشهورًا بإجابة الدعوة، وتُخاف دعوتُه رضي الله عنه[9].

---

(١) «إنه» ليس في (د).
(٢) «قد» ليس في (د).
(٣) في (د): «الطريق».
(٤) «صحيح البخاري» (٧٥٥).
(٥) كذا في (ق)، وفي (د): «آسية»، ولعلها: «ابنته» كما في «الرياض النضرة» (٤: ٣٢٤).
(٦) في (د): «تشرق».
(٧) انظر: «تاريخ دمشق» (٢٠: ٣٤٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٣٤٤)، و«الرياض النضرة» (٤: ٣٢٤)، و«السير» (١: ١١٧).
(٨) انظر: «الرياض النضرة» (٤: ٣٢٤).
(٩) انظر: «تاريخ بغداد» (١: ٤٧٦)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٣٥٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٢٩٤).

جمع رسولُ الله ﷺ له يومَ أُحُدٍ بين أبوَيه، فكان يقولُ له: «**ارمِ فداك أبي وأمِّي**»(١).

قال سعدٌ: كان رجلٌ من المشركين قد أحرَقَ المسلمين، فقال لي النبيُّ ﷺ: «**ارمِ فِداك أبي وأمي**»، فنزعتُ له بسهمٍ ليس فيه نصل، فأصبتُ(٢) جبهتَه، فسقط وانكشفت عورتُه، فضحك رسولُ الله ﷺ حتَّى رأيتُ نواجِذَه(٣).

[٤٦/أ] شهد رضي الله عنه بدرًا والحديبيةَ والمشاهدَ كلَّها، وهو أَحَدُ العشرة المَشهود لهم بالجنّة، وصبر مع رسول الله ﷺ في ضِيق العيش.

قال: إني لأوَّلُ العرب رمى سهمًا في سبيل الله، ولقد كنّا نغدو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعامٌ إلّا ورقَ الحَبَلةِ(٤)، وهذا السَّمُر، حتى إن كان أحدُنا لَيَضعُ كما تضعُ الشاةُ ما لهُ(٥) خِلْط(٦). رواه الشيخان.

وكان لم يَزَل زاهدًا، قال عامرٌ: بَينا سعدٌ في إبله جاءه ابنُه عمر، فلمّا رآه قال: أعوذُ باللهِ مِن شَرِّ هذا(٧) الراكِبِ(٨)، فقال له: نزلتَ في إبِلك، وتركت الناس يَتَنازَعُون في(٩) المُلك؟ فضرب سعدٌ صَدرَه، وقال: اسكت، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنّ الله تعالى يُحِبُّ العبدَ التقيَّ الغنيَّ الخفيَّ**»(١٠)، أخرجه مُسلِم. والمراد: غِنى النفس(١١).

---

(١) «صحيح البخاري» (٦١٨٤)، و«صحيح مسلم» (٢٤١١).
(٢) في (د): «فأصيبت».
(٣) «صحيح مسلم» (٤٢).
(٤) في (د): «الحيلة».
(٥) «له» ليس في (ق).
(٦) «صحيح البخاري» (٥٤١٢)، و«صحيح مسلم» (٢٩٦٦).
(٧) «هذا» مثبت من المصادر الحديثية.
(٨) في (ق): «الركب».
(٩) «في» ليس في (ق).
(١٠) «صحيح مسلم» (٢٩٦٥).
(١١) انظر: «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (١: ٢٤٨)، و«شرح النووي على مسلم» (١٨: ١٠٠)، و«شرح المشكاة» للطيبي (١٠: ٣٣٢٧).

وكان رضي الله عنه حريصًا على البِرِّ والصدقة واقتفاء أثر النبوّة.

مات بالعقيقِ على عشرة أميالٍ من المدينة، وحُمِلَ على أعناق الرجال إلى المدينة، ثمَّ صلَّى عليه أزواجُ النبيِّ ﷺ، ووصَّى أن يُكفَّن في جُبّةِ صوفٍ له كان لقي بها المشركين يوم بدر، فقال: أُخبِّئُها لهذا. فكُفِّن فيها[1].

قال الواقديّ: «وكان ذلك سنةَ خمسٍ وخمسين، وقيل غير ذلك، وعمرُه بضعٌ وسَبعون سنة، وقيل: بضعٌ وثمانون، وقيل غيرُ ذلك»[2].

* * *

[سعيد بن زيد رضي الله عنه]

[٢١] **ومنهم: سعيدُ بنُ زيدٍ**[3].

ولم يَزَل ذلك اسمَه في الجاهليّة والإسلام، وكان سعيدًا اسمًا ومعنًى.

ويكنَّى: أبا الأعور، وهو قرشيٌّ عدويٌّ[4]، يَجتمع مع رسول الله ﷺ في كعبِ بن لؤيّ، ويُنسَب إلى عديِّ بنِ كعب، وعمرُ بنُ الخطّاب ابنُ عمِّ أبيه، وأسلَمَ قديمًا، وقبل إسلام عمر، وهو أحدُ العشرة المشهودِ لهم بالجنّة[5].

(١) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (١: ١٣٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٢٣٨)، و«المنتظم» (٥: ٢٨٢).

(٢) انظر: «البدء والتاريخ» (٥: ٨٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٢٩٣)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٣: ٦٣).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٥٦)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٣: ٦٢)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٢٣٦).

(٤) «عدوي» ليس في (د).

(٥) انظر: «أسد الغابة» (٢: ٢٣٥-٢٣٦)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٣٧-٣٣٩)، و«شجرة النور الزكية» (٢: ٩٠).

وكان أبوه زيدٌ يَطلبُ دِينَ الحَنِيفِيَّة دِينَ إبراهيمَ عليه الصلاةُ والسلامُ قبل أن يُبعَثَ رسول الله ﷺ، وكان لا يذبح للأنصاب، ولا يَأكُلُ المَيتةَ ولا الدَّم، وخرج يطلب الدِّينَ هو وورقةُ بنُ نوفل، فتنصَّر ورقة، وأبى هو التنصُّر، فقال لَهُ الراهِب: إنك تَطلُبُ دِينًا ما هو على الأرضِ اليَوم، قال: وما هو؟ قال: دِينُ إبراهيمَ؛ كان يعبد الله وحدهُ[1] ولا يُشرِكُ به شيئًا، ويُصلِّي إلى الكعبة، فكان زيدٌ على ذلِكَ حتَّى ماتَ[2].

وكان سَعِيدٌ[3] رضي الله عنه مُستجابَ الدَّعوة، خاصَمتهُ أروَى في بَعضِ دارِه، فقال: دَعُوها وإياها؛ فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن أخَذَ شِبرًا مِن الأرضِ بغَيرِ حَقٍّ طُوِّقَهُ[4] في سَبعِ أرَضِين يوم القِيامةِ**»[5]، اللهمّ إن كانَت كاذبةً فأعمِ بصرَها، واجعَل قبرَها في دارِها. [٤٦/ب]

قال مُحمَّدُ بنُ زيد: فرَأيتُها عَمْياءَ تَلتمِسُ الجُدُر، تقول: أصابَتنِي دَعوةُ سَعِيدِ بنِ زَيد، فبَينَما هي تَمشِي في الدّارِ إذ مَرَّت على بئرٍ في الدّار، فوَقَعَت فِيها، فكانَت قَبرَها. أخرجه مُسلِمٌ[6].

وكان سعيدٌ زاهدًا[7]، لمّا أرسل عمرُ رضي الله عنه إلى أبي عُبيدةَ يقول له: أخبِرني عن خالدٍ وعن فلان، وعن سَعِيد، فأثنى خيرًا، ثمَّ قال: وأمّا سعيد فما عهدت إلّا أنّ السؤددَ ما زاده إلّا زهدًا في الدنيا ورغبةً في الآخرة[8].

---

(١) «وحده» ليس في (د).

(٢) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٣٧)، و«شجرة النور الزكية» (٢: ٩٠).

(٣) في (ق): «سعد».

(٤) في (د): «طوق».

(٥) «صحيح البخاري» (٣١٩٨)، و«صحيح مسلم» (١٦١٠).

(٦) «صحيح مسلم» (١٦١٠).

(٧) في (د): «ذا زهدٍ».

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٥: ٦٨)، و«الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٤٢).

تُوفِّيَ بالعقيق رضي الله عنه وحُمِل إلى المدينة، ونزل في[(١)] حُفرته سعدٌ وابنُ عمر، سنةَ خمسين، أو إحدى وخمسين، وكان يومَ مات ابنُ بضعٍ وسبعين سنة[(٢)].

* * *

[أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه]

[٢٢] **ومنهم:** أبو عبيدةَ بن الجرّاح رضي الله عنه[(٣)].

واسمُه عامِر، ولم يَزَل ذلك اسمَه في الجاهليّة والإسلام، وكنيتُه: أبو عبيدة، وبها اشتهر، ولقَّبه رسولُ الله ﷺ بأمين هذه الأمّة[(٤)].

وهو قرشيٌّ، يجتمع مع رسول الله ﷺ في فهرِ بنِ مالك.

أسلَم قديمًا وهاجَر إلى الحبشة، شهد مع رسول الله ﷺ بدرًا، وهو ابنُ إحدى وأربعين سنةً، وما بعدها من المشاهد كلِّها، وشهد بيعةَ الرضوان، وثبت معه يومَ أُحُد.

وقَتل أباه يومَ بدرٍ كافرًا، فأنزل الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، الآية[(٥)].

---

(١) «في» ليس في (د).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٣٧)، و«مرآة الزمان» (٧: ٢٤٤)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٤٥٣).

(٣) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٤٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٢٧)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٤).

(٤) انظر: «المعارف» (١: ٢٤٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٢٧)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٤).

(٥) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٥١٥٢)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ١٠٠)، و«أدب الدنيا والدين» (١٤٨).

وهو أحدُ العشرةِ المشهودِ لهم بالجنّة[١]، كان رضي الله عنه يَسيرُ في العسكر ويقول: «ألا رُبَّ مُبَيِّضٍ لثيابه مُدنِّسٍ[٢] لدينه، ألا رُبَّ مُكرِمٍ لنفسه وهو لها مُهِينٌ، بادِرُوا السيئاتِ القديماتِ بالحسناتِ الحادِثات»[٣].

وكان رضي الله عنه زاهدًا، قال عروةُ بنُ الزبير: لمّا قَدِم عمرُ بنُ الخطّاب الشامَ تَلقّاه أمراءُ الأجنادِ وعلماءُ أهلِ الأرض، فقال عمر: «أين أخي؟ قالوا: مَن؟ قال: أبو عُبَيدة، قالوا: يأتيك الآن، فلمّا أتاه نَزلَ[٤] فاعتنقه، ثم دخل بيته، فلم يرَ فيه إلّا سيفَه وتُرسَه ورَحْلَه، فقال له عمر: ألا اتَّخَذت ما اتَّخذ أصحابُك؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، هذا يُبلِّغُني المَقِيلَ»[٥]. وفي رواية: فقال عمر: «غرَّتنا الدنيا كلَّنا غيرَك يا أبا عبيدةَ»[٦].

وقد تقدَّم لك عيشُ عمرَ وما كان عليه من الضيق، رضي الله عنهم.

ودخل إنسانٌ على أبي عبيدةَ وهو يبكي، فقال: ما يُبكيك؟ فقال: يُبكيني أنّ
[٤٧/أ] رسولَ الله ﷺ ذكر يومًا ما يفتح الله على المسلمين حتَّى ذكرَ الشام، فقال: «**إن يُنسَأ في أجلك يا أبا عبيدةَ فحسبُك من الخدم كذا، وحسبُك من الدوابِّ كذا**»، وقد امتلأ بيتي ومَربَطِي، وكيف ألقى رسولَ الله ﷺ بعد هذا، وقد أوصانا ﷺ:

---

(١) انظر: «المعارف» (١: ٢٤٧)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٢٧)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٤).

(٢) في (ق): «ومدنس».

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٦٢١)، و«الزهد» للإمام أحمد (١٠٢٦)، و«الزهد» لأبي داود (١١٦).

(٤) «نزل» مثبت من المصادر.

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٣٨)، و«مرآة الزمان» (٥: ٢٨٧).

(٦) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٥٣).

«إنّ أحبَّكم إليَّ وأقربَكم منِّي مَن لَقِيَني على الحال التي[١] فارَقَنِي عليها»، رواه الإمامُ أحمد[٢].

وكان مُتواضعًا جدًّا، بعث ملكُ الروم إليه: إنّا نُرِيدُ[٣] أنْ نُرسِلَ إليكَ رَجُلًا منّا يعرض عليك الصلح، ويدعوك إلى النَّصَف، فقال: ابعثوا، فبعثوا رجلًا طويلًا أحمرَ أزرق، فلمّا دنا من المسلمين لم يعرف أبا عبيدةَ من القوم، ولم يَدرِ أهو فيهم أم لا، ولم يرَ هيئةَ[٤] مكان أميرٍ من الأمراء، فقال: يا معشرَ العرب، أين أميرُكم؟ فقالوا: هذا ذا، فنَظَر، فإذا هو بأبي عُبَيدةَ جالِسًا عليه الدرع، وهو مُمسِكٌ الفرس، وبيده أسهُمٌ يُقلِّبُها[٥] وهو جالِسٌ على الأرض، فقال له: أنت أميرُ هؤلاء؟ قال: نعم، فقال: ما يُجلِسُك على الأرض، أرأيت إن كنتَ جالسًا على وسادة، أو كان تحتك بساط، أكان ذلك واضِعَك عند الله، أو هل يُبعِدُك من الإحسانِ؟

فقال له أبو عبيدة: إن الله لا يستحيي من الحقّ، لأصدُقَنَّك، ما أصبحت أملِكُ إلا سَيفِي وفَرَسِي وسِلاحِي، ولقد احتجتُ أمسِ إلَى نَفَقةٍ فاقترضتُ[٦] مِن أخِي هَذا ـ يعني: معاذَ بنَ جبل ـ ولو كان عندي بساطٌ ما كنتُ لأجلس عليه وأُجلِسَ أخي المسلم الذي لا أدري لعلَّه خيرٌ منِّي منزلةً عند الله تعالى على الأرض، ونحن عبادُ الله، نمشي على الأرض، ونجلس عليها، ونأكلُ عليها، ونَضطَجِعُ عَلَيها، وليس ذلك بناقِصِنا عند الله تعالى، بل تَعظُمُ بِهِ أُجُورُنا وتُرفَعُ به درجاتُنا، فهلُمَّ حاجتَك التي جئتَ لها[٧]، والله أعلم.

---

(١) في (ق): «الذي».
(٢) «مسند أحمد» (١٦٩٦).
(٣) قوله: «إنا نريد» في (د): «أبا يزيد».
(٤) في «الرياض النضرة»: «يرهبه».
(٥) في (د): «يقبلها».
(٦) في (د): «واقترضت».
(٧) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٥٥).

ولمّا وجَّهَه عمرُ رضي الله عنه إلى الشام تَلقّاه في جنوده وهو على قَلوصٍ مُكتنِفَها بعَباءة، خِطامُها من شَعر، لابِسٌ سلاحَه، مُتَنَكِّب قوسَه، وكان لا يزالُ همُّهُ أمرَ المُسلِمين.

قَحَطَ الناسُ في خلافة عمر، وأبو عبيدةَ يومئذٍ بالشام، فكتب إليه عمر: الغَوثَ الغَوث، أدرِك المسلمين، فكتب أبو عبيدة: قد أتَتكَ العيرُ أوَّلُها عندك وآخرُها بالشّام(١).

تُوفِّي رضي الله عنه في طاعُونِ عَمواس بالأردن من الشّامِ ـ وفيها قبرُه ـ سنة ثمانِ عشرةَ في خلافة عمر، وهو ابنُ ثمانٍ وخمسين سنة، وصلى عليه معاذُ بنُ جبل، رضي الله عن الصحابة أجمعين(٢).

❊ ❊ ❊

[حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه]

[٢٣] **ومنهم**: حمزةُ بنُ عبد المُطَّلِب رضي الله عنه وأرضاه(٣).

ويكنَّى: أبا عمارة، وهو عمُّ رسول الله ﷺ، ولمّا أسلم عَزَّ بهِ رسولُ الله ﷺ والمسلمون(٤).

---

(١) انظر: «الرياض النضرة في مناقب العشرة» (٤: ٣٥٧).

(٢) انظر: «تاريخ خليفة بن خياط» (١٥٥)، و«صفة الصفوة» (١: ١٣٩)، و«وفيات الأعيان» (٧: ٢١٤).

(٣) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (١: ٣٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٣: ١٠٤).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (١: ٣٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٣: ١٠٤).

قال مُحمدُ بنُ كعبٍ القرظيّ: نال أبو جهلٍ من رسولِ الله ﷺ، فبلغ [٤٧/ب]
حمزة، فدخل المسجدَ مُغضَبًا، وضرب رأسَ أبي جهل بالقوس ضربةً أوضحته[١].

وكان من حُماة الدين، وَصُولًا للأرحام، قال أبو هريرةَ رضي الله عنه: وقف رسولُ الله ﷺ على حمزةَ حيث استُشهد، فنظر إليه وقد مُثِّل به، فقال رسولُ الله ﷺ: «**رحمةُ الله عليك؛ فإنّك كنتَ كما عَلِمتُ فَعُولًا للخيرات، وَصُولًا للرحم، أما والله لأُمثِّلَنَّ بسبعين منهم مكانَك**»، فنزل جبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ والنبيُّ ﷺ واقِفٌ بعدُ بخواتيم سُورةِ النَّحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، إلى آخر السورة، فصبر النبيُّ ﷺ وأمسك عمّا أراد[٢].

قال جابرُ بنُ عبد الله: كتب معاويةُ إلى عامله بالمدينة أن يُجرِيَ عينًا إلى أحُد، فكتب إليه: إنّها لا تجري إلّا على قبور الشهداء، فكتب معاويةُ أن أنفِذها، قال: فسمعتُ جابرًا يقول: فرأيتُهم يُخرَجون على أعناق الرجال كأنّهم رجالٌ نُوَّم، حتَّى أصابت المِسحاةُ قدمَ حمزةَ رضي الله عنه، فانبعث دمًا[٣]. والله أعلم.

* * *

---

(١) «الطبقات الكبرى» (٣:٩)، و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٤٨٧٨)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٦٧٣).

(٢) انظر: «تفسير ابن المنذر» (٢: ٤٤٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٩٣٧)، و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٣: ٢١٨).

(٣) انظر: «المنتظم» (٣: ١٨٣)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٢).

[زيد بن حارثة رضي الله عنه]

[٢٤] **ومنهم**: زيدُ بنُ حارثة[١].

ويُقال له: زيدُ الحِبُّ[٢]، وأمُّه سُعدى، زارت قومًا[٣] وزيدٌ مَعها، فأغارت خيلٌ في الجاهليّة، فأخذت زيدًا وهو يومئذٍ غلام، فوافَوا به سوقَ عكاظ، فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيمُ بنُ حزام لعمَّته خديجةَ بنتِ خويلدٍ رضي الله عنها بأربعِ مئةِ درهم، فلمّا تزوَّجها رسولُ الله ﷺ وهبَته له ـ وكان يُكنَّى أبا أسامةَ ـ فلمّا فقدَه أبوه حارثةُ أنشد فيه أبياتًا مُحزِنةً، ومن جملتها[٤]:

فإن هبَّــتِ الأرْواحُ[٥] هيَّجنَ ذِكرَهُ فيا طُولَ ما حُزنِي عليك ويا وَجَل[٦]

فحجَّ ناسٌ من كعب، فرأوا زيدًا فعرفوه وعرفهم، فقال: أبلِغوا أهليَ هذه الأبياتَ، من جملتها:

فكُفُّوا عن الوَجدِ الذي قد شَجاكُمُ ولا تُعمِلُوا في الأرضِ نَصَّ الأباعِرِ
فإنّـي بحَمـدِ الله فـي خَيـرِ أُسرةٍ[٧] كِـرامِ مَعَـدٍّ كابِـرًا بعـدَ كابِـرِ[٨]

فلمّا رجعوا أعلَموا أباه، فخرج أبوه حارثةُ وأخوه كعبٌ بفِدائه، فقَدِما مكّة، فسألا عن رسول الله ﷺ، فقيل: هو في المسجد، فدخلا عليه، فقالا: يا ابنَ هاشم،

---

(١) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٣)، و«أسد الغابة» (٢: ١٢٩).
(٢) في (ق): «الخيل».
(٣) في «تلقيح فهوم أهل الأثر»: «قومها».
(٤) البيت من الطويل، وانظر: «سيرة ابن هشام» (١: ٢٤٨)، و«الطبقات الكبرى» (٣: ٤١).
(٥) كذا في المصادر، وفي (ق) و(د): «الأرياح».
(٦) في (د): «ويا وجدي».
(٧) في (د): «أسوة».
(٨) البيتان من الطويل، وانظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٤١)، و«الاستيعاب» (٢: ٥٤٤).

يا ابنَ سيِّدِ قَومِه، أنتم أهلُ حَرَمِ الله تعالى وجيرانه، تَفُكُّون[١] العانيَ وتُطعِمون الأسير، جئناك في ابنِنا، فامنُن علينا وأحسِن إلينا في فدائه، فإنّا سنرفع لك في الفداء، قال: «**ما هو؟**»، قالوا: زيدٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**فهلّا غيرُ ذلك؟**»، فقالوا: وما هو؟ قال: «**أدعُوه**[٢] **وخيِّروه، فإن اختارَكم فهو لكم بلا فداء، وإن اختارني فواللهِ ما أنا بالذي أختار على مَن اختارَني أبدًا**»، فقالوا: زِدتَنا[٣] على النَّصَف وأحسَنت، فدعاه، فقال: «**هل تعرف هؤلاء؟**»، قال: نعم، هذا أبي، وهذا عمِّي، قال: «**فأنا مَن قَد عَلِمتَ ورأيتَ صُحبَتي لك، فاختَرني أو اختَرهما**»، فقال زيد: ما أنا بالَّذي أختارُ عَلَيكَ أحدًا، أنتَ مِنِّي بمَكانِ الأبِ والعمّ، فقالا: وَيحَك يا زَيدُ! أتَختارُ العُبُودِيّةَ على الحُرِّيّةِ وعلى أبيكَ وعمِّك وأهلِ بَيتِك؟! [٤٨/أ]

قال: نعم، إنّي قد[٤] رأيتُ من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختار عليه أحدًا أبدًا، فلما رأى رسولُ الله ﷺ ذلك أخْرَجَهُ إلى الحِجر، وقال: «**يا مَن حَضَر، اشهَدُوا أنّ زيدًا ابنِي**»، فلمّا رأى أبوه وعمُّه ذلك منه طابَت أنفُسُهما وانصَرفا، فدُعِيَ زيدٌ مِن ثَمَّ ابنَ مُحمَّدٍ حتَّى جاء الله بالإسلام[٥].

قال الزُّهرِيّ: «أوَّلُ مَن أسلم زيدٌ»[٦].

قال أهلُ السِّيَر: وشهد زيدٌ بدرًا، وأُحُدًا، والخندق، والحديبية، وخيبر، وخرج أميرًا في سبع سرايا، ولم يُسمَّ أحدٌ من الصحابةِ في القرآنِ باسمه غيرُه[٧].

---

(١) في (د): «تكفون».
(٢) في (ق): «أودعوه».
(٣) في (د): «أردتنا».
(٤) «قد» ليس في (د).
(٥) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٧-٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٣-١٤٤).
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٣٥٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٤)، و«أسد الغابة» (٢: ١٣٠).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٤).

قُتِلَ رضي الله عنه في غزوةِ مُؤتَةَ في جمادى الأولى سنةَ ثمانٍ، وهو ابنُ خمسٍ وخمسين سنة، بكى عليه رسولُ الله ﷺ حتَّى انتحب، والله أعلم[١].

❊ ❊ ❊

[سالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه][٢]

[٢٥] ومنهم: سالمٌ مَولى أبي حُذيفةَ رضي الله عنه[٣].

قال ابنُ عُمرَ رضي الله عنهما: كان سالمٌ يَؤُمُّ المهاجرين من مكّةَ إلى المدينة؛ لأنّه أقرَؤُهم، وفيهم: أبو بكرٍ وعمرُ[٤].

قال عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه: لو استخلَفتُ سالمًا مولى أبي حذيفة، فسألني عنه ربِّي: ما حمَلَك على هذا؟ لقُلت: ربّ، سمعتُ نبيَّك ﷺ يقول: «**إنّه يُحِبُّ الله عزَّ وجلَّ حقًّا من قلبه**»[٥].

قال أحمدُ بنُ عبد الله: «استُشهِد سالمٌ مولى أبي حذيفةَ باليمامة، أخذ اللواءَ بيمينه فقُطِعت، ثمَّ تناولها بشماله فقُطِعت، ثمَّ اعتنقَ اللواء، وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، إلى أن قُتِلَ»[٦]، والله أعلم.

---

(١) انظر: «الثقات» لابن حبان (٢: ٣٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٣٦٨).

(٢) ترجمة الصحابي سالم مولى أبي حذيفة ليست في (د).

(٣) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ١٨٩)، و«معرفة الصحابة» لابن منده (٧١٣)، و«المنتظم» (٤: ٩٠).

(٤) «صحيح البخاري» (٧١٧٥).

(٥) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢: ٧٤٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٧٧).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٧٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٤٣٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٥).

[عبد الله بن جحش رضي الله عنه]

[٢٦] ومنهم: عبدُ الله بنُ جحش[١].

أسلم قبل دُخولِ رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، وهاجَر إلى أرضِ الحبشةِ الهجرةَ الثانيةَ[٢].

وبَعثَه رسولُ الله ﷺ في[٣] سريّةٍ إلى نخلة، وفيها سُمِّي أمير المؤمنين، فهو أوّلُ مَن دُعِيَ بذلك[٤].

قال سعيدُ[٥] بنُ المسيَّب: قال رجلٌ: سَمِعتُ عبدَ الله بنَ جَحشٍ يقولُ قَبلَ يَوم أُحُدٍ بيوم: اللهمَّ إنّا[٦] لاقَوا هَؤُلاءِ غَدًا، وإنّي أُقسِمُ عَلَيكَ لمّا يَقتُلُوني، ويَبقُرُوا بَطنِي، ويَجدَعُونِي[٧]، فإذا[٨] قلت: لِمَ فُعِلَ بكَ ذَلِكَ؟ فأقُول: اللَّهُمَّ فِيك، فلما التَقَوا فُعِلَ به ذلك[٩]، فقالَ ذلك الرجلُ الذي سَمِعَه: أمّا هَذا فقَدِ استُجِيبَ لَه، وأعطاهُ الله تَعالى ما سَألَهُ في جَسَدِه في الدُّنيا، وأنا أرجُو أن يُعطَى ما سَألَ [٤٨/ب] في الآخِرة[١٠].

قال إسحاقُ بن سعد بنُ أبي وقاص: حدَّثني أبي: أنّ عبدَ الله بنَ جحشٍ

---

(١) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٢٢)، و«الاستيعاب» (٣: ٨٧٧).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٥)، و«أسد الغابة» (٣: ٩٠)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ١٨٦).

(٣) «في» ليس في (د).

(٤) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٦٥١٣)، و«أسد الغابة» (٤: ٦٥٦)، و«مرآة الزمان» (٣: ١٩٢).

(٥) في (د): «سعد».

(٦) «إنا» مثبت من المصادر، وفي بعض المصادر: «إذا».

(٧) في (د): «ويخدعوني».

(٨) في (د): «وإذا».

(٩) انظر: «الثبات عند الممات» (١٠٥).

(١٠) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٦)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٨٤- ٢٨٥).

رضي الله عنه قال له يومَ أُحُد: ألا ندعو الله، فخَلَوا في ناحية، فدعا عبدُ الله، فقال: يا ربِّ إذا لقيتُ العدوَّ غدًا فلقِّنِي رجلًا شَدِيدًا بأسُه، شديدًا حَردُه، أقاتِلُه فيك ويُقاتِلُني، ثُمَّ يَأخُذُني فيجدَعُ(١) أنفِي وأُذُنِي، فإذا لَقِيتُكَ غَدًا قُلت: يا عبدَ الله، مَن جدعَ(٢) أنفك؟ فأقول: فيك وفي رَسُولِك، فتقول: صدقت، قال سعدٌ(٣): فلقيتُهُ آخِرَ النَّهار وإنَّ أُذُنَه وأنفَه لَمُعلَّقتان في خيطٍ(٤).

قُتِلَ عبدُ الله بنُ جحشٍ يوم أُحُد، قَتَلهُ أبو الحكم بنُ الأخنَس، ودُفِنَ هو وحَمزةُ في قبرٍ واحد، وكان عُمرُ عبدِ الله يَومَ قُتِلَ بضعًا وسبعين سنةً رضي الله عنه وأرضاه(٥). والله أعلم.

* * *

[عتبة بن غزوان رضي الله عنه]

[٢٧] ومنهم: عتبةُ بنُ غزوانَ(٦).

يُكنَّى: أبا عبد الله.

هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانيةَ وشهد بدرًا(٧)، واستَعمَلَهُ عمرُ رضي الله عنه على البَصرة، وهو الذي بصَّرها(٨)، ولم يُعبَد فيها صنمٌ ولا غيرُه إلّا الله.

---

(١) في (د) و(ق): «فيجذع». (٢) في (ق): «جذع».

(٣) في (ق): «سعيد».

(٤) انظر: «معجم الصحابة» للبغوي (١٥١٨)، و«حلية الأولياء» (١: ١٠٨)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤٠٤٧).

(٥) انظر: «الاستيعاب» (٣: ٨٧٩).

(٦) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١٠٢٦)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٦).

(٧) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١٠٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٦)، و«أسد الغابة» (٣: ٤٦١).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٦)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٧).

خطب يومًا عتبة، فحمدَ الله تعالى وأثنى عَلَيه، ثمَّ قال: أمّا بَعدَ حَمدِ الله؛ فإنّ الدُّنيا آذَنَت بصَرم، وولَّت حَذّاء[١]، ولم يَبقَ منها إلّا صُبابةٌ كصُبابة الإناء يتصابُّها صاحبُها، وإنّكم مُنقلِبون منها إلى دارٍ لا زَوالَ لها، فانقلِبوا[٢] بخيرِ ما يحضُرنَّكم[٣]؛ فإنّه قد ذُكِر لنا أنّ الحَجرَ يُلقى من شَفةِ جهنَّم فيَهوِي فِيها سَبعِين عامًا، ما يُدرِكُ لَها قَعرًا، والله لتُملأنّ[٤]؛ أفعَجِبتُم؟

والله لقد ذُكِرَ لنا: أنّ ما بين مِصراعَي الجنّةِ مَسيرةَ أربعين عامًا، وليأتِيَنَّ عليه يومٌ[٥] كَظِيظ الزحام، ولقد رأيتُني وأنا سابِعُ سبعةٍ مع رسول الله ﷺ ما لنا طعامٌ إلّا ورقَ الشَّجَر، حتَّى قَرِحَت أشداقُنا، وإنّي التقَطتُ بُردةً فشقَقتُها بيني وبين سعدٍ يأتزِر[٦] بنِصفِها وآتَزِرُ بنصفها، فما أصبحَ منّا أحدٌ اليومَ إلّا أصبحَ أميرَ مِصرٍ من الأمصار، وإنّي أعوذ بالله أن أكونَ في نفسي عظيمًا وعند الله صغيرًا، وإنّها لم تكن نبوّةٌ إلّا تناسَخَت حتَّى تكونَ عاقِبتُها مُلكًا، وستكون وستَرونَ الأمرَ بعدنا. أخرجه مُسلِمٌ[٧] وحدَه، والله أعلم.

قلت: في قوله: «وإنّها لم تكن نبوّةٌ إلّا تناسَخَت حتَّى تكونَ مُلكًا»، إشارةٌ لطيفة، وهو الشخصُ وإن كان صادقًا فيما يَفعَلُه من الطّاعات، فلا يأتي به في صورةٍ يتأتَّى منها نوعُ ولاية؛ لأنّها ستَصِلُ بعد ذلك إلى خروجِها عَن الطّاعة، وتكون ولايةً وفتنة، ولقد رأينا ذلك وشاهدناه وتحقَّقناه، وهو مَوجودٌ في زمانك هذا.

فأنتَ تُشاهِدُ رِباطاتٍ وزوايا ومدارِسَ وغيرَها بُنِيَت لإنشاءِ الخَيرِ والعِلم، وحِفظِ الشَّريعةِ والطريقة، فبادَرَ ولدُ الشيخ مع جَهلِه، بَل قلّة دِينه، بل تَظاهُرِه/ [٤٩/أ]

---

(١) قوله: «وولت حذاء» غير واضح في (د). (٢) في بعض المصادر: «فانتقلوا».

(٣) في بعض المصادر: «ما بحضرتكم» و«ما يحضركم».

(٤) في (ق): «لتملأنه». (٥) في (د): «يومٌ له».

(٦) في (د): «يتزر». (٧) «صحيح مسلم» (٢٩٦٧).

بالمعاصي أن وثب، فأقام نفسَه مقامَ أبيهِ أو شيخِه، واتَّخذ ذلك المكانَ مَلعبةً ومأوى الفسقةِ من طلبة الجهل، وتَردُّد الظَّلَمةِ الذين يُشاهَد منهم بُغضُ رسولِ الله ﷺ.

ومِصداقُه: أنّك إذا أفدتَهُ(١) بحديثٍ عنه ﷺ على خلافِ هواه وجدتَ مِنهُ نُفرةً وتَغيُّظًا، ولَو قَدرَ عَلى إزهاقِ نَفسِكَ لفعل، فالحذرَ الحذرَ من مُحدَثاتٍ تكون في صورة القُربة، وتجرُّ إلى ما ذَكرنا.

ولا تغترَّ ببحثِ بعضِ المُتفقِّهة من جهةِ أنّا نفعل ما فيه البرُّ والخير، وما حدث بعدَ ذلك فليس من صَنيعِنا، فهذا إنّما يَصدُر ممَّن لا درايةَ له بأفعالِ الصحابةِ وقولِهم، والتابعين لهم بإحسان، نعوذ بالله من خديعةِ النفس الأمّارة والشيطان، واللهُ أعلم.

قَدِمَ عتبةُ على عُمرَ فردَّه إلى البصرةِ واليًا، فمات في الطريقِ سنةَ سبعَ عشرة، وقيل: خمسَ عشرة، وهو ابنُ سبعٍ وخمسين سنة(٢)، وقيل: خمسٍ وخمسين(٣)، واللهُ أعلم.

* * *

[مصعب بن عُمَير رضي الله عنه]

[٢٨] ومنهم: مُصعبُ بنُ عُمَيرٍ(٤).

---

(١) في (ق): «قدته».

(٢) قوله: «وقيل:خمس عشرة، وهو ابن سبع وخمسين سنة» ليس في (د).

(٣) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٨٧)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ٢٩٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٦).

(٤) انظر ترجمته في: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٧)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٨٩).

يكنَّى: أبا مُحمَّدٍ.

دخل على رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، فأسلم وكتم إسلامَه، وكان يتردَّد إلى رسول الله ﷺ سرًّا، فلمّا علموا به حبسوه، فلم يَزَل محبوسًا حتَّى خرج إلى أرض الحبشةِ في الهجرةِ الأولى، ثمَّ خرج في الهجرةِ الثانية(١).

وكان قبل الإسلامِ من أنعَمِ الناس عيشًا، فلمّا أسلم زَهِدَ في الدنيا حتى(٢) تحشَّف جِلدُه تحشُّفَ الحيّة(٣).

قال عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه: نظرَ رسولُ الله ﷺ إلى مُصعبِ بن عُمَيرٍ مُقبِلًا وعليه إهابُ كبشٍ قد تنطَّقَ به، فقال النبيُّ ﷺ: «**انظُروا إلى هذا الرجل؛ قد نوَّر الله قلبَه، لقد رأيتُه بين أبوَين يَغذُوانِه بأطيبِ الطعامِ والشراب، فدعاه حبُّ الله ورسولِه إلى ما ترون**»(٤).

الإهاب: الجلدُ مربوطٌ في وسطه.

وَيحَكُم يا سفلة! إنّ أحدَكم يرى الذبحَ أهونَ عليه(٥) من تَغيير زِيِّه، قلبُ أحدِكم مَحشوٌّ من كلِّ فتنة، لو علم الكلبُ ما انطوى عليه قلبُه لَما بالَ عَلَيه، يا عبيدَ الشَّيطان، سَلَكتُم سبيلَهُ ومع ذلك تُظهِرون، بل تظنُّون، بل تعتقدون أنّكم سالكون(٦) سبيلَ الرحمن، كذبتُم والله في زَعمِكم، ولو رَجعتُم إلى الله ولو

---

(١) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٧)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٨٩).

(٢) «حتى» ليس في (ق).

(٣) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٥: ٢٥٥٦)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٧)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٨٩).

(٤) «الأربعون على مذهب المتحققين من الصوفية» لأبي نعيم الأصبهاني (٤٥)، و«حلية الأولياء» (١: ١٠٨)، و«مسند الفاروق» (٣: ١٠٩).

(٥) في (د): «عليه أهون».

(٦) في النسخ: «سالكين».

لحظةً لنادَيتُم على أنفُسِكم بكلِّ مُصيبة، إلّا أنّ الجهلَ حِجابٌ كثيف[١]، وعادةٌ قد حُكِّمَت، فلا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله.

يا معشرَ الصادقين، تأسَّوا بمَن بهم تُقامُ الحُجّة، ودَعُوا أهلَ الشهوات والشُّبُهات، واللهُ أعلم.

قال خَبّاب: هاجَرنا مع رسولِ الله ﷺ، فوجَب أجرُنا على الله عزَّ وجلّ، [٤٩/ب] فمنّا مَن مضى ولم يأكل من أجرِه شيئًا؛ منهُم مُصعبُ بنُ عُمَير، قُتل يومَ أُحُد، فلم نجد شيئًا نُكفِّنه به إلّا نَمِرة، كُنا إذا غطَّينا بها رأسَهُ خَرَجَت رِجلاه، وإذا غطَّينا رجلَيه خرجت[٢] رأسُه، فأمرَنا رسول الله ﷺ أن نُغطِّيَ بها رأسَه، ونجعل على رِجلَيهِ إذخِرًا، ومنا مَن أينَعَت له ثمرتُه، فهو يَهْدِبُها[٣]. أخرجه البخاريُّ[٤] ومُسلِم[٥].

حَملَ مُصعَبُ اللواءَ يومَ أُحُد، فلمّا جال المسلمون ثبت به مُصعَب، فأقبل ابنُ قَمِئةَ اللعينُ فضربَ يدَه اليمنى فقَطَعَها، فأخذ اللواءَ باليسرى، فضربَها فقطعَها، فضمَّهُ بعَضُدَيهِ[٦]، وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فحملَ عليه الثالثةَ بالرمح فأنفَذَه منه[٧].

قال عبدُ الله بنُ فضلٍ[٨]: فأخذ اللواءَ مَلَكٌ على صورةِ مُصعب، فجعلَ النبيُّ ﷺ يقول لهُ[٩] في آخر النهار: «**تقدَّم يا مُصعَبُ**»، فالتفت إليه الملَك، فقال: لستُ بمُصعَب، فعرفَ رسولُ الله ﷺ أنّه ملَكٌ أُيِّدَ به[١٠].

---

(١) في (ق): «كشف». (٢) في (ق): «خرج».
(٣) في (د): «يهزبها». (٤) «صحيح البخاري» (٤٠٨٢).
(٥) «صحيح مسلم» (٩٤٠). (٦) في (ق): «بصدره».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٨)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٩٠).
(٨) في (د): «فضيل». (٩) «له» ليس في (ق).
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٨)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٩٠).

قُتِلَ رضي الله عنه وهو ابنُ أربعينَ سنةً أو يزيدُ شيئًا[١]، والله أعلم[٢].

* * *

[عُمَير بن أبي وقاص رضي الله عنه]

[٢٩] ومنهم: عُمَيرُ بنُ أبي وقّاصٍ[٣]، أخو سعدٍ رضي الله عنهما.

عن عامرِ بن سعد، عن أبيه، قال: رأيتُ أخي عُمَيرَ بنَ أبي وقّاصٍ قبل أن يعرضنا رسولُ الله ﷺ للخروج إلى بدرٍ يتوارَى، فقلت: ما لك يا أخي؟

قال: إنّي أخاف أن يراني رسولُ الله ﷺ، فيستَصغِرَني فيردَّني، وأنا أُحِبُّ الخروجَ، لعلَّ الله تعالى يرزقني الشهادة، قال: فعُرِض على رسول الله ﷺ فاستصغرَه فردَّه، فبكى عُمَير، فأجازه رسولُ الله ﷺ، قال سعدٌ: وكنت أعقِدُ له حمائلَ سيفه من صِغَرِه، فقُتِلَ ببدرٍ وهو ابنُ سِتّةَ عشرَ سنة، قتله عمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ[٤].

* * *

[عبد الله بن مسعود رضي الله عنه]

[٣٠] ومنهم: عبدُ الله بنُ مَسعود[٥].

ويُكَنَّى: أبا عبد الرحمن.

---

(١) انظر: «المنتظم» (٣: ١٩٥)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٨)، و«أسد الغابة» (٤: ٤٠٦).

(٢) قوله: «قُتل رضي الله عنه وهو ابن أربعين سنةً أو يزيد شيئًا، والله أعلم» ليس في (د).

(٣) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٣: ١٤١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٩)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٤: ٦٠٢).

(٤) انظر: «المنتظم» (٣: ١٤١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٩).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ١٤٩)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٨: ١٩٧).

أسلَم قَبلَ دُخولِ رسولِ الله ﷺ دارَ الأرقم، وهاجَرَ إلى الحبشة، وشهد بدرًا والمشاهِدَ كلّها، وكان صاحِبَ رسولِ الله، ووسادِه وسِواكِه ونَعلَيه وطَهورِه في السفر[١].

وكان يُشبِهُ النبيَّ[٢] ﷺ في هَديِه[٣] ودَلِّه وسَمْتِه[٤]، وكانَ قَلِيلَ اللَّحمِ قَصِيرًا[٥].

قال عبدُ الله: كنتُ غُلامًا يافعًا أرعى غنمًا لعُقبةَ[٦] بن أبي مُعَيط، فجاء النبيُّ ﷺ وأبو بكرٍ رضي الله عنه، وقَد فرّا[٧] مِنَ المُشرِكين، فقالا: «**يا غلام، هل عندك من لبنٍ تسقينا[٨]؟**»، فقلت: إنّي مُؤتَمن، ولَستُ ساقِيَكُما، فقال النبيُّ ﷺ: «**هل عِندَكَ من جَذَعةٍ لم يَنزُ عَليها الفحلُ؟**»، قلت: نعم، فأَتيتُهما[٩] بها، فاعتقَلَها النبيُّ ﷺ ومسح الضرعَ ودعا فحَفل، ثمَّ أتاه أبو بكرٍ بصَخرةٍ مُنقَعِرة، فاحتلب فيها[١٠]، فشرب أبو بكر، ثم شربت، ثمَّ قال للضرع: «**اقلص**»، فقلص، قال: [٥٠/أ] فأتيته بعد ذلك فقلت: علِّمني من هذا القول، فقال: «**إنّك لَغُلامٌ مُعلَّمٌ[١١]**»، فأخذت من فِيهِ سَبعِينَ سُورةً لا يُنازِعُني فيها أحد[١٢].

كان ابنُ مَسعودٍ رضي الله عنه يجتني سِواكًا من أراك، وكان دقيقَ الساقَين،

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٩)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٨: ١٩٧).

(٢) في (د): «بالنبي». (٣) في (د): «زيه».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٩)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٨: ١٩٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٤٩)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٨: ١٩٨).

(٦) في (ق): «لعتبة». (٧) كذا في المصادر، وفي النسخ: «نفرا».

(٨) في (د): «فتسقينا». (٩) في (د): «وأتيتهما».

(١٠) «فيها» ليس في (د). (١١) في (ق): «تعلم».

(١٢) «مسند أحمد» (٤٤١٢)، و«صحيح ابن حبان» (٦٥٠٤)، و«مسند بن أبي شيبة» (٣٨٨).

فجَعَلَت الريحُ تكفؤُهُ[١]، فضحك القومُ منه، فقال رسولُ الله ﷺ: «**مِمَّ تضحكون؟**»، قالوا: يا رسولَ الله، من دِقّةِ ساقَيه، فقال رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لَهُما أثقلُ في الميزانِ من أُحُد**»[٢].

قال زيدُ بنُ وهب: «أقبلَ ابنُ مَسعودٍ ذاتَ يومٍ وعمرُ جالِس، فقال: كُنَيفٌ مُلِئَ فِقهًا»[٣].

قال تميمُ بنُ حذلم[٤]: قال: «جالَستُ أصحابَ رسول الله أبا بكرٍ وعمرَ رضي الله عنهم، ما رأيتُ أحدًا أزهدَ في الدنيا ولا أرغبَ في الآخرة ولا أحبَّ إليَّ أن أكونَ في مِسلاخِه منك يا عبدَ الله بنَ مسعود»[٥].

قال مسروق: «قال رجلٌ عند عبدِ الله بنِ مسعود: ما أحبُّ أن أكونَ من أصحابِ اليمين، بل أكونُ من المُقرَّبين أَحَبُّ إليّ، فقال عبدُ الله: لكن هنا رجلٌ وَدَّ أنّه إذا مات لا يُبعَث، يعني نفسَه»[٦].

قال الحسن: قال عبدُ الله بنُ مسعود: «لو وقفتُ بين الجنّةِ والنار، فقيل لي: اختَر نُخَيِّرْكَ[٧] من أيِّهما تكون أحبَّ إليك أو تكونُ رمادًا؛ لاخترت أن أكونَ رمادًا»[٨].

---

(١) في (د): «تكف أذياله رضي الله عنه».

(٢) «مسند أحمد» (٣٩٩١)، و«حلية الأولياء» (١: ١٢٧).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٤٥).

(٤) في (ق): «خذلم».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٢)، و«معجم الصحابة» للبغوي (١٤١١)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٤: ٦٢).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٣)، و«مرآة الزمان» (٦: ٨).

(٧) «نخيرك» مثبت من المصادر.

(٨) انظر: «المعجم الكبير» للطبراني (٩: ١٠٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٣٣).

قال أبو وائل: قال عبدُ الله: «وددتُ أنّ الله غفر ذنبًا من ذنوبي وأنَّهُ[١] لا يُعرَف نَسَبي»[٢].

قال زيدُ بنُ وهب: «بكى ابنُ مسعودٍ حتَّى رأيتُه أخذ بكفِّه من[٣] دموعه، فقال به هكذا»[٤].

قال أبو ثابت: خرج ابنُ مَسعودٍ ذاتَ يوم، فاتَّبَعه ناس، فقال لهم: ألكم حاجةٌ؟ قالوا: لا، ولكن أَرَدنا أن نمشيَ معك، فقال: ارجعوا؛ فإنّه ذِلّةٌ للتابع، وفتنةٌ للمتبوع[٥]. والله أعلم.

وَيحَك! بل وَيلَك يا مخدوع، هذا عبدُ الله بنُ مَسعودٍ مع جَلالَتِه وعِظَمِ قَدرِه يخاف على نفسه الفتنة، وأنت يا فاسدَ المُخيِّلةِ مع جَهلِك وغَرقِكَ في بحر الشهوات والشُّبهات لا تُحِسُّ بذلك، بل تفرح بمثل ذلك، بل تغضب على مَن مشى مع غيرك، قاتَلَك الله تعالى، ما أبلَهَك[٦] وأحمَقَكَ؛ إنّا لله وإنّا إليه راجعون من فقهاءِ السوء وفقراءِ الرِّجس.

قال إبراهيمُ التيميُّ: قال الحارثُ بنُ سُوَيد: قال عبدُ الله بنُ مَسعود: «لو تعلمون ما أعلمُ من نفسي حَثَيتُم على رأسي الترابَ»[٧].

---

(١) في النسخ: «وأنا».

(٢) انظر: «المعرفة والتاريخ» (٢: ٥٤٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٣).

(٣) «من» ليس في (د).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٣)، و«مرآة الزمان» (٦: ٨).

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٢٦٣١٤)، و«مرآة الزمان» (٦: ٩)، و«الرياض النضرة» (٣: ٩٦).

(٦) في (ق): «أبلمك».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٣)، و«مرآة الزمان» (٦: ٩).

كـان رضـي الله عنه لـم يَـزَل يُؤثِرُ ثـوابَ الآخـرة على شهواتِ النفس، قال عبدُ الله بنُ المبارك: قال الحسن: قال الأحوص: دخلنا على ابن مسعودٍ وعندَه بنون له؛ ثلاثةُ غلمان كأنّهم الدنانيرُ حُسنًا، فجعَلنا نتعجَّب من حُسنِهم، [٥٠/ب] فقال لنا: كأنّكم تَغبِطوني بهم؟ قلنا: إي والله بمثل هؤلاءِ يُغبَطُ المرءُ المُسلِم، فرفع رأسَه إلى سقف بيتٍ له صغيرٍ قد عشَّش فيه خُطّافٌ وباض[(١)]، فقال: والذي نفسي بيده، لأن أكونَ نَفضتُ يدي من تراب قبورِهم أحَبُّ إليَّ من أن يَسقُطَ عُشُّ هذا الخطّافِ ويَنكسِرَ بيضُه[(٢)].

قال قَيسُ بنُ جُبَير: قال عبدُ الله: «حبَّذا المكروهان؛ الموتُ والفقر، وأيمُ الله، إن هو إلّا الغنى والفقر، وما أبالي بأيِّهما بُليت، إنّ حقَّ الله في كلٍّ منهما واجِب؛ إن كان الغنى إنّ فيه العطف، وإن كان الفقرُ إنّ فيه الصبرَ»[(٣)].

قال الحسن: قال عبدُ الله بنُ مَسعود: «ما أبالي إذا رجعت إلى أهلي على أيِّ حالٍ أراهم؛ بسرّاءَ أم بضرّاء، وما أصبحت على حالٍ فتمنَّيتُ أنّي على سواها»[(٤)].

قال ابنُ الوليد: كان عبدُ الله بنُ مسعود يقول: «إنّكم في مَمرِّ الليل والنهار في آجالٍ مَنقوصةٍ[(٥)] وأعمالٍ مَحفوظة، والموتُ يأتي بغتةً، فمَن زرع خيرًا فيُوشِك أن

---

(١) «وباض» ليس في (د).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٧١)، و«الثبات عند الممات» (٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٤).

(٣) انظر: «شعب الإيمان» (١٢: ٣٤٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٧٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٤)، و«مرآة الزمان» (٦: ٩).

(٥) في (د): «منقوضة».

يحصدَ رغبةً، ومَن زرع شرًّا فيُوشِكُ أن يحصدَ ندامةً، ولكلِّ زارعٍ مِثلُ ما زرع، لا[١] يَسبِقُ بطيءٌ بحظِّه، ولا يُدرِكُ حريصٌ ما لم يُقدَّر له، فمَن أُعطِيَ خيرًا الله أعطاه، ومَن وُقِيَ شرًّا فالله[٢] وَقاه، المُتَّقون سادة، والفقهاءُ قادة، ومُجالَستُهم زيادة»[٣].

المراد: الفقهاءُ الذين بهم يُقامُ الدين، وبمُجالستهم يُزهَدُ في الدنيا، ويُرغَبُ في الآخرة، أحوالُهم توافِقُ أقوالَهم، كلَّما ازدادوا علمًا ازدادوا زُهدًا وتقلُّلًا في الدنيا، يرى أحدُهم[٤] الموتَ أهونَ عليه من مُجالَسةِ غنيّ، يفرحون بالفقراءِ أكثرَ ممّا يفرحون بالغنيّ، يَبيتون خُمصَ[٥] البُطون؛ لإيثارهم بقُوتِهم، ويتحمَّلون مَضضَ البردِ بإدفاء غَيرِهم.

صفَوا بقلوبهم مع محبوبهم، لا يَطرَبُون بغير كلامه، يَمِيدون عند سماعِه حتَّى يبقى الجليسُ لا يشعر بجليسه، إذا سَمِعَ[٦] أحدُهم نغمةَ آلةٍ وَجدَ في نفسِه ضيقةً وكراهية، حتَّى يكاد يَقيءُ ما يجد من كراهية[٧] ذلك، ويُردِّدُ[٨] أحدُهم الآيةَ طول ليله فيُسفِرُ وهو لا يشعر، لهم في حالة الترديدِ[٩] أحوالٌ غرائبُ لا تُدرَكُ بالقالِ ولا بالقيل، إنّما هي أحوالٌ سَنِيّة، وتاراتٌ مَرضيّة، كلُّ ذلك ثمرةُ تَقَفِّي أثرِ سيدِ البريّة ﷺ ومُجِّدَ وكُرِّم.

---

(١) في (د): «ولا». (٢) في (د): «الله».

(٣) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨٨٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٧٦)، و«مرآة الزمان» (٦: ٩).

(٤) «أحدهم» ليس في (د).

(٥) الخمص: خلاء البطن من الطعام. انظر: «العين» (٤: ١٩١)، و«تهذيب اللغة» (٣: ٣٤)، و«الصحاح» (٣: ١٠٣٨)، و«النهاية» (٢: ٨٠)، و«لسان العرب» (٧: ٢٩).

(٦) «سمع» ليس في (د). (٧) في (د): «كراهيته».

(٨) في (د): «يردد» بدون الواو. (٩) في (د): «التردد».

قال عبدُ الرحمنِ بنُ زيد: قال عبدُ الله بنُ مَسعود: «مَن لم تأمره الصلاةُ بالمعروفِ وتنهاه عن المنكر لم يَزدَد بها من الله[١] إلّا بُعدًا»[٢].

قال عمرو[٣] بنُ ميمون: قال عبدُ الله بنُ مَسعود: «طافَ الشيطانُ بأهلِ مجلس ذِكرٍ ليَفتِنَهم، فلم يستطع أن يُفرِّقَهم، فأتى على حلقةٍ يذكرون الدنيا، [٥١/أ] فأغرى بينهم حتَّى اقتتلوا، فقام أهلُ الذِّكر فحجزوا بينهم فتفرَّقوا»[٤].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال موسى بنُ أبي عيسى المدنيّ: قال عبدُ الله بنُ مسعود: «من اليقينِ أن لا تُرضِي الناسَ بسَخطِ الله، ولا تحمَدنَّ أحدًا على رِزق الله، ولا تلومَنَّ أحدًا على ما لم يُؤتِك الله؛ فإنّ رزقَ الله لا يسوقه حِرصُ الحريص، ولا يَردُّه[٥] كراهيةُ الكاره، وإنّ الله بقِسطِهِ وحكمِهِ وعلمِهِ جعل الرَّوحَ والفرحَ في اليقين والرِّضا، وجعل الهمَّ والحزنَ في الشكِّ والسخط»[٦].

قال مُرّة: قال ابنُ مسعود: «ما دمتَ في صلاةٍ فأنت تَقرعَ بابَ المَلِك، ومَن يقرعُ بابَ المَلِك يُفتح له»[٧].

وهذا مَن هو في الصلاة، أما مَن هو في خَطَراتِ النفس فهو مُعرِضٌ عنه، ومَن هو مُعرِضٌ عنه مطرود، فضلًا عن أن يُفتَحَ له، نعوذ بالله من أسباب الطرد.

قال الحسنُ بنُ سعدٍ وعبدُ الرحمن، قالا: قال عبدُ الله بنُ مَسعود: «إنّي

---

(١) قوله: «من الله» ليس في (د). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٦).
(٣) في (ق) و(د): «عمر».
(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨٥٥)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٦).
(٥) في (د): «يدركه». (٦) انظر: «الزهد» لهناد بن السري (١: ٣٠٤).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٦)، و«حياة الصحابة» (٤: ١١٠).

لأحسبُ الرجلَ ينسى العلمَ كان يَعلَمُه بالخطيئة يَعملها»(١).

قال إبراهيمُ بنُ عيسى: قال ابنُ مسعود: «كونوا ينابيعَ العلم، مصابيحَ الهدى، أحلاسَ البيوت، سُرُجَ الليل، جُدُدَ القلوب، خُلقانَ الثياب، تُعرَفون في أهل السماء، وتَخفَون على أهل الأرض»(٢).

وقال: «ليس العلمُ بكثرةِ الرواية، ولكنَّ(٣) العلمَ الخشيةُ»(٤).

وقال: «لا يبلغُ عبدٌ حقيقةَ الإيمانِ حتَّى يَحِلَّ بذِروَتِه، ولا يحلُّ بذِروَته حتَّى يكونَ الفقرُ أحبَّ إليه من الغنى، والتواضُعُ أحبَّ إليه من الشرف، وحتَّى يكونَ حامِدُه وذامُّه سواءً»(٥).

وقال: «إنّ الرجلَ لَيخرجُ من بيتِه ومعه دِينُه، فيرجع وما معه شيءٌ، يأتي الرجلَ لا يملك له ولا لنفسه ضَرًّا ولا نفعًا فيُقسِمُ له بالله إنّك لَذَيتَ(٦) وذَيت، فيرجعُ وما رجع من حاجتِه بشيء، ويسخط الله عليه»(٧).

---

(١) قوله: «يعملها» ليس في (د)، والأثر في: «مسند الدارمي» (٣٨٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٣١)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١: ٦٩١).

(٢) «مسند الدارمي» (٢٦٣)، و«التبصرة» لابن الجوزي (٢: ٢٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٦-١٥٧).

(٣) في (ق): «لكن».

(٤) انظر: «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (٣٨)، و«إحياء علوم الدين» (١: ٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٧).

(٥) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨٦٣)، و«شعب الإيمان» (٧: ١٩٤).

(٦) في (ق) و(د): «كذيت».

(٧) انظر: «العلل ومعرفة الرجال» للإمام أحمد (٢: ١٤٥) (١٨١٦)، و«الزهد» لهناد (٢: ٥٥٥)، و«أخبار الشيوخ وأخلاقهم» (٢١٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٧).

وقال(١): «لو سَخِرتُ من كلبٍ لَخَشِيتُ أن أُحوَّلَ كلبًا»(٢).

وقال: «الحقُّ ثقيلٌ والباطلُ خَفيف، ورُبَّ شهوةٍ تُورِثُ حزنًا طويلًا»(٣).

وقال: «يُؤتى بالعبد يومَ القيامة فيُقال له: أدِّ أمانتَك، فيقول: مِن أينَ يا ربُّ، قد ذهبت الدنيا، فتُمثَّل على هيئتها يومَ أخذها في قعرِ جهنَّم، فينزل(٤) فيأخذها، فيضعها على عاتِقِه، فيصعدُ بها، حتَّى إذا ظنَّ أنَّه خارجٌ بها هوَت به، وهَوى في أثَرِها أبدَ الآبدِينَ»(٥).

وقال: «لا يُقلِّدنَّ أحدُكم دِينَه رجلًا، فإن آمَن آمَن، وإن كفر كفر، فإن كنتم لا بدَّ مُقتَدين فاقتدوا بالميِّت(٦)؛ فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنةُ»(٧).

قلت: صدقَ رحمةُ الله تعالى عليه؛ لقد أدركتُ رجالًا يُشار إليهم في هذه الطريقة، فكنت أرى أمورًا مُستحسَنةً أكاد أقطع، بل أقطع بأنَّها النهاية، فلمّا [٥١/ب] فتح الله بالنظرِ في سيرةِ أصحاب سيِّدِ الأوَّلين والآخرين والتابعين لهم بإحسانٍ وجدتُها بدعة، بل فيها ما هو زَندقةٌ(٨)، فراجَعت بعضَ مُريدِيهِ فوجدتُه لا يرجع، وما ذاك إلّا لجَهلِه، فحمدتُ الله تعالى على ما مَنَّ به من الهِداية، ولهُ المِنّة(٩).

---

(١) «وقال» ليس في (د).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٣: ١٧٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١: ٤٩٦).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٥٨).

(٤) «فينزل» ليس في (د).

(٥) انظر: «المجالسة وجواهر العلم» (٤: ٤٨٢)، و«حلية الأولياء» (٤: ٢٠١)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٦: ٤٧١).

(٦) في (د): «بالموت».

(٧) انظر: «المخلصيات» (٢: ٣١١)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١٨٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٥٩).

(٨) انظر: «إنارة الفكر» للبقاعي (٩٠).

(٩) قوله: «وله المنة» ليس في (ق).

قال ابنُه عبدُ الرحمن: يا أبا عبد الرحمن[١]، علِّمني كلماتٍ جوامعَ نوافع، فقال له: «اعبدِ الله لا تُشرك به شيئًا، وزُل مع القرآنِ حيثُ زال، ومَن جاءك بالحقِّ فاقبَل مِنه، وإن كانَ بَعِيدًا بغيضًا، ومَن جاءَك بالباطِلِ فاردُد عَلَيه، وإن كانَ حبيبًا قريبًا»[٢].

ولّاهُ عمرُ رضي الله عنه قضاءَ الكُوفةِ وبيتَ مالِها، ودام على ذلك صدرًا من خلافةِ عثمانَ رضي الله عنه، ثمَّ صارَ إلى المَدِينة، فمات بها سنةَ ثنتَين وثلاثين، ودُفِنَ بالبَقِيع وهو ابنُ بضعٍ وستِّين سنة، رضي الله عنه وأرضاه[٣]، واللهُ أعلم.

❊ ❊ ❊

[المِقداد بن عمرو رضي الله عنه]

[٣١] **ومنهم**: المِقدادُ بنُ عمرٍو[٤].

شهد بدرًا وأحُدًا، والمشاهدَ كلَّها مع سيِّد الأوَّلين والآخرين ﷺ، وهو أوَّلُ مَن عدا فرسُه في سبيلِ الله تعالى[٥].

قال طارقُ بنُ شهاب: قال عبد الله: لقد شَهِدتُ من المِقدادِ بن الأسودِ مشهدًا لَأن أكونَ أنا صاحبَه أحبُّ إليَّ ممّا عدل به، أتى النبيَّ ﷺ وهو يدعو على المشركين، فقال: والله[٦] يا رسولَ الله لا نقول كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى:

---

(١) قوله: «يا أبا عبد الرحمن» ليس في (د).
(٢) «مسند ابن الجعد» (٢٢٣٤)، و«حلية الأولياء» (١: ١٣٤).
(٣) انظر: «المعارف» (١: ٢٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٤٩).
(٤) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ١٤٣)، و«أسد الغابة» (٣: ٥٦).
(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ١٤٣)، و«أسد الغابة» (٣: ٥٦).
(٦) قوله: «والله» ليس في (د).

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[1] [المائدة: ٢٤]، ولكنّا نُقاتِل عن يمينِك وعن يسارِك، ومن بين يديك ومن خلفك، فرأيتُ النبيَّ ﷺ أشرقَ وجهُه، وسَرَّه ذلك[2].

قال أنسٌ رضي الله عنه: بعث النبيُّ ﷺ المِقدادَ على سريّة، فلما قَدِمَ قال له: «**أبا مَعبد، كيف وجدتَ الإمارةَ؟**»، قال: كنتُ أُحمَل وأُوضَعُ حتَّى رأيتُ أنّ لي على القومِ فضلًا، فقال: «**هو ذاك، فخُذ أو دَع**»، قال: والذي بعثك بالحقِّ لا أتأمَّرَنَّ[3] على اثنين أبدًا[4].

مات بالجُرف، وهو ثلاثةُ أميالٍ من المدينة، حُمِلَ على رقابِ الرجالِ ودُفِنَ بالبقيع، وصلى عليه عثمانُ رضي الله عنهُ سنةَ ثلاثٍ وثلاثين، وهو ابنُ سبعين سنةً أو نحوها، رضي الله عنه[5]، واللهُ أعلم.

* * *

[خَبّاب بن الأرتّ رضي الله عنه]

[٣٢] ومنهم: خبّابُ بنُ الأرَتِّ[6].

سُبِي فبِيعَ بمكّة، فاشترَتهُ أمُّ أنمار، وأسلم قبل دخولِ النبيِّ ﷺ دارَ الأرقم، وكان يُعذَّب في الله عزَّ وجلَّ بمكّة ليرجع عن دينه.

---

(١) في (ق) و(د): «اذهب».

(٢) «صحيح البخاري» (٣٩٥٢).

(٣) في (د): «لا تأمرني».

(٤) «حلية الأولياء» (١: ١٧٤)، و«مرآة الزمان» (٦: ٣٣).

(٥) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ٣٧١)، و«المنتظم» (٥: ٤٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٠).

(٦) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ١٦٠)، و«مرآة الزمان» (٦: ٣٣٠-٣٣١)، و«تهذيب تهذيب الكمال» (٣: ١١٦).

وشهد بدرًا والحديبيةَ والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ(١).

قال طارقُ بنُ شِهاب(٢): «كان خَبّابٌ من المهاجرين الأوَّلين، وكان ممَّن يُعذَّبُ في الله(٣)، لقد أوقَدوا على ظهره نارًا، فما أطفأها إلّا وَدَكُ(٤) ظَهرِه»(٥).

[٥٢/أ] توفِّي/ بالكوفةِ سنةَ سبعٍ وثلاثين، وهو ابنُ ثلاثٍ وسبعين سنةً، وصلَّى عليه عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه(٦).

❊ ❊ ❊

[صُهَيب الرومي رضي الله عنه]

[٣٣] ومنهم: صُهَيبُ بنُ سِنان(٧).

سُبِيَ وهو غلامٌ، فنشأ بالروم، ثمَّ بِيعَ بمكّة، فاشتراه عبدُ الله بنُ جُدعانَ(٨) فأعتقَه، وأسلم قديمًا، وكان من المُستضعَفين المُعذَّبين في الله تعالى، ثم هاجَرَ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٦٠)، و«مرآة الزمان» (٦: ٣٣١)، و«تذهيب تهذيب الكمال» (٣: ١١٦).

(٢) قوله: «ابن شهاب» ليس في (د).

(٣) قوله: «في الله» ليس في (د).

(٤) الودك: دسم اللحم ودهنه. انظر: «تهذيب اللغة» (١٢: ٢٦٢)، و«الصحاح» (٤: ١٦١٣).

(٥) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢٣٣٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦١).

(٦) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦١)، و«إكمال تهذيب الكمال» (٤: ١٦٩).

(٧) انظر ترجمته في: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٢)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (١: ٤٥٨).

(٨) في (ق) و(د): «جذعان».

إلى المدينة، وشهد بدرًا والمشاهدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وهو من السابقين الأوَّلين[١].

قال سعيدُ بنُ المُسيَّب: «أقبل صُهَيبٌ مُهاجِرًا نحو النبيِّ ﷺ، فاتَّبعَه نفرٌ من قريش، فنزل عن راحلته، وانتثلَ ما في كنانته، ثمَّ قال: يا معشرَ قريش، لقد علمتم أنِّي من أرماكم رجلًا، وأيمُ الله، لا تَصِلُونَ إليَّ حتَّى أرمِيَ بكلِّ سهمٍ معي في كنانتي، ثمَّ أضربُ بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، افعلوا ما شِئتُم، وإن شئتم دَلَلتُكم على مالي وثيابي بمكّة، وخلَّيتُم سبيلي، قالوا: نعم، فلمّا قَدِم على رسول الله ﷺ المدينةَ قال: «**رَبِحَ البيعُ أبا يَحيَى، رَبِحَ البيعُ أبا يحيى**»، ونزلت: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، الآية[٢].

قال: ما غزا رسولُ الله ﷺ غزوةً أوَّل الزمانِ وآخرَه إلّا كنتُ فيها[٣] عن يمينهِ أو شِمالِه، ولا خافوا أمامهم ولا ما[٤] وراءَهُم إلّا كنت وراءَهم، وما جعلتُ رسولَ الله ﷺ بيني وبين العدوِّ قطُّ حتَّى تُوفِّي رسولُ الله ﷺ[٥].

توفِّي بالمدينةِ في شوّالٍ سنةَ ثمانٍ وثلاثين، وهو ابنُ سبعين سنة[٦].

* * *

(١) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٢)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (١: ٤٥٨).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ٢٢٨)، و«المنتظم» (٥: ١٥٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٢).

(٣) «فيها» ليس في (د).

(٤) «ما» ليس في (د).

(٥) «مستدرك الحاكم» (٥٧٠٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٥١)، و«مرآة الزمان» (٦: ٣٨٧).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ٢١٧)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«قلادة النحر» (١: ٣١٨).

[عامر بن فُهَيرة رضي الله عنه]

[٣٤] ومنهم: عامرُ بنُ فُهَيرة(١).

مولى أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنه، اشتراه وأعتقه، وأسلمَ قبل دخولِ رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، وكان من المُستضعَفين، يُعذَّب بمكّةَ ليرجعَ عن دينِه، وشهد بدرًا وأُحُدًا(٢).

قالت عائشةُ رضي الله عنها: «لمّا لحق رسولُ الله ﷺ وأبو بكر(٣) بغارٍ في جبل ثَور، فمكَثا فيه ثلاثَ ليالٍ، ويرعى عليهما عامرٌ مِنحةً من غنم، فَيُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا حِينَ يَذْهَبُ سَاعَةً مِنَ العشاء، فيَبيتان في رِسلٍ، وهو لبنُ مِنْحَتِهِمَا حتَّى ينعق(٤) بها عامرُ بنُ فُهَيرةَ بغَلَس في كلِّ ليلةٍ من تلك الليالي الثلاث، ولم يكن مع رسول الله ﷺ حين هاجَرَ من مكّةَ إلى المدينة إلا أبو بكر وعامرٌ ورجلٌ من بني الدِّيلِ دليلُهم»(٥).

قُتِل يومَ بئرِ معونةَ سنةَ أربعٍ من الهجرة، وهو ابنُ أربعين سنةً، طعنه جبّارُ بنُ سلمى فأنفَذَه، فقال عامرٌ: فُزتُ والله(٦)، فقال جبّارٌ الذي قتله: ما قولُه: فُزتُ والله؟ قالوا: الجنّة، فأسلَم جبّار، ولم يُوجَد جسدُ عامرٍ، قال عروةُ بن الزبير: «يرون أنّ الملائكةَ دفنَته»(٧)، واللهُ أعلم. [٥٢/ب]

---

(١) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٢: ٧٩٦)، و«المنتظم» (٣: ٢١١)، و«أسد الغابة» (٣: ٣٢).

(٢) في (ق): «وشهد أحدًا»، وانظر: «الاستيعاب» (٢: ٧٩٦)، و«المنتظم» (٣: ٢١١)، و«أسد الغابة» (٣: ٣٢).

(٣) في (د): «أبو بكر».

(٤) في (د): «ينفق».

(٥) «صحيح البخاري» (٥٨٠٧).

(٦) قوله: «والله» ليس في (د).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٦: ١٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٣)، و«مرآة الزمان» (٣: ٣٠٣).

[بلال بن رباح رضي الله عنه]

[٣٥] ومنهم: بلالُ بنُ رباح[١].

مولى الصدِّيق رضي الله عنهما، واسمُ أمِّه: حمامة.

أسلمَ قديمًا، فعذَّبه قومُه وجعلوا يقولون له: ربُّك اللاتُ والعُزَّى، وهو يقول: أحَدٌ أحَد، فأتى عليه الصدِّيقُ رضي الله عنه فاشتراه بسبع أواقٍ، وقيل: بخمسٍ وأعتقَه، فشهد بدرًا والحديبيةَ والمشاهِدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وهو أوَّلُ مَن أذَّن لرسول الله ﷺ[٢]، كان يُؤذِّنُ له حضرًا وسفرًا[٣].

قال مُجاهِد: «أوَّلُ مَن أظهر الإسلامَ سبعة: رسولُ الله ﷺ، وأبو بكرٍ رضي الله عنه، وبلال، وخبّاب، وصُهَيب، وعمّار، وسُمَيّةُ أمُّ عمّار[٤]، فأمّا رسولُ الله ﷺ، فمنعه عمُّه، وأبو بكرٍ منعه قومُه، وأُخِذَ الآخَرونَ فألبَسُوهم أدرُعًا[٥] من حديد، ثمَّ صَهرُوهم في الشمس حتَّى بلغ الجَهدُ[٦] كلَّ مَبلغ، فأعطَوهم ما سألوا، فجاء إلى كلِّ رجلٍ منهم قومُه بأنطاعِ الأدَم فيها الماء، فألقَوهم فيه وحملوا بجوانبه، إلّا بلال؛ فإنّه هانت عليه نفسُه في الله حتَّى مَلُّوه، فجعلوا في عُنقه حبلًا، ثم أمَرُوا صبيانَهم أن[٧] يشتدُّوا به بين أخشَبَي مكة، فجعل بلالٌ يقول: **أحَدٌ أحَدٌ**»[٨].

وفي رواية: جعل الصبيانُ يطوفون به شِعابَ مكّة، وهو يقول: **أحَدٌ أحَدٌ**،

---

(١) انظر ترجمته في: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٣).

(٢) قوله: «وهو أول من أذَّن لرسول الله ﷺ» ليس في (د).

(٣) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٣).

(٤) في (ق) و(د): «عامر».

(٥) في (د): «أذراعًا».

(٦) في (د): «منهم».

(٧) «أن» ليس في (د).

(٨) انظر: «المنتظم» (٤: ٢٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٣-١٦٤)، و«أسد الغابة» (١: ٢٤٥).

وكان بلالٌ لأميّةَ بن خلف، وكان أميّةُ يُخرِجُه وقتَ الظهيرة[١]، فيطرحه على ظَهرِه في بَطحاءِ مكّة، ثمَّ يأمر بالصخرةِ العظيمةِ فتُوضَعُ على صدره، ثمَّ يقول له: لا تزالُ هكذا حتَّى تموتَ أو تكفرَ بمُحمَّدٍ وتعبدَ اللّاتَ والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: **أَحَدٌ أَحَدٌ**[٢].

وكان رضي الله عنه هو الذي يلي نفقةَ رسولِ الله ﷺ، فقال له شخصٌ: كيف كان نفقةُ رسول الله ﷺ؟ فقال: ما كان له شيءٌ إلّا وكنتُ[٣] أنا الذي أَلِي ذلك منذُ بَعَثَه الله تعالى حتَّى تُوفِّي، وكان[٤] إذا أتاه الرجلُ المُسلِمُ فرآه عاريًا يأمرني[٥] فأنطلق فأستقرِض[٦] وأشتري البُردةَ فأكسوه وأُطعِمه، ودخل ﷺ يومًا، فوجد[٧] عندي صُبرةً من تمر، فقال: «**ما هذا يا بلالُ؟**»، قلت: يا رسولَ الله، ادَّخَرتُه لك ولضِيفانِك، فقال: «**أما تخشى أن يكونَ له بخارٌ في النار؟ أنفِق بلال، ولا تَخشَ**[٨] **من ذي العرش إقلالًا**»[٩].

قال عبدُ الله بنُ بُرَيدة[١٠]: سمعت أبي يقول: أصبحَ النبيُّ ﷺ فدعا بلالًا، فقال: «**بمَ سبَقتَني؟ ما دخلتُ الجنّةَ قطُّ إلّا سمعتُ خَشْخَشتك أمامي، إنّي دخلتُ الجنّةَ البارحة فسمعتُ خَشخَشَتك**»، قال: ما أحدَثتُ إلّا تَوضَّأتُ وصلَّيتُ ركعتَين، فقال رسولُ الله ﷺ: «**بهذا**»[١١].

---

(١) في (د): «الظهر».
(٢) انظر: «الكامل في التاريخ» (١: ٦٦٣)، و«الرياض النضرة» (١: ١٣٣).
(٣) قوله: «إلا وكنت» ليس في (ق).
(٤) في (د): «فكان».
(٥) في (د): «يأمر».
(٦) في (ق): «فأستعرض».
(٧) في (ق): «فوجدني».
(٨) في (ق): «تخشى».
(٩) «مسند أبي يعلى الموصلي» (٦٠٤٠)، و«المعجم الأوسط» (٢٥٧٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٤٩).
(١٠) في (د): «يزيد».
(١١) «جامع الترمذي» (٣٦٨٩)، قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب».

قال إبراهيمُ التيميّ: «لمّا تُوفِّي رسولُ الله ﷺ أذَّن بلالٌ ورسولُ الله ﷺ لم يُقبَر، فكان إذا قال: أشهدُ أنّ مُحمَّدًا رسولُ الله، انتَحبَ الناسُ في المسجد، فلمّا دُفِنَ رسولُ الله ﷺ قال له(١) الصدِّيقُ رضي الله عنه: أذِّن، فقال: إن كنتَ أعتقتَني لأن أكونَ معك فسبيلُ ذلك إليك، وإن كنت أعتقتَني لله فخَلِّني ومَن أعتقتَني له، فقال: ما أعتقتُك إلّا لله تعالى، فقال: إنّي لا أؤذِّنُ لأحدٍ بعد رسولِ الله ﷺ، قال: فذاك إليك، فأقام حتَّى خرجَت بُعوثُ الشام، فسار معهم حتَّى انتهى إليها»(٢). [٥٣/أ]

وفي رواية: فقال له أبو بكر: ما كنتُ أراكَ يا بلالُ تدَعُنا على هذا الحال، لو أقمتَ معنا فأعَنتَنا!

فقال: إن كنتَ أعتقتَني لله تعالى فدَعني أذهب إليه، وإن كنتَ ممّا أعتقتَني لنفسك فاحبِسني عندك، فأذِن له، فخرج إلى الشام ومات بها، رضي الله عنه(٣).

واختُلِف أين مات؛ فقيل: بدمشق، وقيل: بحَلَب سنةَ عشرين، وقيل: سنةَ ثماني(٤) عشرة، وهو ابنُ بضعٍ وستِّين سنةً، والبعضُ ما بين الثلاثة والعشرة، أو ما بين الاثنين والعشرة(٥)، وقيل غيرُ ذلك، والله أعلم.

* * *

---

(١) «له» ليس في (د).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ٤٧٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٣٤).

(٣) «الجهاد» لابن المبارك (١٠٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٥٠).

(٤) في (د): «ثمان».

(٥) انظر: «معرفة الصحابة» لابن منده (٢٦٧)، و«المستخرج من كتب الناس» (٢: ٤٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ٤٣٥).

[عمّار بن ياسر رضي الله عنه]

[٣٦] ومنهم: عمّارُ[١] بنُ ياسرٍ[٢].

أسلمَ قديمًا، وكان من المُستضعَفين الذين يُعذَّبون بمكّة ليرجعوا عن دينهم، وأحرَقَه المشركون بالنار، وشهد بدرًا، ولم يشهدها ابنُ مؤمِنَين غيرُه[٣]، وشهد أحُدًا والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ[٤].

وسمّاه النبيُّ ﷺ: الطيِّبَ المُطيَّب، ولمّا أحرَقَه المشركون كان رسولُ الله ﷺ يُمِرُّ يدَه على رأسه ويقول: «**يا نارُ كوني بردًا وسلامًا على عمّارٍ كما كُنتِ على إبراهيمَ**»[٥].

وكان عمّارٌ رضي الله عنه طويلَ الصمت، طويلَ الحزن والكآبة، وكان عامّةُ كلامه: «عائذًا بالله من فتنة»[٦].

قُتِلَ بصفِّين رضي الله عنه مع عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ودُفِنَ هناك سنةَ سبعٍ وثلاثين، وهو ابنُ ثلاث، وقيل: أربعٍ وتسعين[٧] سنة، رضي الله عنه[٨].

---

(١) في (د): «عامر».

(٢) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١١٤١)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٦).

(٣) قوله: «ولم يشهدها ابنُ مؤمنَين غيره» مضروب عليه في (د).

(٤) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٦).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٣٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٧)، و«مرآة الزمان» (٦: ٣٥٢).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١: ١٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٧).

(٧) في (ق): «وسبعين».

(٨) انظر: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٨٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٣٥٤)، و«المنتظم» (٥: ١٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٨).

[زيد بن الخطاب رضي الله عنه]

[٣٧] **ومنهم**: زيدُ بنُ الخطّاب[١].

أخو عمرَ رضي الله عنهما، وهو أَسَنُّ من عمر، أسلم قديمًا قبل عمر، شهد بدرًا والمشاهِدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ[٢].

قال له عمرُ يومَ أُحُد: «أقسمتُ عليك إلّا لبستَ درعي، فلبسها ثمَّ نزعها، فقال له عمر: ما لك؟ فقال: أريد بنفسي ما تريد بنفسك»[٣]، يعني: الشهادة، فتركاها جميعًا.

حمل زيدٌ رايةَ المسلمين يومَ اليمامة،/ وقد انكشف المسلمون حتَّى غلبت حَنِيفةُ على الرجال، فجعل زيدٌ يقول: «أمّا الرجالُ فلا رِجال، ثمَّ جعل يصيح بأعلى صوته: اللهمّ إنّي أعتذر إليك من فِرار أصحابي، وأبرَأ إليك ممّا جاء به مسيلمة، وجعل يَشُدُّ بالرايةِ يتقدَّمُ بها في نحر العدو، ثمَّ ضارَبَ بسيفه حتَّى قُتل، ووقعت الراية، فأخذها سالمٌ مولى أبي حذيفة، فقال المسلمون: يا سالم، إنّا نخافُ أن نُؤتى مِن قِبَلِك، فقال: بئسَ حامِلُ القرآن أنا إن أوتِيتُم من قِبَلي[٤]. [٥٣/ب]

والله أعلم.

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ١٦٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٠٣)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٦٥).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٦٨)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٠٣)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٦٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٦٨)، و«تهذيب الكمال» (١٠: ٦٥).

(٤) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٥٠٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٨)، و«أسد الغابة» (٢: ١٣٤).

[عثمان بن مَظعون رضي الله عنه]

[٣٨] ومنهم: عثمانُ بنُ مظعون[١].

يُكنَّى: أبا السائب.

أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دارَ الأرقم، وهاجَرَ إلى الحبشة الهجرتَين[٢].

وحرَّم الخمرَ في الجاهلية، وقال: «لا أشربُ شيئًا يُذهِبُ عقلي، ويُضحِكُ بي مَن هو أدنى منِّي، ويحملني على أن أُنكِحَ كريمتي مَن لا أريد»[٣].

وشهد بدرًا، وكان متعبِّدًا، قالت عائشةُ رضي الله عنها: دخلتُ على امرأةِ عثمانَ بنِ مظعونٍ وهي باذلةُ الهيئة، فسألتها: ما شأنُك، فقالت: إنّ[٤] زوجي يقوم الليل ويصوم النهار، فدخل النبيُّ ﷺ، فذكرتُ له ذلك، فلقي رسولُ الله ﷺ عثمان، فقال: «**يا عثمان، إنّ الرهبانيّة لم تُكتَب علينا، أفما لك[٥] فيَّ أسوة، فوالله إنّي أخشاكم لله، وأحفظكم لحدودِه**»[٦].

مُرِّض عثمانُ في بيت أمِّ العلاء، فلمّا تُوفِّي دخل رسولُ الله ﷺ فقلت:

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٣: ٣٩٣)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ٢٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٩).

(٢) انظر: «معجم الشعراء» (٢٥٤)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ٢٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٩).

(٣) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٦٩)، و«أسد الغابة» (٣: ٤٩٥)، و«مرآة الزمان» (٣: ٢٩٧).

(٤) «إن» ليس في (ق).

(٥) في (د): «فمالك».

(٦) في (ق): «لحدوده لأنا»، والرواية في: «مسند أحمد» (٢٥٨٩٣)، و«معجم الصحابة» للبغوي (١٧٨٧)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٩: ٣٨).

رحمةُ الله عليك أبا السّائِب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال لي النبيُّ ﷺ: **«وما يُدريك أنّ الله أكرمه؟»**.

فقلت: لا أدري بأبي أنتَ وأمي يا[١] رسولَ الله، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أمّا عثمان فقد جاءه واللهِ اليقين، واللهِ إنّي لأرجو له الخير، واللهِ ما أدري وأنا رسولُ الله ما يُفعَلُ بي»**، قالت: فوالله لا أُزكِّي أحدًا بَعدَه، فأحزَنني ذلك، فنمتُ فرأيت[٢] لعثمانَ عينًا تجري، فجئتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبَرتُه، فقال: **«ذاك عملُه»**. انفرد بإخراجه البخاريُّ[٣].

تُوفِّي في شعبانَ على رأسِ ثلاثينَ شهرًا من الهجرة[٤]، وقبَّل رسول الله ﷺ خدَّهُ[٥]، وسمّاه: السلف الصالِح[٦]، وهو أوَّلُ مَن دُفِنَ بالبقيع، رضي الله عنه[٧].

* * *

[سعد بن مُعاذ رضي الله عنه]

[٣٩] ومنهم: سعدُ بنُ مُعاذ[٨].

---

(١) «يا» ليس في (ق). (٢) في (ق): «فأريت».

(٣) «صحيح البخاري» (٢٦٨٧). (٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٣٩٦).

(٥) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤: ١٩٥٤).

(٦) ورد في «الاستيعاب» (٣: ١٠٥٣): «لما توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ قال رسول الله ﷺ: الحق بالسلف الصالح عثمان بن مظعون»، ورواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧: ٣٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٣٧).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٦٩)، و«أسد الغابة» (٣: ٤٩٥).

(٨) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٣: ٤٢٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧١)، و«أسد الغابة» (٢: ٢٢١)، و«مرآة الزمان» (٣: ٣٥٦).

يكنَّى: أبا عمر.

أسلم على يد مصعب بن عُمَير(١)، فأسلم بإسلامه بنو عبد الأشهل، وهي أوَّلُ دارٍ أسلَمَت من الأنصار، وشهد بدرًا وأُحُدًا، وثبت مع النبيِّ ﷺ يومئذ، ورُمِي يوم الخندق، فانفجر كَلْمُه بعد ذلك، فمات منه(٢).

[٥٤/أ] قالت عائشةُ رضي الله عنها: «خرجتُ يومَ الخندقِ أقفُو أثرَ الناس، فسمعتُ وئيدَ(٣) الأرضِ من ورائي، فالتفتُّ فإذا سعدُ بنُ مُعاذ، فجلَستُ إلى الأرض، فمرَّ سعدٌ وهو يَرتَجِز(٤):

لَبِّث قَلِيلًا يُدرِكُ الهَيجا حَمَل ... ما أحسَنَ المَوتَ إذا جاءَ(٥) الأَجَل

قالت عائشةُ رضي الله عنها: وعليه دِرعٌ قد خرجت منه أطرافُه، فأنا أتخوَّف على أطرافه، قالت: فاقتحَمتُ حديقةً، فإذا فيها نفرٌ من المسلمين وفيهم عمرُ بنُ الخطّاب، فقال عمر: ما جاء بك، والله إنّك لجريئة، وما يُؤمنك أن يكونَ تحوُّزٌ أو بلاءٌ؟

قالت: فما زال يُلومُني حتَّى تمنَّيتُ أنّ الأرضَ انشقَّت فدخلتُ فيها.

فقال طلحة: وَيحَك يا عمرُ! إنّك قد أكثرت منذُ اليوم، وأين التحوُّزُ والفرارُ إلّا إلى الله؟

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٤٢٠)، و«الاستيعاب» (٢: ٦٠٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧١)، و«أسد الغابة» (٢: ٢٢١)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٣: ٣٥٦).

(٣) في (د) و(ق): «وبيد».

(٤) «صحيح ابن حبان» (٧٠٢٨).

(٥) في كثيرٍ من المصادر: «حان».

قالت: ويرمي سعدًا رجلٌ من المشركين يُقال له: ابنُ العَرِقة بسهم، فقال: خذها وأنا ابنُ العَرِقة، فأصاب أكحلَه، فدعا الله تعالى سعدٌ، فقال: اللهمّ لا تُمِتني حتَّى تَشفِيَني(١) من قُرَيظة، وكانوا مَواليَه وحُلفاءَه في الجاهليّة، فرقَأ كَلْمُه، وبعث الله تعالى الريحَ على المشركين، فكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قويًّا عزيزًا، فلَحِق أبو سفيانَ ومَن معه بنجد، ورجعت بنو قُرَيظة، فتحصَّنوا في صَياصِيهم.

ورَجَعَ رسولُ الله ﷺ المدينة، وأمَرَ بقُبّةٍ من أدَم فضُرِبَت على سعد بن معاذٍ في المسجد.

قالت: فجاءَ جبريلُ عليه الصلاةُ والسلامُ وعلى ثناياه النَّقع، فقال: أوَقَد وضَعتُم السلاحَ! فوالله ما وضَعَتِ الملائكةُ السلاحَ بعد، اخرُج إلى بني قُرَيظةَ فقاتِلهُم، قالت(٢): فلَبِسَ رسولُ الله ﷺ لأمَتَه، وأذَّن في النّاسِ بالرحيل، قالت: فأتاهُم رسولُ الله ﷺ وحاصَرَهُم خمسًا وعشرينَ ليلة، فلمّا اشتدَّ حصرُهم واشتدَّ البلاءُ عليهم، قيل لهم: انزلوا على حُكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لُبابة بنَ عبد المنذر، فأشارَ أنّه الذبح.

فقالوا: ننزلُ على حُكم سعدِ بن معاذ، فبعثَ رسولُ الله ﷺ إلى سعد، فحُمِلَ على حمارٍ على إكافٍ من لِيف، وحَفَّ به قومُه، فجَعَلوا يقولون: يا أبا عمر، حلفاؤُكَ ومَواليك، ومَن قد عَلِمت، ولا يَرجِعُ إليهم شيئًا، حتَّى إذا دَنا من دُورِهم التفتَ إلى قومه، فقال: قد آنَ لي ألّا أُباليَ في الله لومةَ لائم، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**احكُم فيهم**»، فقال: إنّي أحكُمُ فيهم أن يُقتَلَ(٣) مُقاتِلُهم، وتُسبى(٤) ذَراريهم،

(١) في (د): «تشفني».
(٢) «قالت» ليس في (د).
(٣) في (د): «نقتل».
(٤) في (د): «ونسبي».

[٥٤/ب] وتُقسَّم[١] أموالُهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد حَكَمتَ فيهم بحُكم الله وحُكم رسوله**»، قالت: ثمَّ دعا الله عزَّ وجلَّ سعدٌ، فقال: اللهُمَّ، إن كنتَ أبقيتَ على نبيِّكَ من حربِ قريشٍ شيئًا فأبقِني لها، وإن كنت قطعتَ الحربَ بينه وبينهم فاقبِضني إليك، فانفَجرَ كَلْمُه، وقد كان بَرَأ.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: فحضَرَه رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمر، وصلَّى عليه رسولُ الله ﷺ، ودُفِنَ بالبقيع، رضوانُ الله تعالى عليه.

وكان رجُلًا جسيمًا جَزلًا، جَعَلَ المنافقونَ وهم يمشونَ خلفَ[٢] سريره يقولون: لم نَرَ كاليومِ رجُلًا أخفَّ مِنه، وقالوا: أتَدرُونَ لِمَ ذاك؛ لِحُكمِه في بَنِي قُرَيظة، فذُكِرَ ذلك للنبيِّ ﷺ فقال: «**والَّذِي نَفسِي بيَدِه، لقد كانَت المَلائِكةُ تَحمِلُ سَرِيرَه**»[٣].

وفي «**الصحيحين**»[٤]: «**اهتزَّ عرشُ الرحمن سبحانَه وتعالى لموت سعدٍ رضي الله عنه**».

ماتَ في شوّال سنةَ خَمسٍ من الهِجرة، وهو ابنُ سبعٍ وثلاثين سنة، رضي الله عنه، والله أعلم[٥].

* * *

(١) في (د): «ونقسم».
(٢) في (د): «حول».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧١-١٧٣).
(٤) «صحيح البخاري» (٣٨٠٣)، و«صحيح مسلم» (٢٤٦٦).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧١).

[قتادة بن النعمان رضي الله عنه]

[٤٠] **ومنهم**: قتادةُ بنُ النعمان[١].

شَهِدَ العَقَبَةَ مع السبعين، وكان من الرماة، وشَهِدَ بدرًا وأُحُدًا[٢].

ورُمِيَت عينُه فسالَت، فقال: هذا ما ترى يا رسولَ الله، فقال عليه الصلاةُ والسلام: «**إن شِئتَ صَبَرتَ ولك الجنّة، وإن شِئتَ رَدَدتُها ودَعَوتُ الله[٣] لك فلم تَفقِد منهما[٤] شيئًا**»، فقال: يا رسولَ الله، والله إنّ الجنّةَ لجزاءٌ جزيلٌ وعطاءٌ جليل، ولكنِّي رجُلٌ مُبتلًى بحُبِّ النساء، وأخافُ أن يَقُلن: أعور، فلا يُرِدنَني، ولكن تردُّها وتسألُ الله تعالى لي الجنّة، فقال: «**أفعلُ يا قتادة**»، ثمَّ أخَذَها رسولُ الله ﷺ، وأعادَها إلى مَوضِعها، فكانت أحسنَ عينَيه إلى أن مات، ودعا له بالجنّة[٥].

ودَخَلَ ابنُ قتادةَ على عُمرَ بن عبدِ العزيز، فقال له عمر: مَن أنت يا فتى؟ فقال:

أنا ابنُ الذي سالَت على الخَدِّ عَينُه ... فرُدَّت بكَفِّ المُصطَفَى أحسَنَ الرَّدِّ
فعادَت كَما كانَت لأحسَنِ حالِها ... فيا حُسنَ ما عَينٍ ويا طِيبَ عائِدِ[٦]

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ٢٧٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٤)، و«أسد الغابة» (٤: ٨٩).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ٢٧٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٤)، و«أسد الغابة» (٤: ٨٩).

(٣) لفظ الجلالة ليس في (د).

(٤) في (د): «منها».

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٢: ٨٢)، و«الطبقات الكبرى» (٣: ٤٥٣)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٣٦٤)، و«أعلام النبوة» (١٠٨).

(٦) قوله: «ويا طيب عائد» في (د): «ويا حسن ما ردد»، والبيتان من بحر الطويل.

فقال عمر: بمثل هذا فليَتوسَّل إلينا المُتوسِّلون(١).

شَهِدَ قتادةُ مع رسول الله ﷺ المشاهدَ كلَّها، وكانت معه يومَ الفتح رايةُ بني ظفر(٢).

تُوفِّي سنة ثلاثٍ وعشرين، وهو ابنُ خمسٍ وستِّين، وصلَّى عليه عمرُ رضي الله عنه(٣)، والله أعلم.

* * *

[عاصم بن ثابت رضي الله عنه]

[٤١] **ومنهم: عاصمُ بنُ ثابتٍ**(٤).

يُكنَّى: أبا سُليمانَ.

شَهِدَ بدرًا وأُحُدًا، وثَبَتَ مع رسول الله ﷺ حين ولَّى الناس، وبايَعَه على الموت، وكان من الرماة(٥).

قَتلَ يومَ أُحُدٍ من أصحاب لواء المشركينَ مُسافِعًا والحارث، فنَذَرَت أمُّهُما
[٥٥/أ] سُلافةُ أن تشربَ في مخِّ عاصمٍ الخمر، / وجعلت لِمَن جاء برأسه مئةَ ناقة، فقَدِم ناسٌ من هُذَيل على رسول الله ﷺ، فسألوه أن يوجِّه معهم مَن يُعلِّمُهم، فوجَّه معهم(٦) عاصمًا في جماعة، فقال لهم المشركون: استأسِروا؛ فإنّا لا نريد

---

(١) انظر: «بحر الدموع» (١١٢-١١٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٤)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٦٤).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٣: ٤٥٣)، و«مستدرك الحاكم» (٣: ٣٣٤)، و«الاستيعاب» (٣: ١٢٧٦).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ٣٦٤).

(٤) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ١٧٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ٢٥٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١: ٤٦٢).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ٢٥٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١: ٤٦٢).

(٦) «معهم» ليس (د).

قتلكم، وإنّما نريد أن نُدخِلَكم مكّةَ ونُصيبَ بكم ثَمنًا، فقال عاصمٌ: لا أقبلُ جِوارَ مُشرك، وجعل يقاتِلُهم حتَّى فَنِيت نَبلُه، ثمَّ طاعَنَهم حتى انكسر رمحُه، فقال: اللهمّ إنّي حَمَيتُ دينَك أوَّلَ النهار، فاحمِ لحمي آخرَه، فجرحَ رجُلَين وقتل واحدًا، وقتلوه، وأرادوا أن يحتزُّوا رأسَه، فبعث الله الدَّبرَ[1] فحمَته، ثم بعث الله سيلًا في الليلِ فحَمَلَه، وذلك يومَ الرجيع[2].

وفي رواية: بعث رسولُ الله ﷺ عاصمَ بنَ ثابتٍ وزيدَ بن الدَّثِنةِ وخُبَيبَ بنَ عديٍّ ومرثدَ بنَ أبي مرثدٍ إلى بني لحيانَ بالرجيع، فقاتَلُوهم حتَّى أخذوا لأنفسهم أمانًا، إلّا عاصم؛ فإنّه أبى، وقال: لا أقبل اليوم عهدًا من مشرك، ودعا عند ذلك، فقال: اللهمَّ إنّي[3] أحمي لك اليوم دِينَك؛ فاحمِ لي لحمي، فجعل يُقاتل، وهو يقول:

مــا عِلَّتِــي وأنــا جَلــدٌ نابــلُ … والقَــوسُ فِيهــا وتَــرٌ عُنابِــلُ
إن لـم أقاتلكــم فأُمِّي[4] هابِلُ[5] … المَــوتُ حَــقٌّ والحَيــاةُ باطِــلُ
وَكُلُّ مــا حَـــمَّ الإلَـــهُ نـــازِلُ … بالمَــرءِ والمَــرءُ إلَيــهِ آيِــلُ[6]

فلمّا قتلوه كان في قَلِيبٍ لهم، فقال بعضُهم لبعض: هذا الذي آلَت فيه المكيّةُ

---

(١) الدبر: جماعة النحل. قال الأصمعي: لا واحد لها، ويجمع على دُبور. انظر: «الصحاح» (٢: ٦٥٢)، و«المحكم» (٩: ٣١٤)، و«النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢: ٣٣)، و«لسان العرب» (٤: ٢٧٥).

(٢) انظر: «المنتظم» (٣: ٢١٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٣-١٧٤).

(٣) «إني» ليس في (د).

(٤) في (ق) و(د): «فإني».

(٥) هابل: أي: ثاكل. انظر: «المحكم» (١: ١٨٤)، و«لسان العرب» (٤: ٥٩٥)، و«تاج العروس» (١٣: ١٠٥)، وورد في كثيرٍ من المصادر مكان صدر هذا البيت:

تــزل عــن صفحتهــا المعابــل

(٦) الأبيات من بحر الرجز، وانظر: «مغازي الواقدي» (١: ٣٥٥)، و«سيرة ابن هشام» (٢: ١٧٠).

وهي سُلافة، فأرادوا أن يحتزُّوا رأسَه ليذهبوا به إليها، فبعث الله عزَّ وجلَّ رِجْلًا من دَبر، فلم يستطيعوا أن يحتَزُّوا رأسَه[1]، رضي الله عنه[2]، والله أعلم.

* * *

[حارثة بن النعمان الأنصاري رضي الله عنه]

[٤٢] **ومنهم**: حارثةُ بنُ النعمان الأنصاريُّ[3].

يُكنَّى: أبا عبد الله.

شهد بدرًا والمشاهِدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ[4].

قال الواقديّ: كانت له مَنازِلُ قريبةٌ من منازِلِ رسول الله ﷺ بالمدينة، فكان كلَّما أحدثَ النبيُّ ﷺ أهلًا تحوَّل له حارثةُ عن منزلٍ بعد منزل، حتَّى قال رسولُ الله ﷺ: «**لقد استحيَيتُ من حارثةَ ممّا يتحوَّلُ لنا عن منازِله**»[5].

كُفَّ بصرُ حارثة، فجعَل خَيطًا مِن مُصَلّاهُ إلى بابِ حُجرَتِه، ووضع عنده مِكتَلًا[6] فيه تمرٌ وغيرُه، فكان إذا سَلَّمَ المِسكِين أخذ من ذلك التَّمر، ثمَّ أخَذَ على ذلك الخيطِ حتَّى يأخذَ إلى باب الحجرة، فيناوِلُه[7] المسكينَ.

---

(١) من قوله: «ليذهبوا به إليها» إلى هنا ليس في (د).

(٢) «سنن سعيد بن منصور» (٢٨٣٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٥٧٥-٥٧٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٤).

(٣) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣: ٧٩)، و«الاستيعاب» (١: ٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٧)، و«أسد الغابة» (١: ٤٢٩).

(٤) انظر: «الاستيعاب» (١: ٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٧)، و«أسد الغابة» (١: ٤٢٩).

(٥) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٧)، و«مرآة الزمان» (٧: ٢١٩).

(٦) في (د): «مكيلًا». (٧) في (د): «فيناول».

فكان أهلُه يقولون: نحن نكفيك، فيقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول[١]: «إنّ مُناولةَ المسكينِ تَقِي ميتةَ السُّوء»[٢]. [٥٥/ب]

قالت عائشةُ رضي الله عنها: قال رسولُ الله ﷺ: «نِمتُ فرأيتُني في الجنة، فسَمِعتُ صوتَ آدمِيٍّ يقرأ، فقلت: مَن هذا؟ قالوا: حارثةُ بنُ النعمان، فقال رسول الله ﷺ: كَذاكَ البِرّ، كَذاكَ البِرُّ[٣]، وكان أبرَّ الناس بأمِّه»[٤].

توفِّي في خلافة معاويةَ رضي الله عنه[٥]، والله أعلم.

* * *

[مُعاذ بن عَفراء رضي الله عنه]

[٤٣] ومنهم: مُعاذُ بنُ عَفراءَ[٦].

وعَفراءُ أمُّه، وأبوه: الحارثُ بنُ رفاعة، شهد العقبَتين وبدرًا[٧].

قال عبد الرحمن بنُ أبي ليلى: «كان معاذُ بنُ عفراءَ لا يَدعُ شيئًا إلّا تصدَّق به، فلمّا وُلِدَ لَهُ استشفَعَت امرأتُه بأخواله، فكلَّموه، وقالوا: إنّك قد أعيَلتَ[٨]،

---

(١) «المعجم الكبير» (٣٢٢٨)، و«شعب الإيمان» (٣١٨٨)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٥٦).

(٢) «الطبقات الكبرى» (٣: ٤٨٨)، و«المنتظم» (٥: ٢٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٨)، و«البداية والنهاية» (٨: ٥٦-٥٧).

(٣) في (ق) و(د): «البر كذاك البر».

(٤) «السنن الكبرى» للنسائي (٨١٧٦)، و«مسند أحمد» (٢٥١٨٢).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧٨).

(٦) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٥: ٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٨)، و«مرآة الزمان» (٦: ١٢٦).

(٧) «بدرًا» ليس في (د)، وانظر: «المنتظم» (٥: ٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٨)، و«مرآة الزمان» (٦: ١٢٦).

(٨) في (د): «أعليت»، وفي «المنتظم»، و«صفة الصفوة»: «أعلت».

فلو جمَعتَ لولدك، قال: أبَت[١] نفسي إلّا أن أستَتِرَ بكلِّ شيءٍ أجِدُه من النار، فلمّا مات ترك أرضًا إلى جنب أرضِ رَجل، وعليه مُلاءةٌ صَفراءُ ما تساوي ثلاثةَ دراهم، قال عبدُ الرحمن: ما تسرني[٢] الأرضُ بمُلاءتي هذه، فاحتاج إليها جارُ الأرض، فاشتراها بثلاث مئةِ ألفٍ»[٣].

قال مُحمَّدُ بنُ سيرين: سمعتُ أفلحَ مولى أبي أيوب قال: «كان عمرُ يأمر بحُلَلٍ تُنسَج لأهل بدرٍ يُتنوَّق فيها، فبعث إلى مُعاذ بن عَفراءَ حُلّة، فقال معاذٌ لأفلح: بِع هذه الحُلّة، فبعتُها لهُ[٤] بألفٍ وخمس مئة، ثمَّ قال: اذهب فابتَع لي بها أرِقّاء، فاشتريت له خمسَ رقاب، ثمَّ قال: والله إن امرًا اختارَ قِشرَين يلبسهما على خمسِ رقابٍ يعتِقها لَغَبِينُ الرأي، اذهبوا فأنتم أحرارٌ»[٥].

توفِّي بعد قتل عثمانَ رضي الله عنه[٦]، والله أعلم.

* * *

[أُبي بن كعب رضي الله عنه]

[٤٤] ومنهم: أُبيُّ بنُ كعب[٧].

يكنَّى: أبا المنذر.

---

(١) في (د): «آليت على». (٢) في (د): «تسترني».
(٣) انظر: «المنتظم» (٥: ٧٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٨)، و«مرآة الزمان» (٦: ١٢٧).
(٤) «له» ليس في (د).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٧٨)، و«حياة الصحابة» (٢: ٥٨١).
(٦) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١٤٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٨).
(٧) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧: ٣٠٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٩).

شهد العقبةَ مع السبعين، وبدرًا والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ[١]، وكان يكتبُ له الوحي، وهو أحدُ الذين حفظوا القرآنَ كلَّه على عهدِ رسول الله ﷺ، وأحَدُ الذين كانوا يُفتُون على عهده عليه الصلاة والسلام، قال له[٢] رسولُ الله ﷺ: «**إنّ الله عزَّ وجلَّ أمَرَني أن أقرأ عليك:** ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البينة: ١]»، قال: وسَمّاني لك؟ قال: «**نعم**»، فبكى[٣]. رواه الشيخان.

وكان رضي الله عنه يختم القرآنَ في ثمانِ ليالٍ[٤].

قال عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه في حقِّه: «هذا سيِّدُ المسلمين»[٥].

قال لعمر: ما لك لا تستعمِلني؟ قال: «أكرَه أن تُدنِّسَ دينَك»[٦].

من كلامه النافع: «ما من عبدٍ ترك شيئًا لله عزَّ وجلَّ إلّا أبدلَه الله عزَّ وجلَّ ما هو خيرٌ منه من حيث لا يحتسب، وما تهاوَنَ عبدٌ فأخذَه من حيث لا يصلُح إلّا أتاه الله تعالى بما/ هو أشَدُّ[٧] عليه من حيث لا يحتسب»[٨]. [٥٦/أ]

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧: ٣٠٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٩).

(٢) «له» ليس في (د).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٨٠٩)، و«صحيح مسلم» (٧٩٩).

(٤) انظر: «مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر» (١٥٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١: ٧٤).

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٢٦٧-٢٦٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧: ٣٣٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٧٩).

(٦) انظر: «كنز العمال» (٥: ٧٥٩).

(٧) «أشد» ليس في (ق).

(٨) «الزهد» لوكيع (٣٥٥)، و«الزهد» لهناد بن السري (٢: ٤٦٦)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٥٣).

قال يومًا لرسولِ الله ﷺ: ما جزاءُ الحُمّى؟ قال: «**تجري الحسناتُ على صاحبِها ما اختلَج عليهِ قَدَم، أو ضَربَ**[١] **عليهِ عِرقٌ**»، فقال أُبَيّ: اللهمَّ إنّي أسألك حُمّى لا تمنعني خروجًا في سبيلِك، ولا خروجًا إلى بيتِك ولا مسجدِ نبيِّك، فلم يُمسِ أُبيٌّ قطُّ إلّا وبه حُمّى[٢].

قال رضي الله عنه: «إنّ اقتصادًا في سبيلٍ[٣] وسُنّةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيلٍ وسُنّةٍ»[٤]، رضي الله عنه، والله أعلم.

* * *

[أبو طلحة رضي الله عنه]

[٤٥] **ومنهم**: أبو طلحةَ[٥].

واسمُه: زيدُ بنُ سهل.

شَهِد العقبةَ مع السبعين، وبدرًا والمشاهِدَ كلَّها مع رسولِ الله ﷺ، وكان من الرُّماة، وهو أنصاريٌّ[٦].

وكان أحَبُّ أمواله إليه بَيرُحاء، وكانت مُستقبِلةَ المسجد، فكان النبيُّ ﷺ

(١) قوله: «قدمُ أو ضرب» ليس في (د).

(٢) «المعجم الأوسط» (٤٤٥)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٥٤٠)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٥٥).

(٣) في (د): «سبيل الله».

(٤) «الزهد» للإمام أحمد (١٠٩٣)، و«الزهد» لأبي داود (١٨٩)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٥٣).

(٥) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ٥٦٤)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٣٧)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٢١٨).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٨٠)، و«أسد الغابة» (٢: ١٣٧)، و«مرآة الزمان» (٦: ٤٠).

يدخلها، ويشرب من ماءٍ فيها طيِّب، قال أنس: فلمّا نزلَت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال أبو طلحة: يا رسول الله، إنّ الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإنّ[١] أحبَّ أموالي إليَّ بيرُحاء، وإنّها صدقةٌ لله أرجو بِرَّها وذُخرَها عند الله، فضَعْها يا رسولَ الله حيث أراكَ الله، فقال النبيُّ ﷺ: «**بخ، ذاكَ مالٌ رابح، ذاكَ مالٌ رابح، وقد سمعت، وأنا أرى أن تجعلَها في الأقرَبين**»، فقال أبو طلحة: أفعلُ يا رسول الله، قال: فقسَّمَها أبو طلحةَ في أقاربِه وبني عمِّه[٢].

وبَيرُحاء: بستانٌ فيه عَينٌ[٣].

قال أنس: كان أبو طلحةَ بين يدَي رسول الله ﷺ، وكان يرفع رأسَه من خَلفِه ينظر مَواضِعَ نَبلِه، فتطاول أبو طلحةَ يَقِي رسولَ الله ﷺ ويقول: يا رسولَ الله، نَحرِي دون نَحرِك[٤].

قال رسولُ الله ﷺ يومَ حُنَين: «**مَن قتلَ قتيلًا فله سَلَبُه**»، فقتل أبو طلحةَ يومئذٍ عشرين رجلًا، وأخذ أسلابَهم[٥].

لمّا تُوفِّي رسولُ الله ﷺ صام فلم يفطر إلّا في سفرٍ أو مرضٍ[٦] حتَّى تُوفِّي، قال أنسٌ رضي الله عنه: سرد أبو طلحةَ الصومَ بعد رسولِ الله ﷺ أربعين عامًا[٧].

---

(١) في (د): «وأنا».
(٢) «صحيح البخاري» (١٤٦١).
(٣) انظر: «مشارق الأنوار» (١: ١١٥)، و«النهاية في غريب الحديث» (١: ١١٤)، و«لسان العرب» (٢: ٤١٢)، و«تاج العروس» (٦: ٣١٠).
(٤) «مسند أحمد» (١٢٠٤٣)، وأصل الحديث في «صحيح البخاري» (٣٨١١)، و«صحيح مسلم» (١٨١١).
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٦٩٨٨)، و«شرح معاني الآثار» (٥١٩٣).
(٦) في (د): «في مرض».
(٧) قوله: «أربعين عامًا» ليس في (د).

توفِّي سنة أربع وثلاثين، وهو ابنُ سبعينَ سنة، وصلى عليه عثمانُ(١)، وهذا التاريخُ يُخالِف ما رواه أنس، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

[عبد الله بن رَواحة رضي الله عنه]

[٤٦] **ومنهم**: عبدُ الله(٢) بنُ رَواحةَ(٣).

يُكنَّى: أبا مُحمَّد.

وهو أحدُ النُّقباءِ الاثني عشر، شهد العقبةَ مع السبعين، وبدرًا، وأُحُدًا، والخندق، والحديبية، وخيبرَ(٤)، وعُمرةَ القضيةِ.

قال أبو الدرداء(٥): «لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في اليوم
[٥٦/ب] الشديدِ الحرّ، حتَّى إنّ الرجلَ لَيضَعُ يدَه/ على رأسِه من شدّة الحرّ، وما في القوم صائمٌ إلّا رسولُ الله ﷺ وعبدُ الله بنُ رَواحةَ»(٦). رواه الشيخان.

بكى يومًا، فبكت امرأتُه، فقال: ما يُبكيكِ؟ قالت: رأيتُك بكيت، فبكيتُ

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٤٢٦)، و«المنتظم» (٥: ٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨١).

(٢) في (ق): «عبد الرحمن».

(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٢)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٦٥).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٢)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٦٥).

(٥) في (د): «أبو داود».

(٦) «صحيح البخاري» (١٩٤٥)، و«صحيح مسلم» (١١٢٢).

لبكائك(١)، فقال: إنّي أُنبِئتُ أنّي وارِد، ولم أُنبأ أنّي صادِرٌ(٢).

قال عروةُ بنُ الزبير: «لمّا تَجهَّز الناسُ للخروجِ إلى مؤتة، ثمَّ مضَوا حتَّى نزلوا أرضَ الشام، بلغهم: أنّ هرقلَ نزلَ بأرضِ مآب(٣) في أرضِ البلقاءِ في مئةِ ألفٍ من الروم، وانضمَّت إليهم المُستعرِبةُ مِن لخمٍ وجُذام وبَهراء في مئة ألف، فأقاموا ليلتَينِ ينظرونَ في أمرِهم، وقالوا: نكتبُ إلى رسولِ الله ﷺ فنُخبِره بعدَدِ عَدُوِّنا، فشجَّعَ عبدُ الله بنُ رواحةَ الناس، ثمَّ قال: والله يا قومُ إنّ الذي تكرهون(٤) لَلَّذي(٥) خرجتم إليه(٦) تطلبون الشهادة، ولا نقاتل الناسَ بعدّةٍ ولا قوّةٍ ولا كثرة، إنّما نقاتلهم لهذا الدين الذي أكرَمَنا الله تعالى به، فانطلِقوا فإنّما هي إحدى الحُسنيَين؛ إمّا ظُهور، وإمّا شهادة، فقال الناس: قد والله صدقَ ابنُ رَواحة، فمضى الناس.

فلمّا أُصيب جعفرُ بنُ أبي طالب دعا الناس: يا عبدَ الله بنَ رواحة، يا عبدَ الله ابنَ رواحة، وهو في جانِب العَسكَرِ ومعه ضلعُ جملٍ ينهشُه ـ ولم يكُن ذاقَ طَعامًا قبل ذلك بثلاثٍ ـ فرمى بالضلع، ثمَّ قال: وأنتَ مع الدنيا، ثمَّ تَقَدَّمَ فقاتَل، فأُصِيبَت أصبعُه، فجعل يقول:

هَل أنـتِ إلا إصبَـعٌ دَمِيتِ ... وفِي سَـبِيلِ الله مـا لَقِيتِ(٧)

---

(١) قوله: «رأيتك بكيت فبكيت لبكائك» في (د): «رأيتك تبكي بكيت لبكائك».

(٢) «الزهد» لوكيع (٣٢)، و«الزهد» للإمام أحمد (١١١١)، و«الزهد» لهناد بن السري (٢٢٧).

(٣) في (ق): «بارب»، وفي (د): «مآرب»، قال ياقوت في «معجم البلدان» (٥: ٣١): «مآبُ: بعد الهمزة المفتوحة ألف، وباء موحدة، بوزن معاب، وهي مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء». وانظر: «مراصد الاطلاع» (٣: ١٢١٦).

(٤) في (ق): «الذين يكرهون».

(٥) في (ق) و(د): «الذي».

(٦) في (د): «له».

(٧) في (د): «ما لقيتي».

ثُمَّ قال: يا نفسُ، إلى أيِّ شيء تَتُوقِين؟ إلى فلانة؟ هي طالقٌ ثلاثًا، وإلى فلانٍ وفلانٍ ـ غِلمانٍ ـ وإلى مَعجَفٍ ـ حائطٍ له ـ هو لله ورسوله، ولم يَزَل حتَّى قُتِلَ رضي الله عنه»[١]، والله أعلم.

* * *

[أبو دُجانة رضي الله عنه]

[٤٧] **ومنهم**: أبو دُجانةَ[٢].

واسمُه: سِماك.

شهد بدرًا وأُحُدًا، وثبت مع النبيِّ ﷺ، وبايَعه على الموتِ[٣].

قال أنسٌ رضي الله عنه[٤]: أخذ رسولُ الله ﷺ سيفًا يومَ أُحُد، فقال: «**مَن يأخذ هذا السيفَ؟**»، فأخذه قومٌ، فجعلوا ينظرون إليه، فقال ﷺ: «**مَن يأخذُه بحَقِّه؟**»، فأحجمَ القوم، فقال أبو دُجانة: أنا آخُذُه بحقِّه، فأخذه، ففلقَ به هامَ المشركين[٥].

دخل زيدُ بنُ أسلمَ على أبي دُجانةَ وهو مريضٌ، فرأى وجهَه يتهلَّل، فقيل له: ما لوَجهِك يَتهلَّل؟ فقال: ما من عملي من شيءٍ أوثَقُ عندي من اثنتَين[٦]:

---

(١) «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢: ٤٨١).

(٢) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٧١)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٤٣٥)، و«المنتظم» (٤: ٩١).

(٣) انظر: «المعارف» (١: ٢٧١)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٤٣٥)، و«المنتظم» (٤: ٩١).

(٤) بعدها في (ق): «قال».

(٥) «مسند أحمد» (١٢٢٣٥)، و«سنن سعيد بن منصور» (٢٨٧٧)، و«مسند البزار» (٩٧٩).

(٦) في (د): «اثنين».

إحداهُما: أنِّي لا أتكلَّم فيما لا يعنيني، **والأخرى**: كان قلبي للمسلمين سليمًا(١).

قُتِلَ يومَ اليمامة، رضي الله عنه(٢).

❊ ❊ ❊

[عُمَير بن الحمام رضي الله عنه]

[٤٨] **ومنهم**: عميرُ بنُ حُمام(٣).

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: انطلقَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه حتَّى سبقوا المشركين إلى بدر، فدنا المشركون، فقال النبيُّ ﷺ: «**قُومُوا إلى جَنَّةٍ عرضُها السَّماواتُ والأرضُ**»، فقال: نعم، بخٍ بخ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما يَحمِلُكَ عَلى قَولِك: بَخٍ بَخ؟**»، قال: لا والله يا رَسُولَ الله، إلا رجاءَ أن أكُونَ مِن أهلِها. فقال: «**فإنّك من أهلها**»، قال: فأخرَج تمراتٍ من قَرنِه، فجَعلَ يَأكُل مِنهُنّ، ثمَّ قال: لَئِن أنا حَيِيتُ حتَّى آكُلَ تَمراتِي هذه لَحَياةٌ طَويلة. [٥٧/أ]

قال: فرمَى بما كانَ مَعَهُ من التَّمر، ثمَّ قاتَلَهم حتَّى قُتِلَ رضي الله عنه(٤).

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «الجامع» لابن وهب (٣١٩)، و«المنتظم» (٤: ٩١-٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٤).

(٢) انظر: «المنتظم» (٤: ٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٤).

(٣) في «الثقات»: «الحمام»، انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣: ٢٩٩)، و«الثبات عند الممات» (١١٥)، و«المنتظم» (٣: ١٤٠).

(٤) «صحيح مسلم» (١٩٠١).

[معاذ بن جبل رضي الله عنه]

[٤٩] ومنهم: معاذُ بنُ جبلٍ[(١)].

ويكنَّى: أبا عبدِ الرحمن[(٢)].

أسلم وهو ابنُ ثماني عشرةَ سنة، وشهد العقبةَ مع السبعين، وبدرًا والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وأردفه رسولُ الله ﷺ خلفَه[(٣)].

لمّا وُلِّي عمرُ رضي الله عنه جعل في صُرّةٍ أربعَ مئة دينار، وقال للغلام: اذهب بها إلى أبي[(٤)] عُبيدةَ بن الجرّاح، وتلبَّث ساعةً حتَّى تنظرَ ما يصنع، فذهب بها الغلام، وقال: يقول لك أميرُ المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: وصله الله[(٥)] ورحمه، ثمَّ قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعةِ إلى فلان، وبهذه الخمسةِ إلى فلان، حتى أنفذ الأربعَ مئة، فرجع الغلامُ فأخبره.

ثمَّ وجده قد أعَدَّ مثلَها لمعاذ، قال: اذهب بها إلى معاذ، وتلبَّث ساعةً حتَّى تنظرَ ما يصنع، فذهب بها إليه، وقال له: يقول لك أميرُ المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله تعالى ووصله، تعالي يا جارية، اذهبي إلى بيت فلانٍ بكذا، وإلى بيت فلانٍ بكذا، فاطَّلعَت امرأةُ معاذ، فقالت: ونحن والله

---

(١) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٥٤)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٤٤)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ٢٣٢).

(٢) انظر: «المعارف» (١: ٢٥٤)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٤٤)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ٢٣٢).

(٣) انظر: «المنتظم» (٤: ٢٦٤)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٥)، و«أسد الغابة» (٤: ٤١٨).

(٤) قوله: «أبي» ليس في (د).

(٥) لفظ الجلالة ليس في (ق).

مساكين، فأعطِنا، ولم يَبقَ في الخرقة إلّا ديناران، فَدَحَا بهما إليها، فرجع الغلامُ إلى عمر فأخبره بذلك، فقال: إنّهم إخوةٌ بعضُهم من بعضٍ[١].

قال يحيى بنُ سعيد: «كان تحت معاذٍ زوجتان، فإذا كان في نوبةِ إحداهما لم يشرب في بيت الأخرى الماءَ ولم يتوضَّأ، وكان يتهجَّد من الليل ويقول: اللهمَّ قد نامت العيونُ وغارت النجوم، وأنتَ حيٌّ قيُّومٌ، اللهمَّ طلبي الجنّةَ بطيءٌ، وهربي من النار ضعيف، اللهمَّ اجعل لي عندك هُدًى تُؤدِّه إليَّ يوم القيامة، إنّك لا تُخلِفُ الميعادَ»[٢].

قال كعبُ بنُ مالك: كان معاذٌ سَمحًا، لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه، قالَ له رَجُل: علِّمني، قال: وهل أنت مُطيعي؟ قال: إنّي على طاعتك لَحريص، قال: صُم وأفطِر، وصَلِّ ونَم، واكتَسِب ولا تَأثَم[٣]، ولا تَموتَنَّ إلّا وأنت مُسلِم، وإيّاكَ ودَعوةَ المَظلُوم[٤].

قال لابنه: يا بُنيّ، إذا صليتَ فصَلِّ صلاةَ مُودِّع، لا تظنَّ أنّك تعود إليها أبدًا[٥].

قال مُحمَّدُ بنُ سيرين: «أتى رجلٌ معاذًا ومعه أصحابُه يُسلِّمون عليه ويدعونه، [٥٧/ب] فقال: إنّي مُوصيك بأمرَين، إن حفظتَهما حُفِظت؛ إنّه لا غِنى بك عن نصيبك من الدُّنيا، وأنتَ إلى نصيبِك من الآخرةِ[٦] أفقَر، فآثِر نَصِيبَك من الآخِرةِ على

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٥٦٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ٤٣٦)، و«محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (١: ٣٦٨).

(٢) انظر: «أسد الغابة» (٤: ٤٢٠)، و«مرآة الزمان» (٥: ٢٩٥).

(٣) قوله: «وصل ونم، واكتسب ولا تأثم» في (ق): «ونم واكسب ولا تأثم».

(٤) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٠١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٨٨). (٦) في (ق): «الدنيا».

نَصِيبِكَ من الدُّنيا حتَّى تنتَظِمَه انتظامًا، فيزول معك أينما زُلتَ»(١).

لمّا مات أبو عُبَيدةَ في طاعونِ عَمواس استخلف معاذًا، فاشتدَّ الوجَع، فقال الناسُ لمعاذ: ادعُ الله تعالى أن يرفعَ عنا هذا الرجز، فقال: إنّه ليس برِجز، ولكنَّه دعوةُ نبيِّكم، وموتُ الصالحين قبلَكم، وشهادةٌ يخصُّ بها(٢) الله تعالى مَن شاء منكم، أيُّها الناس، أربعُ خلالٍ مَن استطاع ألّا يُدرِكَه شيءٌ منها ولا تدركَه، قالوا: وما هنَّ؟ قال: يأتي زمانٌ يظهر فيه الباطل، ويصبح الرجلُ على دِينٍ ويُمسي على آخر، ويقول الرجل: والله ما أدري على ما أنا. لا يعيش على بصيرة، ولا يموت على بصيرة، ويُعطى الرجل من المالِ ـ مالِ الله ـ على أن يتكلَّم بكلام الزور الذي يُسخِط الله تعالى، اللهمَّ آت آلَ مُعاذٍ نصيبَهم الأوفى من هذه الرحمة، فطُعِن ابناه، فقال: كيف تجدانِكما؟ فقالا: يا أبانا ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]، فقال: وأنا ستجداني إن شاءَ الله من الصابرين، ثم طُعِنَت امرأتاه فهلكتا، وطُعِنَ هو في إبهامه، فجعل يمسُّها بفِيه، ويقول: اللهمَّ إنها صغيرةٌ فبارِك فِيها؛ فإنّك تبارك في الصغير، حتَّى هَلكَ(٣).

ولمّا حضرَتهُ الوفاة قال: انظروا أصبَحنا؟ فقيل: لا، حتَّى أتى بعضُ ذلك فقيل له: أصبحت، فقال: أعوذُ باللهِ من ليلةٍ صباحُها النار، مرحبًا بالموت، مرحبًا بزائرٍ مُغِبٍّ(٤)، حبيبٌ جاءَ على فاقة، اللهمَّ إنّي كنتُ أخافُك، وإنّي اليومَ أرجوك، اللهمَّ إنّك تعلم أنّي لَم أكن أحبُّ الدُّنيا وطولَ البقاء فيها(٥) لكَرْيِ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٨٩).
(٢) في (د): «يخص الله تعالى بها».
(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٣: ٥٨٨)، و«تاريخ دمشق» (٥٨: ٤٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ١٨٩-١٩٠).
(٤) في (د): «مغيب».
(٥) «فيها» ليس في (د).

الأنهارِ وغَرسِ الأشجار، ولكن للظَّمَأ في الهواجر، ومكابَدةِ السّاعات، ومُزاحمة العلماءِ بالرُّكَب عند حِلَقِ الذِّكر[١].

قال أبو إدريسَ الخولانيّ: قال معاذٌ: «إنّ من ورائكم فِتنًا يَكثُر فيها المال، ويُفتَتحُ القرآنُ حتَّى يقرأه المؤمنُ والمنافق، والصغيرُ والكبير، والأحمرُ والأسود، فيُوشِكُ قائلٌ أن يقول: ما لي أقرأ على الناس فلا يتبعوني عليه، فما أظنُّهم يتبعوني عليه حتَّى أبتدع غيرَه، إيّاكم وإيّاكم وما ابتُدِع[٢]؛ فإنّ ما ابتُدِعَ ضلالة، وأحذِّركُم زَيغةَ الحكيم؛ فإنّ الشيطانَ يقول على فمِ الحكيم كلمةَ الضلالة، وقد يقولُ المنافِقُ كلمةً، فاقبَلوا الحقَّ؛ فإنّ على الحقِّ نورًا، قالوا: وما يُدرينا رحمك الله أنّ الحكيمَ قد يقولُ كلمةَ الضلالة؟ قال: هي كلمةٌ تُنكِرونها منه، وتقولون: ما [٥٨/أ] هذه؟ فَلَا يُثْنِيكُمْ[٣] فَإِنَّهُ يُوشِكُ[٤] أَنْ يَفِيءَ وَيُرَاجِعَ[٥] بَعْضَ مَا تَعْرِفُونَ»[٦].

قلت: وفي هذه الكَلماتِ حِكَمٌ يعرفها حقَّ مَعرِفَتِها مَن خامَرَ قلبَه حبُّ رسول الله ﷺ بسبب تَقفِّي أثَرِه، ورَغِبَ قلبُه حِينَ يَرى أنّه قد أخذ في بُنَيّاتِ الطَّرِيق، بخلافِ مَن لم يكن له إلمامٌ بكتابٍ ولا سنّة، بل أخذ الطريقَ عن المُتعمِّقِين في السلوك ببدعة: «أخبَرني قلبي عن ربِّي»، فإنّ هؤلاء ومَن نحا[٧] نحوَهم ضُلّالٌ جُهّال.

وأيُّ دليلٍ أدَلُّ على بدعَتِهم من ذلك؟ فإنّ الله تعالى أمر بالردِّ إليه وإلى

---

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٠١١)، و«إحياء علوم الدين» (٤: ٤٨١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٨: ٤٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩٠).
(٢) قوله: «وما ابتدع» ليس في (د).
(٣) في (ق): «فلا ينبئكم».
(٤) قوله: «فإنه يوشك» مثبت من المصادر.
(٥) في (ق): «ويرجع».
(٦) «سنن أبي داود» (٤٦١١)، و«المستدرك» للحاكم (٨٤٢٢)، و«الشريعة» للآجري (٩٠).
(٧) في (د): «ينحو».

رسوله، والردُّ إليه سبحانه وتعالى الردُّ إلى كتابه، وإلى رسوله الردُّ إلى سُنَّته، عافانا الله الكريم من مُضِلّاتِ الفتن ما ظهر منها وما بطن، والله أعلم[١].

اتَّفق المؤرِّخون أنّ مُعاذًا ماتَ في طاعونِ عَمواس بناحية الأردن من الشام سنةَ ثماني[٢] عشرة، واختُلِف في عمره، فقيل: ثمانٍ وثلاثون، وقيل: ثلاثٌ وثلاثون، وقيل: أربعٌ وثلاثون[٣]، رضي الله عنه.

* * *

[أُسَيد بن حُضَير رضي الله عنه]

[٥٠] **ومنهم: أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ**[٤].

ويُكنَّى: أبا يحيى[٥].

وكان من النُّقَباء، وشهد العقبةَ الأخيرةَ مع السبعين، ولم يشهد بدرًا، وشهد أحُدًا، وجُرِح يومئذٍ سبعَ جِراحات، وثبت يومئذٍ مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس، وشهد الخندقَ والمَشاهِدَ بعدها مع رسول الله ﷺ[٦].

---

(١) انظر: «إنارة الفكر بما هو الحق في كيفية الذكر» للبقاعي (٩١).

(٢) في (د): «ثمان».

(٣) انظر: «المعارف» (١: ٢٥٤)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٤٤)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ٢٣٢).

(٤) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (١: ٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩١)، و«تهذيب الكمال» (٣: ٢٤٦).

(٥) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩١)، و«تهذيب الكمال» (٣: ٢٤٦).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩١).

ووقع له كرامةٌ في زمن رسول الله ﷺ، قال أنسٌ رضي الله عنه: كان أُسَيدُ بنُ حُضَيرٍ وعبّادُ بنُ بشرٍ عند رسول الله ﷺ في ليلةٍ ظلماءَ حِندِسٍ، فتحدَّثا عنده، حتَّى إذا خرجا أضاءت لهما عصا أحدهما، فمشيا في ضوئها، فتفرَّق بهما الطريق، فأضاءت لكلِّ واحدٍ منهما عصًا، فمشى في ضوئها[١]. أخرجه البخاريُّ.

تُوفِّي أُسَيدٌ في شعبانَ سنةَ عشرين، رضي الله عنه[٢]، والله أعلم.

* * *

[سعد بن عُبادة رضي الله عنه]

[٥١] **ومنهم**: سعدُ بنُ عُبادةَ[٣].

ويُكنَّى: أبا ثابتٍ.

وهو أحدُ النقباء، شهد العقبةَ مع السبعين، والمَشاهِدَ كلَّها إلّا بدرًا؛ فإنّهُ تهيَّأ للخروج فلُدِغ، فأقام، وكان جَوادًا، وكانت جَفنتُه تدور مع رسول الله ﷺ في بيوت أزواجه[٤].

قال مُحمَّدُ بنُ سيرين: «كان أهلُ[٥] الصُّفَّة إذا أمسوا انطلق الرجل بالرجل،

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٦٥).

(٢) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٧٦)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩١).

(٣) انظر ترجمته في: «معجم الصحابة» للبغوي (٣: ١٣)، و«المتفق والمفترق» (٢: ١١٢١)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٦).

(٤) انظر: «معجم الصحابة» للبغوي (٣: ١٣)، و«المتفق والمفترق» (٢: ١١٢١)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٩٦).

(٥) في (د): «كان من أهل».

والرجل بالرجلَين، والرجلُ بالخمسة، فأمّا سعدُ بنُ عبادةَ فكان ينطلق بثمانين كلَّ ليلةٍ»(١).

مات بحورانَ من أرض الشام لسنتَين ونصفٍ من خلافة عمرَ رضي الله عنه(٢).

* * *

[جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه]

[٥٢] ومنهم: جعفرُ بنُ أبي طالبٍ(٣).

وكان أسنَّ من أخيه عليٍّ رضي الله عنهما.

ويُكنَّى: أبا عبد الله(٤)./ [٥٨/ب]

أسلَمَ قديمًا وهاجَرَ إلى أرض الحبشةِ في الهجرةِ الثانية، فلم يَزَل بها حتَّى قَدِمَ على النبيِّ ﷺ وهو بخيبر سنة سبع، فقال رسولُ الله ﷺ: «**ما أدري بأيِّهما أنا أفرَحُ؛ بقدوم جعفرٍ أو بفتح خَيبَر**»(٥).

قالت أمُّ سلمة: «لمّا نزلنا أرضَ الحبشة جاوَرْنا بها خيرَ جارٍ النجاشيّ، أمِنّا على دينِنا، وعبَدْنا الله تعالى لا نُؤذَى، فلمّا بلغ ذلك قريشًا ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشيِّ فينا رَجُلَين جَلْدَين، وأن يُهدُوا إلى النجاشيِّ هدايا ممّا يُستَطْرَفُ من متاع

---

(١) انظر: «المنتظم» (٤: ١٩٩)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩١).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩٢)، و«مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (٥: ٢٢٤)، و«الكاشف» (١: ٤٢٩).

(٣) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٢١)، و«المستخرج من كتب الناس للتذكرة» (١: ٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩٥)، و«أسد الغابة» (١: ٣٤١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩٥)

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٢٠٦)، و«المستدرك» للحاكم (٤٢٤٩).

مكّة، فجمعوا[١] ولم يتركوا من بطارقته إلّا أهدَوا له، ثمَّ بعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، وقالوا لهما: ارفعوا إلى كلِّ بطريقٍ هديَّتَه قبل أن تُكَلِّموا النجاشيَّ فيهم، ثم قَدِّموا إلى النجاشيِّ هداياه، ثم سَلُوه أن يُسلِّمهم إليكما قبل أن يُكلِّمَهم، فخرجا.

فلمّا قَدِما على النجاشيِّ دفعا إلى كلِّ بطريقٍ هديَّتَه، وقالا: قد صبأ إلى بلد الملك منّا غِلمانٌ سفهاءُ فارَقوا دينَهم وقومهم[٢]، ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدينٍ مُبتدَع، وقد بعثنا إلى الملِك فيهِم بأن يُسلِّمَهم إلينا ولا يُكلِّمَهم، فإنّ قومَهم أعلى بهم عينًا.

قالوا: نعم، ثمَّ قرَّبوا هدايا النجاشيّ، فقَبِلها ثم كلَّماه، فقالا: أيُّها الملك، إنّه صبأ إلى بلدك مِنّا غِلمانٌ سُفَهاء، فارَقُوا دينَ قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدينٍ مُبتدَعٍ لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بَعَثَنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم؛ لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم.

فقالت بطارقتُه: صدَقُوا فأسلِمْهم إليهما، فغضب النجاشيّ، ثمَّ قال: لا ها الله[٣]، لا أسلِّمهم إليهما[٤]، ولا أكاد قومًا جاوَرُوني ونزلوا بلادي، واختاروني على مَن[٥] سواي حتَّى أدعوَهم فأسألَهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان سلَّمتُهم إليهما[٦]، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهم، وأحسَنتُ جِوارَهم ما جاوروني.

---

(١) جاء بعدها في «صفة الصفوة»: «له أدما كثير».
(٢) في (ق): «قومهم» بدون الواو.
(٣) في (ق): «لا هايم الله».
(٤) في (ق): «إليهم».
(٥) «من» ليس في (ق).
(٦) في (ق): «إليهم».

ثم أرسل إلى أصحابِ رسول الله ﷺ، فلمّا جاءَهم رسولُه اجتمعوا، ثمَّ قال بعضُهم لبعض: ما تقولون للرجل؟

فقالوا: نقول والله ما عَلِمنا وما أمرَنا به نبيُّنا ﷺ، كان في ذلك ما هو كائن.

فلمّا جاؤوا دعا النجاشيُّ أساقِفتَه فنشروا مصاحفَهم حولَه، سألهم، فقال: ما هذا الدينُ الذي فارَقتُم فيه قومَكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دينٍ آخرَ من هذه الأمم، وكان المُتكِّلمُ جعفر، فقال: أيُّها الملك، كنّا قومًا أهلَ جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسيءُ الجوار، ويأكل القويُّ منّا الضعيف، حتَّى بعث الله تعالى إلينا رسولًا مِنّا، نَعرِفُ نَسَبَه [٥٩/أ]
وصِدقَه وأمانَتَه وعفافَه، فدعانا إلى الله تعالى وحدَه، نعبدُه، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤُنا من دونه من الحجارة والأوثان.

وأمرَنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلةِ الرحم، وحُسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكلِ مال اليتيم، وقذف المُحصَنة، وأمرَنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدَّقناه وآمَنّا به، فعبَدنا الله وحدَه لا نشركُ به شيئًا، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحلَلنا ما أحلَّ لنا.

فعدا علينا قومُنا، فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا؛ ليَردُّونا إلى عبادةِ الأوثان، وأن نستَحِلَّ ما كنّا نستحلُّ من الخبائث، فلمّا قهرونا وظلمونا وشقُّوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلدك، فاخترناك على ما سواك، ورَغِبنا في جوارك، ورَجَونا ألّا نُظلَمَ عندك أيُّها الملك.

فقال النجاشيّ: هل معك ممّا جاء به عن الله عزَّ وجلَّ؟ فقال جعفر: نعم، فقال: فاقرأه عليّ، فقرأ عليه صدرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]، فبكى النجاشيُّ

حتَّى أخضَلَ(١) لِحيَتَه، وبكت أساقفتُه حوله حتى أخضَلوا مصاحِفَهم.

ثمَّ قال النجاشيّ: إنّ هذا والذي جاء به موسى لَيخرُجُ من مشكاةٍ واحدة، انطلِقوا، فوالله لا أسلِّمُهم إليكما أبدًا.

فلمّا خرجوا قال عمرُو بنُ العاص: والله لآتينَّهُ غدًا، وأعيبُهم عنده بما يستأصل به خضراءَهم، فقال له عبدُ الله بنُ أبي ربيعة، وكان أتقى الرجلَين فينا: لا تفعل؛ فإنّ لهم أرحامًا، فقال: والله لأُخبِرَنَّه أنّهم يزعمون أنّ عيسى عبد، ثمَّ غدا عليه الغد، فقال له: أيُّها الملك، إنّهم يقولون في عيسى قولًا عظيمًا، فأرسِل إليهم فاسألهُم عمّا يقولون؟ فقال بعضُهم لبعض: ما تقولون؟ فقالوا: نقولُ(٢) ما قال الله تعالى فيه، وما جاء به نبيُّنا كائنًا(٣) مَن كان.

فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر: نقول فيه الذي جاء به نبيُّنا ﷺ: هو عبدُ الله وروحُه وكلمتُه، ألقاها إلى مريمَ العذراء البتول، قال: فضرب النجاشيُّ يدَه إلى الأرض، فأخذ منه عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى بنُ مريم ما قلت هذا العودَ، ثمَّ قال: اذهبوا فأنتم شيومٌ بأرضي(٤) - والشيوم: الآمنون(٥) - رُدُّوا عليهما هداياهما؛ لا حاجةَ لنا بها، فوالله ما/ أخذ الله تعالى منّي الرشوةَ حين ردَّ عليَّ مُلكي»(٦). [٥٩/ب]

وفي رواية: فقال لنا جعفرٌ: «أنا خطيبُكم اليوم، لا يتكلَّم منكم أحدٌ، فلمّا انتهينا بدَرَنا مَن عنده، فقالوا: اسجُدوا للملك، فقال جعفر: لا نسجد إلّا لله عزوجلّ،

---

(١) في (د): «خضلت».
(٢) بعدها في (ق): «والله».
(٣) في (د): «كائن».
(٤) «مسند أحمد» (١٧٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ١٩٥-١٩٧).
(٥) انظر: «المحكم» (٨: ١٠٩)، و«لسان العرب» (١٢: ٣٣٢)، و«تاج العروس» (٣٢: ٤٩٠).
(٦) «صفة الصفوة» (١: ١٩٧).

فذكر نحو الحديث المُتقدِّم، فقال النجاشيّ: ومرحبًا بكم وبمَن جئتم من عنده، وأنا أشهد أنّه رسولُ الله، وأنّه الذي بشَّر به عيسى، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتَّى أُقبِّل نعلَه، رضي الله عنه»[١].

قال أبو هريرة: «كان جعفرٌ يُحِبُّ المساكين، ويجلس إليهم، ويُحدِّثُهم ويُحدِّثونه، وكان رسولُ الله ﷺ يُسمِّيه: أبا المساكين، رضي الله عنه»[٢].

قُتِلَ بمؤتةَ سنةَ ثمانٍ من الهجرة[٣]، قال ابنُ عمر: «وُجِدَ فيما أقبل من بدن جعفر ما بين مَنكِبَيه تسعين ضربةً ما بين طعنةٍ برمحٍ وضربةٍ بسيف، نعاه وزيدًا رسولُ الله ﷺ قبل أن يجيءَ خبرُهما وعيناه تَذرِفان»[٤]، والله أعلم.

وقُطِعَت يداه يوم غزوة مؤتة، فجعل الله تعالى له جناحَين يَطيرُ بهما، وقال رسولُ الله ﷺ: «**رأيتُ جعفرًا يطير في الجنّةِ مع الملائكة**»[٥]. رواه الترمذيّ.

* * *

[سلمان الفارسي رضي الله عنه]

[٥٣] ومنهم: سلمانُ الفارسيُّ[٦].

يُكنَّى: أبا عبد الله[٧].

---

(١) «مسند أبي داود الطيالسي» (٣٤٤).

(٢) «جامع الترمذي» (٣٧٦٦)، و«سنن ابن ماجه» (٤١٢٥)، قال الترمذي: «هذا حديث غريب».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩٧).

(٥) «جامع الترمذي» (٣٧٦٣).

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣١٨)، و«المعارف» (١: ٢٧٠)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٥٧)، و«البدء والتاريخ» (٥: ١١٠).

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣١٨).

من أصبهانَ من قريةٍ يُقال لها: جيّ[(١)]، وقيل: من رامهرمز[(٢)].

سافرَ يَطلُبُ الدِّينَ مع قوم، فغدَروا[(٣)] به، فباعوه من اليهود، ثمَّ كُوتِب، فأعانَهُ رسولُ الله ﷺ في كتابته، أسلَمَ مَقدَمَ النبيِّ ﷺ المدينة، ومَنَعَه الرِّقُّ من شهودِ بدرٍ وأُحُد، وأوَّلُ غَزاةٍ غزاها الخندق، وشهد ما بعدها، وكان رضي الله عنه وقّافًا مع الحقِّ[(٤)].

قال العتبيُّ[(٥)]: «بُعِثَ إلى عمرَ رضي الله عنه بحُلَل، فقسمتُها، فأصاب كلَّ رجلٍ ثوبٌ، ثمَّ صعد عمرُ[(٦)] المنبرَ وعليه ثوبان، فقال: أيُّها الناس، ألا تَسمَعُون؟ فقال سلمان: لا نسمع، فقال عمر: ولِمَ يا أبا عبدِ الله؟ قال: إنَّك قَسَمتَ علينا ثوبًا ثوبًا، وعليك ثوبان، فقال: لا تَعجَل، ثمَّ نادى: يا عبدَ الله، فلم يُجِبه أحدٌ، فقال: يا عبدَ الله بنَ عمر، فقال: لبَّيك يا أميرَ المؤمنين، فقال: نَشدتُك الله، الثوبُ الذي ائتزرتُ به أهو لك؟ فقال: اللهمَّ نعم، فقال سلمان: الآن قُل نسمع»[(٧)].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣١٨)، و«الاستيعاب» (٢: ٦٣٤).

(٢) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٣٢٧).

(٣) في (ق): «فعدوا».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ١٩٩)، و«أسد الغابة» (٢: ٢٦٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ٥٠٢-٥٠٣).

(٥) هو: محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف أبو عبد الرحمن العتبي، من أهل البصرة، كان صاحب أخبار وراوية للآداب، وكان من أفصح الناس، حدَّث عن: أبيه، وعن سفيان بن عيينة، وروى عنه: أبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، وإسحاق بن محمد النخعي، وغيرهم، وقَدِم بغداد وحدَّث بها، فأخذ عنه غير واحد من أهلها، توفي سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين.
انظر: «المعارف» (٥٣٨)، و«تاريخ بغداد» (٣: ٥٦٢)، و«المنتظم» (١١: ١٤١)، و«وفيات الأعيان» (٤: ٣٩٨)، و«العبر» (١: ٣١٧).

(٦) في (ق): «على».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٣-٢٠٤).

ولمّا آخَى رسولُ الله ﷺ بينه وبين أبي الدرداء زار سلمانُ أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء مُبتذلةً[1]، فقال لها: ما شأنُكِ؟ فقالت: إن أخاك أبا الدرداء ليس له حاجةٌ في الدنيا، فلمّا جاء أبو الدرداء قَرَّب له طعامًا، ثمَّ قال: كُل؛ فإنّي صائم، [٦٠/أ] فقال: ما أنا بآكلٍ حتَّى تأكل، فأكل، فلمّا كان الليلُ ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم، فنام، فلمّا ذهب ليقوم فقال له: نَم، فنام، فلمّا كان آخرُ الليل قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصلَّيا، فقال: إنّ لنَفسِك عليك حقًّا، ولربِّك عليك حقًّا، ولضيفك عليك حقًّا، وإنّ لأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتيا رسولَ الله ﷺ، فذكرا ذلك عندَهُ[2]، فقال: «**صَدَقَ سلمانُ**»[3]، انفرد به البخاريُّ.

وزار سلمانُ أبا الدرداء في يوم جمعة، فقيل: هو نائمٌ، فقال: ما له؟ قالوا: إنّه إذا كانت ليلةُ الجمعة أحياها، ويصوم يومَ الجمعة، فأمَرهم[4] فصَنَعُوا طعامًا، فقال له: كُل، فقال: إنّي صائمٌ، فلم يَزَل به حتَّى أكل، ثمَّ أتيا النبيَّ ﷺ فذكرا[5] ذلك، فقال النبيُّ ﷺ لأبي الدرداء: «**أعُوَيمِر، سلمانُ أعلمُ منك**»، ثلاثَ مرّات، وهو يضرب بيده الكريمة على فخذ أبي الدرداء: «**لا تَخُصَّ ليلةَ الجمعة بقيامٍ من بين الليالي، ولا تَخُصَّنَّ يومَ الجمعة بصيامٍ من بين الأيام**»[6].

قال الحسن: «كان سلمانُ أميرًا على زهاء ثلاثين[7] ألفًا من المسلمين، وكان

---

(١) في (ق): «متبذلة».

(٢) «عنده» ليس في (ق).

(٣) «صحيح البخاري» (١٩٦٨).

(٤) في (د): «فأمرهم سلمان».

(٥) في (ق): «فذكر».

(٦) «مصنف عبد الرزاق» (٧٨٠٣)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٦٠٥٦).

(٧) في (د): «ثمانين».

عطاؤه خمسةَ آلاف، وكان يخطب على الناس في عباءةٍ يفترش بعضَها ويلبس بعضها، ويأكل من سَفِيف يدَيه»[١].

ومعنى «عطاؤه» يعني: الذي يدخله، فكان يتصدَّق به، ويعمل الخُوصَ ويأكل، وكان يُعطَى مع الخمسة كارةً من ثيابٍ فيتصدَّق بها أيضًا.

قال ابنُ ابنه: «كان سلمانُ يستظلُّ بالفَيء حَيثُما[٢] دار، ولم يكن له بيتٌ، فقال له رجلٌ: ألا نبني لكَ بيتًا تستظلُّ به من الحَرِّ وتسكن فيه من البَرد؟ فقال له سلمان: نعم، فلمّا أدبرَ صاح به سلمان، فقال: كيف تَبنِيه؟ فقال: أبنِيهِ إن قمتَ فيه أصاب رأسَك، وإن اضجَعتَ أصابَ رِجلَيك، فقال سلمان: نعم»[٣].

ونكح امرأة، فلمّا كان ليلة البناء بها ـ أي: الدخول ـ مشى معه أصحابُه حتَّى أتى بيتَ امرأتِه، فلمّا بلغ البيتَ قال: ارجعوا آجَرَكم الله، ولم يُدخِلهم، فلما نظر إلى البيت وهو مُنجَّد، يعني[٤]: مُنَضَّدٌ بالأمتعة، قال: أمحمومٌ بيتُكم أم تحوَّلَتِ الكعبةُ في كِندة؟ فلم يدخل حتَّى نُزِع كلُّ سترٍ في البيت غيرَ سترِ الباب، فلمّا دخل رأى متاعًا كثيرًا، فقال: لِمَن هذا المتاع[٥]؟ فقالوا: متاعُك ومتاعُ امرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ، أوصاني ألّا يكون/ متاعي [٦٠/ب]
من الدنيا إلّا كزادِ الراكب[٦]، ورأى خدَمًا، فقال: لِمن هذا الخدمُ[٧]؟ قالوا:

---

(١) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨١٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢١: ٤٣٤)، و«المنتظم» (٥: ٢٥).

(٢) في (ق) و(د): «ما».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ٥٠٤).

(٤) «يعني» ليس في (د).

(٥) «المتاع» ليس في (د).

(٦) «مسند أحمد» (٢٣٧١١)، و«سنن ابن ماجه» (٤١٠٤)، و«مستدرك الحاكم» (٧٨٩١).

(٧) «الخدم» ليس في (د).

خدمُك وخدمُ امرأتك، فقال: ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ، أوصاني ألّا أُمسِكَ إلّا ما أنكِح، أو أُنكِح، فإن فعلتُ فبَغَين[١] كان عليَّ مثلُ أوزارِهنَّ من غير أن ينقصَ من أوزارهن شيءٌ.

ثم قال للنسوة اللاتي عند امرأته: هل أنتنَّ مُخلِّياتٌ بيني وبين امرأتي؟ قلن: نعم، فخَرَجن، فذهب إلى الباب وأجافَه وأرخى الستر، ثمَّ جاء وجلس عند امرأته، فمسح بناصيتها ودعا لها[٢] بالبركة، فقال لها[٣]: هل أنت مُطيعَتي في شيءٍ آمُرُكِ به؟ فقالت: جلستَ مَجلِسَ مَن يُطاع، فقال[٤]: فإنّ خليلي أوصاني إذا اجتمعتُ إلى أهلي أن أجتمعَ على طاعةِ الله تعالى، فقام وقامت إلى المسجد، فصلَّيا ما بدا لهما، ثم خرجا، فقضى منها ما يقضي الرجلُ من امرأته.

فلما أصبح غدا عليه أصحابُه، فقالوا: كيف وجدتَ أهلَك؟ فأعرَضَ عنهم، ثم أعادُوا عليه، فأعرَضَ عنهم، ثمَّ أعادُوا عليهِ[٥] فأعرضَ عنهُم، ثمَّ قال: إنّما جعل الله تعالى السترَ والجدارَ والأبوابَ؛ لِتواريَ ما فيها، حسبُ امرئٍ منكم أن يسألَ عمّا ظهرَ له، فأمّا ما غاب عنه فلا يسألَنَّ عن ذلك، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**المُحدِّثُ عن ذلك كالحِمارَين يتسافَدانِ في الطريق**»[٦].

قال أبو قلابة: «دخلَ رجلٌ على سلمان، فوجده يَعجِن، فقال: ما هذا؟ فقال: بعَثْنا الخادِمَ في عمل، فكرهنا أن نجمعَ عليه عَملَين»[٧].

---

(١) «فبغين» ليس في (د).
(٢) «لها» ليس في (ق).
(٣) «لها» ليس في (د).
(٤) في (ق): «قال».
(٥) «عليه» ليس في (ق).
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢١: ٤٢٨-٤٢٩).
(٧) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨٤١)، و«مرآة الزمان» (٥: ٥٠٤).

قال النعمانُ بنُ حُمَيد: «دخلت مع خالي على سلمانَ بالمدائن وهو يعمل الخُوص، فسمعته يقول: أشتري خُوصًا بدرهم، فأعمله فأبيعه بثلاثة، فأُعِيد درهمًا فيه، وأُنفِقُ درهمًا على عيالي، وأتصدَّق بدرهم، ولو أنّ عمرَ بنَ الخطّاب نهى عنه لما انتهيت»[١].

كان له غلامٌ، فقال لسلمان: كاتِبنِي، فقال: ألك شيءٌ؟ قال: لا، قال: فمِن أين؟ قال: أسأل الناس، فقال: أتُريدُ[٢] أن تُطعِمَني غُسالةَ الناس[٣].

كان سلمانُ رضي الله عنه أميرًا بالمدائن، فجاء[٤] رجلٌ من الشامِ ومعه حِملُ تِبن، وعلى سلمانَ عباءة، فقال لسلمان: تعالَ احمِل هذا، وهو لا يعرفه، فحمل سلمانُ التبن، فرآه الناسُ فعَرفوه، فقالوا: هذا الأميرُ[٥]، فقال: لم أعرِفك، فقال له سلمان: لا، حتَّى أبلغَ منزلَك، وفي رواية: نَويتُ فيه نيّة، فلا أضَعُه حتَّى أبلغَ بيتَك.

[٦١/أ] قال عبدُ الله بنُ بُرَيدة: «كان سلمانُ إذا أصاب شيئًا اشترى به لحمًا، ثمَّ دعا المُجَذَّمِينَ[٦] فأكلوا معه»[٧].

أتاه أبو قُرّة فأُخبِر أنّه في المبقلة، فتوجَّه إليه فلقِيَه ومعه زِنبيلٌ فيه بَقلٌ، قد أدخل عصاه في عُروةِ الزِّنبيل وهو على عاتِقه[٨].

قال يحيى بنُ سعيد: «كتب أبو الدرداء إلى سلمان: هلمَّ إلى الأرض المُقدَّسة، فكتب إليه سلمان: إنّ الأرضَ لا تُقدِّسُ أحدًا، وإنّما يُقدِّس الإنسانَ عملُه، وقد

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٦)، و«مرآة الزمان» (٥: ٥٠٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١: ٥٤٧).
(٢) في (ق): «تريد».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٦).
(٤) في (د): «جاء».
(٥) في (د): «هذا أمير المؤمنين».
(٦) في (س): «المجذومين»، وفي «الطبقات الكبرى»: «المحدثين».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٦)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٥١٩).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٠٦)، و«مرآة الزمان» (٥: ٥٠٥).

بلغني أنّك جُعِلتَ طبيبًا؛ فإن كنت تُبرِئُ[١] فنعِمّا[٢] لك، وإن كنت مُتطبِّبًا[٣] فاحذَر أن تقتلَ إنسانًا فتدخل النار، فكان أبو الدرداء إذا قضى بين اثنَين فأدبَرا نظر إليهما، وقال: مُتطبِّب، ارجِعا إليّ، أعِيدا عَلَيَّ[٤] قَضِيَّتَكُما»[٥].

قال أبو عثمانَ النهديُّ[٦]: «قال سلمانُ الفارسيّ: ثلاثٌ أعجَبنَني حتَّى أضحكنَني: مُؤمِّلُ الدنيا والموتُ يطلبه، وغافِلٌ وليس بمغفولٍ عنه، وضاحِكٌ مِلءَ[٧] فيه لا يدري أساخِطٌ عليه ربُّ العالمين أم راضٍ عنه.

وثلاثٌ أحزنَّني حتَّى أبكينَني: فراقُ الأحبّةِ مُحمَّدٍ وحزبِه، وهولُ المَطلَع، والوقوفُ بين يدَي ربِّي عزَّ وجلَّ لا أدري إلى جنّةٍ أو إلى نار»[٨].

قال ميمونُ بنُ مهران: «جاء رجلٌ إلى سلمانَ الفارسيّ، فقال: أوصِني، فقال: لا تتكلَّم، قال: ما يستطيع مَن عاشَ في الناس ألّا يتكلَّم، قال: فإن تكلَّمت فتكلَّم بحقٍّ أو اسكت، قال: زِدني، قال: لا تغضب، قال: إنّه لَيغشاني ما لا أملِكه، قال: فإن غضبت فاملك لسانَك ويدَك، قال: زِدني، قال: لا تُلابسِ الناس، قال: ما يستطيع مَن عاش في الناس ألّا يُلابِسَهم، قال[٩]: فإن لابستَهم فاصدُقِ الحديثَ وأدِّ الأمانةَ»[١٠].

---

(١) «تبرئ» ليس في (د). (٢) في (د): «فنعم».
(٣) في (د): «مطبيًا». (٤) «عليّ» مثبت من المصادر.
(٥) في (د): «أعيدا قصتكما»، وانظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (٨٣٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١: ١٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٠٨).
(٦) في (د): «المهدي». (٧) في (د): «ملأ».
(٨) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٨٣٧)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٠٧)، و«شعب الإيمان» (١٠١٦٩).
(٩) من قوله: «لا تلابس الناس» إلى هنا ليس في (د).
(١٠) انظر: «مختصر تاريخ دمشق» (١٠: ٥٢)، و«تهذيب الكمال» (١١: ٢٥٤).

قال عاصِمٌ الأحول: قال سلمان: «إنّ العبدَ إذا كان يدعو[١] الله في السرّاء، فنزلَت به الضرّاء فدعا، قالت الملائكة: صَوتٌ مَعروفٌ من آدميٍّ ضعيف، فيشفعون له، وإذا كان لا يدعو في السرّاء، فنزلت به الضرّاءُ قالت الملائكة: صوتٌ مُنكَرٌ من آدميٍّ ضَعيف، فلا يشفعون له».

قال مُوَرِّقٌ العِجليّ: لمّا حضرت الوفاةُ سلمانَ بكى، فقيل له: ما يُبكِيك؟ فقال: عَهِدَ إلينا رسولُ الله ﷺ، فقال: «**لِيَكن بلاغُ أحدِكم كزادِ الراكب**»[٢]، فلمّا مات نظروا في بيته لم يَروا فيه إلّا إكافًا ووِطاءً ومتاعًا قُوِّمَ بنحوٍ من عشرين درهمًا.

وفي رواية: فجَزِع، فقيل له: ما يُجزعك ولك سابقةٌ في الخير؛ شهدتَ مع رسولِ الله ﷺ مغازيَ حسنةً وفتوحًا[٣] عظامًا؟ فقال: يُحزِنُني أنّ حبيبَنا رسولَ الله ﷺ عهد إلينا/ حين فارَقَنا، فقال: «**لِيَكفِ المُؤمنَ كزادِ الراكب**»[٤]، [٦١/ب] فهذا الذي أحزنني، فجُمِعَ مالُه فكان قيمتُه خمسةَ عشرَ درهمًا[٥].

وفي رواية: «**لِيَكن بُلغةُ أحدِكم مثلَ زادِ الراكب**»[٦]، وحولي هذه الأساوِدُ[٧]، وإنّما حولَه إجّانةٌ أو جفنةٌ أو مِطهَرة.

تُوفِّي رضي الله عنه بالمدائن في خلافةِ عثمان، فقيل: مات سنة ثنتين وثلاثين، وكان من المُعمَّرين، أدرك حَواريَّ عيسى بنِ مريمَ عليه الصلاةُ والسلام، وعاش

---

(١) قوله: «إن العبد إذا كان يدعو» في (د): «إذا كان العبد يدعو».
(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١٣٥٧)، و«شعب الإيمان» (٩٩٠٩)، و«حلية الأولياء» (١: ١٩٦).
(٣) في (د): «وفتوحات». (٤) «حلية الأولياء» (١: ١٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٠).
(٥) «درهمًا» ليس في (ق).
(٦) «المعجم الكبير» للطبراني (٦: ٢٦١)، و«حلية الأولياء» (١: ١٩٦).
(٧) في (د): «الأساودة».

مئتَين وخمسين سنةً، ويُقال: أكثر، وجرى لـه أمـورٌ حـين طلب الدِّينَ لا نُطوِّل بذكرها[(١)].

* * *

[أبو موسى الأشعري رضي الله عنه]

[٥٤] **ومنهم**: أبو موسى الأشعريُّ[(٢)].

واسمُه: عبدُ الله بنُ قيس، أسلم بمكّةَ وهاجَرَ إلى أرض الحبشة[(٣)]، ثُمَّ قَدِمَ[(٤)] مَعَ أهلِ السَّفِينتَين، ورَسُولُ الله ﷺ بخَيبَرَ[(٥)]، وبَعضُهم[(٦)] يُنكِرُ هِجرَتَه إلى الحَبَشة[(٧)].

قال أبو موسى: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في غَزاةٍ ونحن ستّةُ نفرٍ على بعيرٍ نَتَعَقَّبُهُ[(٨)]، فنُقِبت أقدامُنا ونُقِبَت قدمي، وسقطَت أظفاري، فكنّا نَلُفُّ على أرجُلِنا الخِرَق.

---

(١) انظر: «تاريخ أصبهان» (١: ٧٤)، و«تاريخ بغداد وذيوله» (١: ١٧٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١١).

(٢) انظر ترجمته في: «البدء والتاريخ» (٥: ١٠٢)، و«المنتظم» (٥: ٢٥١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١١).

(٣) انظر: «البدء والتاريخ» (٥: ١٠٢)، و«المنتظم» (٥: ٢٥١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١١).

(٤) «قدم» ليس في (د) و(ق)، وهو مثبت من المصادر.

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٤: ١٠٥)، و«الاستيعاب» (٤: ١٧٦٣)، و«تاريخ دمشق» (٣٢: ١٨).

(٦) قال ابن سعد في «الطبقات» (٤: ١٠٥): «قال أبو بكر بن عبد الله بن أبي الجهم قال: ليس أبو مُوسى من مُهاجرة الحبشة، وليس له حِلف في قريش»، وانظر: «المنتظم» (٥: ٢٥١)، و«أسد الغابة» (٥: ٣٠٦)، و«السير» (٢: ٣٨٣).

(٧) قوله: «ثم قَدِم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخيبر، وبعضهم يُنكِر هجرته إلى الحبشة» ليس في (ق).

(٨) في (ق): «يعتقبه».

قال أبو بردة: فحدَّث أبو موسى بهذا الحديث، ثمَّ كره ذلك، وقال: ما كنتُ أصنع بأن أذكرَه، قال: كره أن يكونَ شيءٌ من عمله أفشاه»(١).

قال: «إنّي لَأغتسل في البيت المُظلِم فما أُقِيمُ صُلبي حتَّى آخُذَ ثوبي؛ حياءً من ربِّي عزَّ وجلَّ»(٢).

جمع الذين قرؤوا القرآن فإذا هم قريبٌ من ثلاثِ مئة، فعظَّم القرآن، وقال: «إنّ هذا القرآنَ كائنٌ(٣) لكم أجرًا، وكائنٌ عليكم وزرًا، فاتَّبعوا القرآن، ولا يتبعنَّكم؛ فإنّه مَن اتبَع القرآنَ هبط به على رياض الجنة، ومَن اتَّبَعه القرآنُ يَزُخُّ(٤) في قفاه، فقذفه في النار»(٥).

قال أبو إدريس: «صام أبو موسى حتَّى عاد كأنّه خَلال، فقيل له: لو أجمَمتَ(٦) نَفسَكَ؟ فقال: أيهات؛ إنّما يَسبِقُ من الخيل المُضَمَّرةُ، ثمَّ يقول لامرأته إذا خرج من منزله: شُدِّي رَحلَك(٧)، فليس على جسر جهنَّم مَعبَرٌ»(٨).

---

(١) «صحيح البخاري» (٤١٢٨)، و«صحيح مسلم» (١٨١٦).
(٢) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١١٠٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٢).
(٣) في (د): «كان».
(٤) في (ق) و(د): «زج». والمثبت موافق لما في المصادر.
(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٨٢١)، و«سنن الدارمي» (٣٣٧١)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٥٧)، و«تاريخ بغداد» (١٥: ٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٢).
(٦) في (د): «أحممت».
(٧) في (ق) و(د): «رجلك».
(٨) في (د): «معين»، وانظر: «شعب الإيمان» (١٠١٨٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٨٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٣).

تُوفِّي سنةَ اثنين وخمسين[١]، وقيل غيرُ ذلك، ودُفِنَ بمكّةَ[٢]، وقيل: بالثويّةِ[٣] على ميلَين من الكوفة[٤]، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

[عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما]

[٥٥] **ومنهم**: عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ الخطّاب رضي الله عنهما[٥].

ويُكنَّى: أبا عبد الرحمن.

أسلم بمكّةَ مع أبيه قبل البلوغ، وهاجَرَ مع أبيه إلى المدينة[٦]، وعُرِض على رسولِ الله ﷺ يومَ بدرٍ فرَدَّه[٧]، ويومَ[٨] أحُدٍ فردَّه لصِغَره، وعُرِضَ يومَ الخندق فأجازه؛ لأنّه بلغ خمسَ عشرةَ سنةً[٩].

قال ابنُ عمر: كان الرجلُ في حياة رسول الله ﷺ إذا رأى رؤيا قصَّها على النبيِّ ﷺ، فرأيت في النوم كأنّ مَلَكَين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٤: ١١٦)، و«أسد الغابة» (٥: ٣٠٤).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٧٦٤).

(٣) انظر: «الأماكن» للحازمي (١٤٦)، و«معجم البلدان» (٢: ٨٧)، و«مراصد الاطلاع» (١: ٣٠٢)، و«الروض المعطار في خبر الأقطار» (١٥١).

(٤) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤: ١٧٤٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢: ٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٤).

(٥) انظر ترجمته في: «مشاهير علماء الأمصار» (٣٧)، و«المنتظم» (٦: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٤).

(٦) قوله: «وهاجر مع أبيه إلى المدينة» ليس في (د).

(٧) قوله: «يوم بدر فرده» ليس في (د).

(٨) في (د): «يوم» بدون الواو.

(٩) انظر: «مشاهير علماء الأمصار» (٣٧)، و«المنتظم» (٦: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٤).

مَطويّةٌ كطيِّ البئر، وإذا قرنان، وأرى(١) فيها ناسًا قد عَرفتُهم، فجعلت أقول: [٦٢/أ] أعوذُ بالله من النار، فقصَصتُها على حفصة، فقصَّتها على رسول الله ﷺ، فقال: «**نِعمَ الرجلُ عبدُ الله، لو كان يُصلِّي من الليل**»، فكان عبدُ الله لا ينام بعدُ من الليل(٢) إلا قليلًا(٣). ذكره الشيخان.

قلت: وفيه فائدةٌ جليلة، وهي أنّ قيامَ الليل يَقِي النار، عافانا الله تعالى منها، واللهُ أعلم.

قال طاوس: «ما رأيت رجلًا أورعَ من ابن عمرَ رضي الله عنهما»(٤).

قال نافع: «سأله رجلٌ عن مسألة، فطأطأ رأسَه(٥) ولم يُجِبه حتَّى ظنَّ الناسُ أنّه لم يسمع مسألتَه، فقال له الرجل: يرحمك الله تعالى، أما سمعتَ مسألَتي؟

فقال: بلى، ولكنَّكم ترون أنّ الله ليس يسألنا عن ما تسألونا عنه، اترُكنا يرحمك الله حتى نتفهَّم في مسألتك، فإن كان لها جوابٌ عندنا وإلّا أعلَمْناك أنّه لا عِلمَ لنا بها»(٦).

وسُئِلَ عن مسألة فقال: لا عِلمَ لي بها، فلمّا أدبرَ السائل قال لنفسه: سُئِلَ ابنُ عمرَ عمّا لا عِلمَ له به(٧) فقال: لا عِلمَ لي به(٨).

---

(١) كأنها في (د): «وإذا». (٢) قوله: «بعد من الليل» ليس في (د).

(٣) «صحيح البخاري» (١١٢٢)، و«صحيح مسلم» (٢٤٧٩).

(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٠٦٦)، و«المعرفة والتاريخ» (١: ٤٩١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١١٥).

(٥) قوله: «فطأطأ رأسه» ليس في (د).

(٦) قوله: «بها» ليس في (د)، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٦٧).

(٧) «به» ليس في (د).

(٨) «سنن الدارمي» (١٨٥)، و«المستدرك» للحاكم (٦٣٧٨).

قالت عائشةُ رضي الله عنها: «ما رأيتُ أحَدًا ألزمَ للأمرِ الأوَّلِ من عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما»(١).

كان يقول: لقِيتُ أصحابي على أمر، وإنّي أخاف إن خالفتهم ألّا ألحق بهم(٢).

وكان(٣) ابنُ عمر إذا اشتدَّ عَجبُه بشيءٍ من ماله قرَّبه لربِّه عزَّ وجلّ، فكأنَّ رقيقَه قد عرفوا ذلك منه، فربَّما شمَّر أحدُهم فيَلزَم المسجد، فإذا رآه على تلك الحالة الحسَنةِ أعتقه، فيقول له أصحابُه: يا أبا عبد الرحمن، والله ما بهم إلّا أن يخدعوك، فيقول: مَن خدعنا بالله انخدعنا له(٤).

قال: «خطرت لي هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]، فتذكَّرتُ ما أعطاني الله تعالى، فما وجدتُ شيئًا أحبَّ إليَّ من جارِيَتي رُمَيثة، فقلت: هي حُرّةٌ لوجه الله تعالى، فلولا أعود في شيءٍ جعلتُه لله تعالى لنكحتها، فأنكَحَها نافِعًا»(٥).

قال نافعٌ: «كان لا يُعجِبه شيءٌ من ماله إلّا خَرَّجَ منهُ لله تعالى».

قال ميمونُ بنُ مهران: «أتَت ابنَ عمرَ اثنان وعشرون ألفَ دينارٍ في مَجلس، فلم يَقُم حتى فرَّقها»(٦).

---

(١) «المستدرك» للحاكم (٦٣٦٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٦).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢١٦).

(٣) في (د): «كان» بدون الواو.

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٩٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٤٩٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٧).

(٥) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (٢: ٢٤٠)، و«المنتظم» (٦: ١٣٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٦).

(٦) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٠٦٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٧).

ودُفِعَ له في نافع عشرةُ آلافٍ أو ألفُ دينار، فقِيل: يا أبا عبد الرحمن، فما تَنتظِرُ[١] أن تبيعَ؟ قالَ: فهلّا ما هو خيرٌ من ذلك؟ هو حُرٌّ لوجه الله عزَّ وجلَّ[٢].

قال أبو بكر بن حفص: «كان عبدُ الله بنُ عمرَ لا يأكل طعامًا إلّا وعلى خِوانه يتيمٌ»[٣].

نزل يومًا[٤] بالجحفة وهو شاكٍ، فقال: أشتَهِي حيتانًا، فلم يجدوا إلّا حوتًا واحدًا، فأخذَته امرأتُه، فصنعَته ثمَّ قرَّبَته إليه، فأتى مسكينٌ حتَّى وقف عليه، فقال له عبدُ الله: خذ هذه[٥]، فقال أهلُه: سبحان الله، قد عنَّيتَنا، ومعنا زادٌ نُعطِيه، [٦٢/ب] فقال: إنّ عبدَ الله يُحبُّه»[٦]، أشار رضي الله عنه إلى الآية.

قال نافعٌ: «اشتكى، فاشتُرِيَ له عنقودُ عِنَبٍ بدرهم، فجاء مسكينٌ فقال: أعطُوهُ إيّاه، فاشتراهُ إنسانٌ بدرهم، ثمَّ جاء به إليه، فجاءه المسكينُ يسأل، فقال: أعطوهُ إياه، فاشتراه منهُ بدرهم، فأرادَ أن يرجعَ فمُنِع، ولو علم رضي الله عنه بذلك العُنقود ما ذاقَه»[٧].

قال ميمونُ بنُ مِهران: «عُوتِبَت امرأةُ عبد الله بن عمر، فقيل لها: ما تتلطَّفين بهذا الشيخِ؟ فقالت: فما أصنَع؟ لا نصنع له طعامًا إلّا دعا إليه مَن يأكله، ثمَّ أرسَلَت

(١) في (د): «فانتظر».
(٢) انظر: «الثقات» لابن حبان (٥: ٤٦٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٧).
(٣) انظر: «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٥٥)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٩٩).
(٤) «يومًا» ليس في (د).
(٥) في (ق): «خذه».
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٩٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٤٣)، و«مختصر منهاج القاصدين» (٣٨).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢١٨)، و«مرآة الزمان» (٩: ١٢٠).

إلى قومٍ من المساكين كانوا يجلسون بطريقِه إذا خرج من المسجد، فأطعَمَتهُم، وقالت لهم: لا تجلسوا بطريقِه، فلمّا جاء إلى بيته قال[١]: أرسِلُوا إلى فلانٍ وفلان، وكانت امرأتُه أرسلت إليهم بطعام، وقالت: إذا دعاكم فلا تأتُوه، فقال رضي الله عنه: أردتُم ألّا أتعشَّى الليلة؟ فلم يتعشَّ تلك الليلة»[٢]، رضي الله عن ذلك الوجه.

قال ميمون: جاء رجلٌ إلى عبد الله بن عمر يستكسيه إزارًا، وقال: قد تَخرَّقَ[٣] إزاري، فقال له: اقطع إزارَك ثم اكتَسِه، فكَرِهَ الرجلُ ذلك، فقال له عبدُ الله: وَيحَك! اتَّقِ الله ولا[٤] تكُونَنَّ من القوم الذين يجعلون ما رزَقَهم الله تعالى في بطونهم وعلى ظُهورهم، وقال: لا خيرَ إلّا فيما يبقى نفعُه غدًا.

وجاء سائلٌ يسأله، فقال لابنه: أعطِه دينارًا، فلمّا انصرف قال له[٥] ابنُه: تقبَّل الله مِنك يا أبتاه، فقال: لو علمتُ أنّه تَقبَّل منِّي سجدةً واحدةً أو صدقةَ درهمٍ لم يكن غائبٌ أحبَّ إليَّ من الموت، أتدري ممَّن يُتقبَّل؟ إنّما يَتقبَّلُ الله مِن المُتَّقين[٦].

قال وُهَيبٌ: «باع ابنُ عمرَ جملًا، فقيل له: لو أمسَكتَه؟ فقيل: لقد[٧] كان مُوافِقًا، ولكنَّه أذهب شُعبةً من قلبي، فكَرِهت أن أشغلَ قلبي بشَيءٍ»[٨].

قال نافع: «كان ابنُ عمرَ يُحيِي الليلَ صلاةً، ثمَّ يقول: يا نافعُ، أسحَرْنا؟ فأقول:

---

(١) في (د): «قالوا».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٩٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٤٩).

(٣) في (ق): «تحرق». (٤) في (د): «لا».

(٥) «له» ليس في (د).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١: ١٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢١٩)، و«مرآة الزمان» (٩: ١٢٠).

(٧) «لقد» ليس في (د).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠).

لا، فيُعاوِد[(١)] الصلاة، ثم يقول: يا نافعُ أسحَرْنا؟ فأقول: نعم، فيقعد ويستغفِر ويدعو حتَّى يُصبِح، وكان يُغفِي إغفاءةَ الطير، وكان يُحيِي ما بين الظهر والعصر»[(٢)].

وكان إذا قرأ: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[(٣)] [الحديد: ١٦] بكى حتَّى يَغلِبَه البكاءُ[(٤)].

قال مجاهدٌ: قال عبدُ الله بنُ عُمر: «لا يُصِيب عبدٌ شيئًا من الدنيا إلّا نقصَ من درجاتِه عند الله تعالى وإن كان عليه كريمًا»[(٥)].

قال جابرُ بنُ عبد الله رضي الله عنهما: «أدرَكنا أحُدًا، وما رأينا أحَدًا إلّا قد مالت به الدنيا ومال بها، إلّا عبدُ الله بنُ عمر»[(٦)].

وأثنى عليه شخصٌ فقال: «أنا عبدٌ من عبادِ الله تعالى، أرجوه وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتَّى تُهلِكوه»[(٧)]. [٦٣/أ]

قال مجاهدٌ: قال لي عبدُ الله بنُ عمر: «أحِبَّ في الله وأبغِضْ في الله، وعادِ في الله؛ فإنّك لن تنالَ ولايةَ الله تعالى إلّا بذلك، ولا يَجِد رجلٌ طعمَ الإيمان

---

(١) في (د): «فيعيد».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٢٠)، و«مرآة الزمان» (٩: ١٢٠).

(٣) قوله تعالى: «﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾» ليس في (ق).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٠٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠).

(٥) انظر: «الزهد» لهناد بن السري (٥٥٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠)، و«مرآة الزمان» (٩: ١٢١).

(٦) انظر: «المعرفة والتاريخ» (١: ٤٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠).

(٧) انظر: «جامع معمر بن راشد» (٢٠٥٢٣)، و«حلية الأولياء» (١:٣٠٧)، و«صفة الصفوة» (١:٢٢١).

وإن كثرت صلاتُه وصيامُه حتَّى يكونَ كذلك، وصارَت مؤاخاةُ الناس في أمرِ الدنيا، وإن ذلك لا يُجزِئُ عن أهلِه شيئًا»(١).

كان له أدعيةٌ حسنةٌ، منها ما ذكَره عبدُ الله بنُ سبرة، قال: «كان ابنُ عمرَ إذا أصبح قال: اللهمَّ اجعلني من أعظَمِ عبادك نصيبًا في كلِّ خيرٍ تَقسِمه الغداة، ونورٍ تَهدِي به، ورحمةٍ تنشرها، ورزقٍ تبسطه، وضُرٍّ تكشفه، وبلاءٍ تدفعه، وفتنةٍ تصرفها»(٢).

كان سببُ موته زَجّةَ رُمحٍ أصابته من أصحاب الحَجّاج حين دخلوا الحرم بالسلاح، فلمّا مَرِض عادَه الحَجّاج، وقال: لو أعلم الذي أصابك لضربت عنقَه، فقال عبدُ الله: أنت الذي أصبتَني، فقال الحَجّاج: كيف؟ قال: يوم أدخَلتَ حرمَ الله تعالى السلاحَ(٣).

قال نافعٌ: «ثمَّ عادَه الحَجّاجُ فغمَّض عينَهُ(٤)، فكلَّمه الحَجّاجُ فلم يُكَلِّمه»(٥).

مات بمكّةَ سنةَ أربعٍ وسبعين، وقيل: سنةَ ثلاث، وهو ابنُ أربعٍ وثمانين سنة، رضي الله عنه وأرضاه(٦)، والله أعلم.

* * *

(١) «المعجم الكبير» (١٣٥٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢١)، وورد في «تعظيم قدر الصلاة» لمحمد بن نصر المروزي (٣٩٦) موقوفًا على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «تاريخ واسط» (٩٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٠).

(٣) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٧١٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢١).

(٤) «عينه» ليس في (ق).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٢٢).

(٦) انظر: «المعارف» (١: ١٨٦)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٣: ٤٧٩)، و«البدء والتاريخ» (٥: ٩١).

[أبو ذرٍّ الغِفاري رضي الله عنه]

[٥٦] ومنهم: أبو ذرٍّ الغِفاريُّ[١].

وفي اسمه خلافٌ مُنتشِر، المشهور: جُندبٌ، وقيل: بُربُر؛ بضمِّ الباء المُوحَّدة، وقيل غيرُ ذلك[٢].

وكان يَتعبَّد قبلَ مَبعَثِ رسول الله ﷺ بمكّة قديمًا[٣].

قال خفّافٌ: «كان أبو ذرٍّ شجاعًا، ينفرد وحدَه فيقطعُ الطريق، ويُغِيرُ على الصِّرمِ كأنّه السبُع، ثمَّ إنّه قُذِفَ في قلبه الإسلام، وسمع بالنبيِّ ﷺ فأتاه، قال أبو ذرّ: فتضعَّفتُ[٤] رجلًا من أهل مكّةَ فقلت: أين هذا الرجلُ الذي تدعوه الصّابِئ؟

فأشار إليّ، وقال: الصابئ، فمال عليَّ أهلُ الوادِي بكلِّ مَدَرةٍ وعَظْمٍ حتَّى خَرَرتُ مَغشِيًّا عليّ، فارتفَعتُ حينَ ارتفَعتُ كأنِّي نُصبٌ أحمر، ثمَّ أتيتُ زمزمَ فشَرِبتُ من مائها، وغَسلتُ عنِّي الدم، ودخلتُ بين الكعبةِ وأستارِها، فلبثتُ ثلاثِينَ بين يومٍ وليلةٍ ما لي طعامٌ إلّا ماءُ زمزم، فسَمِنتُ حتَّى تكَسَّرت عُكَنُ بطني، وما وجدت في كبدي سُخفةَ جوع، فلمّا اجتمعت بالنبيِّ ﷺ فقال لي: «**ارجع إلى قومِكَ حتى يأتيَك أمري**»، فقلت: والذي نفسي بيده، لأصرُخَنَّ بها بين ظهرانَيهِم،

---

(١) انظر ترجمته في: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (١: ١٨٥)، و«الإكمال في رفع الارتياب» (١: ٢٥٧)، و«توضيح المشتبه» (١: ٤١٤)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٧: ١٠٥).

(٢) انظر: «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (١: ١٨٥)، و«الإكمال في رفع الارتياب» (١: ٢٥٧)، و«توضيح المشتبه» (١: ٤١٤)، و«الإصابة في تمييز الصحابة» (٧: ١٠٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٢٣).

(٤) في (د): «فتضيفت».

فخرجتُ حتى أتيت المسجد، فنادَيتُ بأعلى صوتي: أشهد أن لا إلهَ إلّا الله وأنّ مُحمَّدًا رسولُ الله، وثار القومُ فضربوني حتَّى أضجَعُوني، وأتى العبّاسُ فأكبَّ عليّ، فقال: ويلَكم! ألستم تعلمون أنّه من غِفار، وأنّ طريقَ تجارتِكم إلى الشام [٦٣/ب] ـيعني: عليهم ـ فأنقَذَني منهم[١]، ثمَّ عُدتُ من الغدِ بمِثلِها، وثاروا وضَربُوني، فأكبَّ العبّاسُ عليَّ فأنقذَني، ورجَعتُ إلى بلادي»[٢].

فأقام بها حتى مَضَت بدرٌ وأُحُدٌ والخندق، ثمَّ قَدِم المدينة.

قال سفيانُ الثوريّ: «قام أبو ذرٍّ عند الكعبة، فقال: يا أيُّها الناس، أنا جُندبٌ الغفاريّ، هلمُّوا[٣] إلى الأخ الناصِح الشفيق، فاكتنَفهُ الناس، فقال: أرأيتُم لو أنّ أحدَكم أراد سفرًا، أليس[٤] يتَّخِذُ من الزادِ ما يبلغه؟ قالوا: بلى، قال: فسَفرُ طريقِ الآخرة[٥] أبعدُ ما تريدون، فخُذوا ما يُصلِحُكم، قالوا: وما يُصلِحُنا؟ قال: حَجّةٌ لعظائم الأمور، صوموا يومًا شديدًا حرُّه ليوم النشور، ثمَّ[٦] صَلُّوا ركعتَين في سوادِ[٧] الليل لوحشة القبور، كلمةُ خيرٍ تقولها أو كلمةُ سوءٍ تسكت عنها لوقوف يومٍ عظيم، تصدَّق بمالك[٨] لعلَّكَ[٩] تنجُو من عسيرها، اجعل الدنيا مَجلسَين: مجلسًا في طلب الحلال، ومجلسًا في طلبِ الآخرة، الثالِثُ يضرُّك ولا ينفعك، ثمَّ نادَى بأعلى صوتِه: يا أيُّها الناس، قد قتَلَكم حِرصٌ لا تُدرِكونه أبدًا»[١٠].

---

(١) «منهم» ليس في (د).
(٢) «صحيح البخاري» (٣٨٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٣-٢٢٥).
(٣) في (ق): «هلم».
(٤) في (د): «ليس».
(٥) في (د): «القيامة».
(٦) «ثم» ليس في (ق).
(٧) في (د): «ظلام».
(٨) في (د): «بمال».
(٩) «لعلك» مثبت من المصادر.
(١٠) انظر: «حلية الأولياء» (١: ١٦٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٦)، و«مرآة الزمان» (٥: ٤٩١).

قال مُحمَّدُ بن واسع: «رحل[١] رجلٌ إلى أُمِّ أبي ذرٍّ من البصرة بعد موته، فسألَ[٢] عن عبادته، فقالت: كان نهارُه أجمعَ في ناحيةٍ يتفكَّرُ»[٣].

وقالَ[٤] عبدُ الرحمن بنُ أبي ليلى: قال أبو ذرّ: «والله لو تعلمون ما أعلمُ ما انبسَطتُم إلى نسائكم، ولا تَقارَرتُم على فُرُشِكم، والله لوَدِدتُ أنّ الله عزَّ وجلَّ جعلني شجرةً تُعضَد ويُؤكَل ثمرُها»[٥].

قال جعفرُ بنُ سليمان: «دخلَ رجلٌ على أبي ذرّ، فجعلَ يُقلِّب بصره في بيته، فقال: أين متاعُك[٦]؟ قال: إنّ لنا بيتًا نُوجِّه إليه صالحَ مَتاعِنا، فقال: إنّه لا بدَّ لك من متاعٍ ما دمت هنا؟ فقال: إنّ صاحِبَ المنزلِ لا يدعنا فيه»[٧].

قال ابنُ المُنكَدِر: «بعث حبيبُ بنُ مَسلمةَ[٨] ـ وهو أميرُ الشام ـ إلى أبي ذرٍّ بثلاثِ مئةِ دينار، فقال: استعِن بها على حاجَتِك، فقال أبو ذرّ: ارجِع بها إليه، أما وجدَ أحدًا أغرَّ بالله عزَّ وجلَّ منّا؟ ما لنا إلّا ظلٌّ نتوارَى به، وثُلّةٌ من الغنم تروحُ علينا، ثمَّ إنّي لأتخوَّفُ الفضلَ»[٩].

وبَينا هو بين أصحابِه إذ جاءت ابنتُه وعليها صوفٌ، سفعاءُ[١٠] الخدَّين، ومعها

---

(١) في (د): «دخل». (٢) في (ق): «يسأل».

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٢٥).

(٤) في (د): «قال».

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٦٨٢)، و«حلية الأولياء» (١: ١٦٤).

(٦) في (ق): «متاعكم».

(٧) «شعب الإيمان» (١٠١٦٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٢١١).

(٨) في (د): «سلمة».

(٩) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٦٨٩)، و«الزهد» للإمام أحمد (٧٩٤)، و«حلية الأولياء» (١: ١٦١).

(١٠) في (د): «شعفاء».

قُفّة، فقالت: يا أبتاه، زعم الحرّاثون والزرّاعون أن أفلُسَك[١] هذه بهرجة، قال: يا بُنيّةُ، ضَعِيها؛ فإنّ أباكِ أصبحَ بحَمدِ الله تعالى ما يَملِك صفراءَ ولا بيضاءَ إلّا أفلُسَه هذه[٢].

ولمّا حضرَته الوفاةُ بكت أمُّ ذرّ، فقال لها[٣]: وما يُبكِيكِ[٤]؟ فقالت: وما لي لا أبكي وأنت تموتُ بفلاةٍ من الأرض، وليس معنا ثوبٌ يَسَعُك كفنًا، فقال: لا تبكي وأبشِري؛ فإنّي سمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا يَموتُ بين امرَأينِ مُسلِمَين ولدانِ أو ثلاثةٌ فيَصبِرانِ ويَحتَسِبانِ فيَريانِ النارَ أبدًا**»[٥]. [٦٤/أ]

وإنّي سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ لنَفرٍ أنا فيهم: «**لَيمُوتَنَّ رجلٌ منكم بفلاةٍ من الأرضِ يشهَدُه عِصابةٌ من المؤمنين**»، وليس من أولئك النفرِ أحدٌ إلّا وقد ماتَ في قريةٍ وجماعة، وإنّي أنا الذي أموتُ بالفلاة، والله ما كَذَبتُ ولا كُذِبت، فانظُري الطريق، فقلت: أنّى وقد ذهب الحاجُّ وتقطَّعَت الطرقُ؟

فقال: انظري، فكُنتُ أشتدُّ إلى الكثِيب، فأقوم عليه، ثمَّ أرجع إليه فأُمَرِّضُه، قالت[٦]: فبينا أنا كذلك إذا أنا برجالٍ على رَواحِلِهم كأنّهم الرَّخَم، فألَحتُ بثوبي فأسرَعوا إليَّ، ووضعوا السياطَ في نُحورِها يَستَبِقون إليّ، فقالوا: ما لكِ يا أمةَ الله تعالى؟ فقُلت: امرًا من المسلمين تُكفِّنونَه يموت، فقالوا: ومَن هو؟ قلت: أبو ذرّ، قالوا: صاحبُ رسولِ الله ﷺ؟ قلت: نعم، قالت: ففَدَّوهُ بآبائهم وأمَّهاتِهم، وأسرَعُوا إليه حتّى دخَلُوا عليه، فسلَّموا عليه، فرَحَّب بهم،

---

(١) في (د): «أفلستك».
(٢) «حلية الأولياء» (١: ١٦٤).
(٣) «لها» ليس في (ق).
(٤) في (د): «يبكيكي».
(٥) «مسند أحمد» (٢١٥٠٥)، و«المستدرك» للحاكم (٥٤٧٠).
(٦) «قالت» ليس في (ق).

وقال: أبشِروا؛ فإنّي سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ كذا وكذا[١]، وذكر[٢] ما ذَكرَه لامرأته، ثمَّ قال: واللهِ لو كان عندي ثوبٌ يَسعُني كفنًا أو لامرأتِي لم أُكفَّن إلّا في ثوبٍ هو لي أو لها، وإنّي أنشُدُكم الله تعالى لا يُكفِّنُني منكم رجلٌ كان أميرًا، ولا عريفًا، ولا بريديًّا، أو نقيبًا، وليس في القومِ أحدٌ إلّا وقد قارَفَ من ذلك شيئًا، إلّا فتًى من الأنصار، فقال: أنا أكفِّنُك في رِدائي هذا، وفي ثوبَين من غَزلِ أُمِّي، فقال: أنت تُكفِّنُني، فكفَّنَه الأنصاريُّ[٣].

وذكر ابنُ إسحاقَ في «**المغازي**»: أنّ أبا ذرٍّ مات بالرَّبَذة سنةَ اثنين وثلاثين، وصلَّى عليه ابنُ مسعودٍ مُنصرَفَه من الكوفةِ رضي الله عنه[٤].

* * *

[حُذيفة بن اليَمان رضي الله عنه]

[٥٧] **ومنهم**: حُذَيفةُ بنُ اليَمان[٥].

ويُكنَّى: أبا عبد الله[٦].

قال إدريسُ الخولانيّ: «سمعت حذيفةَ يقول: كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنت أسألُه عن الشرِّ؛ مخافةَ أن يُدرِكَني»[٧].

---

(١) «وكذا» ليس في (ق). (٢) «وذكر» ليس في (د).

(٣) «مسند أحمد» (٢١٥٠٥)، و«صحيح ابن حبان» (٦٦٧١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٢٩).

(٥) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٣)، و«بغية الطلب» (٥: ٢١٤٧).

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٣)، و«بغية الطلب» (٥: ٢١٤٧).

(٧) «صحيح البخاري» (٧٠٨٤)، و«صحيح مسلم» (١٨٤٧).

قال أبو عمّار: قال حذيفة: إنّ الفتنةَ تُعرَضُ على القلوب، فأيُّ قلبٍ آنَسَ بها نُكِتَت نكتةٌ سوداء، فإن أنكرَها نُكِتَت بيضاء، فمَن أحبَّ منكم أن يَعلم أصابته الفتنةُ أم لا فلينظر؛ فإن كان يرى حرامًا كان يراه حلالًا، أو يرى حلالًا كان يراهُ[1] حرامًا فقد أصابته الفتنة.

قال همّام: قال حُذَيفة: «ليأتِيَنَّ على الناسِ زمانٌ لا ينجو فيه إلّا مَن دعا بدعاءٍ / كدعاءِ الغَريق»[2]. [٦٤/ب]

قال ابنُ ابنِه: كان يقول جَدِّي: ما من يوم أقرَّ لعيني ولا أحبَّ لنفسي من يومٍ آتي أهلي فلا أجد عندهم طعامًا، ويقولون: ما نقدِرُ على قليلٍ ولا كثير، وذلك أنِّي سمعت رسولَ الله يقول: «**إنَّ الله تعالى أَشَدُّ حِميةً للمُؤمِنِ من الدُّنيا من المَرِيضِ أهلَهُ من**[3] **الطَّعام، واللهُ عَزَّ وجَلَّ أَشَدُّ تَعاهُدًا للمُؤمِنِ بالبَلاءِ من الوالِدِ لوَلَدِهِ بالخَير**»[4].

قال سفيان: قال حُذيفة: «إنّ الرَّجُلَ لَيَدخُلُ المدخَلَ[5] الذِي يَجِبُ عليه أن يَتَكَلَّمَ فيه لله فلا[6] يَتَكَلَّم، فلا يَعُودُ قَلبُهُ إلى ما كانَ[7] أبَدًا»[8].

قال عمارة: قال حُذيفةُ[9]: «إيّاكُم ومواقفَ الفِتَن؟ قيل: وما مواقفُ الفِتَن

(١) في (ق): «يرى».
(٢) انظر: «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧١٤٥)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٧٤).
(٣) «من» مثبت من المصادر.
(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٠٠٤)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٧٧).
(٥) في (ق): «الرجل». (٦) في (ق) و(د): «ولا».
(٧) في (د): «إلى مكانه».
(٨) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لابن أبي الدنيا (٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٤).
(٩) «حذيفة» ليس في (ق).

يا أبا عبد الله؟ قال: أبوابُ الأمراء، يدخلُ أحدُكُم على الأمير فيُصدِّقُه بالكذب، ويقولُ ما ليسَ فيه»[(١)].

قال يومًا: «والله لوددتُ أنّ لي إنسانًا يكونُ في مالي، ثمَّ أُغلِقُ عليَّ بابًا فلم يدخُل عليَّ أحدٌ حتَّى ألحَقَ بالله عزَّ وجلَّ»[(٢)].

قال الأعمش: «بكى حُذيفةُ في صلاته، فلمّا فرَغَ التفت، فإذا رجلٌ خلفَه، فقال: لا تُعلِمَنَّ بهذا أحدًا»[(٣)].

ولمّا[(٤)] مَرِضَ دَخَلَ عليه بعضُ أصحابِه في مرضه الذي مات فيه، فسَمِعَه يقول: لولا[(٥)] أنِّي أرى أنّ هذا اليومَ آخرُ يومٍ من الدنيا، وأوَّلُ يومٍ من الآخرة لم أتكلَّم به، اللهُمَّ إنّك تعلمُ أنِّي كنت أُحِبُّ الفقرَ على الغِنَى، وأُحِبُّ الذِّلّةَ على العزّ، وأُحِبُّ الموتَ على الحياة، حبيبٌ جاءَ على فاقة، لا أفلحَ مَن نَدِم، ثمَّ مات رحمه الله تعالى[(٦)].

قال خالدُ بنُ الربيع العبسيّ: «أتينا حُذيفةَ وقد ثَقُل، فدَخَلنا عليه جوفَ الليل، فقال لنا: أيُّ ساعةٍ هذه؟ قلنا: جوفُ الليل، أو آخرُ الليل، ثمَّ قال: أعوذُ بالله من صباحٍ إلى النار، ثمَّ قال: أجِئتُم بأكفانٍ؟ قُلنا: نعم، قال: فلا تَغلُوا بأكفاني؛ فإنّه إن

---

(١) «جامع معمر بن راشد» (٢٠٦٤٣)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٧٧)، و«شعب الإيمان» (٨٩٦٥).
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٨٠٢)، و«الزهد» لهناد بن السري (٢: ٥٨٢)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٧٨).
(٣) انظر: «المنتظم» (٥: ١٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٤)، و«مرآة الزمان» (٦: ٢١٣).
(٤) في (ق): «لما».
(٥) في (د): «ولولا».
(٦) انظر: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (١: ٢٨٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٢: ٢٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٤).

يَكُن لصاحِبكُم عند الله خيرٌ فإنّه يُبدَّلُ(١) بكسوتِه كسوةً خيرًا منها، وإلّا فيُسلَبُ سلبًا»(٢).

ماتَ رضي الله عنه بعد قتل عثمانَ بأشهرٍ(٣).

❊ ❊ ❊

[أبو الدحداح رضي الله عنه]

[٥٨] **ومنهم**: أبو الدحداح(٤).

واسمُه: ثابتٌ(٥).

شَهِدَ أُحُدًا، وقُتِلَ يومئذ(٦).

قال يومئذٍ والمسلمونَ أوزاع: يا معشَرَ الأنصار، إليَّ إليّ، إن كان محمَّدًا ﷺ قد مات فإنّ الله حيٌّ لا يَموت، فقاتِلُوا عن دينكم، فنَهَضَ إليه نَفَرٌ من قريش، فجعلَ يحمِلُ بمَن معه، فقُتِلَ ومَن كانَ معه(٧).

---

(١) في (د): «يبذل».

(٢) «الأدب المفرد» (٤٩٦)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٨٢).

(٣) انظر: «التاريخ الأوسط» (١: ٨٠)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٥).

(٤) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٤: ١٦٤٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٣٠٥)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٠٦).

(٥) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٦٤٥)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٣٠٥)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (٢٠٦).

(٦) انظر: «الاستيعاب» (١: ٢٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٥).

(٧) انظر: «الاستيعاب» (١: ٢٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٣٥).

قال عبدُ الله بنُ مسعود: لمّا نَزلَت(١): ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ [البقرة: ٢٤٥]؛ قال أبو الدَّحداح الأنصاريّ: وإنّ الله لَيُريدُ منّا القَرضَ؟ قال: «**نعم**»، قال: أرِني يدَك يا رسولَ الله، فناولَه يدَه الكريمةَ ﷺ، فقال: إنّي أقرَضتُ ربِّي حائِطي. [٦٥/أ]

قال ابنُ مسعود: وفيه ستُّ مِئةِ نخلة، وكانت أُمُّ الدحداح فيه وعيالُها، قال: فجاءَ إليها، فنادى: يا أُمَّ الدَّحداح، قالت: لبَّيك، قال: اخرُجي من الحائط، فقد أقرَضتُه ربِّي عزَّ وجلَّ (٢)، فعَمَدَت إلى صِبيانِها فأخرَجَت ما في أفواههم، ونَفَضَت(٣) ما في أكمامهم، فقال رسولُ الله ﷺ: «**كَم مِن عِذقٍ رَداحٍ في الجنّةِ لأبي الدحداح**»(٤). رضي الله عنه.

* * *

[أبو الدرداء رضي الله عنه]

[**٥٩**] **ومنهم**: أبو الدرداء(٥).

عُوَيمِرُ بنُ زيد(٦).

---

(١) قوله: «لما نزلت» في (د): «تلا رسول الله ﷺ».

(٢) «مسند البزار» (٢٠٣٣)، و«مسند أبي يعلى الموصلي» (٤٩٨٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٦٤).

(٣) في (د): «ونقضت».

(٤) «مسند أحمد» (١٢٤٨٢)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٦٣)، و«المستدرك» للحاكم (٢١٩٤)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» (٩٦٥) بمعناه.

(٥) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٦٨)، و«طبقات الفقهاء» (٤٧)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٢).

(٦) انظر: «المعارف» (١: ٢٦٨)، و«طبقات الفقهاء» (٤٧)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٢).

واختَلَفوا هل شَهِدَ أُحُدًا أم لا(١).

وشَهِدَ مع رسول الله ﷺ مشاهدَ كثيرة(٢).

قال ميمونُ بنُ مِهران: قال أبو الدرداء: «ويلٌ للذي لا يَعلمُ مرّةً، ولو شاءَ الله تعالى علَّمَه، وويلٌ للذي يعلمُ ولا يعمَل سبعَ مرّاتٍ»(٣).

قالت أُمُّ الدرداء: قال أبو الدرداء: «تَفَكُّرُ ساعةٍ خيرٌ من قيامِ ليلةٍ عند الله تعالى»(٤)، قيل لها: ما كان عَمَلُ أبي الدرداء؟ قالت: التفكُّرُ والاعتبار(٥).

والتَّفَكُّرُ سِرُّ القلبِ في ميدان الاعتبار، وهو سِراج القلب، فإذا قعد التفكُّر فلا إضاءةَ للقلب(٦).

قال الحسن: قال أبو الدرداء: «اغدُ عالِمًا أو متعلِّمًا أو متَّبِعًا، ولا تكُن الرابعَ فتَهلِكَ.

قيل للحسن: وما الرابع؟ قال: المُبتَدِعُ»(٧).

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣٩١)، و«الاستيعاب» (٣: ١٢٢٧)، و«المنتظم» (٥: ١٧)، و«تاريخ الإسلام» (٣: ٣٩٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٤٠)، و«أسد الغابة» (٤: ١٩).

(٣) «الزهد» للإمام أحمد (٧٦٤)، و«الزهد» لوكيع (٢١٧)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٦٢٣).

(٤) «الزهد» للإمام أحمد (٧٤٦)، و«الزهد» لهناد بن السري (٢: ٤٦٨)، و«الزهد» لأبي داود (١٩٩).

(٥) «السنن الكبرى» للنسائي (١١٨٥٠)، و«الزهد» للإمام أحمد (٧٢٠).

(٦) قوله: «والتَّفكُّر سِرُّ القلب في ميدان الاعتبار، وهو سراج القلب، فإذا قعد التفكر فلا إضاءة للقلب» ليس في (ق).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٤٠)، و«الآداب الشرعية» (٢: ٣٥).

قال يومًا: «يا حبَّذا نومُ الأكياس وإفطارُهم، كيف تُغبَنونَ بسَهرِ الحَمقى وصومِهم ولَمِثقالُ ذرّةٍ من برٍّ مع تَقوى ويقينٍ أعظم[1] وأفضلُ وأرجحُ من أمثالِ الجبال من عبادة المُغترِّينَ»[2].

قال يومًا: «أخوَفُ ما أخافُ أن يُقالَ لي يومَ القيامة: يا عُوَيمِر، أعلِمتَ أم جَهِلتَ؟ فإن قلت: عَلِمت، لا تبقى آيةٌ آمِرةٌ أو زاجرةٌ إلّا أُخِذتُ بفريضَتِها الآمرة، تقول: هل ائتمَرتَ؟ والزاجرة: هل ازدجَرتَ؟ أعوذُ بالله تعالى من عِلمٍ لا يَنفَع، ونفسٍ لا تَشبَع، ودُعاءٍ لا يُسمَع»[3].

قالت أُمُّ الدرداء: «دَخَلَ يومًا مُغضَبًا، فقلت: ما لَكَ؟ فقال: والله ما أعرفُ فيهم شيئًا من زمَنِ محمَّدٍ ﷺ إلّا أنّهم يُصَلُّونَ جميعًا»[4].

قلت: ليتَ شِعري، لو رأى عُلماءَ زمانِنا عَبيدَ مَن حارَبَ الله ورسولَه ماذا[5] كان يقول؟ إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قال حِزامُ بنُ حكيم: قال أبو الدرداء: «لو تعلمونَ ما أنتم راؤون بعد الموت لَما أكَلتُم طعامًا على شَهوة، ولا شَرِبتُم شرابًا على شَهوة، ولا دَخَلتُم بيتًا تَستَظِلُّونَ فيه، ولَخَرَجتُم إلى الصُّعُداتِ تَضرِبونَ صُدورَكُم، وتبكونَ على أنفُسِكُم، ولوَدِدتُ أنِّي شجرةٌ تُعضَدُ ثمَّ تُؤكَلُ»[6].

---

(١) كذا في المصادر، وفي النسخ: «أعلم».

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (٧٣٨)، و«حلية الأولياء» (١: ٢١١).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢١٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤١).

(٤) «مسند أحمد» (٢١٧٠٠)، و«شعب الإيمان» (٤: ٣٣٧).

(٥) في (د): «إذا».

(٦) «الزهد» للإمام أحمد (٧٤٠)، و«حلية الأولياء» (١: ٢١٦).

وكان يقول: «ويلٌ لكلِّ جَمّاعٍ فاغرٍ فاه[١] كأنّه مجنون، يرى ما عندَ الناس ولا يرى ما عنده، لو يستطيعُ لوَصَلَ الليلَ بالنهار، ويلَه من حسابٍ غليظٍ وعذابٍ شديد، أُحِبُّ الموتَ وتكرهونَه، وأُحِبُّ السقَمَ وتَكرهُونَه، وأُحِبُّ الفَقرَ وتَكرهُونَه، أينَ الذين أمَّلُوا بعيدًا، وجَمَعوا كثيرًا، وبَنوا شديدًا، فأصبحَ أملُهم غرورًا، وأصبحَ جمعُهم بُورًا، وأصبَحَت بُيوتُهم قبورًا»[٢]. [٦٥/ب]

قال معاويةُ بنُ صالح: قال أبو الدرداء: «إذا أصبَحَ الرَّجُلُ اجتَمَعَ هَواهُ وعَمَلُهُ[٣]، فإن كانَ عَمَلُهُ[٤] تَبَعًا لِهَواهُ فيَومُهُ يَومُ سُوء، وإن كانَ هَواهُ تَبَعًا لِعَمَلِهِ فيَومُهُ يَومٌ صالِح»[٥].

قال محـمَّدُ بنُ سعـدٍ الأنصـاريّ: قال أبو الدرداء: «استعيـذوا بالله تعالى من خُشـوعِ النـفاق، قالوا: كيف؟ قال: أن يُرى الجـسدُ خاشـعًا والقلـبُ ليسَ بخاشعٍ»[٦].

قلت: وهذا[٧] قد كَثُرَ في مُتَعبِّدي زمانِنا، لا سيَّما عند مُجالسةِ بعضِهم ببعض، فأمّا[٨] إذا جَلَس أحدُهم عند مَن له ثروةٌ أو جاه فهو في النفاقِ الصِّرف، عافانا الله تعالى[٩] من ذلك، والله أعلم.

---

(١) في (ق): «فاغر فوه»، وفي (د): «فاعر فوه».

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (٧٦٩)، و«الزهد» لأبي داود (٢٤١)، و«حلية الأولياء» (١: ٢١٦).

(٣) في (ق): «وعلمه». (٤) في (ق): «علمه».

(٥) «المجالسة وجواهر العلم» (٤: ٥٣١).

(٦) «الزهد» للإمام أحمد (٧٦٢)، و«شعب الإيمان (٩: ٢٢٠)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٧: ٢٤٣).

(٧) في (د): «وهكذا». (٨) في (د): «أما».

(٩) في (د): «فنعوذ بالله».

قال جُبَيرُ بنُ نُفَير: «فُتِحَت قُبرصُ، وفُرِّقَ بين أهلها، فبَكَى بعضُهم إلى بعض، فرأيتُ أبا الدرداء جالسًا وحدَه يبكي، فقلت: يا أبا الدرداء، ما يُبكيكَ في يومٍ أعزَّ الله تعالى فيه الإسلامَ وأهلَه؟

فقال: وَيحَك يا جُبَير! ما أهونَ الخلقَ على الله عزَّ وجلَّ إذا تركوا أمرَه، بينا هي أُمّةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ لهم المُلكُ تَركُوا أمرَ الله تعالى فصاروا كما ترى»[(١)].

قال قتادة: قال أبو الدرداء: «يا ابنَ آدم، إنّما أنت أيام، كلَّما ذهبَ يومٌ ذَهَبَ بعضُك، ابنَ آدم، إنّكَ لم تَزَل في هَدمِ عُمركَ من يوم ولَدَتكَ أُمُّكَ»[(٢)].

قال مُحمَّدُ بنُ كعب: «نَزَلَ أضيافٌ على أبي الدرداء في ليلةٍ قَرّة؛ أي: باردةٍ[(٣)]، فأرسَلَ إليهم بطعام سُخنٍ[(٤)]، ولم يُرسِل إليهم ما يتدثَّرونَ[(٥)] به، فقال بعضُهم: أرسَلَ إلينا الطعام، فما هَنَأنا مع القُرّ، فتوجَّه أحدُهم حتَّى أقامَ على باب أبي الدرداء، فرآه جالسًا وامرأتَه وليس عليهما[(٦)] من الثياب إلّا ما يُذكَر، فقال: ما أراكَ إلّا بِتَّ بنحو ما بِتنا؟ فقال أبو الدرداء: إنّ لنا دارًا ننتقل إليها قَدَّمنا لُحُفَنا وفُرُشَنا إليها، ولو لَقِيتُ عندنا منها شيئًا لأرسلناه إليك، وإنّ بين أيدينا عَقبةً كؤودًا المُخِفُّ فيها خيرٌ من المُثقِل، أفَهِمتَ ما أقول؟ قال: نعم»[(٧)].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢١٧)، و«ذم الهوى» (٢١١)، و«البداية والنهاية» (٧: ١٥٣).

(٢) «شعب الإيمان» (١٠١٨٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ١٧١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٤).

(٣) انظر: «الصحاح» (٢: ٧٨٩).

(٤) «سخن» ليس في (ق).

(٥) الدِّثار: كل ما طرحته عليك من كساء أو غيره. انظر: «الصحاح» (٢: ٦٥٥)، و«لسان العرب» (٤: ٢٧٦)، و«القاموس المحيط» (٣٩٠) و(١١: ٢٧٢).

(٦) في (ق): «عليها».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٤٥)، و«مرآة الزمان» (٥: ٤٨٣).

قال يومًا: «نِعمَ صَومَعةُ المرءِ المسلم بيتُه؛ يَكفُّ لسانَه وبصرَه، وإيّاكُم ومجالسَ الأسواق؛ فإنّها تُلهي وتُلغي»[١].

قال معاويةُ بنُ قرّة: «لمّا اشتكى أبو الدرداءِ دَخلَ عليه أصحابُه، فقالوا لهُ[٢]: ما تَشتَكي؟ قال: ذُنُوبي، قالوا: فما تَشتَهي؟ قال: الجنّة، قالوا: أفلا ندعو لك طبيبًا؟ قال: هو الذي أضجَعَني»[٣].

[٦٦/أ] قالت له أُمُّ الدرداء: «إن احتجتُ بعدكَ آكُلُ الصدقةَ؟ قال: لا، اعمَلي وكُلي، قالت[٤]: فإن ضَعُفتُ عن العمل؟ قال: التَقِطي السُّنبُلَ ولا تأكُلي الصدقةَ»[٥].

قال أبو مسلم: «جِئتُ أبا الدرداء وهو يَجُودُ بنفسه، فقال: ألا رجلٌ يعمَلُ لمثلِ مَصرعِي هذا! ألا رجلٌ يعملُ لمثل يومي هذا! ألا رجلٌ يعملُ لمثل ساعتي هذه! ثمَّ قُبِضَ رضي الله عنه»[٦].

قيل عنه: «إنّه كانَ يدفَعُ الدنيا عنه براحَتَيه[٧] ونحرِه»[٨].

قال ثابتٌ: «خَطَبَ يزيدُ بنُ معاويةَ الدرداء، فردَّه أبو الدرداء، فخَطبَها شخصٌ

---

(١) «الزهد» لوكيع (٢٥١)، و«شرح السنة» للبغوي (١٢: ٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٥).

(٢) «له» ليس في (ق).

(٣) «الزهد» لأحمد بن حنبل (٧١٦)، و«المجالسة وجواهر العلم» (٥٠)، و«حلية الأولياء» (١: ٢١٨).

(٤) في (ق): «قال».

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٠٦٧١)، و«المنتظم» (٥: ١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٦).

(٦) انظر: «وصايا العلماء» لابن زبر الربعي (٥٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ١٩٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٦).

(٧) في (د): «براحته».

(٨) «الزهد» للإمام أحمد (٧١٤)، و«حلية الأولياء» (١: ٢١٠).

من ضُعفاءِ المسلمينَ فأنكَحَه، فسارَ ذلك في الناسِ أنّ يزيدَ خَطَبَ إلى أبي الدرداء فردَّه، وخَطَبَ إليه رجلٌ من ضُعَفاء المُسلمينَ فأنكَحَه[١]، فبَلَغَه، فقال أبو الدرداء: إنّي نظرتُ للدرداءِ، ما ظَنُّكُم[٢] بالدرداءِ إذا قامَت على رأسِها الخِصيان، ونَظَرَت في بيوتٍ يلتَمِعُ فيها بَصَرُها، أين دينُها منها يومئذٍ؟»[٣].

كان رضي الله عنه إذا رأى جنازةً قال: «اغدُوا فإنّا رائِحون، ورُوحوا فإنّا غادون، موعظةٌ بليغة، وغَفلةٌ سريعة، كفى بالموت واعظًا؛ يذهبُ الأوَّلُ ويبقى الآخِرُ لا حلمَ له»[٤]، أي: لا عقل.

تُوفِّيَ بدمشقَ سنةَ اثنتَين[٥] وثلاثين في خلافةِ عثمان، وقيل غيرُ ذلك، رضي الله عنه[٦].

* * *

[عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما]

[٦٠] ومنهم: عبدُ الله بن عَمرِو بن العاصي[٧].

---

(١) من قوله: «أن يزيد خطب إلى أبي الدرداء» إلى هنا ليس في (د).

(٢) في (د): «أظنكم».

(٣) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٧٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٢).

(٤) في (د): «لا حلم لي»، وانظر: «حلية الأولياء» (١: ٢١٧)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٥٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٤).

(٥) في (ق): «اثنين».

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧: ١٠١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٤٦).

(٧) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٨٦)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٣٣٨)، و«المنتظم» (٦: ٤٧).

أسلَمَ قبل أبيه(١).

واستأذنَ رسـولَ الله ﷺ فـي كـتابةِ مـا يَسمعُ منه، فأذِنَ له ﷺ، فكان عالمًا مُتعبِّدًا، رضي الله عنه، يقومُ الليلَ ويصومُ النهار(٢).

قال أبو كثير(٣): قال عبدُ الله بن عَمرِو بن العاصِ(٤): «إنّكم تُجمَعُونَ فيُقال: أين فقراءُ هذه الأُمّةِ ومساكينُها؟ قال: فتبرزون، فيقول: ما عِندَكُم؟ فتقولون: يا ربَّنا، ابتُلينا فصَبَرنا، وأنتَ أعلَم، ووليَّتَ الأموالَ والسلطانَ غيرَنا، قال: فيُقال: صَدَقتُم، قال: فيدخلونَ الجنّةَ قبلَ سائرِ الناسِ بزمان، وتبقى شِدّةُ الحسابِ على ذَوي الأموال»(٥).

قـال ابنُ أبـي مُلَيكة: قـال عبدُ الله: «لـو تعلَمونَ حـقَّ العلم لسَجَدتُم حتَّى تنقَصِفَ ظهورُكُم، ولصَـرَختُم حتَّى تنقـطعَ أصـواتُكُم، فابـكوا، فإن لـم تجِدوا البُكاءَ فتباكوا»(٦).

قال يَعلى بنُ عطاء: قالت أُمِّي: «كنتُ أصنَعُ الكُحلَ لعبد الله؛ لأنّه كان يقومُ بالليلِ فيُطفِئُ السراج، ثمَّ يبكي(٧) حتَّى رَسَعَت(٨) عيناه»(٩).

---

(١) انظر: «المعارف» (١ : ٢٨٦)، و«رجال صحيح مسلم» (١ : ٣٣٨)، و«المنتظم» (٦ : ٤٧).

(٢) انظر: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٧)، و«صفة الصفوة» (١ : ٢٥٢)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٤٥).

(٣) في (د): «أبو بكر». (٤) في (د): «العاصي».

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٧١٥)، و«حلية الأولياء» (١ : ٢٨٩).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١ : ٢٥٣)، و«بريقة محمودية» (١ : ١٣٤).

(٧) قوله: «ثم يبكي» ليس في (د).

(٨) في (ق): «رصعت»، وفي (د): «رضعت». ورسعت عيناه أي تغبرت وفسدت والتصقت أجفانها.

(٩) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣١ : ٢٦٨)، و«صفة الصفوة» (١ : ٢٥٣)، و«تاريخ الإسلام» (٥ : ١٦٥).

وكان يقول: «لأن أدمعَ دمعةً من خَشيةِ الله عزَّ وجلَّ أحبُّ إليَّ مِن[1] أن أتصدَّقَ[2] بألف دينار»[3].

ولمّا حَضَرَته الوفاة قال: قد خَطَبَ إليَّ ابنتي رَجُلٌ من قريش، وكان منِّي إليه شبيهٌ بالوعد، فوالله لا ألقى الله بثُلُثِ النفاق، اشهَدوا أنِّي قد زَوَّجتُها إيّاه، ثمَّ تُوفي[4].

قيل: ماتَ بالشام سنةَ خمسٍ وستين، وهو ابنُ اثنتين وسبعين سنةً، [٦٦/ب] وقيل: ماتَ بمكّة، وقيل: بالطائف، وقيل: بمصر، رضي الله عنه[5].

* * *

[سعيد بن عامر الجُمَحي رضي الله عنه]

[٦١] **ومنهم**: سعيدُ بنُ عامرٍ الجُمَحيُّ[6].

أسلَمَ قبل خيبر، وشَهِدَها مع رسول الله ﷺ وما بَعدَها[7].

قال له عمرُ رضي الله عنه في زمن خلافته: إنّي أستَعمِلُكَ على أرض كذا وكذا، فقال: لا تَفتِنِّي يا أميرَ المؤمنين، فقال: والله لا أدَعُكَ، قلَّدتُمُوها في عُنُقي وتتركُوني. **فعَدَّ سعيدٌ رضي الله عنه الولاية فتنةً.**

---

(١) «من» ليس في (ق). (٢) في (د): «تصدق».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٥٣).
(٤) انظر: «المنتظم» (٦: ٤٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٤).
(٥) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٣٣٨)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٧).
(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ١٥٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٢٩٢)، و«الاستيعاب» (٢: ٦٢٤).
(٧) انظر: «الاستيعاب» (٢: ٦٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٤).

ثمَّ قال له عمر: ألا نَفرِضُ لك رزقًا؟ فقال سعيد: جعلَ الله تعالى في عطائي ما يكفيني دونَه، أو فضلًا على ما أريد، وكان إذا خَرَجَ عطاؤُه ابتاعَ لأهلِه قُوتَهُم، وتصدَّقَ ببقيَّته، فتقولُ له امرأته: أين فضلُ عطائكَ؟ فيقول: قد أقرَضتُه، فأتاه ناسٌ، فقالوا: إنّ لأهلِكَ عليك حقًّا، ولأصهارِكَ عليك حقًّا، فقال: ما أنا بمُستأثِرٍ عليهم ولا بمُلتمسٍ رضا أحدٍ من الناس لطلَبِ الحُور العِين، وما أنا بمتخلِّفٍ عن العنقِ الأوَّل بعد أن سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يجمَعُ الله عزَّ وجلَّ الناسَ للحساب، فيجيءُ فُقراءُ المؤمنينَ فيَزِفُّونَ كَما يزف الحَمام، فيُقالُ لهم: قِفوا عند الحساب، فيقولون: ما عندنا حساب، ولا آتَيتُمونا شيئًا، فيقولُ ربُّهم عزَّ وجلّ: صَدَقَ عبادي، فيُفتَحُ لهم بابُ الجنّةِ فيدخُلُونَها قبلَ الناس بسبعينَ عامًا**».

فبَلَغَ عمرَ أنّه يَمُرُّ به كذا وكذا لا يُدخَّن في بيتِه، فأرسَلَ إليه عمرُ بمال، فصرَّرَه صُرَرًا فتصدَّقَ به يمينًا وشمالًا، وقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لو أنّ حُورًا أطلَعَت أُصبُعًا من أصابِعِها لوَجدَ ريحَها كلُّ ذِي رُوحٍ**»[1]، أفأنا أدعُهُنَّ لَكُنّ، والله لأنتُنَّ أحرى أن أدَعَكُنَّ لهنَّ مِنهنَّ لَكُنَّ[2].

قال مالكُ بنُ دينار: «لمّا أتى عمرُ الشامَ طافَ بكُورِها، فنَزَلَ بحضرة حِمص، ثمَّ أمَرَ أن يكتُبُوا فُقَراءَهُم، فرُفِعَ إليه الكتاب، فإذا فيه سعيدُ بنُ عامرٍ الجُمَحيُّ أميرُها، فعجبَ عمر، وقال: كيف يكون أميرُكم فقيرًا، أين عطاؤُه؟!

فقالوا: يا أميرَ المؤمنين، إنّه لا يُمسِكُ شيئًا، فبكى عمر، ثمَّ صَرَفَ له ألفَ دينارٍ وبعث بها إليه، وقال: أقرِئوهُ مِنِّي السلام، وقُولوا له: يستعينُ بها

---

(١) «المعجم الكبير» (٥٥١١).

(٢) «لكن» ليس في (د). وانظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٤-٢٥٥).

على حاجته، فلمّا جاءَ الرسولُ نَظَر، فإذا هي دنانير، فجَعَلَ يسترجِع، فقالت له امرأتُه: ما شأنُك، أماتَ أميرُ المؤمنين؟ قال: أعظَم، قالت: فظَهَرَت آيةٌ؟ قال: أعظَم، قالت: فأمرٌ من أمر الساعة؟ قال: بل أعظَمُ من ذلك، قالت فما شأنُكَ؟ قال: الدنيا، الفتنةُ دَخَلَت عليّ، قالت: فاصنَع فيها ما شئت، قال: عندكِ عَونٌ[١]؟ قالت: نعم، فصَرَّ الدنانيرَ صُرَرًا، ثمَّ جَعَلَها في مِخلاة، ثمَّ اعترضَ [٦٧/أ] جيشًا من جُيوشِ المُسلمين، فأمضاها كلَّها، فقالت له امرأتُه: رَحِمَكَ الله تعالى، لو كنتَ حَبَستَ منها شيئًا نستعينُ به[٢].

وشَكَى أهلُ الحمص مِنهُ إلى عمرَ رضي الله عنه أمورًا، منها: أنّه لا يخرجُ إلينا حتَّى يَتَعالى النهار، فقال: والله إنّي لأكرَه ذِكرَه؛ إنّه ليسَ لأهلي خادِمٌ، فأعجِنُ عجينَهُم، ثمَّ أجلسُ حتَّى يختَمِر، ثُمَّ أخبِزُ خُبزي، ثمَّ أتوضَّأُ ثمَّ أخرجُ إليهم، فقال عمر: الحمدُ لله الذي لم يُفَيِّلْ[٣] فِراسَتي، فبَعثَ إليه بألف دينار، وقال: استَعِن بها على أمرك، فقالت: امرأتُه: الحمدُ لله الذي أغنانا عن خِدمَتِك، فقال لها: فهل لك في خيرٍ من ذلك؟ ندفَعُها إلى مَن يأتينا بها أحوجَ ما نكونُ إليها، فدَعا رجُلًا من أهلِه يثقُ به، فصرَّرَها صُرَرًا[٤]، ثمَّ قال: انطَلِق بهذه إلى أرملةِ آل[٥] فلان، وإلى يتيمِ آل فلان، وإلى مسكينِ آل فلان، فبَقِيَت منها ذَهَبيّة، فقال: أنفِقي هذه، ثمَّ عادَ إلى عمله، فقالت: ألا تَشتَري[٦] لنا خادمًا، ما فعلَ ذلك المالُ؟ فقال: سيأتيك أحوجَ ما تكونِين»[٧].

---

(١) في (د): «حرير»، وليس في (ق)، والمثبت من المصادر.

(٢) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (١٠٣٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٦).

(٣) كذا في المصادر، وفي النسخ: «يخط». (٤) في (ق): «صرارًا».

(٥) «آل» ليس في (د). (٦) في (ق): «نشتري».

(٧) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٤٣٤-٤٣٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٦-٢٥٧).

ماتَ في خلافة عمرَ رضي الله عنه(١).

* * *

[الحكم بن عمرو رضي الله عنه]

[٦٢] **ومنهم: الحَكَمُ بنُ عمرٍو(٢).**

صَحِبَ رسولَ الله ﷺ حتَّى قُبِضَ(٣)، ثمَّ تحوَّلَ إلى البصرة، فولّاه زيادُ بنُ أبي سفيانَ خُراسان، فخرجَ إليها، وفتحَ الله عليهم، وأصابوا أموالًا عظيمةً.

فكتبَ إليه زيادٌ: أمّا بعد، فإنّ أميرَ المؤمنين كَتَبَ إليَّ أن أصطَفِيَ الصفراءَ والبيضاء، فلا تَقسِم بين الناس ذهبًا ولا فضّة، فكَتَبَ إليه: سلامٌ عليك، أمّا بعد، فإنّكَ كتبتَ تذكرُ كتابَ أمير المؤمنين، وإنّي وجدتُ كتابَ الله تعالى قبلَ كتابِ أمير المؤمنين، وإنّه والله لو كانت السماواتُ والأرضُ رَتْقًا على عبدٍ(٤) فاتَّقى الله عزَّ وجلَّ لجعلَ له منها فرَجًا ومَخرَجًا، والسلامُ عليك، ثمَّ قال للناس: اغدُوا على فَيئِكُم فاقتَسِمُوه(٥).

ولم يَزَل حاكمًا على خُراسانَ حتَّى مات سنةَ خمسين رضي الله عنه(٦).

---

(١) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٢٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٥٧).

(٢) انظر ترجمته في: «المحبر» (٢٩٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٧٠٨)، و«المنتظم» (٥: ٢٣٣).

(٣) انظر ترجمته في: «المحبر» (٢٩٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٧٠٨)، و«المنتظم» (٥: ٢٣٣).

(٤) في (د): «عبد الله».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٦٠)، و«أسد الغابة» (١: ٥١٧)، و«مرآة الزمان» (٧: ١٧٩).

(٦) انظر ترجمته في: «المحبر» (٢٩٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٧٠٨)، و«المنتظم» (٥: ٢٣٣).

[واثِلة بن الأسقع رضي الله عنه]

[٦٣] ومنهم: واثِلةُ بنُ الأسقع[١].

وكان من أهل الصُّفّة[٢]، وبايعَ رسولَ الله ﷺ على ما أحبَّ وكَرِهَ وما أطاقَ.

قال واثِلة: كُنّا أصحابَ الصُّفّةِ في مسجدِ رسول الله ﷺ، وما فينا رجلٌ له ثَوبٌ، ولقد اتخَذَ العَرقُ في جُلُودِنا طُرُقًا من الغبارِ إذ خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ فقال: «**لِيُبشِر فُقراءُ المهاجِرين**» ثلاثًا[٣].

فلمّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ خَرَجَ واثِلةُ إلى الشام، فماتَ بها سنةَ خمسٍ وثمانين، وهو ابنُ ثمانٍ وتسعين سنةً[٤].

* * *

[معاوية بن معاوية الليثي رضي الله عنه]

[٦٤] ومنهم: معاويةُ بنُ معاويةَ الليثيُّ[٥].

قال أنسُ/ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: «كنّا مع رسولِ الله ﷺ، **فطَلَعَت الشمسُ** [٦٧/ب]

---

(١) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٣٠٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٢: ٣٤٣)، و«أسد الغابة» (٤: ٦٥٢).

(٢) «رجال صحيح مسلم» (٢: ٣٠٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٢: ٣٤٣)، و«أسد الغابة» (٤: ٦٥٢).

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٧٠)، و«حلية الأولياء» (٢: ٢٢).

(٤) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ٤٢٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٢: ٣٦٥)، و«المنتظم» (٦: ٢٦٦).

(٥) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١٤٢٤)، و«المنتظم» (٣: ٣٧٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٢)، و«أسد الغابة» (٥: ٢٠٦)، و«مرآة الزمان» (٤: ١٩٢).

بضياءٍ وشُعاع نورٍ لم نَرَها طَلَعَت فيما مضى، فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ، فقال: «**يا جبرِيلُ، ما لي أرى الشمسَ اليومَ طَلَعَت بضياءٍ وشعاعِ نورٍ لم نَرَها طَلَعَت فيما مضى؟**»، قال: ذاك لأنّ معاوية بن معاوية ماتَ بالمدينةِ اليوم، فبَعث الله[1] إليه سبعِينَ ألفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عليه، قال: «**وفِيمَ ذاك؟**»، فقال: كان يُكثِرُ قراءة: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، ليلًا ونهارًا، وفي مَمشاهُ وقِيامِه وقُعودِه، فهل لك يا رسولَ الله أن أقبِضَ لك الأرضَ حتَّى تُصلِّيَ عليه؟ قال: «**نعم**»، فصلَّى عليه ثمَّ رَجَعَ»[2]، رضي الله عنه.

* * *

[عمران بن حُصَين رضي الله عنه]

[٦٥] ومنهم: عمرانُ بنُ حُصَينٍ[3].

ويُكنَّى: أبا نجيدٍ.

أسلَمَ قديمًا، وغزا مع رسول الله ﷺ غزواتٍ[4]، ولم يَزَل في بلاد قَومه، ثمَّ تحوَّلَ إلى البصرةِ ومَرِض بها، فسقى[5] بطنُه، فبقي ثلاثين سنةً على سريرٍ

---

(١) لفظ الجلالة مثبت من المصادر الحديثية.

(٢) «مسند أبي يعلى» (٤٢٦٧)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٧٠٣٢)، و«شعب الإيمان» (٤: ١٥٤). قال الهيثمي في «المجمع» (٩: ٣٧٨) (١٦٠١٤): «رواه أبو يعلى، وفيه العلاء بن زيدل أبو محمد الثقفي، وهو متروك».

(٣) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٣٠٩)، و«المنتظم» (٥: ٢٥٣)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٨-١٠٩).

(٤) انظر: «المعارف» (١: ٣٠٩)، و«المنتظم»(٥: ٢٥٣)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٨).

(٥) في (ق): «فشفي».

مثقوب، فكان يُعرَضُ عليه الكيُّ فيتَأبَّى، حتَّى كان قبلَ وفاته بسنتَين فاكتوى[١].

قال قتادة: قال مُطرِّفٌ: «أرسل إليَّ عمرانُ[٢] بنُ حُصَينٍ في مرضه أنّه كان يُسلِّمُ على الملائكة، فإن عِشتُ فاكتُم عليّ، وإن مِتُّ فحدِّث به إن شئتَ»[٣].

وفي رواية: «أشعَرتَ أنّه كان تُسَلِّم عليَّ الملائكة؟ فلمّا اكتويتُ انقَطَعَ التسليم، فقلت: أمِن قِبَلِ رأسِكَ كان يأتيكَ التسليم، أم من[٤] قِبَلِ رِجلَيك؟ فقال: من قِبَلِ رأسي، فقلت: إنّي لأرى[٥] ألّا تموتَ حتَّى يعودَ ذلك، فلمّا كان بعد ذلك قال لِي[٦]: أشَعَرتَ أنّ التسليمَ عادَ إليّ؟ ثمَّ لم يلبَث يسيرًا حتَّى ماتَ»[٧].

ماتَ بالبصرة قبلَ وفاة زياد بن أبي سفيان، وكانت وفاةُ زيادٍ في سنة ثلاثٍ وخمسين، رضي الله عنه[٨].

* * *

[أبو هريرة رضي الله عنه]

[٦٦] **ومنهم**: أبو هريرةَ رضي الله عنه[٩].

وفي اسمه خلافٌ منتشِر.

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٤: ٢٨٨). (٢) في (د): «عمر».
(٣) «مسند أحمد» (١٩٨٥٤)، و«تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٤).
(٤) في (د): «ممن». (٥) في (د): «لا أدري».
(٦) «لي» ليس في (د).
(٧) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦١٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٤).
(٨) انظر: «المعارف» (١: ٣٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٤).
(٩) انظر ترجمته في: «رجال صحيح مسلم» (٢: ٤٠٣)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤: ١٨٤٦)، و«المستخرج من كتب الناس» (٣: ١١).

وكانت له هِرّةٌ صغيرة، فكُنِّي بها، وقَدِمَ على رسول الله ﷺ وهو بخَيبَر، فسارَ إليه إليها، ثمَّ قَدِمَ مع رسولِ الله ﷺ إلى المدينة(١).

وأَبَقَ غلامٌ له في الطريق، قال(٢): فلمّا قَدِمتُ على رسول الله ﷺ فبَينا أنا عنده إذ طلعَ الغلام، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**هذا غُلامُكَ؟**»، فقلت: هو حُرٌّ لوجه الله عزَّ وجلَّ(٣).

وصَحِبَ رسولَ الله ﷺ، ولم يَشتَغِل بزَرعٍ ولا تجارة.

قال مجاهدٌ: كان أبو هريرة يقول: «والله إن كنتُ لأعتَمِدُ بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشُدُّ الحَجرَ على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يومًا على طريقهم الذي يخرجونَ منه، فمَرَّ أبو بكرٍ رضي الله عنه فسألتُه عن آيةٍ في كتاب الله تعالى/ ، ما سألتُه إلّا ليستَتبِعَني، فلَم يَفعَل، ثمَّ مَرَّ عليَّ(٤) عمر، فسألتُه عن آيةٍ فِي(٥) كتاب الله تعالى ما سألتُه إلّا ليستَتبِعَني، فلم يَفعَل. [٦٨/أ]

فمرَّ أبو القاسم ﷺ، فعَرَفَ ما في وجهي وما في نفسي، فقال: «**يا أبا هريرة**»، فقلت: لبيكَ يا رسولَ الله، فقال: «**الحَق**»، فتَبِعتُه، فدَخَل، واستأذنتُ، فأُذِنَ لي، فوجدَ لبنًا في قَدَح، فقال: «**من أين لكم هذا اللبنَ؟**»، فقالوا: أهداه لنا فُلانٌ، فقال: «**أبا هريرة**»، فقلت: لبيكَ يا رسولَ الله، فقال: «**انطلِق إلى أهل الصُّفّةِ**»، قال: وأهلُ الصُّفّة أضيافُ الإسلام لم يأوُوا إلى أهلٍ ولا مال، إذا جاءَت رسولَ الله ﷺ هديةٌ أصابَ منها، وبعثَ إليهم منها، وإذا جاءَته الصدقةُ أرسلَ بها إليهم ولم يُصِب منها.

---

(١) انظر: «المعارف» (١: ٢٧٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٦)، و«الإصابة» (٧: ٣٤٩).

(٢) «قال» ليس في (ق). (٣) «صحيح البخاري» (٢٥٣١).

(٤) «عليّ» ليس في (ق). (٥) في (ق): «من».

قال: فأحزَنَني ذلك، وكنتُ أرجو أن أُصيبَ منه شربةً أتقوَّى بها بقيّةَ يومي وليلتي، فقلت: أنا الرسول، فإذا جاءَ القومُ كنتُ أنا الذي أُعطِيهم، فما يَبقَى لِي(١) من هذا اللبن؟ ولم يَكُن لي من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله بُدّ، فانطلقتُ فدعوتُهُم، فأقبَلوا فاستأذَنوا، فأُذِنَ لهم، فأخَذوا مجالِسَهُم من البيت، ثمَّ قال ﷺ: «**أبا هريرة، خُذه فأعطِهم**»، فأخذتُ القدَحَ، فجعلتُ أُعطيهم، فيأخُذُ الرجلُ القدحَ(٢) فيَشرَبُ حتَّى يَروَى، ثمَّ يَرُدُّ القدح، وأُعطيه الآخر، فيشربُ حتَّى يَروَى، ثمَّ يردُّ القدح، حتَّى أتيتُ على آخرِهم، ودفعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأخَذَ القدحَ فوضعَه في يده وقد بقيَ فيه فضلة، ثمَّ رَفَعَ رأسَه الكريم، فنَظَرَ إليَّ وتبسَّم، فقال: «**أبا هريرة**»، فقلت: لبيكَ يا رسولَ الله، قال: «**بقِيتُ أنا وأنت**»، فقلت: صدقتَ يا رسولَ الله، قال: «**فاقعُد واشرَب**»، قال: فقعدتُ وشربتُ(٣)، ثمَّ قال: «**اشرَب**»، فشربت، فما زالَ يقول: «**اشرب**» وأشرب، حتَّى قلت: والذي بعَثَكَ بالحقِّ ما أجدُ لها فيَّ مَسلَكًا، قال: «**ناوِلنِي القدحَ**»، فردَدتُه إليه فشَرِبَ من الفَضلة». انفردَ بإخراجه البخاريُّ(٤).

قال أبو هريرة: «إن كنت لأتبَعُ الرجلَ أسأله عن الآيةِ من كتاب الله تعالى لأنا أعلمُ بها منه ومن عشيرَتِه، ما أتبَعُه إلّا ليُطعِمَني القبضةَ من التمرِ أو السفّةَ من السَّويقِ أو الدقيق أَسُدُّ بها جُوعي(٥)، فأقبَلتُ مع عمرَ بن الخطاب ذاتَ ليلةٍ أحدِّثُه حتَّى بلغَ بابَه، فأسنَدَ ظهرَه إلى الباب واستقبَلَني بوجهه، وكُلَّما فرغتُ من [٦٨/ب]
حديثٍ حدَّثتُه بآخر، حتَّى إذا لم أرَ شيئًا انطلَقت، فلمّا كان بعد ذلك لَقِيَني، فقال:

---

(١) «لي» ليس في (د).
(٢) بعدها في (د): «وأعطيه الآخر».
(٣) في (ق): «فشربت».
(٤) «صحيح البخاري» (٦٤٥٢).
(٥) في (د): «جوعتي».

يا أبا هريرة[١]، أما إنّه لو كان في البيت شيءٌ لأطعَمناك، رضي الله عنهما»[٢].

قال أبو رافع: قال أبو هريرة: «ما أحدٌ من الناس يُهدِي إليَّ هديةً إلّا قَبلتُها، فأمّا أن أسألَ فلَم أكُن لأسألَ».

قلت: كـان رضي الله عنه حالُه كما اشتهرَ من الفقرِ والصبرِ والصِّدقِ في ذلك، وكـانت هـداياهُم هدايا، وأمّـا زمانُنا هـذا فهداياهُم رِشًى[٣] في صورةِ الهدية، عافانا الله من قلبِ حقائق الأمور الشرعيّة، والله أعلم.

قال عكرمة: «كان أبو هريرةَ يُسبِّحُ كلَّ يومٍ اثنتَي عشرةَ ألفَ تسبيحة، ويقول: أُسبِّحُ بقدر دِيَتي»[٤]، وكان له خيطٌ فيه ألفُ عقدة، فلا ينامُ حتَّى يُسبِّح به[٥].

قال محمد[٦] بنُ سيرين: قال أبو هريرة: «لقد رأيتُني أُصرَعُ بين منبرِ رسول الله ﷺ وبين حُجرةِ عائشةَ رضي الله عنها، فيقولُ الناس: إنّه لمَجنون، وما بي من[٧] جنون، ما بي إلّا الجوعُ»[٨].

قال أبو عثمان النهديّ: «كان أبو هريرةَ وامرأتُه وخادمُه يعتَقِبونَ الليلَ

---

(١) في (ق): «يا أبا هر».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٢٢).

(٣) «رشى» ليس في (ق).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٣٦٣)، و«المنتظم» (٥: ٣١٥).

(٥) انظر: «البداية والنهاية» (٨: ١١٢)، و«عدة المريد الصادق» (٢٥٢)

(٦) «محمد» ليس في (ق).

(٧) «من» ليس في (د).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٧٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٣١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٩).

أثلاثًا؛ يُصلِّي هذا[١]، ثمَّ يُوقِظُ هذا يُصلِّي، ثمَّ يُوقِظُ الآخرَ»[٢].

ولّاه مروانُ على المدينةِ فأقبَلَ يومًا في السوق وهو حاملٌ حُزمةَ حطب، وكان في الطريقِ ابنُ أبي مالك القُرَظيّ، فقال له أبو هريرة: أوسِع الطريق، فقال له: أصلَحَكَ الله تعالى، يكفي هذا، فقال: أوسِع الطريقَ للأمير، والحُزمةُ عليه[٣].

قال أبو المتوكل: «كانت لأبي هريرةَ خادمة[٤]، فرَفَعَ عليها السوطَ يومًا، ثمَّ قال: لولا القصاصُ لأغشيتُكِ به، ولكنَّني[٥] سأبيعُكِ مِمَّن يُوفِّيني ثَمنَك، اذهبي فأنتِ[٦] لله عزَّ وجلَّ»[٧].

قال عطاءُ بنُ أبي رباح: قال أبو هريرة: «ما وجَعٌ أحَبُّ إليَّ من الحُمَّى؛ لأنّها تُعطي كلَّ مِفصَلٍ قِسطَه من الوجع، وإنّ الله تعالى يُعطِي كلَّ مِفصَلٍ قسطَه من الأجر»[٨].

لمّا مَرِضَ بكى في مرضه، فقيل له: ما يُبكيكَ؟ فقال: إنّه ما أبكي على دُنياكُم هذه، ولكنِّي أبكي على بُعدِ سفري وقلّةِ زادي، وإنّي أصبَحتُ في صعودٍ مُهبِطٍ على جنّةٍ ونار، لا أدري إلى[٩] أيِّهما يُؤخَذُ بي[١٠].

---

(١) قوله: «يصلي هذا» تكرر مرتين في (ق). (٢) «صحيح البخاري» (٥٤٤١).
(٣) «الزهد» لأبي داود (٢٨٤)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٨٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ٣٧٣).
(٤) في (ق) و(د): «خادم». (٥) في (د): «ولكني».
(٦) في (د): «فأنتي حرة».
(٧) «الزهد» للإمام أحمد (٩٩٠)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٩).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٦٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٢٣).
(٩) «إلى» ليس في (ق).
(١٠) انظر: «المنتظم» (٥: ٣١٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٦٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٢٤).

وفي رواية: يُبكِيني بُعدُ المسافة، وقلّةُ الزاد، وعَقبةٌ كؤود، المهبطُ منها إلى الجنّةِ أو النارِ.

وَيحَك يا مغرور! هذا كلامُ مَن فنِيَت نفسه وجسده في الله عزَّ وجلّ، وهو [٦٩/أ] يشتكي قلّةَ الزاد، وأنت يا مغرورُ قد فَنِيَت نَفسُك وجَسَدُك في المخالفات، وسلوك طريق الفساد، لم تَزَل.

وَيحَك! تَدأب في تَحسِين الدهان مع العباد وقد حِيلَ بينك وبين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]، واللهُ أعلم.

توفِّي أبو هريرةَ بالمدينة، وقيل: بالعقيق، سنةَ سبعٍ[١]، وقيل: ثمانٍ[٢]، وقيل: تسعٍ وخمسين[٣]، في آخرِ خلافة معاوية، وله ثمانٍ وسبعون سنةً[٤]، رضي الله عنه.

* * *

[العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه]

[٦٧] ومنهم: العلاءُ بنُ الحضرميِّ[٥].

---

(١) وهو قول خليفة بن خياط وهشام بن عروة وعلي بن المديني. انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٧٧٢)، و«أسد الغابة» (٥: ٣٢١)، و«معرفة القراء الكبار» (٢٢).

(٢) وهو قول الهيثم بن عدي وأبي معشر ويحيى بن بكير. انظر: «الطبقات الكبرى» (٤: ٣٤٠)، و«تاريخ دمشق» (٦٧: ٣٩٠)، و«العبر» (١: ٤٦).

(٣) «مستدرك الحاكم» (٦١٥٧).

(٤) وهو قول ابن إسحاق والواقدي وأبي عبيد. انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٧٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٠)، و«تاريخ الإسلام» (٤: ٣٥٧).

(٥) انظر ترجمته في: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٠)، و«أسد الغابة» (٣: ٥٧١).

أسلَمَ قدِيمًا، وولّاه رسولُ الله ﷺ البحرَين، ثمَّ عزلَه، وولّاها أبانَ بنَ سعيدٍ[١]، فلمّا وُلِّي الصدِّيقُ رضي الله عنهُ أعاد العلاءَ إلى البحرين[٢].

قال سهمُ بنُ مِنجاب: «غزَونا مع العلاء بن الحضرميِّ دارِين، فدعا بثلاث دعوات، فاستُجِيب له فيهنّ، نزلنا منزلًا، فطلب[٣] الماءَ ليتوضَّأ فلم يجده، فقال: اللهمَّ إنّا عبيدُك وفي سبيلك، نقاتل عدوَّك، اللهمَّ اسقنا غيثًا نتوضَّأ منه ونشرب، فإذا توضَّأنا لم يكن لأحدٍ فيه نصيبٌ غيرَنا، فسِرنا قليلًا، فإذا نحن بماءٍ قد أقلعت عنه السماء، فتوضَّأنا منه، وتزوَّدنا، وملأت إداوتي، وتركتُها مكانَها حتى أنظر هل استُجِيب له أم لا، فسِرنا قليلًا، فقلتُ لأصحابي: نسيتُ إداوتي، فجئتُ إلى ذلك المكان فكأنّه لم يُصِبه ماءٌ قطُّ.

ثمَّ سِرنا حتى أتينا دارِين والبحرُ بيننا وبينهم، فقال: يا عليمُ يا حليم، يا عليُّ يا عظيم، إنّا عبيدُك وفي سبيلك، نقاتل عدوَّك، اللهمَّ فاجعل لنا إليهم سبيلًا، فتقحَّم البحرَ فخضنا ما يبلغ لُبودَنا، فخرجنا إليهم، فلمّا رجع أخذَه وجعُ البطن، فمات، فطلبنا ماءً نُغسِّله فلم نجده[٤]، فكفَّنّاه في ثيابه ودفنّاه، وسِرنا غيرَ بعيد، فإذا نحن بماءٍ كثير.

فقال بعضُنا لبعض: لو رَجَعنا فاستخرجناه ثمَّ غسلناه، فرجعنا فطلبناه فلم نجده، فقال رجلٌ من القوم: إنّي سمعتُه يقول: يا عليُّ يا عظيم، يا حليمُ يا

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٧٠).

(٢) انظر ترجمته في: «تلقيح فهوم أهل الأثر» (١٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٠)، و«أسد الغابة» (٣: ٥٧١).

(٣) في (د): «تطلب».

(٤) في (ق): «نجد».

عليم، اخفِ عليهم موتي، أو كـلمةً نحوها، فلا يطَّلِع على عورتي أحدٌ، فرجَعنا وتركناه»(١).

قـال عـمرُو بـنُ ثابت: «دَخَلَت في أُذُنِ رَجُلٍ مـن البصرة حصاة، فعالَجَتها الأطباءُ فلم يقدروا عليها، حتَّى وصلَت إلى صِماخه، فأسهَرَت لَيلَه، ونغَّصَت عيشَ نهارِه، فأتى رجلًا من أصحابِ الحسنِ فشكى ذلك إليه، فقال: وَيحَك! إن كان شيءٌ ينفعك الله تعالى به فدعوةُ العلاء التي دعا بها في البحر وفي المَفازة، فقال: وما هي؟

فقال: يا عليُّ يا عظيم، يا حليمُ يا عليم، فدعا بها، فوالله ما بَرِحنا حتَّى خرَجَت من أذنه وله طنينٌ حتَّى حكَّت الحائط، وبرئ»(٢).

* * *

[عُمَير بن سعد رضي الله عنه]

[٦٨] **ومنهم: عُمَيرُ بنُ سعد**(٣).

[٦٩/ب] صَحِبَ رسولَ الله ﷺ(٤).

وولّاه عمرُ حمص، فمكثَ حولًا لا يأتيه خَبرُه، فقال عمرُ لكاتِبه: اكتب إليه،

---

(١) انظر: «الدعاء» للضبي (٧٨)، و«الزهد» للإمام أحمد (٩٥١)، و«المستغيثين بالله تعالى» (١٥٤-١٥٥).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٧٠)، و«العدة للكرب والشدة» (٨١).

(٣) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣: ٣٠٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧١)، و«أسد الغابة» (٣: ٧٩١).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٦٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧١).

فوالله ما أراه إلّا قد خاننا، إذا جاءك كتابي هذا فأقبِل، وأقبِل بما جَبَيتَ من فيء المسلمين، فلمّا بلغَه الكتابُ أخذ عُمَيرٌ جِرابَه، فجعل[١] فيه زادَه وقَصعتَه وعلَّق إداوَتَه وأخذ عَنَزتَه، ثمَّ أقبل يمشي من حِمص حتى دخل المدينةَ وقد شَحَبَ لونُه، واغبَرَّ وجهُه وطالت شعرَتُه، فدخل على عمر، فقال: السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته[٢]، فقال عمر: ما شأنُك؟

فقال عُمَير: ما ترى من شأني؟ ألست تراني صحيحَ البدن، ظاهِرَ الدم، معي الدنيا أجُرُّها بقرنها؟ قال عمر: وما معك؟ وظنَّ أنّه قد جاء بمال، فقال: معي جرابي، أجعَلُ فيه زادي، وقَصعَتِي آكلُ فيها وأغسِل فيها ثيابي ورأسي، وإداوتي[٣] أحمل فيها وَضُوئي وشرابي، وعَنَزتي أتوكَّأ عليها وأجاهِدُ بها عدوًّا إن عَرضَ لِي، فوالله ما الدنيا إلّا تَبعٌ لمتاعي.

فقال عمر: جئتَ تمشي؟ قال: نعم، قال: أما كان لك أحدٌ يتبرَّع لك بدابّةٍ تركبها؟ فقال: ما فعلوا، وما سألتُهم، فقال: بئس المسلمون خرَجتَ من عندهم، فقال عُمَير: اتَّقِ الله تعالى يا عمر، قد نهاك الله تعالى عن الغِيبة، وقد رأيتُهم يُصَلُّون الغداة.

فقال له عمر: فأيُّ شيء صنعتَ؟ فقال: وما سُؤالُك يا أميرَ المؤمنين؟ فقال عمر: سبحان الله، فقال عُمَير: أما إنّي لولا أخشى أن أغُمَّك ما أخبرتُك، لمّا أتيت البلدَ جمعتُ صُلَحاءَ أهلها، فولَّيتُهم جبايةَ فَيئِهم، حتَّى إذا جمعوه وضعتُه مَواضِعَه، ولو نالك منه شيءٌ لأتيتُك به، فقال: ما جئتنا بشيءٍ؟ قال: لا والله، فقال عمر: جدِّدوا لعُمَيرٍ عهدًا، فقال: إنّ ذلك شيءٌ لا عَمِلتُه لكَ[٤]

(١) في (د): «جعل».
(٢) «وبركاته» ليس في (د).
(٣) في (د): «وإدواتي».
(٤) «لك» مثبت من المصادر.

ولا لأحَدٍ بعدَك، والله ما سلِمت، لقد قلت لنصرانيّ: أخزاك الله تعالى، فهذا ما عرَّضتَني له يا عمر، وإنّ أشقى أيّامي يومُ خُلِّفتُ معك، ثمَّ استأذنَه فأذِن له، فرجع إلى منزله، وبينه بين المدينة أميال.

فقال عمر: ما أراه إلّا قد خانَنا، ثمَّ بعث رجلًا بمئة دينار، وقال: انطلِق حتى تنزلَ به كأنّك ضيفٌ، فإن رأيت أثرَ شيءٍ فأقبِل، وإن رأيت حالًا شديدًا فادفَع المئةَ دينار، فانطلق الرجل، فوجدَ عُمَيرًا يَفلِي قيمصَه في جَنبِ حائط، فسلَّم عليه الرجل، فقال له عُمَير: انزل رحمك الله تعالى، فنَزل، ثمَّ سأله[١]، فقال: من أين جئت؟ قال: من المدينة، قال: فكيف تركتَ أميرَ المؤمنين؟ قال: صالحًا، فقال[٢]:/ كيف تركت المسلمين؟ قال: صالحين، فقال: أليس يُقِيم الحدودَ؟ [٧٠/أ]
قال: بلى، ضَربَ ابنًا له على فاحشة، فمات من ضربه[٣]، فقال: اللهمَّ أعِن[٤] عمر؛ فإنّي لا أعلمُه إلّا شديدًا حُبُّه لك.

فنزل به الرجلُ ثلاثةَ أيّامٍ وليس لهم إلّا قُرصةٌ من شعير يُطعِمُونه إيّاها ويَطوون، حتَّى أتاهم الجَهد، فقال له عميرٌ: قد أجَعتَنا، فإن رأيت أن تتحوَّلَ عنا فافعل، فأخرج الرجلُ الدنانِيرَ ودفعها[٥] إليه، وقال: بعث بها أميرُ المؤمنين إليك، فاستَعِن بها، فصاحَ وقال: لا حاجةَ لي فيها، فرَدَّها إليه، فقالت له امرأتُه: إن احتَجتَ إليها وإلّا فضعها مواضِعَها.

---

(١) في (د): «سائله». (٢) في (د): «قال».

(٣) قال ابن عبد البر في «الاستذكار» (٨: ٦): «جاء عن الشعبي عن يحيى بن أبي كثير وهو شيء منقطع أن عمر ضرب ابنه حدًّا، فأتاه وهو يموت فقال: يا أبتِي، قتلتَنِي، فقال له: إذا لاقيت ربك فأخبِره أن عمر يقيم الحدود.
وليس في هذا الخبر ما يقطع به على موته لو صحَّ، وحديث ابن عمر أصح».

(٤) في (ق): «أعز». (٥) في (ق): «فدفعها».

فقال عميرٌ: والله[١] ما لي شيءٌ أجعلها فيه، فشقَّت المرأةُ أسفل درعها، فأعطَته خِرقة، فجعلَها فيها، ثمَّ خرج فقسَّمها بين أبناءِ الشهداء والفقراء، ثمَّ رجع والرسولُ يظنُّ أنه يعطيهِ منها شيئًا، ثمَّ قال عُمَير: أقرئ أميرَ المؤمنين منِّي السلام.

فرحل إلى عمر، فقال له عمرُ[٢]: ما رأيتَ؟ فقال: رأيت حالًا شديدًا، فقال: فما[٣] صنع بالدنانير؟ قال: لا أدري، فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابِي فلا تضعه من يدك حتَّى تُقبِل، فأقبَل، فدخل على عمر، فقال له عمر: ما صنعت بالدنانير[٤]؟

فقال: صنعتُ ما صنعتُ[٥]، وما سؤالُك عنها؟

فقال له عمر: أنشدُك لَتُخبِرَنِّي ما صنعتَ بها؟ فقال: قدَّمتُها لنفسي، فقال عمر: رحمك الله، ثمَّ أمر له بوَسقٍ من طعامٍ وثوبَين، فقال: أمّا الطعامُ فلا حاجةَ لي فيه، وقد تركت في المنزل صاعَين من شعير، إلى أن آكُلَ ذلك قد جاء الله بالرِّزق، ولم يأخذ الطعام، وأما الثوبان فإنّ أمَّ فلانٍ عارية، فأخذَهما ورجع إلى منزله، فلم يَلبَث حتَّى مات، فبلغ ذلك عمر، فشقَّ عليه وترحَّم عليه، وخرج يمشي ومعه المَشّاؤون، ثمَّ قال عمر: وَدِدت لو أنّ رجلًا مثلَ عُمَيرٍ أستعين به في أعمال المسلمين[٦]، رضي الله عنهما.

* * *

(١) قوله: «والله» ليس في (د).
(٢) «عمر» ليس في (د).
(٣) في (ق): «ما».
(٤) قوله: «فقال له عمر» ليس في (ق).
(٥) بعدها في (ق): «فقال».
(٦) «المعجم الكبير» للطبراني (١٠٩)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٤٧-٢٤٨).

[أبو جُهَيم الأنصاري رضي الله عنه]

[٦٩] ومنهم: أبو جُهَيمٍ[١] الأنصاريُّ[٢].

واسمُه: عبدُ الله[٣].

قال ابنُ غزيّة: «كان لا يُجالِسُ الأنصار، وإذا قيل له في ذلك قال: الناسُ شرٌّ من الوحدة»[٤].

وكانَ يقول: لا أؤُمُّ أحدًا، وكان أعبدَ الناس وأشدَّهم اجتهادًا، وكان لا يفارِقُ المسجدَ[٥].

* * *

[شدّاد بن أوس رضي الله عنه]

[٧٠] ومنهم: شدّادُ بنُ أوسٍ[٦].

يُكنَّى: أبا يعلى[٧].

---

(١) في «صفة الصفوة»: «جهم».

(٢) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٩: ٣٥٥)، و«تهذيب الكمال» (٣٣: ٢٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٦).

(٣) انظر: «أسماء من يعرف بكنيته» (٣٦)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٣٤٦).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٧٦).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٧٦).

(٦) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٥٥٤)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٣٢٨)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٨٥).

(٧) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٥٥٤)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٣٢٨)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٨٥).

وكانت له عبادةٌ واجتهادٌ.

قال أسدُ بنُ وداعة: «كان إذا دخل الفراشَ يتقلَّب على فراشه، لا يأتيه [٧٠/ب] النوم، ثمَّ يقوم فيصلِّي حتَّى يُصبِح، ثمَّ يقول: اللهمَّ إنّ النارَ أذهبَت منِّي النوم»[١].

وفي رواية: «كان إذا أوى إلى فراشه كأنّه حبّةٌ على مِقلًى، فيقول: اللهمَّ إنّ النارَ أسهرَتني، ثمَّ يقوم إلى الصلاة»[٢].

قال زيادُ بنُ ماهك: كان شدّادٌ يقول: «إنّكم لم تَرَوا من الخير إلّا أسبابَه، ولم تَرَوا من الشرِّ إلّا أسبابَه، الخيرُ كلُّه بحَذافيرِه في الجنّة، والشرُّ كلُّه بحَذافيرِه في النار، وإنّ الدنيا عَرَضٌ حاضِر، يأكل منها البَرُّ والفاجر، والآخرةُ وعدٌ صادِقٌ يَحكُمُ فيها مِلكٌ قاهِر، ولكلٍّ بَنُون، فكونوا من أبناءِ الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا»[٣].

قال محمودُ بنُ الرَّبيع: قال شدّادٌ لمّا حَضَرَته الوفاة: «إنّ أخوفَ ما أخاف على هذه الأمّة الرياءُ والشهوةُ الخفيّة»[٤].

قال أبو الدرداء: «إنّ لكلِّ أمّةٍ فقيهًا، وإنّ فقيهَ هذه الأمّةِ شدّادُ بنُ أوس»[٥].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٦٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٤١٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٧).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٥٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٧).

(٣) «شعب الإيمان» (٦٤١٠)، و«حلية الأولياء» (١: ٢٦٤)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٤٤٨).

(٤) انظر: «الزهد» لأبي داود (٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٧).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٢٦٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٤١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٧).

مات شدّادٌ بفلسطين سنةَ ثمانٍ وخمسين، وهو ابنُ خمسٍ وسبعين سنةً، رضي الله عنه[١].

❋ ❋ ❋

[أنس بن مالك رضي الله عنه]

[٧١] **ومنهم**: أنسُ بنُ مالكٍ[٢].

أمُّه أمُّ سُليم.

ذهبت به أمُّه إلى رسول الله ﷺ حين قَدِم المدينة، فكان يخدمه، وكان له من العمر حينئذٍ تسعُ سنين، وقيل: ثمانِ، وقيل: عشرٌ.

قال أنسٌ: فخَدَمتُه تسعَ سنين، فما قال لشيءٍ قطُّ صنعتُه: أسأتَ، أوْ[٣] بئس ما صنعت[٤].

قال أنسٌ: قالت أمي: يا رسولَ الله، خُوَيدِمُك، ادعُ الله له، فقال: «**اللهمَّ أكثِر مالَه وولدَه، وأطِل عُمرَه، واغفر ذنبَه**»[٥].

قال أنسٌ: «فدَفنتُ من صلبي مئةً غيرَ اثنَين، أو قال: مئةً واثنين، وإنّ ثمرتي لتحمل في السنة مرَّتَين، ولقد بَقِيت حتَّى سئمتُ الحياة، وأنا أرجو الرابعةَ»[٦].

---

(١) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ١٨٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٧).

(٢) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٣: ٤)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٦٥)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٦٥).

(٣) في النسخ: «أم».

(٤) «مسند أحمد» (١٢٢٥١).

(٥) في (د): «ذنوبه»، والحديث في «صحيح البخاري» (٦٣٣٤)، و«صحيح مسلم» (٦٦٠).

(٦) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٠٤)، و«مرآة الزمان» (٩: ٤٥٦).

قال ابنُه عبدُ الله: «كان أنسٌ يُطيلُ القيامَ في الصلاةِ حتَّى تَقطُرَ[١] قدماه دمًا»[٢].

قال أبو غالب: لم أرَ أحدًا أضَنَّ بكلامه من أنس[٣].

ماتَ بالبصرةِ سنةَ اثنَتَين[٤] وتِسعِين، وهو ابنُ تسع وتِسعِين، وقيل غيرُ ذلك، وغسَّله مُحمَّدُ بنُ سيرين، وهو آخِرُ مَن مات من الصحابة بالبصرة[٥]، رضي الله عنه.

* * *

[أبو سعيد الخُدري رضي الله عنه]

[٧٢] **ومنهم: أبو سعيدٍ الخُدريُّ**[٦].

واسمُه: سعدٌ[٧].

شهدَ الخندقَ وما بعدها، حفظَ من رسول الله ﷺ عِلمًا جَمًّا، أصبح يومًا وليس عنده طعامٌ وقد ربط حَجرًا على بطنه من الجوع، فقالت له امرأتُه: لو[٨]

---

(١) في (ق) و(د): «تفطرت».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٣٦٣)، و«المنتظم» (٦: ٣٠٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٨).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٢٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٩: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٧٨).

(٤) في (ق): «اثنين».

(٥) انظر: «الثقات» لابن حبان (٣: ٤)، و«مشاهير علماء الأمصار» (٦٥)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٦٥).

(٦) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٦٨)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٩٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٥٠).

(٧) انظر: «المعارف» (١: ٢٦٨)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤: ٩٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٥٠).

(٨) «لو» مثبت من المصادر.

أتيتَ النبيَّ ﷺ، فقد أتاه فلانٌ فسأله فأعطاه، وأتاه فلانٌ فسأله فأعطاه؟ فقلت: لا، [٧١/أ] حتَّى لا أجدَ شيئًا، فطلبتُ فلم أجد شيئًا، فأتيت النبيَّ ﷺ وهو يخطب، فأدركتُ من قوله: «**مَن يستغنِ يُغنِه الله، ومَن يَستعفِف يُعفَّه الله**»(١)، قال: فما سألت أحدًا بعده، وما زال الله عزَّ وجلَّ يرزقنا حتَّى ما أعلم أهلَ بيت من الأنصارِ أكثرَ أموالًا منّا، رضي الله عنه(٢).

* * *

[عبد الله بن سلام رضي الله عنه]

[٧٣] ومنهم: عبدُ الله بنُ سلام(٣).

يُكنَّى: أبا يوسفَ.

وكان اسمُه: الحصين، فلمّا أسلم سمّاه رسولُ الله ﷺ: عبدَ الله، وهو من وَلدِ يوسفَ بنِ يعقوبَ عليهم الصلاةُ والسلام(٤).

قال عبدُ الله: لمّا قَدِمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ انجفل الناسُ إليه، فكُنت فيمن أتى، فلمّا أثبتُّ وَجهَه عَرفتُ أنّه غيرُ وجهِ كذّاب، فسمِعتُه يقول: «**يا أيُّها النّاس، أفشُوا السلام، وصِلوا الأرحام، وأطعِموا الطعام، وصلُّوا بالليلِ والناسُ نِيام؛ تَدخُلوا الجنّةَ بسلام**»(٥).

---

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٧٧٥٢). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٧٩).

(٣) انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥: ٦٢)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٣٤٤) و«صفة الصفوة» (١: ٢٨١).

(٤) انظر: «رجال صحيح مسلم» (١: ٣٤٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨١)، و«أسد الغابة» (٣: ١٦٠).

(٥) «سنن ابن ماجه» (٣٢٥١)، و«سنن الدارمي» (٢٦٧٤).

قال أبو بُردةَ[١] بن أبي موسى: «قَدِمتُ المدينة، فأتيت عبدَ الله بنَ سلام، فإذا رجلٌ مُتخشِّع، فجلست إليه، فقال: يا ابنَ أخي، إنّك جلست إلينا، وقد حانَ قيامُنا، فتأذنُ؟»[٢]، رضي الله عنه، ما أحسنَ أدبه.

توفِّي بالمدينة سنةَ ثلاثٍ وأربعين.

❊ ❊ ❊

[سُهَيل بن عمرو رضي الله عنه]

[٧٤] ومنهم: سُهَيلُ بنُ عمرٍو[٣].

هو الذي تولَّى المُصالحةَ على[٤] القضيّة التي كانت[٥] بالحديبية، وأقام على دينه إلى الفتح، ولم يكن أحدٌ من كُبراءِ قريشٍ الذين تأخَّر إسلامُهم فأسلموا يوم فتح مكة أكثرَ صلاةً ولا صومًا ولا صدقةً، ولا أقبلَ على ما يَعنِيه من أمرِ الآخرة منه، حتَّى لقد شَحَبَ لونُه، وكان كثيرَ البكاء، رقيقًا عند قراءةِ القرآن[٦].

لقد رُئِيَ يختلفُ إلى معاذِ بنِ جبلٍ حتَّى يُقرِئَه القرآنَ وهو بمكّة، حتَّى خرج معاذٌ من مكّة، فقال له ضِرارُ بنُ الخطّاب: يا أبا يزيد، تختلف إلى هذا الخزرجيِّ يُقرِئُك القرآن، ألا يكون اختلافُك إلى رجلٍ من قومك من قريشٍ؟ / فقال: يا ضرار، هذا الذي صنع بنا ما صنع حتَّى سَبَقَنا كلَّ السبق، إنّي أختَلِف [٧١/ب]

(١) في (د): «بريدة».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٩: ١٣٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٢).

(٣) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (٢: ٦٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٦)، و«أسد الغابة» (٢: ٣٢٨).

(٤) في (د): «عن».

(٥) في (د): «كتبت».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٨٦-٢٨٧)، و«أسد الغابة» (٢: ٣٢٩).

إليه، فقد وضع الإسلامُ أمرَ الجاهليّة، ورفعَ الإسلامُ قومًا كانوا لا يُذكَرون، فليتَنا كنّا مع أولئك فتقدَّمنا[١].

قال الحسن: «صدق، لا يجعل الله تعالى عبدًا أسرعَ إليه كعبدٍ أبطأ عنه»[٢].

خرج سُهَيلٌ إلى الشام مُرابِطًا، فمات في طاعون عمواس سنة ثمانِ عشرة، رضي الله عنه[٣].

* * *

[أبو أُمامة الباهلي رضي الله عنه]

[٧٥] **ومنهم:** أبو[٤] أُمامةَ الباهليُّ[٥].

واسمُه: صُدَيٌّ[٦].

قال للنبي ﷺ: مُرني بعملٍ آخذُه عنك ينفعني الله تعالى به، قال: «**عليك بالصوم؛ فإنّه لا مِثلَ له**»[٧]، فكان هو وامرأتُه وخادِمُه لا يُلْفَوْنَ إلّا صيامًا، ثم قال

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٣: ٥٤)، و«المنتظم» (٤: ٢٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٧).

(٢) انظر: «مرآة الزمان» (٥: ٢٨٤)

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٨٧)، و«أسد الغابة» (٢: ٣٢٩).

(٤) في (د): «أبا».

(٥) انظر ترجمته في: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٥٥٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٩٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٧).

(٦) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٥٥٣)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ١٩٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٧).

(٧) «سنن النسائي» (٢٢٢٠).

لرسول الله ﷺ: إنّك قد أمَرتَنِي بأمر، وأرجو أن يكونَ الله تعالى قد نفعَني به، فمُرنِي بأمرٍ آخرَ ينفعني الله تعالى، فقال: «**اعلم أنّك لا تسجد لله تعالى سجدةً إلّا رفع الله تعالى لك بها**[١] **درجةً**»، أو[٢] قال: «**حَطَّ عنك بها خطيئةً**»[٣].

كان رضي الله عنه يُحِبُّ الصدقة، ويُعطي الدنانيرَ والدراهمَ والفلوس، حتى البصلة ونحوها، ولا يقف به سائلٌ إلّا أعطاه ما تهيَّأ له، حتَّى يضع في يدِ أحدهم البصلة، قالت امرأتُه: فأصبَحنا ذاتَ يومٍ وليس في بيته شيءٌ من الطعام لذلك، وليس عنده إلّا ثلاثةُ دنانير، فوقف سائلٌ فأعطاه دينارًا، ثمَّ آخَر فأعطاه دينارًا، ثمَّ آخر فأعطاه الثالث، قالت: فغَضِبت، وقلت: لم يَبقَ لنا شيءٌ، فاستلقى على فراشه، وأغلقتُ عليه بابَ البيت، فلمّا أذَّن الظهرُ جئتُه فأيقَظتُه، فراحَ إلى المسجد صائمًا، فاستقرَضتُ شيئًا اشتريت به عشاءً، فهيَّأت له سراجًا وعَشاءً، ووضعت مائدة، ودنوتُ[٤] من فراشه لأُمهِّده، فرفعت المرفقةَ فإذا بذَهب، فقلت في نفسي: ما صنعَ إلّا ثقةً بما جاء به، فعَددتُها فإذا هي[٥] ثلاثُ مئة دينار، فتَركتُها على حالها حتى انصرف عن العشاء.

قالت: فلما دخل ورأى ما هيَّأتُ له حمد الله تعالى وتبسَّم في وجهي، وقال: هذا خيرٌ من غيره، فجلس وتعشَّى، فقلت: يغفر الله تعالى لك، جئتَ بما جئت [٧٢/أ] به ثمَّ وضعتَه بموضع مَضيَعة، فقال: وما ذاك؟ فقلت: ما جئت به من الدنانير[٦]،

---

(١) «بها» ليس في (ق). (٢) في (د): «و».

(٣) «مسند أحمد» (٢٢١٩٦)، و«السنن الكبرى» للبيهقي (٨٤٨٠)، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧: ١٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٨).

(٤) كذا في المصادر، وفي النسخ: «وذفرت».

(٥) في (د): «هن». (٦) في (د): «الدنيا».

ورفعت[١] المِرفقةَ عنها، ففَزِع[٢] لما تحتها، فقال: وَيحَكِ! ما هذا؟ فقلت: لا علم لي به، إلّا أني وجدته على ما ترى، قالت: فكَثُر فزعُه[٣].

* * *

[تميم الداري رضي الله عنه]

[٧٦] ومنهم: تميمُ بنُ أوسٍ الدّارِيّ[٤].

وَفَد على رسول الله ﷺ في جماعة من الداريِّين مُنصرَفَه من تبوكَ فأسلم[٥].

قال ابنُ سيرين: «كان تميمٌ الدّاريُّ يَقرَأُ القُرآنَ في رَكعةٍ»[٦].

قال مسروقٌ: قال لي رجلٌ من أهل مكّة: «هذا مقامُ أخيكَ تميم، صلَّى ليلة حتى أصبح أو كَرُبَ أن يُصبِحَ يقرأ آيةً ويُردِّدها ويبكي: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الجاثية: ٢١] الآية»[٧].

قال يزيدُ بنُ عبد الله: «قال رجلٌ لتميمٍ الداريّ: ما صلاتُك بالليل؟ فغضب غضبًا شديدًا، ثمَّ قال: واللهِ لَركعةٌ أصلِّيها في جوفِ اللَّيلِ في سِرٍّ أحبُّ إليَّ من أن أُصلِّيَ الليلَ كلَّه ثمَّ أَقُصَّه على الناس، فغضب الرجل، ثمَّ قال: الله أعلمُ بكم

---

(١) في (د): «ودفعت». (٢) في (د): «ففرغ».

(٣) انظر: «كرامات الأولياء» للالكائي (٩: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٨).

(٤) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢٩١)، و«الاستيعاب» (١: ١٩٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١: ٥٢).

(٥) انظر: «المعارف» (١: ٢٩١)، و«المنتظم» (٥: ١٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٨٩).

(٦) «الزهد» لنعيم بن حماد (١: ٤٥٢)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٦٩١).

(٧) «السنن الكبرى» للنسائي (١١٨٣٣)، و«مسند ابن الجعد» (١١٠)، و«الزهد» لأبي داود (٣٧٩).

يا أصحابَ رسول الله ﷺ، إن سألناكم عنَّفتُمُونا، وإن لم نسألكم أخفيتُمونا، فأقبل عليه تميم، ثمَّ قال: أرأيتُك لو كنتَ مؤمنًا قويًّا وأنا مؤمنٌ ضعيفٌ، أَشَاطِيَّ أَنْتَ[١] على ما أعطاك الله عزَّ وجلّ، ولكن خذ من دينك لنفسك، ومِن نفسِكَ لدينِكَ حتَّى تستقيمَ على عبادةٍ تُطيقُها»[٢].

قال صفوانُ بنُ سُلَيم: «قام تميمٌ الداريُّ في المسجد بعد أن صلَّى العشاء يمرُّ بهذه الآية: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤]، فما خرج منها حتى سَمِعَ أذانَ الصبح»[٣].

قال مُحمَّدُ بنُ المنكدر: قال أبي: «نام تميمٌ ليلةً لم يَقُم يتهجَّد فيها حتَّى أصبح، فقام سنةً لم ينَم فيها؛ عقوبةً للذي صنع»[٤]، رضي الله عنه.

* * *

[عبد الله بن عباس رضي الله عنهما]

[٧٧] ومنهم: عبدُ الله بنُ العبّاس بن عبد المطلب[٥].

---

(١) كذا في بعض المصادر، وورد أيضًا: «أكنت ساطيًا علي بقوتك فتقطعني». وجاء في النسخ: «أشاطك أنا».

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (١١٠٦)، و«الزهد» لهناد (٥٠٣)، و«شعب الإيمان» (٥: ٣٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٩٠).

(٤) «شعب الإيمان» (٢٩٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١: ٧٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٠).

(٥) انظر ترجمته في: «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٧٤)، و«مختصر تاريخ دمشق» (١٢: ٢٩٣)، و«البداية والنهاية» (٨: ٢٩٥).

وُلِد في الشِّعبِ وبنو هاشِمٍ مَحصورون قبل خروجهم بيسير، وذلك قبل الهجرة بثلاثِ سنين، وتُوفِّي رسولُ الله ﷺ وهو ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنةً(١).

وكان رضي الله عنهُ حَبرَ هذه الأمة، ويُسمَّى البحر؛ لغزارةِ عِلمِه، وكان يُفتِي في عَهدِ الصدِّيقِ والفاروقِ رضي الله عنهما، ويُشاوِرانِه مع أهل بدر. [٧٢/ب]

دعا له رسولُ الله ﷺ، فقال: «**اللهمَّ فقِّهه في الدين، وعَلِّمه التأويلَ**»(٢).

قال ابنُ عبّاس: «رأيتُ جبريل مرَّتَين»(٣).

قال عكرمة: قال ابنُ عبّاس: «لمّا قُبِضَ رسولُ الله ﷺ قلتُ لرجلٍ من الأنصار: هلُمَّ فلنسأل أصحابَ رسول الله ﷺ؛ فإنّهم اليوم كثيرٌ، فقال: واعَجبًا لك يا ابنَ عبّاس، أترى الناسَ يفتَقِرون إليك وفي الناس من أصحاب رسول الله ﷺ مَن فيهم؟

قال: فتركت ذاك، وأقبلت أسألُ أصحابَ رسول الله عن الحديث، فإن كان لَيبلُغني الحديثُ عن الرجلِ فآتي بابَه وهو قائِل، فأتوسَّد التراب، فيخرجُ فيراني، فيقول: يا ابنَ عمِّ رسول الله، ما جاء بك، ألا أرسلتَ إليَّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقُّ أن آتِيَك، فأسألُه عن الحديث، فعاشَ ذلك الرجلُ الأنصاريُّ حتَّى رآني وقد اجتمع الناسُ حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقلَ منِّي»(٤).

---

(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٧٤)، و«البداية والنهاية» (٨: ٢٩٥).

(٢) «صحيح البخاري» (١٤٣)، و«صحيح مسلم» (٢٤٧٧)، وانظر: «المنتظم» (٦: ٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٤).

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٠٦١٥)، و«المعرفة والتاريخ» (١: ٥١٩).

(٤) «سنن الدارمي» (٥٩٠)، و«فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١٩٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٦).

قال ابنُ بُرَيدةَ: «شَتمَ رجلٌ ابنَ عبّاس، فقال له: إنّك لَتشتُمني وفيَّ ثلاثُ خصالٍ، إنّي لَأعلمُ الآيةَ من كتابِ الله عزَّ وجلّ، ولَوددت أنّ جميعَ الناس يعلمون منها ما أعلم، وإنّي لَأسمعُ بالحاكم من حُكّامِ المسلمين يَعدِل في حكمه فأفرح به، ولعلّي لا أُقاضي[1] إليه أبدًا، وإنّي لأسمعُ بالغيثِ قد أصاب البلدَ من[2] بلادِ الإسلام فأفرح به وما لي من سائمةٍ»[3]، رضي الله عنه.

قال الضحّاك: قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «يا صاحِبَ الذنب لا تأمن سوءَ عاقبته، ولَما يَتبَعُ الذنبَ أعظمُ من الذنب إذا عَمِلتَه؛ قِلّةُ حيائك ممَّن على اليمين والشمال وأنت على الذنبِ أعظمُ من الذنب، وفرحُك بالذنبِ إذا ظَفِرتَ به أعظمُ من الذنب، وحزنُك على الذنبِ إذا فاتك أعظمُ من الذنب إذا ظَفِرتَ به، وخوفُك من الريح إذا حرَّكَت سِترَ بابك وأنت على الذنب ولا يَضطرِبُ فؤادُك من نظرِ الله تعالى إليك أعظمُ من الذنب إذا عملته»[4].

قال ابنُ أبي مُلَيكة: «صَحِبتُ ابنَ عبّاسٍ من مكّةَ إلى المدينة، فكان إذا نزل قامَ شطرَ الليل يُرتِّل، ويُكثِر في ذلك التسبيحَ»[5]. [٧٣/أ]

قال أبو رجاء: «كان هذا الموضِعُ من ابن عبّاسٍ مجرى الدموع كأنّه الشِّراكُ البالي»[6].

---

(١) في (د): «أقضي». (٢) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة واحدة.

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٠٦٢١)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٢١).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٢٤)، و«ذم الهوى» (١٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٨).

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧: ٢٤٤)، و«فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١٨٤٠)، و«شعب الإيمان» (٣: ٤١٦).

(٦) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٥٢٢)، و«فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١٨٤٣)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٢٩).

قال طاوس: «ما رأيت أحدًا كان أشدَّ تعظيمًا لحُرُمات الله عزَّ وجلَّ من ابن عباس، والله لو أشاء إذا ذكرتُه أن أبكيَ لبَكيت»(١).

قال سِماكٌ: «سقط في عينَي ابنِ عبّاسٍ الماء، فذهب بصرُه، فأتاه هؤلاء الذين ينقبون(٢) العيون، فقالوا: خَلِّ بيننا وبين عينَيك نسيلُ(٣) ماءَهما، ولكنَّك تُمسِكُ عن الصلاةِ خمسةَ أيّامٍ لا تُصلِّي(٤)، فقال: لا والله ولا ركعةً واحدةً؛ إنّي حُدِّثتُ أنّه «**مَن ترك صلاةً واحدةً مُتعمِّدًا لقي الله عزَّ وجلَّ وهو عليه غضبانُ**»(٥).

قال عكرمة: قال ابنُ عبّاس: «لَأن أعولَ أهلَ بيتٍ من المسلمين شهرًا أو جمعةً، أو ما شاء الله تعالى، أحبُّ إليَّ من حَجّةٍ بعد حجّة، ولَطبقٌ بدانِقٍ أُهديه إلى أخٍ في الله أحَبُّ إليَّ من دينارٍ أنفقه في سبيل الله عزَّ وجلَّ»(٦).

قال الضحّاك: قال ابنُ عبّاس: «لمّا ضُرِبَ الدينارُ والدرهمُ أخذه إبليسُ ووضعه(٧) على عينه، وقال: أنت ثمرةُ قلبي، وقرّةُ عيني، بك أُطغي وبك أُكفِّر، وبك أُدخِلُ النار، رضيت من ابن آدم بحبِّ الدنيا أن يعبدني»(٨).

توفِّي بالطائف سنةَ ثمانٍ وستِّين، وهو ابنُ إحدى وسبعين سنة.

---

(١) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢: ٩٥٠)، و«أخبار مكة» للفاكهي (١٤٨٧)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٢٩).

(٢) في (ق): «يتفقرون». (٣) في (د): «نشيل».

(٤) في (د): «تصلّ».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٩٨)، و«البداية والنهاية» (٨: ٣٠٥).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٨).

(٧) في (د): «فوضعه».

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٢٨)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (ص: ٤٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٢٩٨).

قال ميمونُ بنُ مِهران: «شَهِدتُ جَنازةَ ابن عبّاس، فلمّا وُضِعَ لِيصلَّى عليه جاء طائرٌ أبيضُ حتَّى دخل في أكفانه، فالتُمِس فلم يوجد، فلمّا سُوِّي عليه الترابُ[١] سمعنا صوتًا ولا نرى شخصًا: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

ولمّا بلغ جابرًا رضي الله عنه موتَه ضرب بإحدى يدَيه الأخرى، وقال: قد أُصِيبَت هذه الأمّةُ بمصيبةٍ لا تُرتَق، رضي الله عنه وأرضاه»[٢].

*   *   *

[الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما]

[٧٨] ومنهم: الحسنُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما[٣].

ويكنَّى: أبا مُحمَّد.

وُلِدَ في النصف من رمضانَ سنةَ ثلاثٍ من الهجرة، وأذَّن رسولُ الله ﷺ في أُذُنه[٤].

قال البَراء: رأيتُ رسول الله ﷺ واضعًا الحسنَ على عاتِقِه، وهو يقول: «**اللَّهُمَّ[٥] إنّي أُحِبُّه، فأحِبَّه**»[٦]. أخرجه الشيخان.

---

(١) «التراب» ليس في (ق).

(٢) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٤٨٩)، و«مرآة الزمان» (٨: ٤٥٧)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٧٥).

(٣) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٤٠٣)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣: ١٩)، و«الثقات» لابن حبان (٣: ٦٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٢٩٩). (٥) في (ق): «الله».

(٦) «صحيح البخاري» (٣٧٤٦)، و«صحيح مسلم» (٢٤٢٢).

قال الحسن: «إنّي لأستحيي من ربِّي أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته، فمشى عشرينَ مرّةً من المدينة على رِجلَيه»[1]. [٧٣/ب]

وفي روايةِ عليِّ بنِ زيد: حجَّ الحسنُ خمسَ عشرةَ حجّةً ماشيًا، وإن النجائبَ لَتُقاد معه[2]، وسَمِعَ رجلًا يسألُ رَبَّهُ أن يرزقَه عشرةَ آلاف، فبعث الحسنُ بها إليه.

وخرج من ماله مرَّتَين، وقاسَمَ الله تعالى مالَه ثلاثَ مرّات، حتى إن كان لُيعطي نعلًا ويُمسِكُ نعلًا[3].

مرض رضي الله عنه أربعين يومًا، وكان مسمومًا[4]، قال له أخوه الحُسَينُ وهو يَجُود بنفسه: يا أخي، مَن تـتَّهمُ لنقتُلَه؟ فقال الحسـن: إن يكن الذي أظنُّ فاللهُ أشدُّ بأسًا وأشدُّ تنكيلًا، وإلّا يكن فما أحِبُّ أن يُقتَلَ فيَّ بريءٌ. ثمَّ قضى رضي الله عنه.

تُوفِّي رضي الله عنهُ لخمسٍ ليالٍ خَلَون من ربيع الأوَّل سنةَ خمسين، ودُفِن بالبقيع، رضي الله عنه[5].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢: ٦٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٠)، و«البداية والنهاية» (٨: ٣٧).

(٢) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٠).

(٣) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٠).

(٤) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ١٥٨).

(٥) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠١)، و«تهذيب الأسماء واللغات» (١: ١٥٨).

[الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما]

[٧٩] **ومنهم**: الحُسَينُ بنُ عليٍّ رضي الله عنهما[١].

وُلِد في شعبانَ سنةَ أربعٍ من الهجرة[٢]، قال رسولُ الله ﷺ عنه وعن الحسن: «**هذانِ ابناي، فمَن أحبَّهما فقد أحبَّني**»[٣].

قال عُبَيدُ بنُ عُمَير: «حجَّ الحسينُ خمسًا وعشرين حجّةً ماشيًا ونَجائِبُه[٤] تُقادُ معه»[٥].

قُتِل الحسينُ يومَ الجمعة يومَ عاشوراء، في المُحرَّمِ سنة إحدى وستين، وهو ابنُ ستٍّ وخمسين سنةً وخمسةِ أشهر، وقيل: ابنُ ثمانٍ وخمسين، رضي الله عنه[٦].

***

[عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما]

[٨٠] **ومنهم**: عبدُ الله بنُ الزُّبَير بن العوّام[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٤٠٣)، و«مقاتل الطالبيين» (٨٤)، و«الاستيعاب» (١: ٣٩٢).

(٢) انظر: «مقاتل الطالبيين» (٨٤)، و«الاستيعاب» (١: ٣٩٢)، و«المستخرج من كتب الناس» (١: ١٢).

(٣) «جامع الترمذي» (٣٧٦٩)، و«السنن الكبرى» للنسائي (٨٤٧١) قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب».

(٤) في (د): «وجنائبه».

(٥) انظر: «المنتظم» (٥: ٣٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠١).

(٦) انظر: «مقاتل الطالبيين» (٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠١).

(٧) انظر ترجمته في: «معجم الصحابة» لابن قانع (٢: ١٢٦)، و«الاستيعاب» (٣: ٩٠٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢).

يكنَّى أبا بكر[١].

أُمُّه أسماءُ بنتُ الصدِّيق، رضي الله عنهم، وهو أوَّلُ مولودٍ وُلِد للمهاجرين بالمدينة بعد الهجرة، وأذَّن الصِّديقُ رضي الله عنه في أذنه، وحنَّكه رسولُ الله ﷺ بتمرةٍ بعد أن وضعه في حجره، ودعا له وبرَّكَ عليه[٢].

قال مجاهدٌ: «ما كان بابٌ من العبادة يعجز عنه الناسُ إلّا تَكَلَّفَهُ[٣] عبدُ الله ابن الزبير، ولقد جاء سيلٌ طبَّقَ البيت، فجعل ابنُ الزبير يطوف سِباحةً»[٤].

قال عمرُو[٥] بنُ دينار: «رأيت ابنَ الزبير يصلِّي في الحِجرِ مُخافِضًا بصرَه، فجاء حَجرٌ قُدامَهُ[٦] فذهب ببعض ثوبه، فما انفَتلَ»[٧].

قال مجاهدٌ: «كان ابنُ الزبير إذا أقام في الصلاة كأنّه عودٌ من الخشوع»[٨].

قال يحيى بنُ وثّاب[٩]: «كان ابنُ الزبير يسجد حتى تنزلَ العصافيرُ على ظَهرِه لا تحسبُه إلّا جِذمَ حائطٍ»[١٠].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢). (٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢).

(٣) في (ق): «وكلفه».

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٧٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«الكامل في التاريخ» (٣: ٤٠٨).

(٥) في (ق): «عمر». (٦) في (ق): «مدافه»، وفي (د): «مذافه».

(٧) «الزهد» لأبي داود (٣٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٩) في (د): «وتاب».

(١٠) «الزهد» للإمام أحمد (١١١٤)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٣: ٥١٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

قال ابنُ المُنكَدِر: «لو رأيتَ ابنَ الزبير يُصلِّي كأنه غصنُ شجرةٍ تَصْفِقُها الريحُ»(١).

قال عمرُ بنُ قيس: «دَخَلَت أمِّي على ابنِ الزبير بيتَه، فإذا هو يُصلِّي، فسقطَت حيّةٌ من السقفِ على ابنه هاشم، فتطوَّقَت على بطنه وهو نائمٌ، فصاح أهلُ البيت: الحيّة، ولم يزالوا بها حتَّى قتَلُوها، ولم يلتَفِت ولا عَجِل، فلمّا فرغ، قال: ما [٧٤/أ] بالكم؟ قالت أمُّ هاشم: رحمك الله تعالى، أرأيت إن كنّا هُنّا عليك يهون عليك ابنُك؟ فقال: وَيحَكِ ما كانت التفاتةٌ لو التفتُّها مُبقيةً من صلاتي»(٢).

قال محمدُ بنُ حُميد: «كان ابنُ الزبير يُحيي الدهرَ أجمع؛ ليلةً قائمًا حتَّى يصبح، وليلةً يحييها راكعًا حتى الصباح، وليلةً ساجدًا حتى الصباح»(٣).

قال مسلمُ بنُ نياقٍ المكِّيّ: «ركع ابنُ الزبير يومًا ركعةً، فقرأتُ البقرةَ وآل عمران والنساء والمائدة وما رفعَ رأسَه»(٤).

وحَدَّثَ(٥) جمعٌ كثيرون أنّه كان يُواصِلُ الصيامَ سبعًا، يصومُ يومَ الجمعة ولا يُفطِر إلّا ليلة الجمعة، ويصوم بالمدينة ولا يُفطِر إلّا بمكّة، ويصوم بمكّةَ ولا يُفطِر إلّا بالمدينة(٦).

---

(١) «الزهد» للإمام أحمد (١٠٣٧)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٣٥)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣: ١٦٥١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٠٢-٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٣) انظر: «مختصر قيام الليل» (٤٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦١).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٧١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«أسد الغابة» (٣: ١٣٨).

(٥) في (ق): «وحد».

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣)، و«مرآة الزمان» (٩: ٦٢).

قالت أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ الصدِّيق، رضي الله عنها: «كان ابنُ الزبير قَوّام الليل صَوّام النهار، وكان يسمَّى حمامةَ المسجد»[١].

قال وهبُ بنُ كَيسان: «كتب إليَّ ابنُ الزبير: أمّا بعدُ، فإنّ لأهل التقوى علاماتٍ يُعرَفون بها، ويَعرفونها من أنفُسِهم: مَن صبرَ على البلاء، ورَضِيَ بالقضاء، وشكرَ النَّعماء، وذلَّ لحكم[٢] القرآن، وإنّما الإمامُ كالسوق ما نفق فِيهَا حُمِلَ إليها، إن نفق الحقُّ عنده حُمِلَ إليه، وجاءه أهلُ الحقّ، وإن نفق الباطِلُ عنده جاءه أهلُ الباطل»[٣].

حدَّث هشامُ[٤] بنُ عروةَ عن أبيه، قال: «لمّا كان الغداةُ التي قُتِلَ فيها ابنُ الزبير دخل على أمِّه أسماءَ بنتِ أبي بكر، وهي ابنةُ مئة سنةٍ لم يسقط لها سِنٌّ، فقالت: يا عبدَ الله، ما فعَلتَ في حَربِك؟ قال: بَلَغُوا مكان كذا وكذا، وضَحِك، ثمَّ قال: إنّ في الموت لَراحةً، فقالَت أسماء: يا بُنيّ، لعلَّك تَتمَنّاهُ لي[٥]، ما أحبُّ أن أموتَ حتَّى آتِيَ على أحد طرفَيك، إمّا أن تَملِكَ فتَقَرَّ بذلك عيني، وإمّا أن تُقتَلَ فأحتَسِبَك، ثمَّ ودَّعها، فقالت له[٦]: يا بُنيّ، إيّاك أن تُعطِيَ خَصلةً من دينك مخافةَ القتل، وخرج عنها وهو يقول:

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١: ٣٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣).

(٢) في (د): «ودل بحكم».

(٣) انظر: «الزهد» لأبي داود (٣٧٦)، و«حلية الأولياء» (١: ٣٣٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٣).

(٤) في (د): «هاشم».

(٥) «لي» ليس في (ق).

(٦) «له» ليس في (د).

ولَســتُ بمُبتاعِ الحَياةِ[١] بسُــبّةٍ ولا مُرتَقٍ من خَشيةِ المَوتِ سُلَّما[٢]

ثمَّ قال: واللهِ ما لقيتُ زحفًا قطُّ إلّا في الرعيلِ الأوّل، ثمَّ حَملَ عليهم فأصابَته آجُرّةٌ في مَفرَقِه حتَّى فَلَقَت رأسَه، فقال:

ولَسنا على الأعقابِ تَدمَى كُلومُنا ولَكِن على أقدامنا يَقطُرُ الدمُ[٣] [٧٤/ب]

قُتِلَ يومَ الثلاثاء لسبعَ عشرةَ خلت من جُمادى الأولى سنةَ ثلاثٍ وسبعين، وهو ابنُ اثنَين وسبعِين سنةً، رضي الله عنه.

* * *

[المِسوَر بن مَخرَمة رضي الله عنه]

[٨١] **ومنهم**: المِسوَرُ بنُ مَخرَمة[٤].

يكنَّى: أبا عبد الرحمن.

قُبِضَ رسولُ الله ﷺ وهو ابن ثمانِ سنين[٥].

احتَكرَ في زمانِ عُمرَ طعامًا، فرأى سحابًا من سحاب الخريف فكرهه، فلمّا أصبح أتى السوق فقال: مَن جاءني وَلَّيتُه، يعني: عقد بيعه، فبلغ ذلك عمر،

---

(١) قوله: «ولست بمبتاع الحياة» في (ق): «ولست بمتاع».

(٢) البيت من الطويل، وهو للحصين بن الحمام المرّي. وانظر: «تاريخ الطبري» (٦: ١٩١)، و«الاستيعاب» (٣: ٩٠٨)، و«تاريخ دمشق» (٢٨: ٢٣٢).

(٣) البيت من الطويل. وانظر: «أخبار مكة» للفاكهي (١٦١٩)، و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣٠)، و«المستدرك» للحاكم (٦٣٣٩).

(٤) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٤٢٩)، و«معجم الصحابة» للبغوي (٥: ٣٥٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٥).

(٥) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٥).

فأتاه بالسوق، فقال: أجُنِنتَ يا مسورُ؟ فقال: لا والله يا أميرَ المؤمنين، ولكنِّي رأيتُ سحابًا فكَرِهتُه، فكرهت ما ينفع الناس، وكرهتُ أن أربح فيه، فقال عمر: جزاك الله تعالى خيرًا[١].

وكان مِسورٌ لا يشرب من الماء الذي يُوضَع في المسجد، ويكرهه، ويرى أنه صدقةٌ، وكان يصوم الدهرَ[٢].

توفِّي سنةَ أربعٍ وستِّين، وهو ابنُ اثنتَينِ وستِّين[٣]، رضي الله عنه[٤].

وهؤلاء كلُّهم من الصحابة، رضي الله عنهم وأراضاهم، ورَضِي عنّا بهم.

وقُطبُهم الصدِّيقُ رضي الله عنه، وناهيك به من صِدِّيق، ولا غروَ أنّ بِنتَه أُمَّنا أمَّ المؤمنين عائشة[٥] رضي الله عنها شابَهَته فيما حصل[٦] له من حُسنِ الصحبة، وكيف لا وقد جُبِلا على حُسن التأسِّي بسيِّد السابقين واللاحقين، فتأسَّى بهم مَن سبَقَت له العناية.

وإنّ الأُلَى[٧] بالطَّفِّ[٨] مِن آلِ هاشِمٍ   تَأَسَّوا فسَنُّوا لِلكِرامِ التَّأسِّيا[٩]

---

(١) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٥).

(٢) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٥).

(٣) قوله: «وهو ابن اثنتين وستين» ليس في (ق).

(٤) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٠٥).

(٥) ترجم لها المؤلف في كتابه «سير السالكات» برقم (٣).

(٦) في (د): «جعل».

(٧) في النسخ: «الأولى».

(٨) الطَّفّ؛ بفتح أوَّله، وتشديد ثانيه: هو بناحية العراق، من أرض الكوفة، والصحيح أنه على فرسخين من البصرة. انظر: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد» (٣: ٨٩١)، و«معجم البلدان» (٤: ٣٥)، و«مراصد الاطلاع» (٢: ٨٨٨).

(٩) البيت من الطويل، وهو منسوب لسليمان بن قتة. انظر: «الأغاني» (١٩: ١٢٩)، و«الطبقات =

قال عطاءٌ: «بعث معاويةُ إلى عائشةَ رضي الله عنها بطَوقٍ من ذهبٍ فيه جَوهرٌ قُوِّمَ بمئة ألف، فقسَمَته بين أزواج النبيِّ ﷺ»(١).

قال مُحمَّدُ بنُ المنكدر: قالت أمُّ دُرّةَ ـ وكانت تخدم عائشةَ رضي الله عنها ـ قالت: «بعث إليها ابنُ الزبير بمالٍ في غِرارتَين أراه ثمانين ومئة ألف، فدعت بطَبقٍ وهي يومئذٍ صائمة، فجلست تَقسِمه بين الناس، فأمسَت وما عندها من ذلك درهم، فلمّا أمسَت قالت: يا جارية، هلُمِّي فِطرِي، فجاءتها بخبزٍ وزَيت، فقالت لها أمُّ درّة: أما استطعتِ ممّا قَسمتِ أن تشتري لنا بدرهمٍ لحمًا نُفطِر عليه؟ فقالت: لا تُعنِّفيني، لو كنتِ ذكَّرتِني لَفعَلتُ»(٢).

لله درُّها، نَسِيَت نفسها من شدّة حرصِها على الخير، والناسُ اليومَ عكسُ ذلكَ؛ يَنسَون الضعفاء، إنّا لله وإنّا إليه راجعون في مصيبةٍ ألمَّت بنا.

قال عروة: «لقد رأيت عائشةَ رضي الله عنها تَقسِم سبعين ألفًا وهي تَرقَع دِرعَها»(٣).

قال عروة: «كانت عائشةُ رضي الله عنها تَسرُدُ الصومَ»(٤).

قال أبو عبد الرحمن القاسم: «كانت عائشةُ رضي الله عنها/ تصومُ الدهرَ [٧٥/أ] ولا تفطر إلّا يومَ أضحى أو يومَ فِطر»(٥).

= الكبرى» (٢: ٨٩)، و«تاريخ الطبري» (٦: ١٥٦)، و«معجم ديوان الأدب» (٤: ٢٤٤)، و«التذكرة الحمدونية» (٢: ٤٦٢).

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٢).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣١٨)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٢).

(٤) انظر: «الصيام» للفريابي (١٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٩).

(٥) انظر: «الصيام» للفريابي (١٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٥).

قال القاسم: «كنتُ إذا غدَوتُ أبدأ ببيتِ عائشةَ رضي الله عنها، أُسَلِّمُ عليها، فغدَوتُ يومًا فإذا هي قائمةٌ تُسبِّحُ وتقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، وتدعو وتبكي، وتُردِّدُها حتَّى مَلِلتُ القيام، فذهَبتُ إلى السوق لحاجتي، ثم جئت فإذا هي قائمةٌ كما هي تُصلِّي وتبكي»(١).

قالت: «مَن سرَّه أن يَسبِقَ الدائِبَ المجتهدَ فليَكُفَّ عن الذنوب»(٢).

قال ذَكوانُ حاجِبُ عائشةَ رضي الله عنها: «جاء عبدُ الله بنُ عبّاسٍ يستأذِنُ على عائشة، فجِئتُ وعند رأسِها ابنُ أخيها عبدُ الله بنُ عبد الرحمن، فقُلت: هذا ابنُ عبّاس، فقالت: دعني من ابن عبّاس، فقال لها: يا أمّاه، إنّ ابنَ عبّاسٍ من صالِحي بَنِيكِ يُسلِّم عليك، وكانت إذ ذاك شاكيةً، فقالت: ائذن له إن شئت، فأدخلتُه، فلمّا جلس قال: أبشِري، فما بينك وبين أن تَلقَي مُحمَّدًا ﷺ والأحبّةَ إلّا أن تخرج الروحُ من الجسد، كنتِ أحبَّ نساءِ رسولِ الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ(٣)، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يُحبُّ إلّا طيِّبًا، وسقطَت قِلادتُك يومَ الأبواء(٤)، فأصبح رسولُ الله ﷺ حتَّى يُصبِحَ في المنزل، وأصبحَ الناسُ ليس معهم ماءٌ، فأنزل الله عزَّ وجلّ: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: ٤٣]، فكان ذلك في سبيلِك، وما أنزل الله لهذه الأمّةِ من الرخصة، وأنزل الله عزَّ وجلَّ براءتَك(٥)، جاء بها الروحُ الأمينُ عليه السلام، فأصبح ليس مَسجِدٌ من مساجد الله تعالى

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (٧: ٤٠٥-٤٠٦).

(٢) «مسند أبي يعلى» (٤٩٥٠)، و«شعب الإيمان» (٦٩٢٨).

(٣) قوله: «إلى رسول الله ﷺ» ليس في (د).

(٤) «صحيح البخاري» (٣٣٤)، و«صحيح مسلم» (٣٦٧).

(٥) «صحيح البخاري» (٧٥٤٥)، و«صحيح مسلم» (٢٧٧٠).

يُذكَر فيه الله تعالى إلّا يُتلَى فيه آناءَ الليلِ وآناءَ النَّهار، فقالت: دعني منك يا ابنَ عبّاس، فوالذي نفسي بيدِه، لوَدِدتُ أنِّي كنت نسيًا منسيًّا»(١).

تُوفِّيت رضي الله عنها ليلةَ الثلاثاء لسبعَ عشرةَ مَضت من رمضانَ سنةَ ثمانٍ وخمسين، وهي ابنةُ ستٍّ وستِّين سنةً(٢)، كذا قاله الواقديُّ.

وقال غيرُه: تُوفِّيت(٣) سنةَ سبعٍ وخمسين، وأوصَت أن تُدفَن بالبقيعِ مع صواحِبِها، وصلَّى عليها أبو هريرة، وهو خليفةُ مَروانَ بالمدينة، وقيل غيرُ ذلك رضي الله عنها(٤). [٧٥/ب]

وقد وقع لأمِّ شَرِيكٍ(٥) ضرَّتِها شيءٌ عجيبٌ، يحمل(٦) المرءَ على حُسن التوكُّل، قال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: «وقع في قلب(٧) أُمِّ شريكٍ الإسلامُ وهي بمَكّةَ فأسلَمَت، وكانت(٨) تدخل على نساء قريش سِرًّا، فتدعوهنَّ وتُرَغِّبُهُنَّ في الإسلام، حتَّى ظهر أمرُها لأهل مكّةَ فأخذوها، وقالوا: لولا قومُك لفَعَلنا بك وفعَلنا، ولكنّا نُسيِّرُك إليهم، قالت: فحَمَلُوني على بعيرٍ ليس تحتي شيءٌ، ثمَّ تركوني ثلاثًا لا يُطعِموني ولا يَسقُوني، وكانوا إذا نزلوا منزلًا أوثَقُوني في الشمس واستظَلُّوا هم، وحبَسُوني عن الطعام والشراب.

فبينا هم قد نزلوا منزلًا وأوثَقُوني بالشمس إذا أنا بأبرَد شيءٍ على صدري،

---

(١) «مسند أحمد» (٢٤٩٦)، و«المعجم الكبير» للطبراني (١٠٧٨٣).

(٢) انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٨٨٥). (٣) في (ق): «توفت».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٢٢).

(٥) ترجم لها المؤلف في «سير السالكات» ترجمة رقم (١٠).

(٦) في (د): «يحسن». (٧) في (د): «قليب».

(٨) في (د): «فكانت».

فتناوَلتُه فإذا هو دَلوٌ من ماءٍ، فشربتُ منه قليلًا، ثم نُزِعَ مني ورُفِع، ثم عاد فتناوَلتُه، فشربت منه، ثمَّ رُفع، ثم عاد فتناوَلتُه، ثمَّ رُفِعَ، مرارًا، ثمَّ نزلَ[1] فشربتُ حتى رَويت، ثم أَفَضْتُ سائِرَه على جسدي وثيابي، فلمّا استيقَظُوا إذا هم بأثَرِ الماء، ورَأوني حسنةَ[2] الهيئة، فقالوا: انحَلَلتِ فأخذتِ سِقاءَنا فشربتِ؟ فقلت: لا والله، ولكنَّه كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: إن كنتِ صادقةً لَدينُك خيرٌ من ديننا، فلمّا نظروا إلى أسقِيَتِهم؛ وجدوها كما تركوها، فأسلَموا عند ذلك، وأقبَلَت إلى النبيِّ ﷺ فوَهَبَت نفسَها له بغَيرِ مَهر، فقَبِلَها ودخل عليها ﷺ، ورَضِيَ عنها»[3].

وفي معنى هذه القصّة: ما وقع لأمِّ أيمن[4]، واسمُها بركةُ، رضي الله عنها، وهي مولاةُ رسولِ الله ﷺ وحاضِنتُه، وَرِثَها من أبيه، فأعتَقَها حين تزوَّج خديجة رضي الله عنها، فتزَوَّجَت عُبَيدَ بنَ زيد، فولدت له أيمن، ثمَّ تزوَّجها زيدُ بنُ حارثةَ بعد النبوّة، فولَدَت له[5] أسامةَ رضي الله عنه[6].

خرجت أمُّ أيمن مهاجِرةً إلى رسول الله ﷺ من مكّةَ إلى المدينة، وهي ماشيةٌ ليس معها زادٌ[7]، وهي صائمةٌ في يومٍ شديدِ الحرّ، فأصابَها عطشٌ شديدٌ حتَّى كادت تموتُ من شدّةِ العطش، وهي بالرَّوحاء/ أو قريبًا، فلمّا غابت الشمسُ [٧٦/أ]
قالت: إذا أنا بحَفِيفِ[8] شيءٍ فوق رأسي، فرفَعت رأسي فإذا أنا بدَلوٍ من السماء

---

(١) في (ق): «ترك». (٢) في (د) و(ق): «حسن».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٦٦)، و«المنتظم» (٥: ٢٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٣٠).

(٤) ترجم لها المؤلف في «سير السالكات المؤمنات» ترجمة برقم (١٢).

(٥) «له» ليس في (د).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤: ٢٧٨)، و«المنتظم» (٤: ٣٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٣١).

(٧) في (ق): «ماء». (٨) في (د): «بخفيف».

مُدلًّى برِشاءٍ أبيض، قالت: فدنا منِّي، حتى إذا كان بحيثُ أستَمكِن منه تناولتُه فشَربتُ منه حتَّى رَوِيت، فلقد كنت بعد ذلك في اليومِ الحارِّ أطوفُ في الشمسِ كي أعطشَ فما عطشتُ بعدها»[١].

وَحَضَرَت أُحُدًا، وكانت تَسقِي الماءَ وتُداوي الجرحى، وشهِدَت خَيبَر، وتوفِّيت في[٢] آخرِ خلافةِ عثمانَ، رضي الله عنهما[٣].

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ٦٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٣١).

(٢) «في» ليس في (ق).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٣٢)، و«أسد الغابة» (٦: ٣٠٤).

[مطلب في التابعين][(١)]

واعلَم أنّهُ لمّا انقَرضَ أصحابُ رسول الله ﷺ خَلَفهم أقوامٌ سبقت لهم العناية، فسَلَكُوا سبيلَهم، وتَقفَّوا آثارَهم، فحدا بهم حادي الشوق، فلَم يَزالُوا يترقَّون إلى فوق، فصاروا بذلك نجومًا يُهتدَى بهم، وسُرُجًا يُستضاءُ بهم، ولهذا سُمُّوا بالتابعين.

* * *

[محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما]

[٨٢] **فمنهم**[(٢)]: مُحمَّدُ بنُ عليٍّ بن أبي طالب، رضي الله عنهما[(٣)].

وهو ابنُ الحنفيّة[(٤)].

له كلامٌ بديعٌ، قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال مُحمَّد: «إنّ الله عزَّ وجلَّ جَعلَ الجنَّةَ ثمنًا لأنفُسِكُم، فلا تَبِيعُوها بغَيرِها»[(٥)].

---

(١) ورد على هامش (د).

(٢) في (د): «ومنهم».

(٣) انظر ترجمته في: «المعارف» (١: ٢١٦)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٦)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ١٧٤).

(٤) انظر: «المعارف» (١: ٢١٦)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨: ٢٦)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ١٧٤).

(٥) انظر: «المنتظم» (٦: ٢٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٤).

قال عثمانُ المُؤدِّب: قال مُحمَّدُ بنُ الحنفية: «مَن كَرُمَت عليه نفسُه لم يكن للدنيا عنده قَدرٌ»[١].

قال عليُّ بنُ الحسين: «كتب مِلكُ الروم إلى عبد الملك بن مروانَ يتهدَّده[٢]، ويَحلِفُ له لَيحمِلَنَّ إليه مئةَ ألفٍ في[٣] البرّ، ومئة ألفٍ في البحر، أو يؤدِّي إليه الجزية، فسُقِط في روعه[٤]، فكتب إلى الحَجّاج: أنِ اكتب إلى ابنِ الحنفيّة، فتهدَّدْه وتواعَدْه، ثمَّ أعلِمْني بما يَرُدُّ إليك، فكتب الحجّاجُ إليه بكتابٍ شديد.

فكتب إليه ابنُ الحنفيّة: إنّ لله تعالى في كل يوم وليلةٍ[٥] ثلاثَ مئة وستِّين نظرةً إلى خَلقِه، وإنّي[٦] أرجو أن ينظرَ الله عزَّ وجلَّ إليَّ نظرةً يمنَعُني بها منك، قال: فبَعثَ الحجّاجُ بكتابِه إلى عبد الملك، فكتب عبدُ الملكِ إلى ملك الرومِ نُسختَه، فقال ملكُ الروم: ما خَرجَ هذا منك، ولا أنت كتبتَ به، ولا خرجَ إلّا من بيتِ نبوّةٍ»[٧].

مات في سنة إحدى وثمانين وله خمسٌ وستُّون سنةً، ودُفِنَ بالبَقِيع، رضي الله عنه[٨].

* * *

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٧٦)، و«المنتظم» (٦: ٢٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٤).
(٢) في (د): «يتهدد له».
(٣) في (د): «من».
(٤) في (ق): «ذرعه».
(٥) قوله: «في كل يوم وليلة» ليس في (ق).
(٦) في (ق): «وأنا».
(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٧٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٥).
(٨) انظر: «رجال صحيح مسلم» (٢: ١٧٤).

[سعيد بن المسيب رضي الله عنه]

[٨٣] ومنهم: سعيدُ بنُ المُسيَّب(١).

يكنَّى: أبا مُحمَّد(٢).

وُلِدَ لسنتَين من خلافة عمرَ(٣).

انتهى في العلمِ إلى أن قال: ما بَقِي أحدٌ أعلمُ بكلِّ قضاءٍ قضاهُ رسولُ الله ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ / رضي الله عنهما منِّي(٤). [٧٦/ب]

كان رضي الله عنه يَسرُدُ الصومَ(٥)، قاله يزيدُ بنُ حازم.

قال بُردٌ مولى سعيد: «ما نُودِيَ بالصلاةِ منذُ أربعين سنةً إلّا وسعيدٌ في المسجد»(٦).

قال عبدُ المنعمِ بنُ إدريس عن أبيه، قال: «صلَّى سعيدٌ الغداةَ بوُضوءِ العَتمةِ خمسين سنةً»(٧).

قال عبيدُ الله بنُ مُحمَّد: قال سعيدُ بنُ المُسيَّب: «ما أكرَمَت العبادُ نفسَها بمثلِ طاعةِ الله عزَّ وجلّ، ولا أهانت نفسَها بمثلِ معصيةِ الله عزَّ وجلّ، وكفى بالمؤمِنِ نُصرةً من الله عزَّ وجلَّ أن يرى عَدُوَّه يعمل بمعصيةِ الله تعالى»(٨).

---

(١) انظر: «التاريخ الأوسط» (١: ٢١٦)، و«المعارف» (١: ٤٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٢) انظر: «التاريخ الأوسط» (١: ٢١٦)، و«المعارف» (١: ٤٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ١١٩)، و«المنتظم» (٦: ٣١٩)، و«مرآة الزمان» (١٠: ١٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٥) انظر: «الصيام» للفريابي (١٠٢)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٦٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٤: ٢٧٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٦٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٦٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦)، و«البداية والنهاية» (٩: ١٠٠).

قال أبو عيسى الخراسانيّ: قال سعيدُ بنُ المُسيَّب: «لا تَملَؤوا أعينَكم من أعوان الظَّلَمة إلّا بالإنكار من قُلوبِكم؛ لكيلا تَحبَطَ أعمالُكم الصالحةُ»[١].

وقال: «مَن استغنَى بالله عزَّ وجلَّ افتقرَ إليه الناسُ»[٢].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال سعيدٌ: «إنّ الدنيا نَذْلة، وهي إلى كلِّ نَذْلٍ أميَل، وأنذلُ منها مَن أخَذَها بغير حقِّها، وطلبها بغير وجهها، ووَضَعها في غير سبيلِها»[٣].

مات بالمدينة وهو ابنُ أربعٍ وثمانين سنة، على خلافٍ فيه[٤]، رضي الله عنه.

* * *

[عُروة بن الزبير رضي الله عنهما]

[٨٤] **ومنهم**: عُروةُ بنُ الزُّبَير بن العوام[٥].

أمُّهُ أسماءُ بنتُ الصدِّيق رضي الله عنه[٦].

قال ابنُه هشامٌ: «كان أبي يَسرُدُ الصوم، ولقد مات يومَ مات وهو صائمٌ»[٧].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٧٠)، و«إحياء علوم الدين» (٢: ١٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٢) انظر: «معجم ابن المقرئ» (٢٠٥)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٤٦).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٧٠).

(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ١٤٣)، و«طبقات الفقهاء» (٥٧)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٢٧).

(٥) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٥: ١٩٤)، و«مشاهير علماء الأمصار» (١٠٥)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ١١٦).

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٥: ١٩٤)، و«مشاهير علماء الأمصار» (١٠٥)، و«رجال صحيح مسلم» (٢: ١١٦).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٢٦٦)، و«المنتظم» (٦: ٣٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٠).

قال مالكُ بنُ أنس: «رأى عروةُ رجلًا يُصلِّي فخفَّف، فدعاه، فقال: أما كانت لك إلى ربِّك حاجةٌ؟ إنِّي لأسأل الله تعالى في صلاتي حتَّى أسألَه المِلحَ»[١].

قال هشامٌ: قال أبي: «إذا جعل أحدُكم لله شيئًا فلا يجعل له ما يستحيي أن يجعلَه لكريمِه، فإنّ الله عزَّ وجلَّ أكرَمُ الكُرَماء، وأحقُّ مَن اختِيرَ له»[٢].

قال ابن شَوذَب: «كان عروةُ إذا كانَ أيّامُ الرُّطَبِ ثَلَمَ حائِطَه، فيَدخُلُ النّاسُ فيَأكُلُون، ويَحمِلُون، وكانَ إذا دَخَلَهُ رَدَّدَ هَذِهِ الآيةَ فيه حتى يَخرُجَ منه: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [الكهف: ٣٩]، حتَّى يخرجَ»[٣].

وخرج برِجلِه أكَلة، فبعث إليه الوليد بالأطبّاء، فأجمع رأيُهم على أنّهم إن لم يَنشُروها قتلَته.

فقال: شأنُكم بها، فقالوا: نسقِيك شيئًا؛ لئلّا تُحِسَّ بما يُصنَعُ بك؟

فقال: لا، شأنُكم بها، فنَشرُوها، فما حَرَّك عضوًا عن عضو، وصبَر، فلمّا صار القدمُ بأيديهم دعا بها، فقَبَّلها، ثم قال: أما والذي حملني عليكِ إنّه يعلم أنِّي ما مشيتُ بك إلى حرامٍ قطُّ، أو إلى معصية[٤]، ويومَ / قُطِعَت كان صائمًا. [٧٧/أ]

ودخل أكبرُ وَلدِه إصطبلَه فرَفَسَته دابَّتُه فقتَلَته، فما سُمِعَ منه شيءٌ حتَّى قَدِمَ المدينة، فقال: اللهمَّ إنّه كان أطرافٌ أربعةٌ فأخَذتَ واحدًا وَبقَّيتَ لي ثلاثةً، فلك الحمد، وكان لي بنون أربعة، فأخَذتَ[٥] واحدًا، وَبَقَّيْتَ لي ثلاثة، فلك

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٠). (٢) انظر: «التبصرة» لابن الجوزي (٢: ٢٤١).

(٣) انظر: «المعرفة والتاريخ» (١: ٥٥٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٢٥٩)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٣٣).

(٤) انظر: «تجريد الأسماء والكنى» (٢: ٣١). (٥) بعدها في (ق): «لي».

الحمد، وأيمُ الله، لَئِن أخذتَ فلقد[1] أبقيت، ولئن ابتَلَيتَ لطالما عافَيت[2].

قال مَسلَمةُ بنُ مُحارِب: «لقد قُطِعَت رجلُه ولم يَدَع تلك الليلةَ وِردَه»[3].

تُوفِّي سنةَ أربعٍ وتسعين فِي ناحِيةِ الفُرع، ودُفِنَ هنالك[4]، رضي الله عنه[5].

* * *

[القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق]

[٨٥] **ومنهم**: القاسِمُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنهم[6].

يُكنَّى: أبا محمَّد، كان حافظًا للسنّة[7].

قال ابنُ أبي الزِّناد[8]: قال أبي: ما رأيتُ أحدًا أعلمَ بالسُّنّةِ من القاسم بن محمَّد[9].

قال حمّادُ بنُ زيد: قال أيّوب: سمعتُ القاسمَ يُسألُ بمِنًى فيقول: لا أدري، لا أعلم، فلمّا أكثَروا عليه فقال: والله ما نعلمُ كلَّ ما تسألونا عنه، ولو عَلِمنا ما

---

(١) «فلقد» مثبت من المصادر. (٢) «حلية الأولياء» (٢: ١٧٩).

(٣) انظر: «مشاهير علماء الأمصار» (ص: ١٠٥)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٣٣).

(٤) في (د): «هناك».

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٢٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٠).

(٦) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ١٤٢)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٧: ١٥٧)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢١٧).

(٧) «للسنة» ليس في (د). وانظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ١٤٨)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧: ١١٨)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢١٧).

(٨) في (ق): «الزياد».

(٩) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٧: ١٥٧)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٧: ١١٨)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢١٧).

كتَمنا، ولا حلَّ لنا أن نكتُم، ولأن يعيشَ الرجلُ جاهلًا بعد أن يَعرِفَ حقَّ الله تعالى خيرٌ له من أن يقولَ ما لا يعلم[١].

وما كان القاسِمُ يُجيبُ إلّا في الشيءِ الظاهر، وكانت الدنيا عليه أهونَ من ذَرّة.

قال وهيبٌ: قال أيوب: ما رأيتُ رجلًا أفضلَ من القاسم، ولقد تَركَ مئةَ ألفٍ وهي له حلالٌ[٢].

وقال مرّةً: رأيتُ عليه رِداءً قد صُبِغَ بشيءٍ من زَعفران، ويدعُ مئةَ ألفٍ لم[٣] يتَلَجلَج في نفسِه منها شيءٌ[٤].

قال سفيان: اجتمعوا إلى القاسم في صدقةٍ فقَسَمَها[٥] وهو يصلِّي، فجعلوا يتكلَّمون، فقال ابنه: إنّكُم اجتَمعتُم إلى رجلٍ والله ما نالَ منها درهمًا ولا دانِقًا، فأوجَزَ الصلاة، ثمَّ قال[٦]: يا بُنيّ، قل فيما عَلِمتَ.

قال سفيان: صَدَقَ ابنُه، ولكنَّه أراد تأدِيبَه في النطق وحِفظِه[٧].

---

(١) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (ص: ٨٩٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ١٧٥).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» (٤٩: ١٦٧)، و«المنتظم» (٧: ١٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥١)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٣٢٦).

(٣) في (د): «ما».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٨٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ١٨٤)، و«المنتظم» (٧: ١٢٣)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢١٨).

(٥) في (د): «قسمها».

(٦) قوله: «ثم قال» في (د): «فقال».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٩: ١٨٣)، و«المنتظم» (٧: ١٢٣).

تُوفِّي وهو ابنُ سبعين سنةً أو اثنتَين وسبعينَ(١)، وكان قد ذهبَ بصرُه، توفِّي سنة ثمانٍ ومئة(٢).

قال رجاءُ بنُ أبي سلمة: مات بين مكّة والمدينة حاجًّا أو معتَمِرًا، قال لابنه: إيّاك أن تقول: كان وكان، رضي الله عنه(٣).

* * *

[سالم بن عبد الله بن عمر]

[٨٦] ومنهم: سالمُ بنُ عبد الله بن عمرَ بن الخطّاب(٤).

يُكنَّى: أبا عمرَ(٥).

كان أشبَهَ أولاد أبيه به(٦)، وكان مُتواضِعًا.

قال حنظلة: رأيتُ سالمَ بنَ عبدِ الله بنِ عمر يخرجُ إلى السوق، فيشتري / [٧٧/ب] حوائجَ نفسِه، وزَحَمَه رجلٌ، فقال له سالِم: بعضُ هذا رَحِمَكَ الله تعالى، فقال له الرجل: ما أراكَ إلّا رَجُلَ سوء، فقال له سالمٌ: ما أحسَبُكَ أبعَدتَ(٧).

---

(١) في (ق): «وتسعين».

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ١٤٨)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٢٢٢).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٨٤)، و«المنتظم» (٧: ١٢٤). وفي «حلية الأولياء»: «فقال لابنه: سنَّ عليَّ التراب سَنًّا، وسَوِّ عليَّ قبري، والحق بأهلك، وإياك أن تقول: كان وكان».

(٤) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ١٤٩)، و«التاريخ الكبير» للبخاري (٤: ١١٥).

(٥) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٤: ١١٥)، و«الثقات» لابن حبان (٤: ٣٠٥).

(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٤: ٣٠٥)، و«المنتظم» (٧: ١١٣).

(٧) انظر: «المنتظم» (٧: ١١٤).

قال مالِكٌ: لم يكن أحدٌ في زمان سالمٍ أشبهَ بمن مضى من الصالحينَ في الزهد والقَصدِ في العيش منه؛ كان يَلبَسُ الثوبَ بدرهمَين[1].

قال ابنُ أبي سارة: رأيتُ سالمًا قَدِمَ علينا حاجًّا، فصلَّى العشاء، ثمَّ قامَ إلى ناحيةٍ ممّا يلي بابَ بني سهمٍ في الصلاة، فلم يَمِل يمينًا ولا شمالًا حتَّى طَلَعَ الفجر، ثمَّ جلسَ فاحتَبَى بثَوبِه[2].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: دخلَ هشامُ بنُ عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم، فقال: يا سالم، سَلنِي حاجةً. فقال له: إنِّي لأستَحِي من الله عزَّ وجلَّ أن أسألَ في بيت الله تعالى غيرَ الله.

فلمّا خَرَجَ خَرَجَ في إثره، فقال: الآن قد خرجتَ، فسَلني، فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: من حوائج الدنيا، فقال له سالمٌ: ما سألتُ مَن يملكُها، فكيف أسألُ مَن لا يملكها[3]؟

توفِّي في ذي الحجّة سنة ستٍّ ومئة[4]، وقيل: سنةَ ثمانٍ، رضي الله عنه[5].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٥٥)، و«المنتظم» (٧: ١١٤)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ٩٠).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٢).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ٦٤).

(٤) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٤: ١١٥)، و«الثقات» لابن حبان (٤: ٣٠٥)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٢٥٨).

(٥) انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٠: ٤٥٦).

[علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب]

[٨٧] **ومنهم**: عليُّ بنُ الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب(١).

وهو عليٌّ الأصغرُ؛ فإنّ الأكبرَ قُتِلَ مع الحُسين.

وكان يُكنَّى: أبا الحسن(٢).

وأشهرُ ألقابه زَينُ العابدين(٣)، وسببُ لَقبِه بذلك أنّه كان في محرابه قائمًا في تَهجُّده، فتمثَّلَ له الشيطانُ في صورة ثعبانٍ لِيَشغَلَه عن عبادته، فلم يَلتَفِت إليه، فجاءَ إلى إبهامِ رِجلِه فالتَقمَها، فلم يَلتَفِت إليه، فآلَمَه فلم يَقطَع صلاتَه، فلمّا فرَغَ منها كشفَ الله عزَّ وجلَّ أنّه الشيطان، فسَبَّه ولطَمَه، وقال: اخسَأ يا ملعون، فذهب، وقامَ إلى إتمامِ وِردِه، فسَمِعَ صوتًا(٤) ولا يَرى قائلَه: أنت زينُ العابدين، ثلاثًا، فظَهَرَ ذلك واشتهر.

وكان يُلقَّبُ أيضًا بسيِّد العابدين، وبالزكيّ، وبالأمين.

قال عبدُ الرحمن بنُ حفصٍ القُرشيّ: كان عليُّ بنُ الحسين إذا توضَّأ اصفرّ، فيقول له أهلُه: ما هذا الذي يعتادُكَ عند الوضوء؟ فيقول: أتدرونَ بين يدَي مَن أُريدُ أن أقوم(٥)؟

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٦٠)، و«المنتظم» (٦: ٣٢٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٣٨٦).

(٢) في (ق): «أبا الحسين»، وانظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٦٠)، و«المنتظم» (٦: ٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٣)، و«وفيات الأعيان» (٣: ٢٦٦).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٦٠)، و«وفيات الأعيان» (٣: ٢٦٦).

(٤) «صوتًا» ليس في (ق).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٧٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٠: ٣٩٠).

قال عبدُ الله بنُ أبي سُلَيمان: كان عليُّ بنُ الحسين إذا مشى لا يُجاوِزُ يَدَيه فخذَيه ولا يَخطِرُ بيده، وكان إذا قامَ إلى الصلاةِ أخذَته الرِّعدة، فقيل له: ما لَك؟ فقال: ما تدرونَ بين يدَي مَن أقوم، ومَن / أُناجي؟ رضي الله عنه[1]. [٧٨/أ]

وَيحَك يا شيخُ يا مرائي[2]! ما أحمَقَك وأجهَلَك! إنّ هذا شيءٌ لم تَشَمَّ له رائحةً، بل أنت تَجُولُ حالَ وُقوفِكَ في الصلاةِ بروحِكَ الخبيثة في المَزبَلة ومَواطِنِ الهَلَكة، قبَّحَ الله تعالى مَن يَعبُد هواه، ويدَّعي عبادةَ الله الحليم العليم.

قال أبو نوحٍ الأنصاريّ: وقَعَ حريقٌ في بيتٍ فيه عليُّ بنُ الحسين وهو ساجد، فجَعلُوا يقولونَ له: يا ابنَ رسولِ الله، النارَ، يا ابنَ رسولِ الله، النارَ[3]، فما رَفَعَ رأسَه حتَّى أُطفِئَت النار، فقيل له: ما الذي ألهاكَ؟ فقال: النارُ الأُخرى[4].

قال سفيان: جاءَ رجلٌ إليه، فقال له: إنّ فُلانًا قد آذاكَ ووقعَ فيك، فانطَلَقَ وهو يرى أنّه سينتَصرُ[5] لنفسه، فلمّا أتاه قال له: يا هذا، إن كان ما قُلتَ[6] فيَّ حقًّا فغَفَرَ الله تعالى لي، وإن كان ما قُلتَ فيَّ باطلًا فغَفَرَ الله تعالى لك[7].

وكان يقول: اللهُمَّ إنّي أعوذُ بك أن تَحسُنَ في لوامع العيونِ عَلانِيَتي، وتَقبُحَ سريرتي[8].

وكان يقول: إنّ قومًا عَبَدُوا الله تعالى رهبةً، فتلك عبادةُ العبيد، وآخرينَ

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٣٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٧٨).

(٢) في (ق): «مربي». (٣) «النار» ليس في (د).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٧٧)، و«المنتظم» (٦: ٣٢٨).

(٥) في (د): «سيستنصر». (٦) في (د): «قلته».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٤).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٤٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٤).

عَبدُوا الله تعالى رغبةً، فتلك عبادةُ التجّار، وقومًا عَبدُوا الله تعالى شُكرًا، فتلك عبادةُ الأحرار[١].

وكان رضي الله عنه لا يُحِبُّ أن يُعِينَه أحدٌ على طُهورِه[٢]، وكان يَستَقي الماءَ على ظَهرِه، فإذا قامَ بالليلِ بدأ بالسواك، ثمَّ يتوضَّأ، ثمَّ يأخذُ في صلاتِه، وكان يَقضي ما فاتَه من صلاةِ النهار بالليل، وكان لا يَدَعُ صلاةَ الليلِ سفرًا وحضرًا، ويقول: عَجِبتُ للمُتكبِّر الفَخُور الذي كان بالأمس نُطفةً ثمَّ غدًا جِيفة، وعَجِبتُ كلَّ العَجَبِ لمن شكَّ في الله تعالى وهو يرى خَلقَه، وعَجِبتُ كلَّ العَجَبِ لمن أنكرَ النشأةَ الأُخرى وهو يرى النشأةَ الأُولى، وعَجِبتُ كلَّ العَجَبِ لمن عَمِلَ لدار الفناء وتركَ دارَ البقاء.

وكان إذا أتاه سائلٌ رَحَّبَ به، وقال: مرحبًا بمَن يَحمِلُ زادَنا إلى الآخرة[٣].

وكان رضي الله عنه له معاملاتٌ سِرِّيّةٌ، فكان يُبَخَّل، فلمّا مات وجدوه يُقِيتُ مئةَ أهل بيتٍ بالمدينة[٤].

وكان يَحمِلُ جرابَ الخُبزِ على ظَهرِه بالليل فيتصدَّق به، ويقول: إنّ صدقةَ السرِّ تُطفِئُ غضبَ الربّ، فلمّا مات فغسَّلُوه جعلوا ينظرونَ إلى آثارِ سوادٍ[٥] في ظَهرِه، فقالوا: ما هذا؟ فقِيل: كان يَحمِلُ جربَ الدقيقِ ليلًا على ظهرِه يُعطيه فقراءَ أهلِ المدينة[٦].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٣٤).
(٢) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٢٨).
(٣) انظر: «المنتظم» (٦: ٣٢٨).
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٣٦).
(٥) في (ق): «سود».
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٣٥-١٣٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٥).

[٧٨/ب] قال سفيان: أرادَ عليُّ بنُ الحسين الخروجَ في حجٍّ أو عمرة، فاتَّخَذَت له سُكَينةُ بنتُ الحُسين سُفرةً أنفقَت عليها ألفَ درهم، أو نحوَ ذلك، فلمّا كان بظَهرِ الحَرّة؛ قسَمها على المساكين(١).

كان له غلامٌ أُعطِيَ فيه ألفَ دينار، فقال سعيدُ بنُ مرجانة: سمعتُ أبا هريرة رضي الله عنه يقول: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَن أعتقَ رقبةً مؤمنةً أعتقَ الله تعالى بكلِّ إرْبٍ منها إرْبًا منه من النار حتَّى يُعتَقَ باليدِ اليدُ، وبالرجل الرجلُ، وبالفَرج الفَرجُ**»(٢)، فقال له عليُّ بنُ الحسين: أنت سمعتَ هذا من أبي هريرةَ؟ فقال سعيدٌ: نعم، فقال للغلام: اذهب فأنت حرٌّ لوجه الله تعالى(٣).

قال طاوس: رأيتُ عليَّ بنَ الحسين ساجدًا في الحِجر، فقلت: رجلٌ صالحٌ من أهل بيتٍ طيِّب، لأسمَعَنَّ ما يقول، فأصغَيتُ فسَمِعتُه يقول: عُبَيدُكَ بفِنائِك، مسكينُكَ بفِنائِك، سائِلُك بفِنائِك(٤)، فقِيرُكَ بفِنائِك، فواللهِ ما دعوتُ بهِنَّ في كَربٍ إلّا كُشِفَ عنِّي(٥).

قال أبو جعفر: كان عليُّ بنُ الحسين يصلِّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركعة، وتهيجُ الريحُ فيسقطُ مغشيًّا عليه(٦).

كان له ولدٌ اسمُه محمدٌ، قال: أوصاني أبي فقال: لا تصحَبَنَّ خمسةً ولا تُحادِثهُم ولا تُرافِقهُم في طريق، فقلت: فداكَ يا أبتِ(٧)، مَن هؤلاء الخمسة؟

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٥١٧)، و«صحيح مسلم» (١٥٠٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٥).

(٤) قوله: «سائلك بفنائك» ليس في (ق).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٨٠)، و«المنتظم» (٦: ٣٢٩).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٧).

(٧) في (ق): «يا أبه».

فقال: لا تَصحَبَنَّ فاسِقًا؛ فإنّه يبيعُكَ بأكلةٍ فما دونَها، فقلت: يا أبَت[(١)]، وما دونها؟ قال: يطمعُ فيها ثمَّ لا ينالُها.

قلت[(٢)]: ومَن الثاني؟ قال: البخيلُ؛ فإنّه يقطعُ بك في حالةٍ[(٣)] أحوجَ ما كنتَ إليه، قلت: ومَن الثالثُ؟ قال: الكذّابُ؛ فإنّه بمنزلة السراب يُبعِدُ منك القريب، ويُقرِّبُ منك البعيد، قلت: ومَن الرابعُ؟ قال: الأحمق؛ فإنّه يريدُ أن ينفعَكَ فيضرُّك، قلت: ومَن الخامس؟ قال: لا تَصحَبَنَّ قاطِعَ رحمٍ؛ فإنّي وجدتُه ملعونًا في كتاب الله تعالى في ثلاثة مواضِعَ[(٤)].

تُوفّي بالمدينة سنةَ أربعٍ وتسعين، وقيل غيرُ ذلك، ودُفِنَ بالبقيع وهو ابنُ ثمانٍ وخمسين سنةً[(٥)].

قال محمَّدُ بنُ حاطبٍ[(٦)]: قال أبي: جاءَ نفرٌ إلى عليِّ بنِ الحسين من أهل العراق، فقالوا في أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم، فلمّا فرَغُوا قال لهم: ألا تُخبِروني أنتم المهاجرونَ الأوَّلون الذين أُخرِجُوا من ديارهم وأموالهم يبتغونَ فضلًا من الله ورضوانًا، ويَنصُرونَ الله ورسولَه أولئك هم الصادقون؟ قالوا: لا.

قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[(٧)] [الحشر: ٩]؟ ، قالوا: لا. [٧٩/أ]

فقال: أمّا أنتم فقد تبرَّأتُم أن تكونوا من أحد هذين الفريقَين، ثمَّ قال: أشهَدُ

---

(١) في (ق): «يا أبه».
(٢) في (د): «فقلت».
(٣) في (ق): «ماله».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٧).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٨).
(٦) في (د): «خطاب».
(٧) في (ق) و(د): «الذين» بدون الواو.

أنّكُم لستُم من الذين قال الله عزَّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(١) [الحشر: ١٠]، اخرُجُوا، فعَل الله عزَّ وجلَّ بكم(٢). رضي الله عنه وأرضاه.

* * *

[عُبَيد الله بن عبد الله بن عتبة]

[٨٨] ومنهم: عُبَيدُ الله بنُ عبد الله بن عتبةَ بن مسعود(٣).

وكان بحرًا في العلم كما قاله الزهريُّ(٤).

قال أبو الزِّناد: قال أبي: كُنتُ أرَى عُمَرَ بنَ عَبدِ العَزيزِ في إمارَتِهِ يَأتِي عُبَيدَ الله ابنَ(٥) عَبدِ الله بنِ عُتبة، فرُبَّما حَجبَه، ورُبَّما أذِنَ لَه، رضي الله عنه(٦).

وكان يُعظِّمُ العلمَ، رضي الله عنه وأرضاه.

ولمّا تُوفِّيَ كان قد ذهبَ بصرُه(٧)، تُوفِّيَ بالمدينة سنةَ ثمانٍ وتسعين، ويُقال: سبعٍ وتسعين(٨)، والله أعلم.

---

(١) قوله: «﴿لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾» ليس في (ق).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٣٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٦)، و«النهي عن سب الأصحاب» للمقدسي (١٣)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٤٩).

(٣) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ٢٥٠)، و«حلية الأولياء» (٢: ١٨٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٤٧٥).

(٤) انظر: «طبقات الفقهاء» للشيرازي (٦٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٨).

(٥) قوله: «عبيد الله ابن» مثبت من المصادر.

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٢: ١٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٨).

(٧) انظر: «مشاهير علماء الأمصار» (١٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٨).

(٨) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٢٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٥٨).

[بِشر بن سعيد]

[٨٩] **ومنهم**: بشرُ بنُ سعيدٍ[١]، مولى الحضرميِّين.

وكان من العُبّاد المُنقطِعين، وأهلِ الزُّهد في الدنيا[٢].

قال مالكٌ: ماتَ بِشرٍ ولم يَدَع كفنًا، قال: ماتَ رجلٌ من بني أُميّةَ من مُترَفِيهم يومَ مات بشرٌ، فقال عمرُ بنُ عبد العزيز: إذا كان المَدخَلان واحدًا فعَيشُ فلانٍ أحبُّ إلينا؛ يعني: بِشرٌ. فقال مُزاحم: إنّك لا تزالُ تَوغَرُ من أخيك، فقال: إذا رأيتُ الحقَّ قُلتُه، رضي الله عنه[٣].

* * *

[زياد بن أبي زياد]

[٩٠] **ومنهم**: زيادُ بنُ أبي زياد[٤]، وكان مولًى.

قال مالكٌ: كان زيادٌ عابدًا معتزلًا، لا يزال يذكرُ الله عزَّ وجلّ، ويَلبَسُ الصوف، ولا يأكُلُ اللحم[٥].

قال مُحمَّدُ بنُ المُنكَدِر: سمعتُ زيادًا وهو يُخاطبُ نفسَهُ في المسجد، ويقول: اجلسي، أينَ تُريدين، أين تذهبين، أتخرُجِين إلى أحسنَ مِن هذا المسجدِ[٦]؟

---

(١) انظر ترجمته في: «المعارف» لابن قتيبة (١: ٤٤٧)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١: ١٠).
(٢) انظر: «المعارف» لابن قتيبة (١: ٤٤٧).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٥٩).
(٤) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٢٣٧)، و«المنتظم» (٧: ٩١).
(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٢٣٩)، و«المنتظم» (٧: ٩١).
(٦) من قوله: «اجلسي» إلى هنا ليس في (ق).

تريدين أن تُبصرِي دارَ فُلانٍ ودارَ فُلان، ما لَكِ من الطعام إلّا هذا الخبزَ والزيت، وما لَكِ من الثياب إلّا هذَين الثوبَين، وما لَكِ من النساء إلّا هذه العجوز، أفتُحبِّين أن تَموتي؟ فقالت: أنا أصبِرُ على هذا العيش[١]. رضي الله عنه.

❊ ❊ ❊

[علي بن عبد الله بن العباس]

[٩١] ومنهم: عليُّ بنُ عبد الله بن العبّاس بن عبد المُطَّلب[٢].

وكان أجملَ قرشيٍّ على وجه الأرض، وأكثرَ صلاة، وكان يُقالُ له: السجّاد[٣].

قال الأوزاعي: كان عليُّ بن[٤] عبدِ الله بنِ العبّاس يَسجُدُ كلَّ يومٍ ألفَ سَجدة[٥].

كان سَكنُه المدينة، وتُوفِّي بالشامِ سنةَ سبعَ عشرةَ ومئة، ويُقال: ثمانِ عشرةَ[٦]، رضي الله عنه.

❊ ❊ ❊

[محمد بن علي بن الحسين]

[٩٢] ومنهم: محمَّدُ بنُ عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم[٧].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٩: ٢٤٠)، و«المنتظم» (٧: ٩١).
(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ٢٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦١).
(٣) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٣١٣).
(٤) قوله: «علي ابن» ليس في (ق).
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٠٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٤٨).
(٦) انظر: «الثقات» لابن حبان (٥: ١٦٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣: ٤١).
(٧) انظر ترجمته في: «الثقات» لابن حبان (٥: ٣٤٨)، و«حلية الأولياء» (٣: ١٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦١).

واسمُ ولدِه جعفر. [٧٩/ب]

قال يومًا: الصواعقُ تُصيبُ المؤمنَ وغيرَ المؤمن(١)، ولا تُصيبُ الذاكرَ(٢).

قال يومًا: الغِنى والعِزُّ يَجُولانِ في قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكانٍ فيه(٣) التوكُّلُ أوطنا(٤).

وقال: ما دَخَلَ قلبَ امرئٍ(٥) شيءٌ من الكِبر إلّا نَقصَ من عقله مثلُ ما دخل من ذلك؛ قَلَّ أو كَثُر(٦).

قال شريكٌ: قال جابرٌ الجُعفيّ: قال مُحمَّدُ بنُ عليّ: يا جابر، إنّي لَمحزون، وإنّي لَمُشتغلُ القلب، قلت: ولِم؟

قال: يا جابر، إنّه مَن دَخَلَ قلبَه خالِصُ دِينِ الله تعالى شغلَه عمّا سواه، يا جابر، ما الدنيا وما عسى أن تكونَ؟ هل هي مركبٌ ركبتُه، أو ثوبٌ لبستُه، يا جابر، إنّ المؤمنين لم يطمئِنُّوا إلى الدنيا لبقاءٍ فيها، ولم يأمَنوا قُدُومَ الآخرة عليهم، ولم يَصُمَّهُم عن ذِكر الله تعالى ما سَمِعُوا بآذانهم من الفتنة، ولم يَعمِهِم عن نور الله تعالى ما رأوا بأعيُنِهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار(٧).

إنّ أهلَ التقوى أيسَرُ أهل الدنيا مَؤونةً، وأكثرُهم لك مَعونةً، إن نسيتَ

(١) قوله: «وغير المؤمن» ليس في (د).
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٢).
(٣) «فيه» ليس في (د).
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٢)، وفيهما: «أوطناه».
(٥) في (ق): «أمر».
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٢).
(٧) في (د): «الأسرار».

ذكَّرُوك، وإن ذَكَرتَ أعانُوك، قَوّالينَ بحقّ، قوامينَ بأمر الله تعالى، فأنزِل الدنيا كمنزلٍ نَزَلتَ به وارتحَلتَ منه، أو كمالٍ[1] أصبتَه في منامِكَ فاستيقَظتَ وليس معك منه شيءٌ، فاحفَظِ الله عزَّ وجلَّ ما استرعاكَ من دينه وحِكمَتِه[2].

وكان يقول: سلاحُ اللئام[3] قبيحُ الكلام[4].

وكان يقول: والله، لَموتُ عالِمٍ أحبُّ إلى إبليس من موتِ سبعينَ عابدًا[5].

وكان إذا ضحك يقول: اللهُمَّ لا تَمقُتني[6].

وقال: كان لي أخٌ عظيمٌ في عيني، وكان الذي عظَّمَه في عيني صِغَرُ الدنيا في عينه[7].

قال أبو حمزة: قال محمَّدُ بنُ عليّ: ما من عبادةٍ أفضلُ من عفّة بطن، وإنّ أسرعَ الخير ثوابًا البِرّ، وأسرعَ الشرِّ عقوبةً البَغي، وكفى بالمرء عيبًا أن يُبصِرَ من الناس ما يَعمَى عليه من نفسه، وأن يأمُرَ الناسَ بما لا يستطيعُ التحوُّلَ عنه، وأن يُؤذِيَ جليسَه بما لا يعنيه[8].

وكان رضي الله عنه كثيرَ البِرّ، كثيرَ الرحمة.

قال الأسودُ بنُ كثير: شَكَوتُ إليه الحاجةَ وجفاءَ الإخوان، فقال: بئسَ

(١) في (د): «أو كما».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨٢).

(٣) في (ق) و(د): «الليالي»، والتصويب من المصادر.

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٦٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٤٠٨)، وصوابها: «سلاح اللئام قبح الكلام».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٢).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٦٣).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٦٣).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٨٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٤: ٢٩٣).

الأخُ أخٌ يرعاكَ غنيًّا ويقطعكَ فقيرًا، ثمَّ أعطاني كيسًا فيه سبعُ مئةِ درهم، وقال لي[١]: استَنفِق هَذِه، فإذا نَفِدَت فأعلِمنِي[٢].

تُوفِّي سنةَ سبعَ عشرةَ ومئة، وقيلَ غيرُ ذلك، وهو ابنُ ثلاثٍ وسبعين سنةً، وقيل غيرُ ذلك، وأوصى أن يُكفَّنَ في قميصه الذي كان يُصلِّي فيه[٣]، رضي الله عنه./ [٨٠/أ]

❊ ❊ ❊

[عمر بن عبد العزيز]

[٩٣] **ومنهم**: عمرُ بنُ عبد العزيز بن مروانَ[٤].

ويُكنَّى: أبا حفصٍ.

أُمُّه أُمُّ عاصمٍ بنتُ عاصمِ بن عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنهم[٥].

قال محمَّدٌ المروزيّ: أخبرَني أبي، قال: لمّا دَفَنَ عمرُ بنُ عبد العزيز سليمانَ ابنَ عبد الملك وخَرَجَ من قبره سَمِعَ للأرض هدَّةً أو رجّةً، فقال: ما هذه؟

فقيل: هذه مَراكبُ الخلافة يا أميرَ المؤمنين قُرِّبَت إليك لتركَبَها، فقال: ما لي ولها؟ نَحُّوها عنِّي، قرِّبوا لي[٦] بَغلَتي، فرَكِبَها، فجاءَه صاحبُ الشرطة يسيرُ

---

(١) «لي» ليس في (د).

(٢) «الإخوان» لابن أبي الدنيا (١٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٤).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٦٤).

(٤) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ٣٣٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ١١٤).

(٥) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٣٣٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ١١٤-١١٥).

(٦) في (د): «إليّ».

بين يدَيه بالحربة، فقال: تنحَّ عنِّي، وما لي ولك، إنّما أنا رجلٌ من المسلمين، فسارَ وسارَ معه الناسُ حتَّى دَخَلَ المسجد، فصعد المنبر، واجتمع الناسُ إليه، فقال: أيُّها[١] الناس، إنّي قد ابتُلِيتُ بهذا الأمر من غير رأيٍ كان منِّي فيه، ولا طلبةٍ له، ولا مشورةٍ من المسلمين، وإنّي قد خَلَعتُ ما في أعناقِكُم من بَيعَتي، فاختارُوا لأنفُسِكُم، فصاحَ المسلمونَ صيحةً واحدةً: قد اخترناكَ يا أميرَ المؤمنين ورضيناك، فلِ أمرَنا باليُمن والبركة.

فلمّا هَدأت الأصواتُ ورَضِيَ به الناسُ جميعًا حَمِدَ الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه، وصلَّى على النبيِّ ﷺ، وقال: أُوصيكُم بتقوى الله عزَّ وجلَّ؛ فإنّ تقوى الله تعالى خَلَفٌ من كلِّ شيء، وليس من تقوى الله تعالى خَلَف، فاعمَلوا لآخرتكم؛ فإنّ مَن عَمِلَ لآخرتِه كفاهُ الله تعالى أمرَ دُنياه، وأصلِحُوا سرائِرَكُم يُصلِحِ الله الكريمُ لكم علانيَتَكُم، واذكُروا الموت، واحشُدوا له الاستعدادَ قبلَ أن يَنزِلَ بكم؛ فإنّه هادِمُ اللذّات، وإنّ مَن لا يذكُرُ من آبائه فيما بينه وبين آدم عليه السلامُ أبًا حيًّا لمُعرِقٌ له في الموت[٢].

وإنّ هذه الأُمّةَ لم تَختَلِف في ربِّها عزَّ وجلّ، ولا في نبيِّها ﷺ، ولا في كتابها، إنّما اختَلَفَت في الدينارِ والدِّرهَم، وإنّي والله لا أُعطي أحدًا باطلًا، ولا أمنعُ أحدًا حقًّا.

ثمَّ رَفَعَ صوتَه حتَّى أسمَعَ الناس، فقال: يا أيُّها الناس، مَن أطاعَ الله فقد وجَبَت طاعتُه، ومَن عصى الله تعالى فلا طاعةَ له، أطيعُوني ما أطَعتُ الله تعالى، فإذا عَصَيتُ فلا طاعةَ لي عليكم.

---

(١) في (ق): «يا أيها».

(٢) كذا في المصادر، وفي حاشية (د)، وأشار أنه في نسخة، وفي (ق) و(د): «في البيت».

ثمَّ نَزَلَ فدَخَل، فأمرَ بالستُور فهُتِكَت، والثيابِ التي كانت تُبسَطُ للخُلفاء فحُمِلَت، وأمرَ ببيعها وإدخالِ أثمانِها في بيتِ مال المسلمين، ثمَّ ذَهَبَ يَتبوَّأ مَقيلًا. [٨٠/ب]

فأتاه ابنُه عبدُ الملك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما تريدُ أن تصنعَ؟ قال: أي بُنيّ، أَقِيل، قال: تَقِيلُ ولا تَرُدُّ المظالم؟ قال: أي بُنَيَّ إنّي سَهِرتُ البارحةَ في أمر عمِّكَ سُليمان، فإذا صلَّيتُ الظُّهرَ رَدَدتُ المظالم، فقال: يا أميرَ المؤمنين، مَن لك أن تعيشَ إلى الظهر، ومن أين لك بقاءُ هذه النيّة؟

قال: ادنُ مني، فدَنا منه، فالتَزَمَه، وقبَّلَ بين عينَيه، وقال: الحمدُ لله الذي أخرجَ مِن صُلبي من يُعينُني على ديني.

فخرجَ ولم يَقِل، وأمَرَ مُناديًا ينادي: ألا مَن كانت له مظلمةٌ فليَرفَعها، فقامَ إليه رجلٌ ذِمِّيٌّ من أهل حمص، فقال: يا أميرَ المؤمنين، أسألُكَ كتابَ الله عزَّ وجلّ، قال: وما ذاك؟ قال: العبّاسُ بنُ الوليد بن عبد الملك اغتَصَبَني أرضي، والعبّاسُ جالسٌ، فقال له: يا عبّاس، ما تقول؟

فقال: أقطَعَنِيها أميرُ المؤمنين الوليدُ بنُ عبد الملك، وكتبَ لي بها سِجِلًّا، فقال عمر: ما تقولُ يا ذميُّ؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أسألُكَ كتابَ الله عزَّ وجلّ، فقال عمر: كتابُ الله عزَّ وجلَّ أَحَقُّ أن يُتَّبَعَ من كتاب الوليد، فاردُد عليه يا عبّاسُ ضَيعتَه، فرَدَّ عليه، وجَعَلَ لا يَدَعُ شيئًا ممّا كان في يد أهل بيته من المظالم إلّا رَدَّها مَظلِمةً مَظلِمةً، فلمّا بلَغَت الخوارجَ سيرةُ عمرَ وما ردَّ من المظالم اجتمعوا، وقالوا: ما ينبغي لنا أن نقاتلَ هذا الرجل(١).

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٥: ٣٥٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٥).

ولهذا تتمّةٌ ذكرتُها في كتاب «**قمع النفوس**» مع أمورٍ أُخَر.

قال الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل رضي الله عنه: يُروَى في الحديث: «**أنّ الله تعالى يبعثُ على رأس كلِّ مئة عامٍ من يُصحِّح لهذه الأُمّة دينَها**»(١)، فنَظَرنا في المئة الأولى فإذا هو عمرُ بنُ عبد العزيز، ونظرنا في المئة الثانية فنراهُ الشافِعيَّ(٢).

قال مالكُ بنُ دينار: «لمّا وُلِّيَ عمرُ بنُ عبد العزيز قالت رِعاءُ الشاءِ على رُؤوس الجبال: مَن هذا الخليفةُ الصالحُ الذي قد قامَ على الناس؟ فقِيل لهم: وما عِلمُكُم بذلك؟ فقالوا: إنّه إذا قامَ خليفةٌ صالحٌ كَفَّ الذئابُ والأسدُ عن شياتِنا(٣).

قال عبدُ الله بنُ مسلمةَ(٤): قال أبي: دخلتُ على عُمرَ بن عبد العزيز وعنده كاتِبٌ يكتب، وشَمعةٌ تَزهَر، وهو ينظُرُ في أمور المسلمين، فلمّا خَرَجَ الرجلُ أُطفِئَت الشمعة، وجيءَ بسِراج، فدنوتُ منه، فرأيتُ عليه قميصًا فيه رُقعةٌ قد طبَّقَت ما بين كتفَيه، فنظرَ في أمري(٥).

[٨١/أ] قال / رجاءُ بنُ حيوة: كان عمرُ بنُ عبد العزيز مِن أعطَرِ الناس وألبَسِهم، فلمّا استُخلِفَ قوَّموا ثيابَه باثنَي عشرَ درهمًا، كُمَّتَه(٦)، وعمامتَه، وقميصَه، وقباءَه، وقرطبَه، وخُفَّيه، ورداءَه(٧). رضي الله عنه.

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٩١)، و«معرفة السنن والآثار» (٤٢٢)، قال السخاوي: «سنده صحيح، ورجاله كلهم ثقات، وكذا صحَّحه الحاكم». انظر: «المقاصد الحسنة» (٢٠٣).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٣٨-٣٣٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٤).

(٣) في (ق): «شاتنا»، وانظر: «سير السلف الصالحين» (٨٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٧).

(٤) في (د): «مسلم».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٣٢٣).

(٦) في (د): «كميه».

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٠٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٨).

دَخَلَ مسلمةُ بنُ عبد الملك على عمرَ بن عبد العزيز يعودُه في مرضه، فإذا عليه قميصٌ وَسِخٌ، فقال لفاطمةَ بنت عبد الملك: يا فاطمة، اغسِلي قميصَ أميرِ المؤمنين، فقالت: نفعلُ إن شاءَ الله تعالى، ثمَّ عادَه فإذا القميصُ على حالِه[1]، فقال: يا فاطمة، ألَم آمُركُم أن تغسِلُوا قميصَ أمير المؤمنين؛ فإنّ الناسَ يعودُونَه؟ فقالت: والله ما له قميصٌ غيرُه[2].

بكى يومًا فبكَى أهلُ الدار، فقالت له زوجتُه: ممَّ[3] بكيت؟

قال: ذكرتُ مُنصَرَفَ القومِ من بين يدَي الله عزَّ وجلّ؛ فريقٌ في الجنّة، وفريقٌ في السعير، ثمَّ صرخَ وغُشِيَ عليه[4].

قال هاشمٌ: لمّا كانت الصرعةُ التي هلكَ فيها عمر دَخَلَ عليه مَسلَمةُ بنُ عبد الملك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، إنّك أقفَرتَ[5] أفواهَ وَلدِكَ من هذا المال، وتركتَهُم عَيلةً لا شيءَ لهم، فلو أوصَيتَ إليَّ بهم، وإلى نُظَرائي من أهل بيتك؟

فقال: أسنِدوني، ثمَّ قال: أمّا قولُك: إنّي أقفَرتُ أفواهَ ولدي من هذا المال، فوالله إنّي ما منعتُهُم حقًّا هو لهم، ولم أُعطِهم ما ليسَ لهم، وأمّا قولُك: لو أوصيتُ بهم، فإنّ وصِيِّيَ ووَلِيِّيَ فيهم ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَـٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، بَنِيَّ أحدُ رجُلَين؛ إمّا رجلٌ يتّقي الله تعالى فسيجعلُ الله عزَّ وجلَّ

---

(١) «حاله» ليس في (ق).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٥٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٨).

(٣) في (د): «لم».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٢٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٦٨).

(٥) كذا في (ق) و(د)، و«حلية الأولياء» (٥: ٣٣٣)، وفي «سيرة عمر بن عبد العزيز» لابن عبد الحكم (١٠١)، و«مرآة الزمان» (١٠: ٣٠٠): «فغرت»، وفي «المنتظم» (٧: ٧٠): «أفقرت».

له مَخرجًا، وإمّا رجلٌ مُكِبٌّ على المعاصي؛ فإنّي لم أكن مُقوِّيه على معاصي الله عزَّ وجلّ، ثم بعثَ إليهم وهُم بضعة عشر ذَكرًا، فنظرَ إليهم، فذَرَفَت عيناه، ثمَّ قال: بنفسي الفتيةُ التي تركتُهُم عَيلةً لا شيءَ لهم؛ فإنّي بحَمدِ الله تعالى قد تركتُهُم بخير.

أي بَنِيّ، إنّ أباكم بين أمرَين؛ بين أن تستَغنُوا ويدخُلَ(١) أبوكُم النار، أو تفتَقِرُوا ويدخلَ أبوكم الجنّة، فكان(٢) أن تفتَقِرُوا ويدخلَ الجنّة أحبَّ إليه من أن تستَغنُوا ويدخلَ النار، قوموا(٣) عصمَكُم الله عزَّ وجلَّ(٤).

[٨١/ ب] قال القاسمُ بنُ غزوان: كان عمرُ بنُ عبدِ العزيز يتمثَّل بهذه الأبيات:

أَيَقظانُ أنتَ اليومَ أم أنتَ نائِمُ ... وكَيفَ يُطِيقُ النَّومَ حَيرانُ هائِمُ
فلَو كُنتَ يَقظانَ الغَداةِ(٥) لَحَرَّقَت(٦) ... مَحاجِرَ عَينَيكَ الدموعُ السّواجِمُ
بل أصبَحتَ فِي النَّومِ الطَّويلِ وقَددَنَت ... إلَيكَ أُمُورٌ مُفظِعاتٌ عَظائِمُ
نَهارُكَ يا مَغرُورُ سَهوٌ وغَفلةٌ ... ولَيلُكَ نَومٌ والرَّدَى لَكَ لازِمُ
يَغُرُّكَ ما يَفنَى وتُشغَلُ بالمُنَى ... كَما غُرَّ باللَّذّاتِ فِي النَّومِ حالِمُ
وَتُشغَلُ فِيما سَوفَ تكرَهُ غِبَّهُ ... كَذَلِكَ فِي الدُّنيا تعيشُ البَهائِمُ
فَلا أنتَ فِي الأيقاظِ يَقظانُ حازِمٌ ... ولا أنتَ فِي النُّوّامِ نائمٌ سالِمُ(٧)

---

(١) في (ق): «وبين أن يدخل».
(٢) في حاشية (د): «جوابهم له أنا».
(٣) قوله: «تفتقرُوا ويدخل الجنّة أحبُّ إليه من أن تستغنُوا ويدخل النار، قوموا» في (د): «نفتقر وتدخل الجنة أحبُّ إلينا من أن نستغني وتدخل النار، فقال لهم: قوموا».
(٤) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٠٥)، و«حلية الأولياء» (٥: ٣٣٣)، و«المنتظم» (٧: ٧٠).
(٥) في (د): «الفؤاد».
(٦) في (د): «لخرقت».
(٧) البيت الأخير مثبت من (د)، والأبيات من بحر الطويل. وانظر: «الزهد» لابن أبي الدنيا (٤٥٧)، و«حلية الأولياء» (٥: ٣٢٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٥: ٢٤٤).

قال أبو سُلَيمٍ الهُذَليّ: خَطَبَ عمرُ بنُ عبد العزيز، فقال:

أمّا بعدُ،

فإنّ الله تعالى لم يَخلُقكُم عبثًا، ولم يَدَع من أمرِكُم شيئًا سُدًى، وإنّ لكم معادًا[١]، فخابَ وخسرَ مَن خرجَ من رحمةِ الله عزَّ وجلّ، وحُرِمَ الجنّةَ التي عرضُها السماواتُ والأرض، واشترى قليلًا بكثير، وفانيًا بباقٍ، وخوفًا بأمن، ألا ترونَ أنّكم في أسلافِ الهالِكين؟! وسيَخُلُّها بعدكم الباقون كذلك، حتَّى تُرَدَّ إلى خيرِ الوارِثين، في كلِّ يومٍ وليلةٍ تُشَيِّعونَ غاديًا ورائحًا إلى الله عزَّ وجلّ، فقد قضى نحبَه وانقضى أجلُه؛ حتَّى تُغيِّبوه في صدعٍ من الأرض في بطنِ صَدع، ثمَّ تَدَعُونَه غيرَ مُمَهَّدٍ ولا مُوَسَّد، قد خلعَ الأسبابَ، وفارقَ الأحباب، وسكنَ التراب، وواجَه الحساب، مُرتَهنًا بعملِه، فقيرًا إلى ما قدَّم، غنيًّا عمّا ترك، فاتَّقوا الله عزَّ وجلَّ قبل نُزولِ الموت، وأيمُ الله، إنّي لأقول[٢] لكم هذه المقالةَ وما أعلمُ عند أحدٍ منكُم من الذنوبِ ما أعلَمُ عندي، وقد سبقَ في علمِ الله عزَّ وجلَّ كتابٌ ناطقٌ، وسنةٌ عادلةٌ، أمر[٣] فيها بطاعتِه[٤]، ونهى فيها عن مَعصيَتِه، ثمَّ وضعَ طرفَ ردائه على وَجهِه، فبكى وشَهِقَ وبكى الناسُ.

وكانت آخِرَ خطبةٍ خطَبَها[٥].

تُوفِّي لعشرِ ليالٍ بَقِينَ من رجب سنةَ إحدى ومئة، وهو ابنُ تسعٍ وثلاثين سنةً وستّةِ أشهر، وكانت خلافتُه سنتَين وخمسةَ أشهر، ومات بدَير سَمعانَ[٦]،

---

(١) في (ق): «معاذًا».

(٢) في (ق) و(د): «لا أقول».

(٣) في (ق): «له».

(٤) في (ق): «طاعته».

(٥) انظر: «سير السلف الصالحين» (٨٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٠).

(٦) في حاشية (د): «من أعمال المَعَرَّة من لواء ولاية حلب، وقبره مشهور هناك».

ودُفِنَ هناك[١]، رحمة الله عليه، ورضي الله عنه.

* * *

[عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنهم]

[٩٤] ومنهم: عامِرُ بنُ عبد الله بن الزبير بن العوّام[٢]، رضي الله عنه.

قال مالكٌ: كان عامرٌ يقفُ مَوضِعَ الجنائز ويدعو وعليه قطيفةُ فَرو، فربَّما سقطَت عنه وما يَشعُر[٣].

وقال مالكٌ أيضًا: «ربَّما خَرَجَ عامرٌ مُنصرِفًا من العتمةِ مِن مَسجِد رسول الله ﷺ، / فيَعرِضُ له الدعاءُ قبل أن يَصِلَ إلى منزله، فيرفَعُ يديه، فما يزالُ كذلك حتَّى يُنادَى بالصبح، فيَرجِعُ إلى المسجد، فيُصلِّي الصبحَ بوُضوء العَتمة»[٤]. [٨٢/أ]

وكان له إيثارٌ وأيُّ إيثار، كانت تأتيه البَدرةُ وفيها عشرةُ آلاف، فيعطيها[٥]، فما يُصلِّي العَتمةَ وعنده منها درهمٌ[٦].

وكان رضي الله عنه يتحيَّنُ العُبّادَ وهم سجود؛ كأبي حازم، وصفوانَ ابنِ سُليم، وسليمانَ بن سحيم[٧]، وأشباهِهم، فيأتيهم بالصُّرّة وفيها الدنانيرُ والدراهم، فيضعُها عند نِعالهم، يُحِسُّونَ بها ولا يشعرونَ بمكانه، فيُقالُ له: ما

---

(١) انظر: «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (١٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧١).
(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٦)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٤٣).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٣).
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٣)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٤٤).
(٥) في (ق): «فيعطها».
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٣).
(٧) في (ق): «سجيم».

يمنعكَ أن تُرسِلَ بها إليهم؟ فيقول: أكرهُ أن يتمعَّر وجهُ أحدِهم إذا نظرَ إلى رسولي وإذا لَقِيَني[١].

قال عبّاسُ بنُ المغيرة: «كان عامرٌ[٢] إذا شَهِدَ جنازةً وقَفَ على القبر، فقال: ألا أراكَ ضيِّقًا، ألا أراكَ مُظلِمًا، إن سلمتُ لأتأهَّبَنَّ لك أُهبَتك، فأوَّل شيءٍ تراهُ عيناه من ماله يتقرَّب به إلى رَبِّه»[٣].

قال مُصعَبُ بنُ عبد الله: «سَمِعَ عامرٌ المؤذِّنَ وهو يَجُودُ بنفسه، ومنزِلُه قريبٌ من المسجد، فقال: خُذُوا بيدي، فقيل له: إنّكَ عليل، فقال: أسمَعُ داعيَ ربِّي، فلا أُجِيبه، فأخذوا بيده، فدَخَلَ في صلاةِ المغرب، فركعَ مع الإمامِ ركعةً ثمَّ مات»[٤].

توفِّي سنة أربعٍ وعشرين ومئةٍ[٥]، رضي الله عنه.

* * *

[أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم رضي الله عنه]

[٩٥] **ومنهم**: أبو بكر بنُ[٦] محمَّد بن عمرو بن حزم[٧].

ولّاه عمرُ بنُ عبد العزيز إمارةَ[٨] المدينة[٩].

---

(١) انظر: «المنتظم» (٧: ٢٣٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٣).
(٢) «كان عامر» ليس في (ق).
(٣) انظر: «جمهرة نسب قريش وأخبارها» (٢٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٣).
(٤) انظر: «جمهرة نسب قريش وأخبارها» (٢٢١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٧٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٢٢٠).
(٦) «ابن» ليس في (د).
(٧) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).
(٨) في (ق): «إمرة».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).

قالت امرأتُه: ما اضطجعَ أبو بكرٍ على فراشه منذُ أربعينَ سنةً بالليل(١).

توفِّي سنة عشرين ومئة، وهو ابنُ أربعٍ وثمانين سنةً(٢)، رضي الله عنه.

* * *

[محمد بن كعب القُرَظي رضي الله عنه]

[٩٦] ومنهم: مُحمَّدُ بنُ كعب القُرَظيُّ(٣).

يُكنَّى: أبا حمزة(٤).

قال عبدُ الله بنُ المبارك: قال موسى بنُ عبدة: قال محمَّدُ(٥) بنُ كعب: «إذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ بعبدٍ خيرًا جعلَ له ثلاثَ خصال: فِقهًا في الدين، وزهادةً في الدنيا، وبصرًا بعيوبه»(٦).

قال عبدُ الله بنُ وهب: قال محمَّدُ بنُ كعب: «لَأن أقرأ في لَيلَتِي حتَّى أُصبح: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾، و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾، لا أزيدُ عليهما، وأتردَّدُ فيهما، وأتَفَكَّر، أَحَبُّ إليَّ من أن أهُذَّ القرآنَ أو أنثُرَه»(٧).

قالت له أُمُّه: «يا بُنيّ، لولا أنِّي أعرِفُكَ صغيرًا طيِّبًا، وكبيرًا طيِّبًا، لظننتُ

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٤٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٤٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٤).

(٣) انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (١: ٢١٦)، و«رجال صحيح البخاري» (٢: ٦٧٥)، و«حلية الأولياء» (٣: ٢١٢).

(٤) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (١: ٢١٦)، و«الكنى والأسماء» للإمام مسلم (١: ٢٤٣).

(٥) «محمد» ليس في (د).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢١٣).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢١٤).

أنّك أحدثتَ ذنبًا مُوبِقًا؛ لِما أراكَ تصنعُ بنفسك في الليلِ والنهار، فقال: يا أُمّاه، وما يُؤمِّنُني أن يكون الله عزَّ وجلَّ قد اطَّلَعَ عليَّ وأنا في بعض ذنوبي فقال: اذهب لا أغفر لك، مع أنّ عجائبَ القرآن تَرِدُ بي على أمورٍ حتَّى إنّه لينقضيَ [٨٢/ب] الليلُ ولم أفرُغ من حاجتي»(١).

قال الواقديّ: «مات سنةَ سبعَ عشرة، أو ثمانِ عشرةَ ومئة، وقيل غيرُ ذلك»(٢).

كان يقُصُّ على أصحابه، فسقطَ المسجدُ عليه وعليهم، فقَتَلَهُم رحمةُ الله عليهم أجمعين(٣).

* * *

[أبو عمرو بن حِماس(٤)]

[٩٧] ومنهم: أبو عمرو بنُ حِماس(٥).

قال مالكٌ رضي الله عنه: «كان يونسُ(٦) ـ يعني: ابنُ حِماس ـ من العُبّاد، أو من خيار الناس، فأقبلَ ذات يومٍ وهو رائحٌ من المسجد، فلَقِيَتهُ امرأة، فوقَعَ

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢١٤).

(٢) انظر: «الطبقات» لخليفة بن خياط (٤٥٩)، و«رجال صحيح البخاري» (٢: ٦٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٧٥).

(٤) حِماس: قال ابن ماكولا في «الإكمال» (٢: ٥٠٠): «حِماس؛ بالسين المهملة، فهو حماس بن عمرو الليثي، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، روى عنه ابنه أبو عمر»، وفي «الإصابة في تمييز الصحابة» (٧: ٢٥٧): «بكسر المهملة والتخفيف، وآخره مهملة».

(٥) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ١٦٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٥).

(٦) قال ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١: ٣٧٥): «وقد اختُلِف علينا في اسمه؛ فقيل: يوسف ابن يونس، وقيل: يونس بن يوسف».

في نفسه منها، فقال: اللَّهُمَّ إنّك جعَلتَ بصري نعمةً، وقد خشِيتُ أن يكون نِقمةً عليَّ[١]، فاقبِضه إليك، فعَمِي، فكان يروحُ إلى المَسجدِ يقودُه ابنُ أخٍ له، فإذا استقبلَ به الأسطوانةَ استقبلَ الصبيُّ يلعبُ مع الصبيان، فإذا نابَته[٢] حاجةٌ حصَبه، فأقبَلَ إليه، فبَينا هو ذاتَ يومٍ ضَحوةً في المسجد إذ أحَسَّ في بطنه بشيء، فحَصَبَ الصبيّ، فشُغِلَ مع الصبيانِ حتَّى خافَ الشيخُ على نفسِه، فقال: اللهُمَّ إنّك كنت جعلتَ لي بصرًا نعمةً، وخشيتُ أن يكونَ لي نقمةً، فسألتُكَ فقبَضتَه إليك، وقد خشِيتُ الفضيحةَ، فرُدَّه إليّ، فانصرَفَ إلى منزلِه صحيحًا يمشي، قال مالكٌ: فرأيتُه أعمى، ورأيته صحيحًا»[٣].

قال محمَّدُ بنُ طلحة: «كان أبو عمرٍو متعبِّدًا مجتهِدًا يُصَلِّي الليل، وكان بعد رَدِّ بصرِه يصومُ الدهر»[٤]، رضي الله عنه.

***

[محمد بن المنكدر]

[٩٨] **ومنهم: محمَّدُ بنُ المُنكَدِر**[٥].

وكان مذكورًا بالصلاحِ والعبادة.

قال الحارثُ الصوّاف: قال محمَّدُ بنُ المنكدِر: «كابَدتُ نفسي أربعين سنةً حتَّى استقامت»[٦].

---

(١) في (ق): «عليّ نقمة». (٢) في (د): «أنابته».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٧٥)، و«أسماء شيوخ مالك» لابن خلفون (٣٩٣).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٧٥).

(٥) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٨).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٥١).

قال سفيان: «كان يقومُ من الليلِ يُصَلِّي، وكان له جارٌ مُبتلًى، فكان يرفَعُ صوتَه من الليلِ يَصيح، فكانَ محمَّدٌ يرفعُ صوتَه بالحمد، فقِيلَ له في ذلك، فقال: يرفعُ صوتَه بالبلاء، وأرفعُ صوتي بالنعمة»(١).

وكان ليلةً يُصلِّي فاستبكَى، فكَثُرَ بكاؤُه حتَّى فزِعَ له أهلُه، وسألوه ما الذي أبكاه؟ فاستعجَمَ عليهم(٢)، فتمادَى في البكاء، فأرسَلوا إلى أبي حازم، فأخبَروه بأمره، فجاءَ فوجدَه يَبكي، فقال: يا أخي، ما الذي أبكاكَ؟ قد رُعتَ أهلَك. فقال: إني مَرَّت بي آيةٌ من كتابِ الله عزَّ وجلّ، فقال: ما هي؟ فقال: قولُه عزَّ وجلّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، / فبكى أبو حازمٍ معه، [٨٣/أ] واشتدَّ بكاؤُه، فقال بعضُ أهلِه لأبي حازم: جِئناك لتُفرِّجَ عنه فزِدتَه، فأخبَرَهُم ما الذي أبكاهُما(٣).

كان لمحمَّدٍ ابنٌ وكان يُمسِكُ المصحفَ له، قال ابنُه: فمَرَّت مَولاةٌ له فكَلَّمَها فضحكَ إليها، ثمَّ أقبَلَ يقول: إنّا لله إنّا لله، حتَّى ظنَنتُ أنّه حدثَ شيءٌ، فقلت: ما لَكَ؟ فقال: أما كان لي في القرآن شُغلٌ حتَّى كلَّمتُها(٤).

قال أبو معشر: «بَعثَ مُحمدُ بنُ المُنكَدِرِ إلى صَفوانَ بنِ سُلَيمٍ(٥) بأربَعِينَ دِينارًا، ثمَّ قال لبَنيه: يا بَنِيّ، ما ظَنُّكُم برجُلٍ فرَّغ صفوانَ لعبادةِ ربِّه عزَّ وجلَّ؟»(٦).

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٩)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٣٥٥).

(٢) «عليهم» ليس في (د).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٩).

(٥) كذا في المصادر، وفي النسخ: «صفوان بن سليمان».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٥٥).

قال جعفرُ بنُ سليمان: «كان مُحمدُ بنُ المُنكدِرِ يضعُ[١] خدَّه على الأرض، ثمَّ يقول لأُمِّه: ضعِي قدَمَكِ على خدِّي»[٢].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال محمدُ بنُ المُنكَدِر: «الفقيهُ يَدخُلُ بين الله عزَّ وجلَّ وبين عبادِه، فليَنظُر كيف يَدخُل»[٣].

قال عِكرِمة: «جَزِعَ محمَّدُ بنُ المُنكَدِرِ عند الموت، فقيلَ له: لِمَ تجزَع؟ فقال: أخشى آيةً من كتاب الله عزَّ وجلّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾، فإنِّي أخشى أن يَبدُوَ لي من الله تعالى ما لم أكُن أحتَسِب، فما زالَ صفوانُ يُهَوِّنُ عليه الأمرَ[٤] حتَّى لكأنَّ في وجهِه المصابيحُ»[٥].

تُوفِّي محمدُ بنُ المُنكدِرِ بالمدينةِ الشريفةِ سنةَ ثلاثين أو إحدى وثلاثين ومئة، رضي الله عنه[٦].

* * *

[عمر بن المنكدر]

[٩٩] **ومنهم**: عمرُ بنُ المُنكَدِر، أخو محمَّد[٧].

قالت له أُمُّه: «يا عمر، إنّي أشتهي أن أراكَ نائمًا، فقال: يا أُمّاه، واللهِ إنّ الليل

---

(١) في (د): «يضيع».
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٥٧).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٧٩).
(٤) في (د): «الأمور».
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٤٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٦٧).
(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٦: ٤١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٠).
(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٨٥).

لَيَرِدُ عليَّ فيَهُولُني فينقضي(١) عنّي، وما قضيتُ(٢) منه إرْبِي»(٣).

قال سالمٌ أبو بسطام: «كان عمرُ بنُ المنكدِرِ لا ينامُ الليلَ يُكثِرُ البكاءَ على نفسه، فشَقَّ ذلك على أُمِّه، فقالت لأخيه محمَّد: إنّ الذي يصنعُ عمرُ يشُقُّ عليّ، فلو كلَّمته في ذلك فاستعانَ عليه بأبي حازم، فقالا له: إنّ الذي تصنع يَشُقُّ على أُمِّك، فقال: كيف أصنع؟ إنّ الليلَ إذا دخلَ عليَّ هالَني فأستَفتِحُ القرآنَ، وما تنقضي نَهمَتِي فيه، قالا: فالبكاء، قال: آيةٌ من كتاب الله عزَّ وجلَّ أبكَتني، قالا: وما هي؟ قال: قولُه عزَّ وجلّ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾»(٤).

قال عبدُ الرحمن بنُ حفص: «بَعَثَ بعضُ الأمراءِ إلى عمرَ بن المنكدِرِ بمال، فجاءَه الرسول، فوضَعه بين يدَيه، فجَعَلَ عمرُ ينظرُ إليه ويبكي، ثمَّ جاءَ / أخوه [٨٣/ب] أبو بكر، فلمّا رأى عمرَ يبكي جلسَ يبكي لبكائه، ثمَّ جاءَ محمَّدٌ فجلسَ يبكي لبكائهما، فاشتدَّ بكاؤُهُم جميعًا، فبكى الرسولُ لبكائهم، ثمَّ أرسلَ إلى صاحبه فأخبرَه، فأرسلَ ربيعةَ يستعلِمُ البكاء، فلمّا جاء ذَكرَ ذلك لمُحمَّد، فقال محمد: سَلْه؛ فهو أعلَمُ ببُكائه، فاستأذنَ عليه ربيعة، فقال: يا أخي، ما الذي أبكاكَ من صِلة الأمير؟ فقال: إنّي والله خشيتُ أن تغلبَ الدنيا على قلبي، فلا يكون للآخرة فيه نصيبٌ، فذلك الذي أبكاني، ثمَّ أمَرَ بالمالِ فتصدَّقَ به على فقراءِ أهلِ المدينة، فجاءَ ربيعةُ فأخبرَ الأمير بذلك فبكى، وقال: هكذا والله يكون أهلُ الخير»(٥)، رضي الله عنه.

---

(١) في (د): «فيقضي».
(٢) في (د): «ينقضي».
(٣) «مختصر قيام الليل» للمروزي (٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٨٥).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ١٨٥).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٠).

[سعد بن إبراهيم]

[١٠٠] ومنهم: سعدُ بنُ إبراهيم.

يُكنَّى: أبا إسحاق(١).

وُلِّيَ قضاءَ المدينةِ الشريفة(٢).

قال شُعبة: «كان سعدٌ يصومُ ويقرأُ القرآنَ في كلِّ يومٍ وليلة، وسرَدَ الصومَ أربعين سنةً»(٣).

قال مِسعَر: «قيل لسعد: مَن أفقَهُ أهلِ المدينة؟ قال: أتقاهُم لربِّه»(٤).

قال ابنُه: «كان أبي يحتَبي، فما يَحُلُّ حَبوتَه حتَّى يقرأ القرآن، وكان إذا كانت ليلةُ إحدى وعشرين، وثلاثٍ وعشرين، وخمسٍ وعشرين، وسبعٍ وعشرين، وتسعٍ وعشرين لم يُفطر حتَّى يَختِمَ القرآن، وكان كثيرًا إذا أفطرَ يُرسِلُني إلى المساكين فيأكلونَ معه»(٥)، رضي الله عنه.

تُوفِّي بالمدينةِ الشريفةِ سنةَ سبعٍ وعشرين ومئة، وهو ابنُ اثنتَين(٦) وسبعِين سنةً(٧). رضي الله عنه.

* * *

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٨١)، و«التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة» (١: ٣٨٤).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨١).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨١).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨١).

(٦) في (د): «اثنين».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨١).

[ربيعة بن أبي عبد الرحمن]

[١٠١] **ومنهم**: ربيعةُ بنُ أبي عبد الرحمن[١].

واسمُ أبي عبد الرحمن: فَرُّوخ.

ويُكنَّى ربيعةُ: أبا عثمان، وهو شيخُ مالكٍ[٢].

قال ابنُ زيد: «مَكَثَ ربيعةُ دهرًا طويلًا عابدًا يُصلِّي الليلَ والنهارَ»[٣].

طَلَبَ السَّفّاحُ ربيعةَ إلى الأنبار ليُولِّيَه، فلم يَقبَل، وعَرَضَ عليه العطاءَ فلَم يَقبَل[٤].

قال سفيان: «كان ربيعةُ يومًا جالسًا، فغطَّى رأسَه، ثمَّ اضطجعَ وبَكى، فقيل له: ما يُبكِيك؟ فقال: رياءٌ ظاهر، وشهوةٌ خفيّةٌ»[٥].

قال يومًا: «لقد رأيتُ مشيَخةَ المدينة وإنّ لهم لغَدائر، وعليهم المُمَصَّر والمُوَرَّد، في أيديهم المَخاصر، وفي أيديهم آثارُ الحِنّاء في هيئة الفِتيان، ودِينُ أحدهم أبعدُ من الثُّريّا إذا أُريدَ على دينِه»[٦].

توفِّي ربيعةُ بالأنبار، وقيل: بل رجع إلى المدينةِ فمات بها، وذلك في سنة ستٍّ وثلاثين ومئة.

قال مالكٌ: «ذَهَبَت حلاوةُ الفقهِ منذُ مات ربيعةُ»[٧]، رضي الله عنه.

---

(١) انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (٣: ٢٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٢).

(٢) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٣: ٢٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٣)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٤١٩).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٣).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٥٩).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٤).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٤)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٤٢٣).

[صفوان بن سليم]

[١٠٢] ومنهم: صفوانُ بنُ سُلَيم.

يُكنَّى: أبا عبد الله(١). [٨٤/أ]

قال أبو حازم: «عادَلَني صفوانُ إلى مكّة، فما وضَعَ جنبَه إلى المَحملِ حتَّى رجعَ»(٢).

قال سليمانُ بنُ سالم: «كان صفوانُ في الصيفِ يُصلِّي بالليل في البيت، فإذا كان الشتاءُ يُصلِّي(٣) في السطح؛ لئلّا ينام»(٤).

قال أنسُ بنُ عياض: «رأيتُ صفوان، ولو قِيل له: غدًا القيامة، ما كان عندَه مزيدٌ على ما هو عليه من العبادة»(٥).

قال أبو علقمة: «كان صفوانُ لا يكادُ يَخرجُ من مسجدِ رسول الله ﷺ، فإذا أرادَ أن يخرُجَ بكى، وقال: أخافُ ألّا أعودَ إليه»(٦).

قال محمَّدُ بنُ أبي منصور: «إنّ صفوانَ أعطى الله عزَّ وجلَّ عهدًا ألّا يَضَعَ جنبَه على فراشٍ حتَّى يَلحَقَ بربِّه، قال: فبَلَغَني أنّه عاشَ بعد ذلك أربعين سنةً لم

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣:١٥٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٤).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣:١٥٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٤).

(٣) في (ق): «صلى».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٤).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٤).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٢٩).

يَضَع جنبَه، فلمّا نَزَلَ به المَوتُ قيل له: رَحِمَكَ الله تعالى، ألا تضطَجِع؟ فقال: ما وفَّيتُ لله عزَّ وجلَّ بالعهد إذًا، فأُسنِد، فما زالَ كذلك حتَّى خَرَجَت نفسُه»[١].

قال: ويقولُ أهلُ المدينة: «إنّه نُقِبَت جَبهتُه من كثرةِ السُّجود»[٢].

قال أبو مروان: «انصرَفتُ مع صفوانَ من العِيدِ إلى منزِله، فجاءَ بخُبزٍ يابس، فجاءَ سائلٌ، فقامَ إلى كُوّة، فأخذَ منها شيئًا فأعطاه، فاتَّبَعتُ ذلك السائلَ لأنظُر ما أعطاه، فإذا هو يقول: أعطاه الله تعالى أفضلَ ما أعطى أحدًا من خَلقِه، فقلت: وما أعطاك؟ فقال: أعطاني دينارًا»[٣].

قال سُفيان: «جاءَ رجلٌ من أهلِ الشام، فقال: دُلُّوني على صفوانَ؛ فإنّي رأيتُه دَخَلَ الجنّة، فقلت: بأيِّ شيءٍ؟ فقال: بقمِيصٍ كساه لإنسان، قال بعضُ إخوانِ صفوان، فسألتُ صفوانَ عن قصّةِ القميص، فقال: خرَجتُ من المسجدِ في ليلةٍ باردة، وإذا رجلٌ عريان، فنزَعتُ قميصي فكسوتُه إيّاه»[٤].

قال أبو كَثيرِ بنُ يحيى: «قَدِمَ سليمانُ بنُ عبد الملك المدينةَ وعمرُ بنُ عبد العزيز عاملُهُ عليها، فصلَّى بالناسِ الظهر، ثمَّ فتحَ بابَ المقصورة، واستندَ إلى المحرابِ بوَجهِه، فنَظَرَ إلى صفوانَ من غيرِ معرفة، فقال: يا عمر، مَن هذا الرجل، ما رأيتُ سَمْتًا أحسنَ منه؟ قال: يا أميرَ المؤمنين، هذا صفوانُ بنُ سُلَيم.

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٤)، و«مرآة الزمان» (١١: ٤٦٦).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٥)، و«تهذيب الكمال» (١٣: ١٩٠).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٣١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٥).

فقال: يا غُلام، كِيسٌ فيه خمسُ مئة دينار، فأُتيَ بكيسٍ فيه ذلك، فقال لخادِمه: ترى هذا الرجلَ القائمَ يُصلِّي؟ فأثبَتَه الغلام، ثمَّ خرجَ إليه بالكيس، فلمّا نَظَرَ إليه صفوانُ ركَعَ وسجد، ثمَّ سلَّمَ وأقبَلَ عليه، فقال: ما حاجتُكَ؟

[٨٤/ب] قال: أمرَني[١] أميرُ المؤمنين، وهو ذا[٢] ينظرُ إليك وإليَّ أن أدفعَ إليك هذا الكيس، وفيه خمسُ مئةِ دينار، وهو يقول لك: استَعِن به على زمانِكَ وعلى عيالِك، فقال صفوانُ للغلام: ليس أنا الذي أُرسِلتَ إليه، فقال الغلام: ألستَ صفوانَ؟ فقال: بلى، فقال: إليك أُرسِلتُ.

فقال: اذهب[٣] فاستَثبِت، فإذا أثبتَّ فهلُمّ، فقال الغلام: فأمسِك الكيسَ معك وأذهَبُ، فقال: لا؛ إذا أمسكتُه فقد أخذتُه، ولكن اذهب فاستَثبِت، فولَّى الغلام، وأخذَ[٤] صفوانُ نعلَيه وخرج، فلم يُرَ بها حتَّى خرجَ سليمانُ من المدينة»[٥].

ذُكِرَ للإمام أحمدَ بنِ حنبلٍ صفوانُ وقلّةُ حديثِه، وأشياءُ خُولِفَ فيها، فقال: «هذا رجلٌ إنّما كان يُستَشفَى بحديثِه، ويُستَنزَلُ القطرُ بذِكرِه»[٦].

قال ابنُ أبي حازم: «دخلتُ أنا وأبي نسأل عنه ـ يعني: صفوان ـ وهو في مُصلّاه، فما زالَ به أبي حتَّى رَدَّه إلى فِراشه، فأخبَرَتني مولاتُه أنّه ساعةَ خرَجتُم مات»[٧].

تُوفِّي صفوانُ بالمدينةِ سنة اثنتَين[٨] وثلاثين ومئة[٩]، رضي الله عنه.

---

(١) «أمرني» ليس في (د).
(٢) في (د): «إذا».
(٣) في (د): «فاذهب».
(٤) في (د): «فأخذ».
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٦٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٤: ١٣٠).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٥٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٣٦٥).
(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٥٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٥).
(٨) في (د): «اثنين».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٦).

[سليمان بن دينار الأعرج]

[١٠٣] **ومنهم**: أبو حازمٍ سليمانُ بنُ دينارٍ الأعرجُ[١].

قال عبدُ الرحمن بنُ زيد بن أسلم: «ما رأيتُ أحدًا الحكمةُ في فِيهِ أقربَ من أبي حازم»[٢].

قال ثوابةُ بنُ رافع: قال أبو حازم: «ما مضى من الدنيا فحُلمٌ، وما بقي فأمانِيّ»[٣].

قال محمَّدُ بنُ مُطرِّف: قال أبو حازم[٤]: «لا يُحسِنُ عبدٌ فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ إلّا أحسَنَ الله تعالى ما بينَه وبين العباد، ولا يُعوِّر ما بَينه وبين الله عزَّ وجلَّ إلّا عَوَّر الله تعالى ما بينَهُ وبين العباد، ولَمُصانعةُ وجهٍ واحدٍ أيسَرُ من مُصانعةِ الوجوه كلِّها، إنّك إذا صانَعتَ هذا الوجهَ حَسُنَت الوجوه[٥] كلُّها إليك، وإذا أفسَدتَ ما بينك وبينه شنفتك[٦] الوجوهُ كلُّها»[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ٢٢٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٦)، و«تاريخ الإسلام» (٨: ٤٤١).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٢٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٢: ٢٥).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٣٨)، و«تاريخ دمشق» (٢٤: ٣٤٩)، و«المنتظم» (٨: ٣٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٦)، و«مرآة الزمان» (١٢: ٩٦).

(٤) من قوله: «قال أبو حازم: ما مضى من الدنيا» إلى هنا ليس في (د).

(٥) قوله: «حسنت الوجوه» ليس في (ق).

(٦) في (ق): «شنقتك»، وفي «الحلية»: «شنأتك».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٣٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٨٦).

وقال: «إذا رأيتَ الله عزَّ وجلَّ يُتابِعُ نِعَمَه عليك وأنت تعصِيه فاحذَر»[١].

وقال: «كلُّ نعمةٍ لا تُقرِّبُ من الله عزَّ وجلَّ فهي بَليّة»[٢].

وقال: «نعمةُ الله تعالى فيما زُوِي عنّي من الدنيا أفضلُ من نعمته عليَّ فيما أعطاني منها، إن وُقِينا شرَّ ما أُعطِينا لم نُبالِ بما فاتَنا»[٣].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال أبو حازم: «إن كان يُغنِيكَ من الدنيا ما يَكفِيك فأرِني[٤] عيشًا[٥] يَكفيك، وإن كان لا يُغنيكَ ما يكفيك فليسَ شيءٌ يَكفيكَ»[٦].

قال مُحمَّدُ بنُ إسحاقَ المَوصليّ، قال أبو حازم: «إنّ بضاعةَ الآخرة كاسدة، فاستَكثِروا منها في أوانِ كسادها؛ فإنّه لو قد جاءَ يومُ نِفاقِها لم يَصِل منها إلى كثيرٍ ولا قليلٍ»[٧].

[٨٥/أ] قال عبدُ الرحمن بنُ جَرِير: قال أبو حازم: «عند تصحيح الضمائر تُغفَرُ الكبائر، وإذا عَزمَ العبدُ على ترك الآثام أتته الفُتُوح»[٨].

قال محمَّدُ بنُ مُطرِّف: قال أبو حازم: «ما في الدنيا شيءٌ يَسُرُّك إلّا وقد لزقَ به شيءٌ يَسُوءك»[٩].

وكان يمرُّ على الفاكهة فيقول: موعِدُكِ الجنّةُ[١٠].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٦).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٦).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٧).
(٤) في (د): «فأدني».
(٥) في (ق) و(د): «عيش»، والصواب ما أثبتناه.
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٧).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٩).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٩).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٨٩).
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).

وقال: «وجدتُ الدنيا شيئَين؛ شيئًا يأتي أجَلُه قبل أجَلي فأُغلَب عليه[١]، وشيئًا يأتي أجَلي قبل أجَلِه فأموتُ وأُخَلِّفه لمن بعدي، ففي أيِّ هذَين أعصي ربِّي عزَّ وجلَّ[٢]؟

قال حفصُ بنُ مَيسرة: قال أبو حازم: «واعجبًا لقومٍ يعمَلونَ لدارٍ يرحَلونَ عنها كلَّ يومٍ مرحلة، ويَدَعونَ أن يعمَلوا[٣] لدارٍ يرتَحِلونَ إليها كلَّ يومٍ مرحلةً»[٤].

قال سفيانُ بنُ عُيَينة: قال أبو حازم: «لو أنّ أحدَكم قِيل له يَضَعُ ثوبَه على هذا الهدف حتَّى يُرمَى لَقال: ما كنتُ لأفعَلَ أن أخرِقَ ثوبي، وهو يَخرِقُ دينَه، ولوَدِدتُ أنّ أحدَكم يُبقِي على دينه كما يُبقِي على نَعلِه»[٥].

وقال: «يَسيرُ الدنيا يَشغَلُ عن كثيرِ الآخرة»[٦].

وقال: «ما أحبَبتَ أن يكون معك في الآخرةِ فقَدِّمه اليوم، وما كَرِهتَ أن يكونَ معك في الآخرةِ فاترُكه اليوم، وكلُّ عملٍ تكرَه أن تموتَ من أجلِه فاترُكه، ثمَّ لا يَضُرُّكَ متى متَّ»[٧].

وقال: «شيئان إذا عَمِلتَ بهما أصَبتَ خَيرَي الدنيا والآخرة، لا أُطَوِّلُ[٨] عليك، قيل: وما هما؟ قال: تَحمِلُ ما تكرَه إذا أحبَّه الله عزَّ وجلّ، وتترُكُ ما تُحِبُّ إذا كَرِهَه الله عزَّ وجلَّ»[٩].

---

(١) قوله: «فأغلب عليه» ليس في (ق).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).
(٣) في (ق): «يعملون».
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٠).
(٨) في (د): «أطيل».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩١).

وقال[١] محمَّدُ بنُ يحيى المازِنيّ: قال أبو حازم: «رَضِيَ الناسُ من العملِ بالعلم، ومن الفِعل بالقَول»[٢].

رأى أبو حازمٍ ابنَ عمر، وأنسَ بنَ مالك، وقيل: إنّه رأى أبا هريرةَ رضي الله عنهم[٣].

تُوفِّي في سنة أربعين ومئة في خلافةِ المنصور[٤]، رضي الله عنه.

* * *

[جعفر بن محمد بن علي بن الحسين]

[١٠٤] ومنهم: جعفرُ بنُ محمَّد بن عليٍّ بن الحسين رضي الله عنهم.

ويُكنَّى: أبا عبد الله[٥].

وكان مشغولًا بالعبادةِ عن حُبِّ الرياسة[٦].

قال أبو المِقدام: «كنت إذا نظرتُ إلى جعفرٍ عَلِمتُ أنّه من سُلالةِ النبيِّينَ»[٧].

قال لسُفيان: «إذا حَزَبَكَ أمرٌ من سلطانٍ أو غيرِه فأكثِر من لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله؛ / فإنّها مِفتاحُ الفرَج، وكنزٌ من كنوزِ الجنّة»[٨]. [٨٥/ب]

(١) في (د): «قال».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩١).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩١).

(٥) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ١٩٢)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٧٢١)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩١).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩١).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٩٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩١).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٩٣).

وقال لسُفيانَ الثوريّ: «لا يتمُّ المعروفُ إلّا بثلاثةٍ؛ بتَعجيلِه، وتَصغيرِه، وسَترِه»[١].

قال المِقدامُ الرازيّ: «وَقَعَ الذبابُ على المَنصور، فذبَّه عنه، فعاد، فذبَّه حتَّى أضجَرَه، فدخلَ جعفرُ بنُ محمَّد، فقال لـه المنصور: يا أبا عبد الله، لِمَ خَلقَ الله عزَّ وجلَّ الذبابَ؟ فقال: ليُذِلَّ به الجبابرة»[٢].

كان رجلٌ من السوادِ يلزمُ جعفرًا، ففقدَه، فسألَ عنه، فقال له رجلٌ: إنّه نَبطيٌّ. يُريدُ أن يَضَعَ منه، فقال جعفرٌ: أصلُ الرجلِ عقلُه، وحَسَبُه دينُه، وكَرَمُه تقواه، والناسُ في آدَمَ مُستوُون[٣].

قال سفيانُ الثوريّ: «سمعتُ جعفرًا الصادِقَ يقول: عزَّت السلامةُ حتَّى لقد خَفيَ مَطلَبها[٤]، فإن تَكُ في شيءٍ فيُوشكُ أن تكون في الخُمول، فإن طُلِبَت في الخمولِ ولم توجَد فيُوشكُ أن توجدَ في التخلِّي، وليس كالخُمول، فإن طُلِبَت في التخلِّي ولم توجَد؛ فيُوشكُ أن توجدَ في الصمت، فإن طُلِبَت في الصمتِ ولم تُوجَد فيُوشكُ أن توجدَ في كلام السلف الصالح، ومن وجَدَ في نفسِه خلوةً فليَشتَغِل بها»[٥].

قال الليثُ بنُ سعد: «حَجَجتُ سنةَ ثلاثَ عشرةَ ومئة، فأتيتُ مكّة، فلمّا صلَّيتُ العصرَ رَقِيتُ أبا قُبيس، فإذا أنا برجلٍ جالسٍ وهو يدعو، فقال: يا رب

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٢).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ١٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٢).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٣).

(٤) في (د): «مطالبها».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٣).

يا رب، حتَّى انقطعَ نَفَسُه، ثمَّ قال: يا ربّاه، يا ربّاه، حتَّى انقطعَ نَفَسُه، ثمَّ قال: ربِّ ربّ، حتَّى انقطعَ نَفَسُه، ثمَّ قال: يا الله يا الله، حتى انقطع نَفَسُه، ثم قال: يا حي يا حي، حتى انقطع نَفَسُه، ثم قال: يا أرحمَ الراحمين، حتَّى انقطعَ نَفَسُه(١)، ثمَّ قال: اللهُمَّ إنّي أشتَهي من هذا العنبِ فأطعِمنِيه، اللهُمَّ إنّ بُردَيَّ قد خَلِقا.

قال الليث: فوالله ما استتمَّ كلامَه حتَّى نظرتُ إلى سلّةٍ مملوءةٍ عنبًا، وليس على وجهِ(٢) الأرض يومئذٍ عنبٌ، وبُردَين موضوعَين(٣)، فأرادَ أن يأكُل، فقلت: أنا شريكُك، فقال: ولِم؟ فقلت: لِأنّك كنتَ تدعُو وأنا أُؤمِّن، فقال لي: تقدَّم وكُل، ولا تُخبِّئ منه شيئًا، فتقدَّمتُ فأكلتُ(٤) شيئًا لم آكُل مثلَه قطّ، وإذا عِنَبٌ لا عُجْمَ له، فأكَلتُ حتَّى شَبِعت والسلّةُ لم تنقُص شيئًا، ثمَّ قال: خُذ أحَبَّ البُردَين إليك، فقلت: أمّا البُردانِ فأنا غنيٌّ عنهما، فقال لي: تَوارَ عنِّي حتَّى [٨٦/أ] ألبَسَهُما، فتوارَيتُ عنه فائتزَرَ بأحدِهما وارتدى بالآخر، ثمَّ أخذ البُردَين اللذَين كانا عليه فجعَلَهُما على يدِه فاتَّبَعتُه، حتَّى إذا كان بالمسعى لقيَه رجلٌ، فقال له: اكسُنِي كساكَ الله تعالى يا ابنَ رسول الله، فدفعَهُما إليه، فلحِقتُ الرجل، فقلت: مَن هذا؟ فقال: جعفرُ بنُ مُحمَّد، قال الليث: فطلبتُه لأسمعَ منه، فلم أجِده»(٥).

تُوفِّي بالمدينةِ سنةَ ثمانٍ وأربعين ومئة(٦)، رضي الله عنه.

* * *

(١) بعدها في (ق): «سبع».
(٢) «وجه» ليس في (د).
(٣) في (د): «موضعين».
(٤) في (ق): «وأكلت».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٤).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٤).

[ابن أبي ذُؤَيب]

[١٠٥] **ومنهم**: محمَّدُ بنُ عبد الرحمن، ويُعرَفُ بابن أبي ذُؤَيبٍ[١].

وكان من أورَع الناس، وكان يُصلِّي الليلَ أجمع، وأخبَرَ أخوه كان يصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا، فوَقَعَت الرجفةُ بالشام، فقَدِمَ رجلٌ من أهل الشام فحدَّثَه عن الرجفة، وكان يومَ إفطارِه، فقلت له: قُم فتَغدَّى، قال: دعه اليوم، فسَردَ الصومَ من ذلك اليومِ إلى أن مات، وكان يتَعشَّى بالخُبزِ والزيت، وله طيلَسانٌ وقميصٌ يَشتُو فِيه ويَصِيف، ويحفَظُ حديثَه كلَّه[٢].

وحجَّ أبو جعفر، فدعاه فقال: نَشَدتُكَ بالله، ألستُ أعملُ بالحقّ، ألستَ تراني أعدِلُ؟ فقال ابنُ أبي ذُؤَيب: أما إذ نشدتَني بالله عزَّ وجلّ فأقول: اللهُمَّ لا؛ ما أراكَ تَعدِل، وإنّك لَجائرٌ، وإنّك لَتستَعمِلُ الظلَمةَ وتدعُ أهلَ الخير، قال جلساؤُه: فظننّا أنّ أبا جعفرٍ سيُعاجِلُه، فجعلنا نكُفُّ إلينا ثيابَنا؛ مخافةَ أن يُصيبَنا من دمِه، فجزعَ أبو جعفرٍ واغتمّ، وقال: قُم فاخرُج[٣].

كان رضي الله عنه فقيهًا صالحًا، يأمُرُ بالمعروفِ ويَنهَى عن المنكر، قال الإمامُ أحمد: «كان يُشبِه سعيدَ بنَ المُسيَّب»[٤].

قيل لأحمد: خَلَفَ مثلُه ببلاده؟ قال: لا، ولا بغيرِها[٥].

وكان مُقيمًا بالمدينة، فأقدَمَه المهديُّ بغداد، فحدَّثَ بها، ثمَّ رَجعَ يُريدُ المدينة،

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٦٠٠).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٦٠١).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥).

فمات بالكوفةِ سنةَ تسعٍ وخمسين ومئة، وهو ابنُ تسعٍ وسبعين سنةً[١]، رضي الله عنه.

* * *

[مصعب بن ثابت]

[١٠٦] **ومنهم**: مُصعبُ بنُ ثابت[٢].

قال الزبيرُ بنُ بكّار: «كان مُصعَبُ من أعبَدِ أهل زمانه، صامَ خمسين سنةً»[٣].

قال يحيى بنُ مسكين: «ما رأيتُ أحدًا قطُّ أكثرَ ركوعًا وسجودًا من مصعب، كان يُصلِّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ ألفَ ركعة، ويصومُ الدهرَ»[٤].

تُوفِّي سنة[٥] سبعٍ وخمسين ومئة[٦]، رضي الله عنه.

* * *

[مالك بن أنس إمام دار الهجرة]

[١٠٧] **ومنهم**: مالكُ بنُ أنس بن أبي عامر الأصبَحيُّ[٧].

[٨٦/ب] قال مَعنُ / بنُ عيسى: «كان مالكُ بنُ أنسٍ إذا أرادَ أن يُحدِّث بحديثِ رسول الله ﷺ اغتَسَلَ وتَبخَّر، وإذا رَفَعَ أحدٌ صوتَه عنده قال: اغضُض من

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٦٠٤).

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٦١٨).

(٣) «جمهرة نسب قريش وأخبارها» (١١٦).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥).

(٥) في (د): «في سنة».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٥).

(٧) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٦: ٣١٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٨).

صوتك، فإنّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، فمَن رَفَعَ صوتَه عند حديثِ رسول الله ﷺ فكأنّما رَفَعَ صوتَه فوقَ صوتِ رسولِ الله ﷺ»[١].

قيل لمالك: ما تقولُ في طلبِ العلم؟ قال: حَسنٌ جميل[٢]، ولكن انظر الذي يلزمُكَ من حين تُصبِحُ إلى حين تُمسِي فالزَمه[٣].

قال ابنُ مهديّ: «سألَ رجلٌ مالكًا عن مسألةٍ؟ فقال: لا أُحسِنُها، فقال الرجلُ[٤]: إنّي ضربتُ إليك من كذا وكذا؛ لأسألَك عنها، فقال له مالكٌ: فإذا رَجعتَ إلى مكانِكَ فأخبِرهم أنّي قلت: لا أُحسِنُها»[٥].

قال أبو عبدِ الله: «ومَن مِثلُ مالكٍ مُتَّبِعٌ لآثار مَن تقدَّمَ مع عقلٍ وأدبٍ»[٦].

قال ابنُ أبي أُوَيس: «اشتكى مالكٌ أيّامًا يسيرةً، فسألتُ بعضَ أهلِنا عمّا قال عند الموت؟ فقال: تَشَهَّدَ ثمَّ قال: لله الأمرُ من قبلُ ومن بعد»[٧].

تُوفِّي صبيحةَ أربعَ عشرةَ من شهرِ ربيعٍ الأوَّل سنةَ تسعٍ وسبعين ومئةٍ في خلافة هارونَ الرشيد، ودُفِنَ بالبقيعِ وهو ابنُ خمسٍ وثمانين سنةً[٨].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٧). (٢) «جميل» ليس في (ق).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٣١٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٧).

(٤) «الرجل» ليس في (ق).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٧).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٧).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ١٣٠).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ١٣٠).

وقال مصعبُ الزبيريُّ: «مات في صفر»(١)، رضي الله عنه.

* * *

[عبد الله بن عبد العزيز العمري]

[١٠٨] ومنهم: عبدُ الله بنُ عبد العزيزِ العمريُّ(٢).

ويُكنَّى: أبا عبد الرحمن(٣).

وكان مُتعبِّدًا، وسكنَ المقابر، وتركَ مجالسةَ الناس، فسُئِلَ عن فعلِه، فقال: لم أرَ أوعظَ من قبر، ولا آنسَ من كتاب، ولا أسلَمَ من الوحدة، فقيل له: قد جاءَ في الوحدة؟ فقال: لا تُفسِدُ إلّا جاهلًا(٤).

قال أبو المُنذِر إسماعيلُ بنُ عمر(٥): سمعت العمريَّ يقول: «مِن غَفلَتِكَ عن نَفسِكَ إعراضُكَ عن الله عزَّ وجلَّ بأن ترى ما يُسخِطُه فتجاوِزُه ولا تأمُر ولا تَنهَى؛ خوفًا ممَّن لا يَملِكُ ضرًّا ولا نفعًا»(٦).

وقال: «مَن تركَ الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المُنكَر من مخافةِ المخلوقينَ نُزِعَت منه هيبةُ الله عزَّ وجلّ، فلو أمر بعضَ ولدِه أو بعضَ مواليه لاستخفَّ به»(٧).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٧).

(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١١).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٨).

(٥) بعدها في (ق) و(د): «قال».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٨).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٨).

ورأى العمريُّ رجلًا من آلِ عليٍّ يَخطُر، فأسرعَ إليه، فأخذَ بيدِه، وقال: يا هذا، إنّ الذي أكرمَكَ الله عزَّ وجلَّ به لم تكن هذه مِشيتُه، فتَرَكَها الرجلُ بعد(١).

وخرج العمريُّ إلى الرشيد ليَعِظَه، فلمّا نَزَلَ الكوفةَ رَجَفَ العسكرُ حتَّى لو كان نزلَ بهم مئةُ ألفٍ من العدوّ ما زادوا على هَيبَته، ثمَّ رَجَعَ ولم يَصِل إليه(٢). [٨٧/أ]

وله أمرٌ بمعروفٍ للرشيد بمكّة(٣)، ذكرناه من قبل.

قال أبو يحيى الزهريّ: قال العمريُّ عند موته: «بنعمةِ ربِّي أُحَدِّث، إنّي لم أُصبِح أملِكُ إلّا سبعةَ دراهمَ من لِحاءِ شجرٍ فتلتُه بيديّ، وبنعمةِ ربِّي أُحدِّث، لو أنّ الدنيا أصبَحَت تحتَ قدمَيّ لا يمنَعُني من أخذِها إلّا أن أُزِيلَ قدَمِي عنها ما أزَلتُها»(٤).

قال إسماعيلُ المُؤدِّب: «جاءَ رجلٌ إلى العمريّ فقال: عِظني، فأخذَ حصاةً من الأرض، فقال: زِنةُ هذه من الورع يَدخُلُ قلبَك خيرٌ لك من صلاةِ أهل الأرض، قال: زِدني، قال: كما تُحبُّ أن يكونَ الله عزَّ وجلَّ لك غدًا فكُن له اليوم»(٥).

تُوفِّي بالمدينةِ سنةَ أربعٍ وثمانِينَ وهو ابنُ ستٍّ وستِّين سنةً(٦).

* * *

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٨).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٩)، و«مرآة الزمان» (١٣/ ٢٨).
(٣) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١٣).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٢١٥).
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٢٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٣٩٩).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٩).

[موسى بن جعفر]

[١٠٩] ومنهم: موسى بنُ جعفرِ بن محمَّدِ بن عليِّ بن الحسين[١].

كان يُدعَى العبدَ الصالحَ؛ لأجل عبادتِه واجتهاده وقيامه بالليل، وكان كريمًا حليمًا، إذا بَلَغَه عن رجلٍ أنّه يُؤذيه بَعَثَ إليه بمال[٢]، رضي الله عنه.

قال شقيقٌ البلخيّ: «خرجتُ حاجًّا في سنة تسعٍ وأربعين ومئة، فنَزَلتُ القادسيّة[٣]، فبينا أنا انظُرُ إلى الناسِ في زينَتِهم وكَثرَتِهم، فنظرتُ إلى فتًى حَسَنِ الوجه، ثيابُه من صوف، مشتمِلٌ بشملة، في رِجلَيه نعلان، وقد جلسَ مُنفرِدًا، فقلت في نفسي: هذا الفتى من الصوفيّة يريدُ أن يكونَ كَلًّا على الناس في طريقهم، والله لأمضِيَنّ إليه ولأُوَبِخَنَّه.

فدنوتُ منه، فلمّا رآني مُقبلًا قال: يا شقيق، ﴿ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، ثمَّ تَرَكَني ومضى، فقلتُ في نفسي: إنّ هذا لَأمرٌ عظيم، قد تكلَّم بما في نفسي، ونَطَقَ باسمي، وما هذا إلّا عبدٌ صالح، ولأسألَنَّه أن يُحالِلَني، فأسرعتُ[٤] في أثرِه فلَم ألحَقه، وغابَ عن عينَيَّ، فلمّا نزلت[٥] واقصة وإذا به يُصلِّي وأعضاؤُه تضطربُ ودموعُه تجري، فقلت: هذا صاحبِي أمضي إليه وأستحِلُّه، فصَبَرتُ حتَّى جلس، وأقبلتُ نحوه.

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٢: ٤١٧).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٣٩٩).
(٣) تقع الآن في دولة العراق، جنوب مدينة النجف، وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين المسلمين والفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة (١٦هـ). انظر: «معجم البلدان» للحموي (٤: ٢٩١)، و«أطلس الخليفة عمر بن خطاب رضي الله عنه» للمغلوث (٧٧).
(٤) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة. (٥) في (ق): «نزلنا».

فلمّا رآني مُقبلًا قال: يا شقيق، اتلُ ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، ثمَّ تَرَكَني[1] ومضى، فقلت: إنّ هذا الفتى لَمِنَ الأبدال[2]، وقد تكلَّم على سِرِّي مرَّتَين، فلمّا نَزَلنا بالا[3] إذا بالفتى قائمٌ يُصلِّي على البئر، [٨٧/ب] وبيده ركوةٌ يريدُ أن يَستَقي، فسقطت الركوةُ من يده في البئر وأنا أنظُرُ إليه، فرأيته قد رَمَقَ إلى السماء، وسمعته يقول:

أنتَ رَبِّــي إذا ظَمِئتُ مِن[4] الما ... ءِ وقُوتِــي إذا أَرَدتُ الطَّعامــا[5]

اللَّهُمَّ سَيِّدِي ما لِي سِواها فلا تُعدِمنِيها.

قال شقيقٌ: فوالله لقد رأيتُ البئرَ قد ارتفعَ ماؤُها[6]، فمَدَّ يدَه فأخذَ الركوةَ وملأها ماءً وتوضَّأ وصلَّى ركعات، ثمَّ مال إلى كثيبِ رملٍ فجعلَ يقبضُ بيده ويطرحه في الرَّكوةِ ويحرِّكُه ويشرب، فأقبلتُ إليه وسلَّمت عليه، فردَّ عليَّ السلام.

فقلت: أطعِمنِي من فضلِ ما أنعَمَ الله عزَّ وجلَّ عليك، فقال: يا شقيق، لم تَزَل نعمةُ الله عزَّ وجلَّ عَلينا ظاهرةً وباطنة، فأحسِن ظَنَّكَ بربِّك، وناوَلني الركوة،

---

(١) في (د): «وتركني».

(٢) قال الخليل في «العين» (٨: ٤٥): «والأبدال: قوم يقيم الله بهم الدين وينزل الرزق، أربعون بالشام وثلاثون في سائر البلدان، إذا مات واحد منهم يقوم مقامه مثله ولا يُؤبَه لهم». وانظر: «التوقيف على مهمات التعاريف» (٣٦)، و«كشافات اصطلاحات الفنون والعلوم» (١: ٨٧)، و«تاج العروس» (٢٨: ٦٥).

(٣) في «صفة الصفوة»: «رمالًا»، وفي «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن»: «زبالًا»، وفي «مرآة الزمان»، و«منهاج السنة النبوية»: «زبالة».

(٤) في بعض المصادر: «إلا».

(٥) البيت من الخفيف، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٠٠)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٥٥).

(٦) في (د): «ماؤه».

فشربتُ منها، فإذا سَوِيقٌ وسُكَّر، فوالله العظيم ما شربتُ قطُّ ألذَّ منه، ولا أطيَبَ ريحًا، فشَبِعتُ ورَوِيت، وأقمتُ أيّامًا لا أشتهي طعامًا ولا شرابًا.

ثمَّ لم أرَه حتَّى دَخَلنا مكّة، فرأيتُه ليلةً إلى جَنبِ قُبّة الشرابيِّ في نصفِ الليل يُصلِّي بخشوعٍ وأنينٍ وبُكاء، فلم يَزَل كذلك حتَّى ذهبَ الليل، فلمّا رأى الفجرَ في[1] مُصَلّاه فسبَّحَ الله عزَّ وجلّ، ثمَّ قامَ فصلَّى الغداة، وطافَ بالبيتِ أسبوعًا، وخرج، فتَبِعتُه، فإذا له غاشيةٌ ومَوالٍ[2]، وهو على خلافِ ما رأيتُه في الطريق.

ودارَ الناس به من حَولِه يُسلِّمون عليه، فقُلتُ لبعضِ مَن رأيتُه يَقرُبُ منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بنُ جعفرِ بن محمَّد بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب، رضي الله عنهم، فقلت: قد عَجِبتُ أن تكونَ هذه العجائبُ إلّا لمِثلِ هذا السيِّد[3].

وُلِدَ موسى بالمدينةِ الشريفة سنةَ ثمانٍ وعشرين ومئة، وقيل: تِسعٍ وعِشرين ومئة[4]، وأقامَ بها إلى أيّام الرشيد، فقَدِمَ الرشيدُ المدينة، فحمَلَه معه، وحبَسَه ببغدادَ إلى أن تُوفِّي بها لخمسٍ بَقِينَ من رجب في سنة ثلاثٍ وثمانينَ ومئة[5].

هؤلاء المذكورون نُزّالُ المدينة الشريفة، ولهم أسماءٌ مشهورةٌ كما ذكرنا، وكان فيها عُبّادٌ لا تُعرَفُ أسماؤُهُم.

* * *

(١) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٢) في (ق) و(د): «وموالي».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٠٠).

(٤) قوله: «وقيل تسع وعشرين ومئة» ليس في (ق).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٠١).

[عابد من أهل المدينة]

[١١٠] عابدٌ من رُعاة المدينة.

قال نافعٌ: «خرجتُ مع ابن عمرَ في بعض نواحي المدينة ومعه أصحاب، فوضَعُوا له سُفرةً لهم، فمرَّ بهم راعٍ[1]، فقال له عبدُ الله: هلُمَّ يا راعِ فأَصِب من [٨٨/أ] هذه السُّفرة، فقال: إنّي صائمٌ، فقال: في مثلِ هذا اليوم الشديدِ حَرُّه وأنت في هذه الشِّعاب في آثارِ هذه[2] الغنَم؟ فقال الراعي: أُبادِرُ أيّامي الخالية.

فعَجِبَ ابنُ عمرَ منه، ثمَّ قال: هل لك أن تَبيعَنا شاةً من غنمِكَ ونُطعِمَك من لحمها ما تُفطِرُ عليه ونُعطيكَ ثمنَها؟ فقال: إنّها ليست لي، فقال عبدُ الله: فما عسيتَ أن يقولَ لك مولاك إن قُلت: أكلها الذئبُ؟ فمضى الراعي وهو يقول: فأين الله، فلم يَزَل ابنُ عمرَ يقول: قال الراعي: فأين الله؟ فلمّا قَدِمَ المدينةَ بَعَثَ إلى سيِّدِه، فاشترى منه الراعي فأعتَقَه ووهَبَ له[3] الغنم[4].

❊ ❊ ❊

[عابد آخر]

[١١١] آخرٌ.

قال محمَّدُ بنُ سُوَيد: قَحطَ أهلُ المدينة، وكان فيهم رجلٌ صالحٌ ملازمٌ لمسجدِ رسول الله ﷺ، فبينا[5] هم في دُعائهم إذا أنا برجُلٍ عليه طِمرانِ خَلَقان،

---

(١) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمتين. (٢) في (ق): «هذا».

(٣) في (د): «ووهبه».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (٢: ١٨٨)، و«أسد الغابة» (٣: ٢٣٧).

(٥) في (د): «فبينما».

فصلَّى ركعتَين أوجَزَ فيهما، ثمَّ بَسَطَ يدَيه إلى الله عزَّ وجلّ، فقال: يا ربّ، أقسَمتُ عليك إلّا أمطَرتَ علينا، فلم يرُدَّ يدَه، ولم يقطَع دعاءَه حتَّى تَغشَّت بالغيمِ وأُمطِروا، حتَّى صاحَ أهلُ المدينة: الغرق، فقال: يا ربِّ إن كُنتَ تَعلمُ أنّهم قد اكتفَوا فارفَع[1] عنهم، فسَكَن.

وتَبِعَ الرجلُ صاحبَ المطر حتَّى عَرفَ موضعَه، ثمَّ بكَّرَ عليه، فنادى، يا أهلَ البيت، فخرجَ الرجل، فقال: قد أتيتُكَ في حاجة، قال: وما هي: قال: تخصُّني بدعوة، فقال: سبحانَ الله! أنت أنت، وتسألني أن أخصَّك بدعوة، ما الذي رأيت؟ فأخبَرَه، فقال: ورأيتني؟ قال: نعم، فقال: أطَعتُ الله عزَّ وجلَّ فيما[2] أمَرَني ونهاني، فسألتُه فأعطاني[3]. رحمة الله عليه.

آخرُ المذكورينَ من أهل المدينة.

---

(١) في (د): «فادفع».

(٢) في (ق): «كما».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٠٤).

[ذكر المصطفين من طبقات أهل مكة من التابعين ومن بعدهم]

وأمّا عُبّادُ الله من أهل مكّة شرَّفَها الله العظيم وعظَّمَها.

* * *

[عُبَيد بن عمير]

[١١٢] فمنهم: عُبَيدُ بنُ عُمَير[١].

قال مجاهدٌ: قال عُبَيدُ بنُ عُمَير: «ما المُجتهدُ فيكُم إلّا كاللاعب فيمن مضى»[٢].

وقال: «إذا أعظَمَكُم هذا الليلُ أن تُكابِدوه، وبَخِلتُم بالمالِ أن تُنفِقُوه، وجَبُنتُم عن[٣] العدوِّ أن تُقاتلوه، فأكثِروا من ذِكرِ الله عزَّ وجلَّ»[٤].

وقال[٥]: «إنّ أهلَ القبورِ يتَلَقَّونَ الميِّتَ كما يُتلقَّى الراكِبُ يسألونه، فإذا سألوه ما / فعَلَ فلانٌ؟ فإن كان قد مات فيقول: ألَم يأتِكُم؟ فيقولون: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ذُهِبَ به إلى أُمِّه الهاوية»[٦]. [٨٨/ب]

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٣: ٢٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٢).
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٢).
(٣) في (د): «على».
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٦٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٢).
(٥) في (د): «قال».
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٧١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٢).

رأى عُبَيد بن[1] عُمَير أبا ذرّ، وأُبيَّ بنَ كعب، وعبدَ الله بنَ عمر، وابنَ عبّاس، وعائشة، وغيرَهم من الصحابة رضي الله عنهم[2].

* * *

[مجاهد بن جبير]

[١١٣] ومنهم: مجاهدُ بنُ جُبَير[3].

يُكنَّى: أبا الحجّاج[4].

قال: «مَن أعزَّ نفسَه أذَلَّ دِينَه، ومَن أذَلَّ نَفسَه أعزَّ دِينَه»[5].

وقال: «عرضتُ القرآنَ على ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما ثلاثَ عرضات، أُوقِفُه[6] على كلِّ آية، أسألُه فيما أُنزِلَت، وكيف كانت»[7].

وقال: «إنّ القرآنَ يقول: إنّي معك ما اتَّبعتَني، فإذا لم تَعمَل بي اتَّبعتُك»[8].

قال الأعمش: قال مجاهدٌ: «كان بالمدينة أهلُ بيتٍ ذوو[9] حاجة، وعندَهُم

---

(١) قوله: «عبيد ابن» مثبت من المصادر. (٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٢).

(٣) كذا ورد في النسختين وبعض المصادر، والمشهور: «مجاهد بن جبر»، وانظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٦٦)، و«حلية الأولياء» (٣: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٣).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٣).

(٥) قوله: «ومن أذَلَّ نفسه أعزَّ دينه» ليس في (ق)، وانظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٣).

(٦) في (ق): «أقفه».

(٧) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (٢٢٢٣)، و«حلية الأولياء» (٣: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٣).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٣).

(٩) في (د) و(ق): «ذو».

شاةٌ، فأصابوا شيئًا، فقالوا: لو بَعثنا هذا الرأسَ إلى مَن هو أحوجُ منّا، فبَعَثُوا به، فلم يَزَل يدورُ بالمدينةِ حتَّى رَجَعَ إلى أصحابِه»[١].

قال الأعمش: كتَبَ مجاهدٌ فقال: «القلبُ هكذا، وبسطَ كفَّه، فإذا أذنَبَ الرجلُ ذنبًا، قال هكذا ـ وعقد أُصبعًا - ثمَّ أذنب، وعقد اثنين[٢]، ثمَّ ثلاثًا، ثمَّ أربعًا، ثُمَّ رَدَّ الإبهامَ عَلَى الأصابِعِ، فِي الذَّنبِ الخامِس، يُطبَعُ عَلَى قَلبِه.

قالَ مُجاهِدٌ: فأيُّكُم يَرَى أنّهُ لَم يُطبَع عَلَى قَلبِهِ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، إنّ ذُنُوبَ الفكرة لأكثَرُ من القَطر»[٣].

تُوفِّي بمكّة سنةَ اثنتَين[٤] ومئة وهو ساجدٌ، وقيل: سنةَ ثلاثٍ ومئة، رحمة الله تعالى عليه.

قال ابنُ جُرَيج: وعمرُه ثلاثٌ وثمانون[٥] سنة[٦].

* * *

[عطاء بن أبي رباح]

[١١٤] ومنهم: عطاءُ بنُ أبي رباح[٧]، وكان مولًى.

ويُكنَّى: أبا محمَّد[٨].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٤). (٢) في (ق): «اثنتين».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٢٧١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٤).

(٤) في (د): «اثنين». (٥) في (د): «وثمانين».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٤).

(٧) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٤).

(٨) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٤).

قال إبراهيمُ الحربيّ: «كان عطاءُ بنُ أبي رباحٍ عبدًا أسود لامرأةٍ من مكّة، وكان أنفه كأنّه باقِلّاء، فجاءَ سليمانُ بنُ عبدِ الملك أميرُ المؤمنين إلى عطاءٍ هو وابناه، فجَلَسُوا إليه وهو يُصلِّي، فلمّا صلَّى ما زالوا يسألونَه عن مناسِكِ الحجِّ وقَفاهُ إليهم، ثمَّ قال سليمانُ لابنَيه: قُوما، فقاما، فقال: يا بَنِيّ، لا تَنِيَا في طلب العلم؛ فإنّي لا أنسى ذُلَّنا بين يدَي هذا العبدِ الأسود»[1].

قال سَلَمةُ بنُ كُهَيل: «ما رأيتُ أحدًا يُريدُ بهذا العلمِ وجهَ الله عزَّ وجلَّ غيرَ هؤلاء الثلاثة: عطاء، وطاوس، ومجاهد»[2].

قال عمرُ بنُ ذَرّ: «ما رأيتُ مثلَ عطاءٍ قَطّ، ما رأيتُ عليه قميصًا قطّ، ولا رأيت عليه ثوبًا يُساوي خمسةَ دراهمَ»[3].

[٨٩/أ] قال الأوزاعيّ: «ما رأيتُ أحدًا أخشَعَ لله من عطاء، ولا أطوَلَ حزنًا من يحيى بن أبي كثير»[4].

قال يَعلى بنُ عُبَيد: «دخلنا على محمَّد بن سُوقة، فقال: أُحدِّثُكُم بحديثٍ لعلَّه ينفعُكُم؛ فإنّه قد نَفعَني.

ثمَّ قال: قال لنا عطاءُ بنُ أبي رباح: يا بَنِي أخي، إنّ مَن كان قبلَكُم كانوا يَكرهونَ فُضولَ الكلام، وكانوا يَعدُّونَ فضولَه ما عدا كتاب الله عزَّ وجلَّ أن تقرأه، أو تأمُرَ بمعروف، أو تنهى عن مُنكَر، أو تنطِقَ بحاجتِكَ في معيشتِكَ التي لا بُدَّ لك منها، أتُنكرون أنّ عليكم حافظينَ، كرامًا كاتبينَ، عن اليمين وعن الشمال

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٧٥).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٠: ٣٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٥). (٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٥).

قعيد، ما يلفظ من قولٍ إلّا لديه رقيبٌ عتيد، أما[١] يستحيي أحدُكُم أن لو نُشِرَت صحيفتُه التي أملَى[٢] صدر نهاره كان أكثرَ ما فيها ليسَ من أمر دينه ولا دنياه»[٣].

قال ابنُ أبي ليلى: «حجَّ عطاءٌ سبعينَ حجّةً»[٤].

قال ابنُ جُرَيج: «كان عطاءٌ بعدما كبرَ وضعفَ يقومُ إلى الصلاة، فيقرأُ مئتَي آيةٍ من البقرة وهو قائمٌ ما يزولُ منه شيءٌ ولا يَتحرَّكَ»[٥].

ماتَ بمكّةَ سنةَ خمسَ عشرةَ ومئة، وقيل غير ذلك، وهو ابنُ ثمانٍ وثمانين سنةً، وقيل غيرُ ذلك[٦]، رحمة الله عليه.

* * *

[عبد الله بن عُبَيد بن عُمَير]

[١١٥] ومنهم: عبد الله بن[٧] عُبَيد بن عُمَير[٨].

كان يقول: «الإيمانُ قائد، والعملُ سائق، والنفسُ حَرُون، فإذا وَنَى قائِدُها لم تَستَقِم لِسائِقِها[٩]، ولا يَصلُحُ هذا إلّا مع هذا حتَّى تَقُومَ على الخير؛ الإيمانُ بالله مع العمل لله، والعملُ لله مع الإيمان بالله عزَّ وجلَّ»[١٠].

---

(١) في (د): «ما». (٢) في (ق): «أمل».
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٣: ٣١٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٥).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦). (٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦). (٧) قوله: «عبد الله ابن» ليس في (ق).
(٨) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٩) في (ق): «لقائدها».
(١٠) «محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا (٨٦)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٥٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٦).

وقال[١]: «لا ينبغي لـمَن أخـذَ بالتقـوى وزُيِّنَ[٢] بالـورع أن يَـذِلَّ لصاحـب الدنيا»[٣].

قـال: «بَعَثَ سليمانُ بنُ داودَ عليهما الـصلاةُ والـسلامُ إلـى ماردٍ من مَردةِ الجِنّ، فأُتيَ به، فلمّا كان على باب سليمانَ أخذَ عودًا فذرعَه بذراعه، ثمَّ رمى به وراءَ الحائط، فوقع بين يدَي سليمان، فقال: ما هذا؟ فأُخبِرَ بما صنعَ المارد، فقال: أتَدرون ما أرادَ؟ فقالوا: لا، فقال: يقول: اصنَع ما شئتَ؛ فإنّك تصيرُ إلى مثل هذا من الأرض»[٤].

تُوفِّي في سنة ثلاث عشرة ومئة بمكّة، وكان صالحًا[٥]، رحمة الله عليه.

* * *

[محمد بن طارق المكي]

[١١٦] **ومنهم**: محمَّدُ بنُ طارق[٦].

قال محمَّدُ بنُ فضيل: «رأيتُ ابنَ طارقٍ في الطواف، فحَزَرُوا[٧] طوافَه ذلك الزمان، فإذا هو يطوفُ في اليوم والليلة عشرةَ فراسخ، وكان يطوفُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ سبعين أسبوعًا»[٨].

[٨٩/ب] قال ابنُ عيينة: سمعتُ ابن شُبرمة يقـول: «لو اكتـفى أحـدٌ بالتـراب / لكفى ابنَ طارقٍ كفٌّ من ترابٍ»[٩].

---

(١) في (د): «قال» بدون الواو.
(٢) في (د): «وزن».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٦).
(٦) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤١٧).
(٧) في (ق): «فحرروا».
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٥: ٨٢)، و«المنتظم» (٨: ١٩٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٨).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٨).

[وُهَيب بن الورد]

[١١٧] **ومنهم**: وُهَيبُ بن الورد[١].

وهو مولى.

ويُكنَّى: أبا أُميّة، واسمُه: عبدُ الوهّاب، فصُغِّرَ وُهَيب[٢].

قال سفيانُ بنُ عيينة: قال لي[٣] وهيبٌ: «بَينا أنا واقفٌ في بطن الوادي إذا أنا برجلٍ قد أخذ مَنكِبي، وقال: يا وُهَيب، خَفِ الله تعالى بقدرته عليك، واستَحي[٤] منه؛ لقُربِه منك، فلم أرَ أحدًا»[٥].

قال بِشرُ بنُ الحارث: «أربعةٌ رفعهم الله عزَّ وجلَّ بطِيب المَطعَم: وُهَيبُ بنُ الورد، وابنُ أدهم، ويوسفُ بنُ أسباط، والخَوّاصُ»[٦].

قال زُهَيرُ بنُ عبّاد: «كان وُهَيبٌ والفُضَيلُ وابنُ المُبارك جُلوسًا، فذكروا الرطَب، فقال وُهَيب: وقد جاءَ الرطَب؟ فقال ابنُ المبارك: رَحِمَك الله تعالى، هذا آخِرُه، أوَلَم تأكُله؟ قال: لا، قال: ولِم؟ قال وُهَيب: بلَغَني أنّ عامّةَ أجِنّة[٧] مكّةَ من الصوافي والقطائع، فكرهتُها.

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٨).

(٢) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٨).

(٣) «لي» ليس في (د).

(٤) في (د): «واستح».

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٨)، و«تهذيب الكمال» (٣١: ١٧١)، و«العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» (٦: ٢١٠).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦: ٢٨٩).

(٧) في (ق): «أحبة»، وفي (د): «أجبة».

فقال ابنُ المباركِ: يرحمُكَ الله تعالى، أوَليسَ قد رُخِّصَ في الشراء[١] من السوق إذا لم تعرف الصوافي والقطائع منه، وإلّا ضاقَ على الناس خُبزُهم؟ أوَليسَ عامّةُ[٢] ما يأتي من قمح مصرَ إنّما هو من الصوافي والقطائع، ولا أحسَبُكَ تستغني عن القمح، فسَهُلَ عليك. فصَعِقَ وُهَيب.

فقال الفضيلُ لابن المبارك: ما صنعتَ بالرجل؟ فقال ابنُ المبارك: ما عَلِمتُ أنّ كلَّ هذا الخوفِ قد أُعطِيَه، فلمّا أفاقَ قال: يا ابنَ المبارك، دعني من ترخيصك، لا جَرَمَ لا آكُلُ من القمح إلّا كما يأكُلُ المضطرُّ من الميتة، فزَعَموا أنّه نحلَ جسمه حتَّى ماتَ هزلًا»[٣].

وقيل لوهيب: ألا تشربُ من زمزم، قال: بأيِّ دلوٍ[٤]؟

قال عمارة: قال وُهَيب: يقول الله تعالى: «وعزَّتي وجلالي وعظمتي، ما من عبدٍ آثَرَ هواي على هواه إلّا أقلَلْتُ[٥] همومَه، وجمعتُ عليه ضَيعتَه، ونزعتُ الفقرَ من قلبه، وجعلتُ الغنى بين عينَيه، وتَجَرتُ له من وراء كلِّ تاجر، وعزَّتي وجلالي ما من عبدٍ آثَرَ هواه على هواي إلّا أكثَرتُ همومَه، وفرَّقتُ عليه ضَيعتَه، ونزعتُ الغنى من قلبه، وجعلتُ الفقرَ بين عينَيه، ثمَّ لا أُبالي في أيِّ وادٍ منها[٦] هلكَ»[٧].

---

(١) في (د): «الشري». (٢) «عامة» ليس في (ق).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٤٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤١٨)، و«إكمال تهذيب الكمال» (١٢: ٢٦٨).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٩). (٥) في (د): «قللتُ».
(٦) قوله: «في أي وادٍ منها» في (د): «في أي أوديتها».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤١٩).

قال يومًا: «عجبًا للعالِم، كيف تُجيبه دواعي قلبه إلى ارتياح الضحك، وقد عَلِمَ أنّ له في القيامة رَوعاتٍ ووقفات، ثمَّ غُشِي عليه»(١).

وحلفَ ألّا يراه الله عزَّ وجلَّ ضاحكًا حتَّى يعلمَ ما يأتي به رُسُلُ الله [٩٠/أ] عزَّ وجلّ، فسمعوه عند الموت يقول: وفَّيتَ له، ولم أوفِّ(٢) لك(٣).

قيل: أيَجِدُ طعمَ العبادة مَن يَعصِي الله عزَّ وجلّ؟ قال: لا، ولا مَن يَهُمُّ بالمعصية(٤).

قال وُهَيب: «بَلَغَني أنّ موسى عليه الصلاةُ والسلامُ قال: يا ربّ، أخبِرني عن آية رِضاكَ عن عبدك؟ فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه: إذا رأيتَني أُهيِّئ له طاعتي، وأصرِفُه عن معصيتي، فذاكَ آيةُ رِضايَ عنه»(٥).

قال محمَّدُ بنُ يزيد: سمعتُ وُهَيبًا يقول: «ضُرِبَ لعلماءِ السوءِ مثلًا، فقيل: إنّما مَثَلُ عالِم(٦) السوء كمَثَلِ الحَجر في الساقية، فلا هو يَشرَبُ الماء، ولا هو يُخلِّي الماءَ إلى الشجرِ فيحيا به»(٧).

قال محمَّدُ بنُ رَزِين: سمعتُ وُهَيبًا يقول: «إنّ العبدَ لَيَصمُت، فيجتمعُ له لبُّه»(٨).

وسَمِعتُه يقول: «لا تَكُن هِمّةُ أحدِكم في كثرة العمل، ولكن لتكن همَّتُه في إحكامِهِ وتَحسِينِه؛ فإنّ العبد قد يُصلِّي وهو يَعصي الله عزَّ وجلَّ في صلاته، وقد

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).
(٢) في (د): «أُف».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).
(٦) في (د): «علماء».
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٠).

يصومُ وهو يَعصي الله عزَّ وجل في صيامِه، ولو قُمتَ قيامَ هذه الساريةِ ما نَفَعَكَ حتَّى تنظُرَ ما يدخلُ في بطنك حلالٌ أو حرامٌ[1]؟

قال بِشرُ بنُ الحارث: كان وُهَيبُ تَبِينُ[2] خُضرةُ البقل من بطنه من الهُزال[3]، وكان إذا أُتِيَ بقُرصه يبكي حتَّى يبلَّه[4]، وكان رضي الله عنه مشغولًا بالتعبُّد عن الرواية[5].

مات في[6] سنة ثلاثٍ وخمسين ومئة[7]، رحمةُ الله عزَّ وجلَّ عليه.

* * *

[عبد العزيز بن أبي رَوّاد]

[١١٨] **ومنهم**: عبدُ العزيز بنُ أبي رَوّاد[8].

وكان مولى[9].

قال شقيقٌ البلخيّ: «ذَهَبَ بَصَرُ عبد العزيزِ عشرين سنةً لم يَعلَم به أهلُه ولا ولدُه، فتأمَّلَه ابنُه ذات يومٍ فقال له: يا أبت، ذَهَبَت عيناك؟ فقال: نعم يا بني، الرضا عن الله عزَّ وجلَّ أذهَبَ عينَي أبيكَ منذ عشرين سنة»[10].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٢).
(٢) في «المنتظم»: «تئن».
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٢).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٢).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٢).
(٦) «في» ليس في (د).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٢).
(٨) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ١٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).
(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).
(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

قال شُعَيبُ بنُ حرب: «جلستُ إلى عبد العزيز خمسَ مئةِ مجلس، فما أحسبُ صاحبَ الشمالِ كتب شيئًا»(١).

قال عبدُ العزيز: كان يُقال: «في رأسِ كلِّ إنسانٍ حكمةٌ آخِذٌ بها مَلَك، فإن تَواضَعَ لربِّه رفعَه، وقال: انتعِش رَحِمَكَ الله، وإن تكبَّرَ قمعَه، وقال: اخسأ خسأكَ الله عزَّ وجلَّ»(٢).

قال محمَّدُ بنُ يزيدَ بن خُنَيس: «قال رجلٌ لعبد العزيز: كيف أصبحتَ؟ فبكى، وقال: أصبحتُ في غفلةٍ عظيمةٍ عن الموت، مع ذنوبٍ كثيرةٍ قد أحاطَت بي، وأجَلٍ يُسرِعُ كلَّ يومٍ في عُمري، ولست(٣) أدري على ما أُهجَم، ثمَّ بكى»(٤).

[٩٠/ب] قال سالمٌ القدّاح: / «سمعتُ عبدَ العزيز يقول لرجل: مَن لم يَتَّعِظ بثلاثٍ لم يَتَّعِظ بشيء: الإسلام، والقرآن، والشيبُ»(٥).

تُوفِّي بمكّةَ سنة تسعٍ وخمسين ومئة(٦).

* * *

[سفيان بن عيينة]

[١١٩] ومنهم: سفيانُ بنُ عُيَينة(٧).

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٩٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

(٣) في (ق): «ومؤمل لست».

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٣). (٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٣).

(٧) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٥٤).

يُكنَّى: أبا محمَّد[١].

وُلِدَ بالكوفة، وسكنَ مكّة، وُلِدَ سنة سبعٍ ومئة[٢].

قال له أبوه لمّا بلغَ خمسَ عشرةَ سنةً: «يا سفيان، قد انقَطَعَت شرائعُ الصِّبَا، فاحتفظ من الخير تكن[٣] من أهله، ولا يغُرَّنَّك مَن اغترَّ بالله فمَدَحَكَ بما يعلم الله عزَّ وجلَّ خلافَه منك؛ فإنّه ما من أحدٍ يقولُ في أحدٍ الخيرَ إذا رضي إلّا وهو يقول الشرَّ فيه مثلَ ذلك إذا سخط، فاستأنِس بالوحدة من جُلَساءِ السوء، لا تقل: أُحسِنُ ظنِّي بك إلى غير ذلك، ولن يسعدَ بالعلماءِ إلّا مَن أطاعهم.

قال سفيان: فجعَلتُ وصيّةَ أبي قِبلةً أمِيلُ معها، ولا أميلُ عنها»[٤].

قال صامِتُ بنُ معاذ: سمعتُ سفيانَ يقول: «مَن تزيَّنَ للناس بشيءٍ يعلم الله عزَّ وجلَّ منه غيرَ ذلك شانَهُ الله عزَّ وجلَّ»[٥].

قال سفيان: «أرفَعُ الناسِ منزلةً مَن كان بين الله عزَّ وجلَّ وبين عبادِه، وهُم الأنبياءُ والعلماء»[٦].

قال بَقِيّة: قال سفيانُ بنُ عُيَينة: «أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى عليه الصلاة والسلام: إنّ أوَّلَ مَن مات إبليس، وذلك أنّه عَصاني، وإنّما أعُدُّ مَن عصاني من الموتى»[٧].

---

(١) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٨: ٤٥٤).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٥).

(٣) «تكن» مثبت من المصادر.

(٤) انظر: «المنتظم» (١٠: ٦٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٢٥)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٨٦).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٥). (٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٥).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٠٤).

قال موسى بنُ إسماعيل: قال ابنُ عُيَينة: «أصابَتِني ذاتَ يوم رِقَّةٌ فبَكَيت، فقلت في نفسي: لـو كـان بعضُ أصحابِنا لرَقَّ معي، ثمَّ غفوت، فأَتاني آتٍ في منامي فرفَسَني، وقـال: يا سفيان، هـذا أجرُكَ[١] ممَّن أحببتَ أن يراك»[٢].

قـال حَـرمَلةُ بنُ يحيى: «أخذَني سفيان، فأقامني في ناحية، فأخرَجَ من كُمِّه رغيفَ شعير، وقال لي: دَع يا حرملةُ ما يقولُ الناس، هذا طعامي منذ ستِّين سنةً»[٣].

وقال سفيان: «لولا أنّ الله طأطأ[٤] من ابنِ آدم بثلاثٍ ما أطاقَه شيءٌ، وإنّهنَّ فيه، وإنّه لو تابَ مع ذلك: الفقر، والمرض، والموتُ»[٥].

قال إسحاقُ بنُ أبي إسرائيل: قال سفيان: «كان يُقال: اسلُكُوا سبيلَ الحقّ، ولا تَستَوحِشوا من قلّة أهلها»[٦].

قال ابنُ الأشعث[٧]: قال سفيان: «كان يُقال: أشدُّ الناس حَسرةً يوم القيامة ثلاثةٌ: رجـلٌ كـان لـه عبدٌ فجاءَ يومَ القيامة أفضلَ عملًا منه، ورجلٌ لـه مـالٌ فلم يتصدَّق منه، فماتَ فوَرِثَه غيرُه فتصدَّقَ منه، ورجلٌ عالِمٌ لم يَنتَفِع بعلمه، فعلَّم [٩١/أ]
غيرَه فانتفعَ به»[٨].

قال منصورُ بنُ عمّار: «تكلَّمتُ في مجلسٍ وفيه سفيانُ بنُ عُيَينة، وفضيلُ بنُ عياض، وابنُ المبارك، فأمّا سفيانُ فتَغرغَرَت عيناه، ثمَّ نَشفَت الدموع، وأمّا ابنُ المبارك فسالَت دموعُه، وأمّا الفضيلُ فانتحب، فلمّا قام الفضيلُ وابنُ المبارك

---

(١) في (ق): «جزاؤك».
(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٤: ٢٤٥).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٢٧٢).
(٤) في (ق) و(د): «طأ»، والمثبت موافق لما في «الحلية».
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٢٧٧).
(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٠٦).
(٧) في (د): «الأشعب».
(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٢٨٨).

قلت لسفيان: يا أبا محمَّد، ما منعكَ أن يجيءَ منك ما جاءَ من صاحِبَيك؟ فقال: هكذا أكمَدُ للحزن، إنّ الدمعةَ إذا جَرَت استراحَ القلب»[١].

وسُئِلَ سفيانُ عن حَدِّ الرضا عن الله عزَّ وجلَّ؟ فقال: الراضي عن الله عزَّ وجلَّ لا يتمنَّى سوى المنزلة التي هو فيها[٢].

قال له عبدُ الله بنُ ثعلبة: «يا أبا محمَّد، وا حُزناه على الحزن، فقال له سفيان: يا عبدَ الله، هل حزنتَ قطُّ لعلم الله تعالى فيك؟ فقال عبدُ الله: آه تَركتَني لا أفرح»[٣].

أدركَ سفيانُ ستةً وثمانين نفسًا من أعلام التابعين[٤].

قيل: وُلِدَ سنةَ سبعٍ ومئة[٥].

قال ابنُ أخيه: «حَجَجتُ مع عمِّي سفيانَ آخرَ حجّةٍ حجَّها سنة سبعٍ وتسعين ومئة، فلمّا كُنّا[٦] بجمعٍ وصلَّى استلقى على فراشِه، ثمَّ قال: قد وافيتُ هذا الموضعَ سبعينَ عامًا، أقولُ في كلِّ سنة: اللهُمَّ لا تجعله آخرَ العهد من هذا المكان، وإنّي قد استحيَيتُ من الله عزَّ وجلَّ من كثرةِ ما أسأله ذلك، فرجَع، فتُوفِّي في السنة الداخلة يوم السبت أوَّلَ يوم في رجب سنةَ ثمانٍ وتسعين ومئة، ودُفِنَ بالحَجُون وهو ابنُ إحدى وتسعين سنةً»[٧]، رحمة الله تعالى عليه.

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٠٢).

(٢) انظر: «البيان» (٢: ١٥٩)، و«المجموع» (٣: ٢٥٨).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٦: ٢٤٦).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٧: ٣٠٧)، و«المنتظم» (١٠: ٦٦).

(٥) انظر: «المنتظم» (١٠: ٦٦).

(٦) في (د): «كان».

(٧) انظر: «الطبقات الكبرى» (٥: ٤٩٨)، و«رجال صحيح مسلم» (١: ٢٨٥)، و«مرآة الزمان» (١٣: ٢٨٩).

[الفضيل بن عياض]

[١٢٠] ومنهم: الفضيلُ بنُ عياض[١].

يُكنَّى: أبا عليٍّ[٢].

وُلِدَ بخُراسانَ بكَورة أبيوَرد[٣]، ثمَّ قَدِمَ الكوفةَ وهو كبيرٌ، فسَمِعَ بها الحديث ثمَّ تَعبَّد، ثمَّ انتقل إلى مكّةَ فمات بها[٤]، رحمةُ الله تعالى عليه.

قال أحمدُ الخزاعيّ: قال الفُضَيل: «لو أنّ الدنيا كلَّها بحذافيرِها جُعِلَت لي حلالًا لكنتُ أتقذَّرُها»[٥].

قال أبو الفضل الخزازُ[٦]: قال الفُضَيل: «أصلَحُ ما أكون أفقرُ ما أكون، وإنّي لأعصي الله عزَّ وجلّ، فأعرِفُ ذلك في خُلُقِ حِماري وخادمي»[٧].

وكان يقول: «إذا لم تَقدِر على قيام الليل وصيام النهار فاعلَم أنّك محرومٌ مكبَّلٌ، كبَّلتكَ خطاياك»[٨].

وقال: «لو خُيِّرتُ بين أن أعيشَ كلبًا أو أموتَ كلبًا ولا أرى يومَ القيامة، لاخترتُ / أن أعيشَ كلبًا أو أموتَ كلبًا ولا أرى يومَ القيامة»[٩]. [٩١/ب]

قال مهران: «سمعتُ الفُضَيلَ عشيّةَ عرفةَ بالموقف وقد حالَ بينه وبين الدعاء

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٨)، و«مرآة الزمان» (١٣: ١٠٤)، و«وفيات الأعيان» (٤: ٤٧)، و«العقد الثمين» (٥: ٤٤٩).

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» (٤: ٤٧).

(٣) انظر: «مرآة الزمان» (١٣: ١٠٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٨).

(٦) في (د): «الحزاز».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٨).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩).

البكاء، يقول: وا سوأتاه، وا فضيحَتاه وإن عَفوتَ»(١).

قال عليُّ بنُ الحسن: «بلغ فُضَيلًا أنّ جريرًا يريد أن يأتيَه، فأقفلَ البابَ من خارج، فجاءَ جريرٌ، فرأى البابَ مُقفلًا فرجع، قال عليٌّ: فبَلَغَني ذلك، فأتيتُه، فقلت له: جريرٌ؟ فقال: ما يصنعُ بي؟ يُظهِرُ لي محاسنَ كلامه، وأُظهِرُ له محاسنَ كلامي، فلا يتزيَّن لي، ولا أتزيَّن له خيرٌ له»(٢).

قال أبو جعفر الحذّاء: «أخذَ الفضيلُ بيد سفيانَ بن عيينةَ في هذا الوادي، وقال له: إن كنت تظنُّ أنّه بَقيَ على وجه الأرض شرٌّ منِّي ومنك فبِئسَ ما تظنُّ»(٣).

وقال يومًا: «لو قيلَ لك: يا مُرائي، لغَضِبتَ وشقَّ عليك وشكوت، فتقول: قال لي: يا مُرائي، وعساه قال حقًّا، من حبِّكَ الدنيا تزيَّنتَ للدنيا، ثمَّ قال: اتَّقِ الله عزَّ وجلَّ أن تكونَ مُرائيًا وأنت لا تشعُر، تصنَّعتَ وتهيَّأتَ حتَّى عَرَفَك الناس، فقالوا: هو رجلٌ صالح، فأكرَموك، وقضَوا لك الحوائج، ووسَّعوا لك في المجلِس، وإنّما عرَفوكَ بالله عزَّ وجلّ، ولولا ذلك لهُنتَ عليهم»(٤).

قال الحسينُ بنُ زياد: «دخَلتُ على الفُضَيل يومًا، فقال لي: عساكَ ترى أنّ في ذلك المسجد ـ يعني: المسجد الحرام ـ رَجُلًا شَرًّا منك؟ إن كنت ترى فيه شرًّا منك فقد ابتُلِيتَ بعظيمٍ»(٥).

قال ابنُ الأشعث: «سمعتُ الفضيلَ يقول: ما يؤمنكَ أن تكونَ بارَزتَ الله عزَّ وجلَّ بعَمَلٍ مَقَتَكَ عليه، فأغلَق دونكَ أبوابَ المغفرة وأنت تَضحَك! كيف

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٢٩-٤٣٠).
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٠).

تُرى يكون حالُك؟ وأدركت أقوامًا يستحيونَ[١] من الله عزَّ وجلَّ في سوادِ الليل من طُولِ الهَجعة، إنّما هو على الجَنب، فإذا تحرَّك قال: ليس هذا لكِ، قُومي خُذي حظَّك من الآخرة»[٢].

قال محمَّدُ بنُ حسّانَ السمتيّ: «شهدتُ الفُضَيل وقد جلسَ إلى[٣] سفيانَ بن عُيَينة، فتكلَّم الفضيل، فقال: كنتم معشرَ العلماءِ سُرُجَ البلاد، يُستضاءُ بكم، فصِرتُم ظُلمةً، وكنتم نجومًا يُهتَدى بكم، فصِرتُم حَيرةً، ثمَّ لا يستحيي أحدُكم أن يأخُذَ مالَ هؤلاء الظَّلَمة ثمَّ يُسنِدُ ظهرَه، ويقول: حدَّثَنا فلانٌ عن فلان، فقال سفيان: إن كنّا لسنا بصالحين فإنّا نُحِبُّهم»[٤].

[٩٢/أ] قال / بِشرٌ: قال الفُضَيل: «لأن أطلُبَ الدنيا بطَبلٍ ومزمارٍ أحَبُّ إليَّ أن أطلبها بالعبادة»[٥].

تُوفِّي بمكّةَ[٦] سنةَ سبعٍ وثمانين ومئة[٧]، رحمة الله تعالى عليه.

* * *

[الإمام الشافعي]

[١٢١] ومنهم: محمَّدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ[٨].

---

(١) في (ق): «يستحون».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ١٠٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٠).

(٣) في (د): «إليه». (٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٠).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٠). (٦) «بمكة» ليس في (د).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٣).

(٨) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٥)، و«حسن المحاضرة» (١: ٣٠٢).

ويُكنَّى: أبا عبد الله(١).

وُلِدَ بغزّةَ سنةَ خمسين ومئة، وحُمِلَ إلى مكّة وهو ابن سنتَين(٢).

قال الحميديّ: قال الشافعيّ: «كنت يتيمًا في حِجرِ أُمِّي، ولم يكن معها ما تُعطِي المعلِّم، وكان المعلِّمُ قد رضيَ منّي أن أخلُفَه إذا قام، فلمّا ختمتُ القرآنَ دخلتُ المسجدَ، فكنت أُجالِسُ العلماء، فأحفَظُ الحديثَ والمسألة، فكنت أنظُرُ إلى العظم يلُوحُ فأكتب فيه الحديثَ والمسألة، وكانت لنا جَرّةٌ قديمةٌ، فإذا امتلأَ العَظمُ طرحتُه في الجرّة»(٣).

قال عبدُ الله ابنُ الإمامِ أحمد: «قلت لأبي: أيُّ رجلٍ كان الشافعيُّ؛ فإنّي أسمَعُكَ تُكثِرُ من الدعاء له؟

فقال: يا بُنَيّ، كان الشافعيُّ كالشمسِ للدنيا، وكالعافية للناس، فانظُر هل لهذَين من خلفٍ أو عِوَضٍ؟»(٤).

قال يونسُ بنُ عبد الأعلى: «سمعتُ الشافعيَّ وقد حَضَرَ ميِّتًا، فلمّا سَجَّيناه نَظَرَ إليه، وقال: اللهُمَّ بغِناكَ عنه وفَقرِه إليك فاغفر له»(٥).

قال الربيعُ بنُ سُلَيمان: «سمعتُ الشافعيَّ يقول: ما أوردتُ الحقَّ والحُجّةَ على أحدٍ فقَبِلَها منِّي إلّا هِبتُه واعتقدتُ مَودَّتَه، ولا كابَرَني على الحقِّ أحدٌ ودافعَ

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٥)، و«حسن المحاضرة» (١: ٣٠٣).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٦).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٤)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ١١).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٥).

(٥) انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ١٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٥).

الحجّةَ إلّا سقطَ من عيني، ولا ناظَرَني أحدٌ فأحبَبتُ أن يُخطِئَ وتكون عليه من الله عزَّ وجلَّ رعايةٌ وحفظٌ»(١).

قال الربيع: «سمعتُ الشافعيَّ يقول: أشدُّ الأعمال ثلاثةٌ: الجودُ من قِلّة، والورعُ في خَلوة، وكلمةُ الحقِّ عند مَن يُرجَى ويُخاف»(٢).

وسَمِعتُه يقول: «طلبُ العلم أفضلُ من صلاة النافلة»(٣).

قال الربيع: «كان الشافعيُّ قد جزّأ الليلَ ثلاثةَ أجزاء: الثلثُ الأوّلُ يَكتُب، والثلثُ الثاني يُصلِّي، والثالثُ ينامُ»(٤).

وكان للشافعيِّ في رمضانَ ستُّون ختمةً يتلوها في الصلاة(٥).

قال الربيع: «سمعتُ الشافعيَّ وقد سألَه رجلٌ عن مسألةٍ(٦)، فقال: رُوِيَ فيها كذا وكذا عن النبيِّ ﷺ، فقال له السائل: يا أبا عبد الله، تقولُ به؟ فرأيتُ الشافعيَّ أُرعِدَ وانتفض، وقال: يا هذا، أيُّ أرضٍ تُقلُّني، وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني إذا رَويتُ عن رسول الله ﷺ حديثًا فلم أقُل به؟ نعم على السمع والبصر»(٧). [٩٢/ب]

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١١٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٨٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٥).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٤١١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٥).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٤١١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٥).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٧).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٣٤)، و«مناقب الشافعي» للبيهقي (١: ٢٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٧).

(٦) قوله: «عن مسألة» ليس في (د).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٠٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٣٨٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٨).

قال أبو بيان الأصبهانيّ: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم، فقلت: يا رسولَ الله، محمَّدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ يقول: إنّه ابنُ عمِّك، هل نفَعتَه بشيءٍ؟ فقال: نعم، سألتُ الله عزَّ وجلَّ ألّا يُحاسِبَه، فقلت: بماذا يا رسول الله؟ فقال: إنه كان يُصلِّي عليَّ صلاةً لم يُصلِّ بمثلِ تلك الصلاة عليَّ أحد، فقلت: وما تلك الصلاةُ يا رسولَ الله؟ فقال: كان يُصلِّي عليّ: اللهُمَّ صلِّ على محمَّدٍ كلَّما ذكرَه الذاكرون، وصلِّ على محمَّدٍ كلَّما غفلَ عنه الغافلون»[١].

قال المُزَنيّ: «دَخَلتُ على الشافعيِّ في علَّتِه التي مات فيها، فقلت: كيف أصبحتَ؟ فقال: أصبحتُ من الدنيا راحلًا، ولكأسِ المَنِيّة شاربًا، ولسُوءِ عملي[٢] مُلاقيًا، وعلى الله عزَّ وجلَّ واردًا، فلا أدري رُوحي تصيرُ إلى الجنّةِ فأُهَنِّيها، أو إلى النار فأُعَزّيها»[٣].

تُوفِّي سنةَ أربعٍ ومئتين، وعاشَ أربعًا وخمسين سنةً[٤].

قال الربيع: «كُنّا جلوسًا في حلقةِ الشافعيِّ بعد موته بيسير، فوقَفَ علينا أعرابيٌّ فسلَّم، ثمَّ قال لنا[٥]: أين قمرُ هذه الحلقةِ وشَمسُها[٦]؟ فقلنا: تُوفِّي، فبكى بكاءً شديدًا، وقال: رحمه الله تعالى وغفر له، فلقد كان يفتَحُ ببيانه مُنغلِقَ

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٣٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (١: ١٨٨).

(٢) في (د): «أعمالي».

(٣) انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ١١١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥٠: ٣٣١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٨).

(٤) انظر: «مناقب الشافعي» للبيهقي (٢: ٢٩٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٩).

(٥) «لنا» ليس في (د).

(٦) «وشمسها» ليس في (د).

الحجّة، ويَسُدُّ على خصمه واضحَ المَحجّة، ويغسلُ من العارِ وجوهًا مُسودّة، ويُوسِّعُ بالرأي أبوابًا مُنسَدّة، ثمَّ انصرفَ»[١].

* * *

[محمد المزين الصغير]

[١٢٢] **ومنهم**: محمَّدُ المزينُ الصغيرُ[٢].

أصلُه من بغداد، ولكنَّه أقام بمكّة[٣].

كان يقول: «الذنبُ بعد الذنب عقوبةُ الذنب، والحسنةُ بعد الحسنةِ ثوابُ الحسنة»[٤].

وقال: «مَن استغنى بالله أحوَجَ الله عزَّ وجلَّ الخلقَ إليه»[٥].

وقال: «المُعجَبُ بعملِه مستدرَجٌ، والمُستَحسِنُ لشيءٍ[٦] من أحوالِهِ مَمكورٌ به»[٧].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٤٣٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٣٩)، و«الوافي بالوفيات» (٢: ١٢٤).

(٢) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٨٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٢٤: ٢٥١).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٢٤: ٢٥١).

(٤) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٨٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٢)، و«تاريخ الإسلام» (٢٤: ٢٥١).

(٥) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٢).

(٦) في (د): «بشيء».

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٣).

صَحِبَ الجُنَيدَ وسهلًا[١]، وأقامَ بمكّة حتَّى مات.

توفِّي سنةَ ثمانٍ وعشرين وثلاث مئة[٢].

❊ ❊ ❊

[عابد أسود]

[١٢٣] ومنهم: عابدٌ أسودُ[٣].

قال ابنُ المبارك: «قَدِمتُ مكّة فإذا الناسُ قد قَحَطوا من المطر، وهم يَستَسقُونَ في المسجد الحرام، وإذا قِبَلِي غلامٌ أسودُ عليه قِطعتا خَيش، وهو يقول: إلهي، أخلَقَتِ الوجوهَ كثرةُ الذنوب ومساوئُ الأعمال، وقد مَنَعتَنا غيثَ السماءِ؛ لتؤدِّبَ الخلق، فأسأَلُكَ يا حليمًا ذا أناة، يا مَن لا يعرفُ عبادُه منه إلّا الجميل، اسقِهم [٩٣/أ] الغيثَ[٤] الساعة، قال ابنُ المبارك: فلم يَزَل يقُل: الساعةَ الساعة، حتَّى استوت بالغمام، وأقبَلَ المطرُ من كلِّ مكان، وجلسَ مكانه يُسبِّح، فأخذتُ أبكي.

فلمّا قامَ اتَّبعتُه حتَّى عَرَفتُ موضِعَه، فجئتُ إلى الفضيل، فقال: ما لي أراكَ كئيبًا، فقلت: سبَقَنا إليه غيرُنا، فتولّاه دونَنا، فقال: وما ذاك؟ فقَصَصتُ عليه القصّة، فصاحَ وسَقَط، فقال: وَيحَك يا ابنَ المبارك! خُذني إليه، فقلت: قد ضاقَ الوقتُ.

فلمّا كان من الغدِ صلَّيتُ الغداة، وخرجتُ أُريدُ الموضع، فإذا شيخٌ على الباب، فلمّا رآني عَرَفَني، وقال: مرحبًا يا أبا عبد الرحمن، ما حاجتُكَ[٥]؟ فقلت:

(١) يقصد: سهل بن عبد الله التستري. انظر: «مرآة الزمان» (١٧: ١٦٣).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٤: ٢٥١).

(٣) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٤).

(٤) «الغيث» ليس في (ق).

(٥) في (د): «ما حاجاتك».

احتجتُ إلى غلامٍ أسود، فقال: نعم عندي عِدّة، فاختَر أَيَّهُم شئت، فصاحَ يا غُلام، فخرجَ غلامٌ جَلد، فقال: هذا محمودُ العاقبة أرضاه لك، فقلت: ليس هذا حاجتي، فما زالَ يُخرِجُ واحدًا بعد واحد، حتَّى خَرَجَ الغلام، فلمّا بَصُرتُه بَدَرَت عيناي، فقال: هذا؟ قلت: نعم، فقال: ليس إلى بيعه سبيلٌ، فقلت: ولِم؟

فقال: قد تبرَّكتُ بمَوضِعه، ولا يرزؤُني شيئًا، فقلت: ومن أين طعامُه، فقال: يَكسِبُ(١) من فَتلِ(٢) الشريطِ نصفَ دانِقٍ أو أقلَّ أو أكثرَ فهو قُوتُه، فإن باعَه في يومِه وإلّا طوى، وأخبَرَني الغِلمانُ عنه أنّه لا ينامُ الليلَ الطويل، ولا يختلطُ بأحدٍ منهم، مهتمٌّ بنفسه، وقد أحبَّه قَلبي، فقلت: أنصَرفُ إلى سفيانَ والفُضَيل بلا حاجة؟

فقال: إنّ ممشاكَ عندي كثير، خُذه بما شِئت، فاشتريتُه، وأخذتُ نحوَ دار الفضيل فمشيتُ ساعةً، فقال لي: يا مولاي، قلت: لبَّيك، فقال: لا تَقُل لي: لبَّيك؛ فإنّ العبدَ أولى أن يُلبِّي من المولى، قلت: حاجَتُكَ يا حبيبي؟ فقال: أنا ضعيف البدن لا أُطيقُ الخدمة، فقلت: لا يراني الله عزَّ وجلَّ وأنا أستخدِمُك، وأشتري لك منزلًا، وأُزوِّجُكَ وأخدمُكَ أنا بنفسي، فبَكَى، فقلت: ما يُبكيكَ؟ فقال: لِمَ تفعل ذلك إلّا وقد رأيت بعض متَّصلاتي بالله عزَّ وجلّ، وإلّا لما اخترتَني من أولئكَ الغِلمان؟ فقلت له(٣): ليس بك حاجةٌ إلى هذا، فقال لي: سألتُكَ بالله عزَّ وجلَّ إلّا ما(٤) أخبَرتَني.

[٩٣/ب] فقلت: بإجابةِ دعوتك، فقال لي: إنّي أحسَبُكَ إن شاءَ الله عزَّ وجلَّ رجلًا صالحًا، إنّ لله عزَّ وجلَّ خِيرةٌ من خلقه، لا يكشفُ شأنَهُم إلّا لمَن أحبَّ من عبادِه،

---

(١) في (د): «يكتسب».
(٢) في (ق): «قبل».
(٣) «له» ليس في (د).
(٤) «ما» ليس في (ق).

ولا يُظهِرُ عليهم إلّا مَن ارتضى، ثمَّ[١] قال: هل ترى أن تقفَ لي قليلًا؛ فإنّه قد بَقِيَت عليَّ ركعاتٌ[٢] من البارحة، فقلت: هذا منزلُ الفُضَيل قريبٌ، فقال: لا، هنا أحبُّ إليّ، أمرُ الله عزَّ وجلَّ لا يُؤخَّر، فدَخَلَ المسجدَ فما زالَ يُصلِّي حتَّى أتى على ما أراد.

ثمَّ التفت إليَّ وقال: يا أبا عبد الرحمن، ألك حاجةٌ؟ قلت: ولِم؟ قال: لأنِّي أريدُ الانصراف، قلت: إلى أين؟ قال: إلى الآخرة، فقلت[٣]: لا تَفعَل، دعني أُسَرُّ بك، فقال: إنّما كانت تطيبُ الحياةُ حيثُ كانت المعاملةُ بيني وبينه عزَّ وجلّ، فأمّا إذا اطَّلَعتَ عليها أنتَ[٤] فسيَطَّلِع عليها غيرُك، فلا حاجةَ لي في ذلك، ثمَّ خرَّ لوجهه، وجَعَلَ يقول: إلهي، اقبِضني الساعةَ الساعة، فدنوتُ منه فإذا هو ميِّتٌ، فوالله ما ذكرتُه قطُّ إلّا طالَ حُزني، وصَغُرَت الدنيا في عيني.

وفي رواية: اللهُمَّ إذ شهَرتَني فاقبِضنِي إليك، فانحَشَرَ عليه أهلُ مكّةَ شرَّفَها الله عزَّ وجلَّ»[٥].

❊ ❊ ❊

[عابد آخر]

[١٢٤] عابدٌ آخرُ.

قال الخرّاز: «كنت بمكّةَ ومعي رفيقٌ وَرِع، فأقَمنا ثلاثًا لم نأكُل شيئًا، وكان بحذائنا فقيرٌ معه كُوَيزةٌ ورَكوةٌ مُغَطّاةٌ بقطعة خَيش، وربَّما كنت أراه يأكُلُ خبزَ

---

(١) «ثم» ليس في (د). (٢) في (د): «ركعتان».
(٣) في (ق): «قلت». (٤) «أنت» ليس في (د).
(٥) انظر: «المنتظم» (٨: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٥).

حُوارى، فقلت في نفسي: والله لأقولنَّ لهذا: نحن الليلةَ[١] في ضيافَتِك، فقلت له: فقال: نعم وكرامة، فلمّا جاءَ وقتُ العشاء جعلتُ أراعيه ولم أرَ معه شيئًا، فمسحَ يده على سارية، فوقَعَ على يده شيءٌ فناوَلَني، فإذا دِرهَمان لا تُشبِه الدراهم، فاشترينا خبزًا وإدامًا[٢].

فلمّا مضى لذلك مُدّةٌ جئتُ إليه وسلَّمت عليه، وقلت له: إنّي ما زلتُ أُراعيك، وأنا أحبُّ أن تُعرِّفني بما وصلتَ إلى ذلك، فإن كان يُبلَغُ بعملٍ حدِّثني؟ فقال: يا أبا سعيد، ما هو إلّا حرفٌ واحدٌ، قلت: وما هو؟ قال: تُخرِجُ قَدرَ الخلق من قلبك تَصِلُ[٣] إلى حاجتك»[٤].

* * *

[عابد آخر]

[١٢٥] عابدٌ آخر.

قال بنان المصريّ: «كنت بمكّةَ قاعدًا، وشابٌّ بين يدي، فجاءَه إنسانٌ وحَمَلَ إليه كيسًا فيه دراهم، فقال: لا حاجةَ لي فيه، فقال: فرِّقهُ على المساكين، ففرَّقَه، فلمّا كان العشاءُ رأيته في الوادي يطلُبُ / ، فقلت: لو تركتَ شيئًا ممّا كان معك، [٩٤/أ] فقال: لم أعلَم أنّي أعيشُ إلى هذا الوقت»[٥].

* * *

(١) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمتين. (٢) في (د) و(ق): «وأدمًا».

(٣) «تصل» ليس في (د).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ١٤١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٤٦).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٤٦).

[سعيد بن السائب الطائفي]

[١٢٦] **ومنهم**: سعيدُ بنُ السائِب الطائفيُّ(١).

قال سفيان: «كان سعيدٌ لا تكادُ تجفُّ دموعُه، إنّما هي جاريةٌ دَهرَه؛ إن صلَّى فهو يبكي، وإن طافَ فهو يبكي، وإن قرأ في المصحف(٢) فهو يبكي، وإن لقيتَه في طريقٍ فهو يبكي.

قال سفيان: فحدَّثوني أنّ رجلًا عاتَبَه في ذلك فبكى، ثمَّ قال: إنّما ينبغي أن تَعذِلَني وتعاتبني على التقصيرِ والتفريط؛ فإنّهما قد استولَيا(٣) عليَّ»(٤).

قيل له: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ أنتظِرُ الموتَ على غير عُدّة(٥).

* * *

[طاوس]

[١٢٧] **ومنهم**: طاوسُ(٦).

وهو من أهل اليمن، وتابِعيٌّ، وكان مولًى(٧).

---

(١) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٨: ٣٣٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥١)، و«تاريخ الإسلام» (٩: ٤٠٠).

(٢) قوله: «في المصحف» ليس في (د). (٣) في (د): «استويا».

(٤) انظر: «المنتظم» (٨: ٣٣٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥١).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥١).

(٦) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٤: ٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٢)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ١١٦).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٢)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ١١٦).

مرَّ برَوّاس بمكّة قد أخرجَ رأسًا، فلمّا رآه صَعِق، وكان إذا رأى رأسًا مشويًّا وهو ذاهبٌ إلى المسجد لم يتعشَّ تلك الليلة، ورُوِي: لم يُنعَش؛ بالنون[١].

ومرَّ برجلٍ في السَّحَرِ[٢] فوجدَه نائمًا، فقال: ما كنتُ أرى أحدًا ينامُ في السَّحَر[٣].

قال سفيان: «جاءَ ابنُ سليمانَ بن عبد الملك، فجلسَ إلى جنب طاوس، فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلسَ إليك ابنُ أمير المؤمنين فلم تَلتَفِت إليه! فقال: أردتُ أن يَعلَمَ أنّ لله عبادًا يَزهَدونَ فيما[٤] في أيديهم»[٥].

وقال: «ما رأيتُ أحدًا أشدَّ تنزُّهًا عمّا في أيدي الناس من طاوس»[٦].

قال الصلتُ بنُ راشد: «كنت عند طاوس، فسأله سلمُ بنُ قُتَيبةَ عن شيء، فزَبَرَه وانتهرَه، فقلت: هو صاحبُ خُراسان، فقال: ذاك أهونُ له عليَّ»[٧].

قال عبدُ الرزّاق: «قَدِمَ طاوسُ مكّة، فقَدِمَ أميرُ المؤمنين، فقيل لطاوس: إنّ من فضله ومِن ومِن، فلو أتيتَه، فقال: ما لي إليه حاجة، فقالوا: إنّا نخافُه[٨] عليك، فقال: ما[٩] هو كما تقولون»[١٠].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٢)، و«تاريخ الإسلام» (٧: ١١٦).

(٢) كأنها في (ق): «المسجد».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٤٢).

(٤) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمتين.

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٦)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٢٧).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٣).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٣).

(٨) في (د): «مخافة».

(٩) في (ق): «فما».

(١٠) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٣).

وكان إذا خَرَجَ من اليمنِ إلى مكّةَ لا يشربُ إلّا من ماءِ تلك المياهِ القديمةِ الجاهليّة(١)، وصلَّى هو ووهبُ بنُ مُنبِّهٍ اليمانيُّ الصبحَ بوضوءِ العَتمة أربعينَ سنةً(٢).

قال أبو سليمان الداراني: «كان طاوسُ يفترشُ فراشَه، ثمَّ يضطجع، فيتقلَّى كما تتقلَّى الحبّةُ في المِقلى، ثمَّ يَثِبُ فيُدرِجُه، ويستقبِلُ القبلةَ حتَّى الصباح، ويقول: طَيَّر ذِكرُ جهنَّمَ نومَ العابدين»(٣).

[٩٤/ب] قال معمر: قال ليثٌ: قال طاوس: «ما / من شيءٍ يتكلَّمُ به ابنُ آدمَ إلّا أُحصِيَ عليهِ حتَّى أَنِينُه في مرضِه»(٤).

قال أبو صالحٍ المَكِّي: «دَخَلَ عليَّ طاوسُ يعودُني، فقلت: ادعُ لي، فقال: ادعُ لنفسِكَ؛ فإنّه يُجيبُ المُضطرَّ إذا دعاه»(٥).

أدركَ طاوسُ خلقًا من الصحابةِ منهم ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما(٦).

وقال(٧): إنّه أدركَ خمسينَ من الصحابة رضي الله عنهم(٨).

تُوفِّيَ بمكّة قبل الترويةِ بيوم سنة ستٍّ ومئة، وعمرُه بضعٌ وتسعونَ سنةً(٩).

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٣).

(٢) انظر: «المنتظم» (٧: ١١٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٤).

(٣) في (د): «العابد»، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٤).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٤٧).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ١٠)، و«سير السلف الصالحين» للأصبهاني (٨٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٤).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٤).

(٧) يعني: طاوس.

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٤).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٥).

قال شَوذبٌ: «شَهِدتُ جنازةَ طاوس، وهم يقولون: رَحِمَكَ الله تعالى يا أبا عبد الرحمن، حجَّ أربعينَ حجّةً رحمة الله عليه»(١).

* * *

[وهب بن مُنبِّه]

[١٢٨] **ومنهم**: وهبُ بنُ مُنبِّهٍ(٢).

يُكنَّى: أبا عبد الله(٣).

قال: «الإيمانُ عريان، ولباسُه التقوى، وزِينَتُه الحياء، ومالُه الفقه»(٤).

وقال: قرأتُ في بعض الكتب: «أنّ مناديًا يُنادي من السماء الرابعةِ كلَّ صباح: أبناءُ الأربعينَ زَرعٌ قد دنا حصادُه، أبناءُ الخمسينَ ماذا قدَّمتُم وماذا أَخَّرتُم، أبناءُ السِّتِّينَ لا عُذرَ لكُم، ليتَ الخلقَ لم يُخلَقوا، وإن خُلِقُوا عَلِموا(٥) لماذا خُلِقوا، قد أَتَتكُم فخُذوا حِذرَكُم»(٦).

---

(١) انظر: «المعرفة والتاريخ» (١: ٧٠٦)، و«حلية الأولياء» (٤: ٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٥: ٤٥).

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٥٤٤).

(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٣٦٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٥٤٤).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٣٨٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٥)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٥٥٠).

(٥) في (ق): «عملوا».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٦).

وقال: قرأتُ في التوراة: «أيُّما دارٍ بَنَتها الضعفاءُ[١] جُعِلَت عاقبتُها إلى الخراب، وأيُّما مالٍ جُمِعَ من غير حِلٍّ عاقبَتُه إلى الفقر»[٢].

قال الفضلُ بنُ أبي عبّاس: «كنت جالسًا عند وهبٍ فأتاه رجل، فقال: مَرَرتُ بفلانٍ وهو يَشتُمُك، فقال: ما وجدَ الشيطانُ رسولًا غيرَك»[٣].

وقال وهبٌ: «الإيمانُ قائد، والعملُ سائق، والنفسُ بينهما حَرُون، فإذا قادَ القائدُ ولم يَسُق السائقُ لم يُغنِ ذلك شيئًا، وإذا ساقَ السائِقُ ولَم يَقُد القائِدُ لَم يُغنِ ذَلكَ شَيئًا[٤]، وإذا قادَ القائدُ وساقَ السائقُ اتَّبعَته النفسُ طوعًا وكرهًا، وطابَ العملُ»[٥].

وقال: «أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داودَ عليه الصلاةُ والسلام: هل تدري مَن[٦] أغفِرُ له ذنوبَه من عَبِيدي؟ قال: مَن هو يا ربُّ؟ قال: الذي إذا ذَكَرَ ذُنُوبَه ارتَعَدَت منها فرائصُه، فذلك العبدُ الذي آمُرُ ملائِكَتي أن يمحوا عنه ذُنوبه»[٧].

أدركَ وهبٌ جمعًا من الصحابة، منهم: جابرٌ وابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهم[٨].

ومات بصنعاءَ سنةَ عشرٍ ومئة، وقيل: أربعَ عشرة، رحمةُ الله تعالى عليه[٩].

---

(١) في «الحلية»: «بنيت بقوة الضعفاء».
(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٦).
(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٧١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٣: ٣٩٠).
(٤) قوله: «وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يُغنِ ذلك شيئًا» مثبت من (د).
(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٣١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٧).
(٦) في (ق): «لمن».
(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٤: ٤١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٦).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٦).
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٦)، و«سير أعلام النبلاء» (٤: ٥٥٦-٥٥٧).

[المغيرة بن حكيم الصنعاني]

[١٢٩] ومنهم: المُغيرةُ بنُ حكيمٍ الصنعانيُّ[١].

سافرَ إلى مكّة أكثر من خمسينَ سَفرًا حافيًا، مُحرِمًا، صائمًا، لا يتركُ صلاةَ السَّحَر في سَفرِه، فإذا كان السَّحَرُ نزل فصلَّى، ويَمضي أصحابُه، فإذا صلَّى [٩٥/أ] الصبحَ لَحِقَ متى ما لَحِق، وكان جُزؤُه القرآنَ كلَّه[٢].

أدرَكَ من الصحابة جمعًا، منهم: ابنُ عمرَ[٣]، وأبو هريرةَ، رضي الله عنهم وعنه[٤].

* * *

[عابد من أهل اليمن]

[١٣٠] عابدٌ من أهل اليمن[٥].

قال ذو النون: «وُصِفَ لي رجلٌ باليمن قد برزَ على الخائفين، وسَما على المُجتهِدين، وذُكِرَ لي باللُّبِّ والحكمة، فخرجتُ حاجًّا، فلمّا قضيتُ نُسُكي مضيتُ إليه؛ لأسمعَ من كلامِه وأنتفعَ بموعِظَته أنا وناسٌ كانوا معي يطلبونَ مثلَ طَلِبَتي، وكان معنا شابٌّ عليه سِيما الصالحينَ ومنظرُ الخائفين، وكان مِصفارًّ[٦]

---

(١) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٧: ١٥٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ٣٥٦).

(٢) انظر: «المنتظم» (٧: ١٥٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٨).

(٣) في (د): «عمر» بدون «ابن».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٨)، و«تهذيب الكمال» (٢٨: ٣٥٦).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٥٩).

(٦) في (د): «صفار».

الوجهِ من غير سَقَمٍ من غير(١) مرض، أعمشَ العينَين من غير عَمَش، ناحلَ الجسم بلا سَقم، يُحِبُّ الخَلوة، ويأنَسُ بالوحدة، تراهُ أبدًا كأنّه قريبُ عهدٍ بمُصيبة.

فخرجَ إلينا، فجلسنا إليه، فبدأ الشابُّ بالسلامِ عليه، فأبدا له الشيخُ البِشرَ والترحيب، ثمَّ سَلَّمنا عليه، فقال الشابّ: إنّ الله عزَّ وجلَّ بمَنِّه وفضله قد جعلكَ طبيبًا لسَقام القلوب، ومُعالجًا لأوجاع الذنوب، وبي جُرحٌ نَغِلَ(٢)، وداءٌ قد استكمل، فإن رأيتَ أن تتلطَّفَ بي ببعضِ مَراهِمِك، وتُعالجَني برِفقِك.

فقال له الشيخ: سَل ما بدا لك يا فتى، فقال له الشابّ: ما علامةُ الخوف من الله عزَّ وجلَّ؟ فقال: أن يُؤمِّنَه خوفُه كلَّ خوفٍ غيرَ خَوفِه.

قال: متى يتبيَّنُ العبدُ خوفَه من الله عزَّ وجلَّ(٣)؟ قال: إذا نَزَّلَ(٤) نفسَه من الدنيا منزلةَ السقيم، فهو يَحتَمي عن أكلِ الطعامِ مخافةَ السَّقام، ويَصبِرُ على مَضَضِ كلِّ داءٍ مخافةَ طول الضَّنا، فصاحَ الفتى صيحةً، وبقي باهتًا ساعة.

ثمَّ قال: رَحِمَكَ الله عزَّ وجلّ، ما علامةُ المُحِبِّ لله عزَّ وجلَّ؟ فقال له(٥): حبيبي، إنّ درجةَ الحُبِّ درجةٌ رفيعة، فقال: أنا أُحِبُّ أن تَصِفَها لي، قال: إنّ المُحبِّينَ لله عزَّ وجلَّ شقَّ لهم عن(٦) قُلوبِهم، فأبصَروا بنورِ القلوب عِزَّ جلالِ الله تعالى، فصارَت أبدانُهم دنياويّة، وأرواحُهم حُجُبيّة، وعُقُولُهم سماويّة، تسرحُ بين

(١) قوله: «من غير» مثبت من المصادر.
(٢) في «الحلية»: «قد فعل»، والمثبت موافق لما في (ق) و(د) و«صفة الصفوة».
(٣) قوله: «فقال: أن يؤمِّنه خوفُه كلَّ خوفٍ غيرَ خوفه. قال: متى يتبيَّن العبد خوفَه من الله عزَّ وجلّ» ليس في (د).
(٤) في «الحلية»: «أنزل».
(٥) «له» ليس في (ق).
(٦) «عن» ليس في (د).

صفوف الملائكة، وتُشاهِدُ تلك الأمورَ باليقين، فعَبَدوُه بمبلغ استطاعتهم حبًّا له، لا طمعًا في جنّةٍ ولا خوفًا من نار.

فشهقَ الفتى وصاح صيحةً كانت فيها نفسُه، فأكبَّ الشيخُ عليه، وقال: هذا مَصرعُ الخائفين، وهذه درجةُ المجتهِدين»(١).

❊ ❊ ❊

[عابد آخر وابنه من اليمن]

[١٣١] عابدٌ آخر / وابنُه باليمن. [٩٥/ب]

قال سلامة: «كنتُ باليمنِ في بعض مَخالِيفِها، فإذا رجلٌ معه ابنٌ شابٌّ، فقال: إنّ هذا أبي، وهو من خيرِ الآباء، ولي بقَرٌ تأتيني مساءً فأحلُبُها، ثمَّ آتي به وهو في الصلاةِ فأُحِبُّ أن يكون عيالي يشربونَ فضلَه، فلا أزالُ قائمًا عليه والإناءُ في يدي وهو مُقبِلٌ على صلاتِه حتَّى يَطلُعَ الفجر.

فقلت للشيخ: ما يقول؟ فقال: صدقَ، وأثنى على ابنه، ثمَّ قال: إنّي لأُخبِرُكَ بعُذري، إنّي إذا دخلتُ في الصلاةِ فاستفتَحتُ القرآنَ ذَهَبَ بي مذاهبَ وشَغَلَني، حتَّى ما أذكره حتَّى أُصبح، قال سلامة: فذكرتُ أمرَهُما لابن عُيينة، فقال: هذان يدفعُ الله تعالى بهما(٢) عن أهل الأرض»(٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ٣٦٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٥٩-٤٦٠).

(٢) في (د): «بهما البلاء».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٠).

[أبو هاشم الزاهد]

[١٣٢] ومنهم: أبو هاشمٍ الزاهدُ[١].

نَزِيلُ[٢] بغدادَ.

كان سفيانُ الثوريُّ يجلسُ إليه، وقال: «ما زلتُ أُرائي ولا أشعُرُ إلى أن جالستُ أبا هاشم، فأخذتُ منه تركَ الرياء»[٣].

قال أبو هاشم: «إنّ الله عزَّ وجلَّ وسَمَ الدنيا بالوحشة؛ ليكونَ أُنسُ المريدينَ به دونها؛ وليُقبِلَ المُطيعون له بالإعراضِ عنها، وأهلُ المعرفةِ بالله عزَّ وجلَّ فيها مُستوحِشون، إلى الآخرةِ مُشتاقون»[٤].

ونَظَرَ يومًا إلى شَريكٍ القاضي وقد خرجَ من دار يحيى بن خالد، فبكى، وقال: أعوذُ بالله عزَّ وجلَّ مِن[٥] علمٍ لا ينفع[٦]. رضي الله عنه.

* * *

[أسود بن سالم]

[١٣٣] ومنهم: أسودُ بنُ سالمٍ[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٢)، و«المنتظم» (٨: ١٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

(٢) في (د): «نزل».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٢)، و«المنتظم» (٨: ١٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٢٥)، و«المنتظم» (٨: ١٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

(٥) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٢٥)، و«المنتظم» (٨: ١٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

(٧) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٠: ٢٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣)، و«الوافي بالوفيات» (٩: ١٤٩).

سكن ببغدادَ.

يُكنَّى: أبا محمَّد[١].

وكان عابدًا، صالحًا، ورِعًا، وكان بينَهُ وبين معروفٍ الكَرخيِّ مؤاخاةٌ ومودّةٌ[٢].

كان إذا سَمِعَ شيئًا من العرض على الله عزَّ وجلَّ يصرخ، ولم يَزَل مغشيًا عليه إلى الصباح[٣].

قال: «ركعتان أُصلِّيهما أحَبُّ إلَيَّ[٤] من الجنّةِ بما فيها، فقيل له: هذا خطأ، فقال: دعونا من كلامِكُم، رأيتُ الجنّةَ رضا نفسي، وركعتَين أُصلِّيهِما رضا ربِّي، ورضا ربِّي أحَبُّ إليَّ من رضا نفسي»[٥].

أدركَ سفيانَ بنَ عُيَينةَ وغيره، وتوفِّي سنةَ ثلاثَ عشرة، أو أربعَ عشرةَ ومئتين[٦].

رحمة الله تعالى عليه.

* * *

(١) انظر: «المنتظم» (١٠: ٢٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٣)، و«الوافي بالوفيات» (٩: ١٤٩).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٣)، و«الوافي بالوفيات» (٩: ١٤٩).

(٤) «إلي» ليس في (ق).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٣)، و«مرآة الزمان» (١٤: ١٣٠)، و«الوافي بالوفيات» (٩: ١٤٩)، و«طبقات الشافعية الكبرى» (٩: ٣٢٦).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٣).

[منصور بن عمار]

[١٣٤] **ومنهم**: منصورُ بنُ عَمّار بن كثير[١]، أبو السَّريِّ[٢].

أصلُه من خُراسان[٣]، وقال السلميّ: «هو من أهل مرو»، وقيل غير ذلك[٤].

سكنَ بغدادَ[٥]، وكان واعظًا، إذا وعظَ تَرى شيئًا عجبًا[٦].

قال السعدانيّ: «رأيتُ منصورًا في المنام بعد موتِه، فقلت: ما فعَلَ الله عزَّ وجلَّ بك؟ قال: وقفتُ بينَ يدَيه، فقال: أنت الذي كنت تُزَهِّدُ الناسَ في الدُّنيا[٧]، وتَرغَب فيها؟ قلت: قد كان ذلك، ولكن ما اتَّخذتُ مجلسًا إلّا وبدأتُ [٩٦/أ] بالثناء وثنَّيتُ بالصلاة على نبيِّك، وثَلَّثتُ بالنصيحةِ لعبادك، فقال: صدقت، ضعوا له كُرسيًّا في سمائي يُمجِّدني بين ملائكتي كما مجَّدَني في أرضي بين عبادي»[٨]، رضي الله عنه.

---

(١) انظر ترجمته في: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٩٣).

(٢) في (د) و(ف): «أبو السدي».

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٩٣).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٩٣).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤).

(٦) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٩٣).

(٧) في (ق): «الناس».

(٨) انظر: «المنتظم» (١١: ١٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤).

[ابن هارون الرشيد المعروف بالسبتي]

[١٣٥] **ومنهم:** وَلدُ الرشيدِ السبتيُّ.

ويقال: اسمُه أحمد[١].

قال أبو الفرج العابد: احتَجتُ إلى صانعٍ فأتيتُ السوق، فجعَلتُ أرمُقُ الصُّنّاع، فإذا شابٌّ مُصفَرٌّ وبين يدَيه زِنبيلٌ، ومَرَّ وعليهِ جُبّةُ صُوفٍ ومِئزَر، فقلت له: تعمل؟ فقال: نعم، فقلت: بكَم؟ فقال: بدرهمٍ ودانِق، فقلت: قُم، فقال: بشرط، إذا كان وقتُ الصلاة خرجتُ وتطهَّرتُ وصلَّيتُ في المسجد جماعةً، فقلت: نعم.

فجِئنا المنزلَ فوافقتُه على ما ينقله من موضعٍ إلى موضع، فشدَّ وسطَه وجعلَ يعمل، ولا يُكلِّمُني حتَّى أذَّنَ الظهر، فقال: يا عبدَ الله، قد أذَّنَ. فقلت[٢]: شأنُك، فخرجَ فصلَّى، فلمّا جاءَ رَجَعَ عَمِلَ أيضًا عملًا جيِّدًا إلى العصر، فلمّا أذَّنَ قال: يا عبدَ الله، قد أذَّن. فقلت[٣]: شأنُك، فخرجَ فصلَّى ثمَّ رجع، فلم يَزَل يعمل إلى آخرِ النهار، فوزنتُ له أُجرتَه.

فلمّا كان بعد أيّامٍ احتجنا[٤] إلى عمل، فقالت زوجتي: اطلُب لنا ذلك الصانِعَ؛ فإنّه نصَحَنا، فجئتُ السوقَ فلم أرَه، فسألتُ عنه؟ فقالوا: لا نراه[٥] إلّا من سبتٍ إلى سبت، لا يجلس إلّا وحدَه في آخر الناس، فانصرفتُ.

فلمّا كان يومُ السَّبتِ أتيتُ السوقَ فصادَفتُه، فقلت: تعملُ؟ فقال: قد عَرفتَ الأجرة، فقام فعَمِلَ على النحوِ الذي كان عمل، فلمّا وزنتُ الأجرةَ زِدتُه، فأبى

---

(١) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«الوافي بالوفيات» (٨: ١٤٣).

(٢) في (ق): «قلت».

(٣) في (ق): «قلت».

(٤) في (د): «احتجت».

(٥) في (د): «تراه».

الزيادة، فألحَحتُ عليه، فضَجِرَ وتركني ومضى، فغمَّني ذلك، فاتَّبعتُه وداريتُه حتَّى أخذ أجرتَه فقط.

فلمّا كان بعد مُدّةٍ احتجنا إليه، فمَضَيتُ في يوم السبت[1]، فلم أجده، فسألتُ عنه، فقيل: عليلٌ، وقال لي مَن يخبر أمرَه: إنّما كان يجيءُ يومَ السبتَ يعملُ بدرهمٍ ودانِق، ويتقوَّت كلَّ يومٍ دانِقًا، وقد مَرِض، فسألتُ عن منزله، فوجدتُه في بيتِ عجوز، فدخلتُ فوجدتُ تحت رأسه لبِنة، فسلَّمتُ عليه، وقلت: ألك حاجةٌ؟

قال: نعم إن قَبِلت، قلت: أقبَلُ إن شاء الله تعالى، قال: إذا أنا مِتُّ فبِع هذا المُرَّ، واغسل جُبَّتي والمِئزر، وكفِّني فيهما، وافتُق جَيبَ[2] الجُبّة؛ فإنَّ فيها خاتمًا، ثمَّ انظُر يوم يَركَبُ الرشيد، فقِف في موضعٍ / يراكَ فكَلِّمه، وأرِه الخاتم، ثمَّ سلِّمه إليه، وليَكُن هذا بعد دفني. [٩٦/ب]

قلت: نعم، فلمّا ماتَ فعلتُ به ما أمرَني، ثمَّ نظرتُ اليوم الذي يركبُ فيه الرشيد، فجلستُ له، فلمّا مرَّ ناديته: يا أميرَ المؤمنين، لك عندي وديعة، ولوَّحتُ بالخاتم، فأمرَ بي[3] فحُمِلتُ إلى دارِه، فدعاني ونحَّى جميعَ مَن عندَه، وقال: مَن أنت؟ قلت: عبدُ الله بنُ الفرج، فقال: هذا الخاتَمُ من أين لك؟ فحدَّثته القصّة، فجعل يبكي حتَّى رحمتُه.

فلمّا آنسَ إليَّ قلت: يا أمير المؤمنين، مَن هو منك؟ قال: ابني، قلت: فكيف صارَ إلى هذه الحالة؟ فقال: وُلِدَ قبل الخلافة، فنشأ نُشوءًا حسنًا، وتَعلَّمَ القرآنَ

---

(١) في (د): «سبتٍ».
(٢) في (ق): «جنب».
(٣) في (د): «فأمرني».

والعِلم، فلمّا وُلِّيتُ الخلافةَ تركني ولم يَنَل من دُنيايَ شيئًا، فدفَعتُ هذا الخاتمَ[١] إلى أُمِّه، وهو ياقوت، ويساوي مالًا كثيرًا، وقلت: تدفعي هذا إليه، وكان بارًّا بأُمِّه، وسألتُه أن يكون معه لعلَّه يحتاجُ إليه يومًا من الأيّام، وتُوفِّيَت أُمُّه ولم أعرِف له خبرًا إلى أن أخبَرَتني به.

ثمَّ قال: إذا كان الليلُ فاخرُج معي إلى قبرِه، فخرجنا وهو وحدَه يمشي، حتَّى أتينا قبرَه، فبكى بُكاءً شديدًا، فلمّا طَلَعَ الفجرُ قُمنا فرجع، ثمَّ قال: تَعاهَدني في الأيّام التي أزورُ قبرَه، فكنت أتعاهَدُه في الليلِ فيَزُورُه ثمَّ يَرجِع.

وفي رواية: قُل له: يُقرِئُكَ صاحبُ هذا الخاتم السلام، ويقول لك: لا تَموتَنَّ على سَكرَتِكَ هذه؛ فإنّك إن مِتَّ على سَكرَتِكَ هذه نَدِمت، فلمّا بلَّغتُه جعلَ يتقلَّبُ على البساط، ويقول: يا بُنيّ، نصحتَ أباكَ»[٢].

* * *

[معروف الكَرخي]

[١٣٦] ومنهم: معروفُ الكَرْخيُّ[٣].

يُكنَّى: أبا محفوظٍ[٤].

---

(١) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٢) انظر: «المنتظم» (٩: ٩٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٤)، و«الوافي بالوفيات» (٨: ١٤٤).

(٣) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (٨: ٣٦٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٩)، و«وفيات الأعيان» (٥: ٢٣١)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٣٣٩).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٦٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٩)، و«وفيات الأعيان» (٥: ٢٣١)، و«سير أعلام النبلاء» (٩: ٣٣٩).

أقامَ الصلاةَ يومًا، ثمَّ قال لمحمَّدِ بن أبي توبة: تقدَّم فَصَلِّ بنا، فقال محمَّدٌ: إن صلَّيتُ بكم هذه لم أُصَلِّ بكم أُخرى، فقال معروفٌ: وأنت تُحدِّثُ[١] نفسَك أن تُصلِّي صلاةً أُخرى؟ **نعوذُ باللهِ عزَّ وجلَّ مِن طولِ الأملِ؛ فإنّه يمنعُ خيرَ العمل**»[٢].

وسأله شخص شيئًا يُفطِرُ عليه، فقال له معروفٌ: سِرُّ الله عزَّ وجلَّ أفشَيتَه، ثمَّ تأمُلُ[٣] أن تعيشَ إلى الليل[٤].

وكان يضربُ نفسَه، ويقول: يا نفس، كم تبكين، أخلِصي وتخلَّصي[٥].

قال يحيى بنُ جعفر: «رأيتُ معروفًا يُؤذِّن، فلمّا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله؛ رأيتُ شعرَ لحيته وصدغه قائمًا كأنّه زرعٌ[٦]».

[٩٧/أ] قال الجُنَيد: قال السَّرِيّ: «سألتُ معروفًا عن الطائعينَ لله بأيِّ شيءٍ قدَرُوا على الطاعة لله عزَّ وجلَّ؟ فقال: بخروج الدُّنيا من قلوبِهم، ولو كانت في قلوبهم ما صَحَّت لهم سجدةٌ»[٧].

قال السَّريّ: «هذا الذي أنا فيه من بركاتِ معروفٍ؛ فإنّه انصرفَ من صلاةِ العيد، فرأيتُ معه صبِيًّا شَعثًا، فقلت: من[٨] هذا؟ فقال: رأيتُ الصبيانَ يلعَبون وهو واقفٌ مُنكَسِر، فسألته: لِمَ لا تلعب؟ فقال: أنا يتيم.

---

(١) في (د): «محدث».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٦٩).

(٣) في (د): «وتؤمل».

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٠).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٣: ٤٠٢).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٠).

(٧) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٨٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٠).

(٨) في (د): «ما».

فقلت له: ما ترى أنّك تعمل معه؟ قال: لعلِّي أخلو فأجمَعُ له نوًى يشتري به جَوزًا يفرحُ به، فقلت له: أعطِنيه أُغيِّر من حاله، فقال لي: أوَتَفعَل؟ فقلت: نعم، فقال لي: خُذهُ أغنى الله عزَّ وجلَّ قلبَك، فسَوِيَت الدنيا عندي أقلَّ من كذا»(١).

قال أبو بكرٍ الزجّاج: «قيلَ لمعروفٍ في عِلَّتِه: أوصِ(٢)، فقال: إذا أنا مِتُّ فتَصَدقوا بقميصي هذا؛ فإنّي أُحِبُّ أن أخرجَ من الدنيا عريانًا كما دَخَلتُ إليها»(٣).

تُوفِّي في سنةِ مئتين، وقبرُه ظاهِرٌ ببغداد(٤).

* * *

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧١).

(٢) في (د): «أوصي».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٦٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٢).

(٤) في (ق) و(د): «بغداد». وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٣: ٤٠٥).
وقد دفن في مقبرة باب الدير، وقبره مشهور يزار، ويقصده العامة.
قال إبراهيم الحربي: قبر معروف الترياق المجرَّب، وقال أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن ابن محمد الزهري: سمعت أبي يقول: قبر معروف الكرخي مجرب لقضاء الحوائج، ويقال: إنه من قرأ عنده مئة مرة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وسأل الله تعالى ما يريد، قضى الله له حاجته. وقال أبو عبد الله بن المحاملي: أعرف قبر معروف الكرخي منذ سبعين سنة، ما قصده مهموم إلا فرَّج الله هَمَّه.
قال الذهبي: البقاع المباركة يستجاب فيها الدعاء، كما أن الدعاء في المساجد وفي السَّحَر أفضل، ودعاء المُضطرِّ مُجابٌ في كلِّ مكان. وقال أيضًا: يريد إجابة دعاء المضطر عنده؛ لأن البقاع المباركة يُستجاب عندها الدعاء، كما أن الدعاء في السَّحَر مَرجُوٌّ، ودُبُر المكتوبات، وفي المساجد، بل دعاء المضطر مجاب في أي مكان اتفق، اللهم إني مضطر إلى العفو، فاعفُ عني.
انظر: «تاريخ بغداد» (١: ٤٤٥)، و«طبقات الحنابلة» (١: ٣٨٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٣: ٤٠٤)، و«السير» (٩: ٣٤٤).

[بشر بن الحارث]

[١٣٧] ومنهم: بِشرُ بنُ الحارث[١].

يُكنَّى: أبا نصرٍ[٢].

وُلِدَ سنةَ خمسين ومئة[٣].

قال أبو الحسين بنُ مُحمَّدٍ[٤] البغداديّ: «سمعتُ أبي يقول: زُرتُ بِشرَ بنَ الحارث، فقَعَدتُ معه مِلِيًّا، فما زادَني على كلمة، فقال: ما اتَّقى الله عزَّ وجلَّ مَن أحَبَّ الشُّهرة»[٥].

قال بشرٌ يومَ ماتت أختُه: «إنّ العبدَ إذا[٦] قَصَّرَ في طاعةِ الله عزَّ وجلَّ سلبَه مَن يُؤنِسه»[٧].

قال ابنُ أُختِ بشر: سَمِعتُ بشرًا يقول: «ما شَبِعتُ مُنذُ خَمسِينَ سَنةً»[٨].

---

(١) انظر ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣٤٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ١٧٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٦٩).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» (٧: ٣٤٢)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ١٧٧)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٦٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٦٩). وفي «السير»: «اثنتين وخمسين ومئة».

(٤) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٠: ٤٧٦).

(٦) في (د): «إن».

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٤٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٣).

(٨) «الورع» للإمام أحمد (١٥)، و«مشيخة قاضي المارستان» (٣٨٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٤).

وقال[١] قَرابةٌ لِبشر: «قَدِمَ بشرٌ من عبادانَ[٢] ليلًا، أو من سفر، وهو مُؤتَزِرٌ بحصيرٍ»[٣].

وقال بشرٌ: «إنّي لأشتَهي شواءً منذ أربعين سنةً ما صَفِي لي درهَمُه»[٤].

وقال[٥]: «إنّي لأشتهي الباذنجانَ منذُ ثلاثين سنةً ما صَفَت لي حبَّتُه؛ يعني: ثَمنُه بحبّةٍ»[٦].

قال عمرُ ابنُ أختِ بشر: «سمعتُ خالي يقول لأُمِّي: جَوفي[٧] وجِعٌ، وخواصِري تضربُ عليّ، فقالت له أُمِّي: ائذَن لي حتَّى أُصلِحَ لك[٨] قليلَ حسوٍ بكفٍّ دقيقٍ عندي تتحسّاه يَرُمُّ جوفَك، فقال لها: وَيحَك! أخافُ أن يقول لي ربِّي: من أين لك هذا الدقيقُ؟ فلا أدري أيَّ شيءٍ أقول له، فبَكَت أُمِّي، وبكى معها، وبكيتُ معهما»[٩].

قال رجلٌ لبشر: «ما لي أراكَ مغمومًا؟ فقال: ما لي لا أكونُ مغمومًا وأنا رجلٌ مطلوبٌ»[١٠].

---

(١) في (د): «قال».

(٢) تقع الآن في دولة إيران في الجنوب الغربي منها على الخليج العربي. انظر: «معجم البلدان» (٤: ٧٤)، و«بلدان الخلافة الشرقية» لكي لسترنج (٧٠).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٤).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ١٩٥)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٢٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٦: ١٠٧).

(٥) في (د): «قال».

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٦: ١٠٧).

(٧) في (د): «فيّ».

(٨) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٩) انظر: «إحياء علوم الدين» (٤: ٤١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٥)، و«مرآة الزمان» (١٤: ٣٤٤).

(١٠) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٥).

وسُئِلَ الإمامُ أحمدُ عن مسألةٍ في الورع، فقال: أنا أستغفِرُ الله عزَّ وجلَّ؛ إنّي لا يَحِلُّ لي [٩٧/ب] أن أتكلَّمَ في الورع، أنا أكلتُ من غلّةِ بغداد، لو كان بشرُ بنُ الحارثِ صلح أن يجيبَك عنه؛ فإنّه كان لا يأكُلُ من غلّةِ بغداد، ولا من طعامِ السَّواد، يصلحُ أن يتكلَّمَ في الورع(١).

وجاءَ رجلٌ فسأل بشرًا عن مسألةٍ فأطرقَ مليًّا، ثمَّ رفع رأسه، ثمَّ قال: اللهُمَّ إنّك تعلمُ أنِّي أخافُ أن أتكلَّم، اللهُمَّ إنّك تعلمُ أنِّي أخافُ أن أسكُت، اللهُمَّ إنّي أخافُ أن تأخُذَني بين السكوتِ والكلام(٢)، ولو علمتُ أنّ رضاه أن أشُدَّ في رجلي حَجرًا، ثمَّ أُلقَى في البحرِ لفعلتُ(٣)، وإنّ الجوعَ يُصفِّي الفؤادَ ويُورِثُ العلم(٤).

ودخلَ بالمقبرة، فقال: «المَوتى داخلَ السور أكثرُ منهم(٥) خارج السور»(٦).

ومرَّ ومعَهُ(٧) رجلٌ، فتقدَّمَ يَشربُ من بئرٍ فجذبَه، وقال: من البئر الأُخرى، حتَّى جاوزَ ثلاثةَ آبار، فقال له الرجل: يا أبا نصر، أنا عطشان، فقال له بشرٌ: اسكت، فهكذا تُدفَعُ الدنيا(٨).

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ١٩٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٦).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٥).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٦).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٦)، و«تاريخ الإسلام» (١٦: ١٠٧).

(٥) في (د): «من».

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (٨: ٣٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٦).

(٧) في (ق): «معه» بدون الواو.

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٧).

قال إبراهيمُ الحربيّ: «سمعتُ بشرًا يقول: بحَسبِك أنّ أقوامًا تَحيا القلوبُ بذِكرِهِم، وإنّ أقوامًا أحياءَ تَعمَى الأبصارُ بالنظرِ إليهم»(١).

رَحَلَ رضي الله عنه إلى مكّةَ والكوفةِ والبصرة، وسَمِعَ من وكيعٍ ومالك بن أنس وخلقٍ كثير، غيرَ أنّه لم يَقصدِ الرواية(٢).

وتُوفِّي عشيّةَ الأربعاءِ لعشرٍ بَقِينَ من ربيعٍ الأوَّل، وقيل: لعشرٍ خَلَونَ من المُحرَّم سنةَ سبعٍ وعشرين ومئتين، وقد بلغَ من العمر خمسًا وسبعين سنةً(٣).

قال الحسنُ بنُ مروان: «رأيتُ بِشرًا في النوم، فقلت: يا أبا نصر، ما فعلَ الله تعالى بك؟ قال: غَفَرَ لي ولكلِّ مَن تَبِعَ جنازَتي، فقلت: ففيمَ العملُ؟ قال: افتَقِد الكسرةَ»(٤).

***

[الإمام أحمد بن حنبل]

[١٣٨] ومنهم: الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ(٥).

يُكنَّى: أبا عبد الله الشيباني.

جيءَ به من مَرْو حَملًا، فوُلِدَ في ربيعٍ الأوَّل سنةَ أربعٍ وستِّين ومئة.

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٧).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٧).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٧)، و«الوافي بالوفيات» (١٠: ٩١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٨)، و«الوافي بالوفيات» (١٠: ٩١).

(٥) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٨)، و«وفيات الأعيان» (١: ٦٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٦١).

قال أبو زُرعة[1]: «كان أحمَدُ يحفظُ ألفَ ألفِ حديث، فقيل له: وما يُدرِيكَ؟ فقال: ذاكَرتُه فأخَذتُ عليه الأبواب»[2].

قال عبدُ الرزّاق: «ما رأيتُ أفقهَ ولا أورعَ من أحمدَ»[3].

وقال ابنُ مهديّ: «ما نظرتُ إليه إلّا ذَكرتُ به سفيانَ الثوريَّ»[4].

قال أبو بكرٍ المَرُّوذِيّ: «كنتُ مع أبي عبد الله نَحوَ أربعة أشهرٍ بالعسكر، ولا يدعُ قيامَ الليلِ وقراءةَ النهار، فما عَلِمتُ بختمةٍ خَتَمَها، كان يُسِرُّ ذلك»[5].

باتَ عند الإمام أحمدَ طالبٌ، فجاءَ بالماءِ فوضعَه، فلمّا أصبحَ نظرَ[6] في الماء، فإذا هو كما كان، فقال: سُبحانَ الله عزَّ وجلَّ / ، رجلٌ يَطلُبُ العلمَ ولا يكونُ له وِردٌ من الليل[7]؟ [٩٨/أ]

قال عليُّ بنُ المَدِينيّ: قال لي أحمد: «إنّي لأُحِبُّ أن أصحَبَك إلى مكّة، وما يمنعني من ذلك إلّا أنّي أخافُ أن أمَلَّكَ أو تَمَلَّني، فلمّا ودَّعتُه[8] قلت له: يا أبا عبد الله، أوصِني بشيء، قال: نعم، ألزِمِ التقوى قلبَك، وانصُبِ الآخرةَ أمامك»[9].

---

(١) في (ق) و(د): «قال: زرعة».

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٢٩٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٦٧).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٢٧٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٧٩)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٦٩).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٧٩).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٠).

(٦) في (د): «فنظر».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٠).

(٨) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٠).

قال أبو داودَ السجِستانيّ: «مَجالسُ أحمدَ مَجالسُ الآخرة، لا يُذكَرُ فيها شيءٌ من الدنيا، ما رأيتُ أحمدَ ذَكَرَ الدنيا قطُّ»[1].

ولمّا ماتت امرأتُه أُمُّ صالح قال لامرأةٍ عندهم: اذهَبي إلى فُلانة ابنةِ عمِّي فاخطِبيها، فأتَتها فأجابت، فلمّا رَجَعَت إليه قال: كانت أُختُها تَسمَعُ كلامَكِ؟ قالت: نعم، ـ وكانت أُختُها بعينٍ واحدة ـ فقال: فاذهَبي فاخطِبي التي بعينٍ واحدة، فتزوَّجَها، وهي أُمُّ عبد الله، فأقامَ معها سبعًا، ثمَّ قالت له: يا ابنَ عمي، هل أنكرتَ شيئًا؟ قال: إلّا أنّ نعلَك هذه تَضُرُّ[2].

قال ابنُ راهَوَيه: «خَرَجَ أحمدُ إلى عبد الرزّاق، فانقطَعَت به النفقة، فأكرَى نفسَه من بعض الحَمّالين إلى أن وافَى صنعاء، وقد كان أصحابُه عَرَضوا عليه المواساة، فلم يَقبَل من أحدٍ شيئًا، فبَلَغَ عبدَ الرزّاق، فدَمَعَت عيناه، ثمَّ أخذَ عشرةَ دنانيرَ واختلَى به، وقال: إنّه لا يجتمعُ عندنا الدنانير، وقد وجدتُ الساعةَ هذه العشرةَ الدنانيرَ فخُذها، فأرجو ألّا[3] تُنفِقَها حتَّى يتهيّأَ عندنا شيءٌ، فتبسَّمَ الإمامُ أحمد، وقال: يا أبا بكر، لو قَبِلتُ من الناسِ قَبِلتُ منك، ولم يَقبَل»[4].

قال صالحٌ وَلدُ الإمام أحمد: «دَخَلتُ على أبي في أيّامِ الواثق، واللهُ أعلمُ في أيِّ حالةٍ نحن، وقد خرجَ إلى صلاةِ العصر، وكان له لِبْدٌ يجلسُ عليه، قد أتَت عليه سنونَ كثيرةٌ حتَّى بَلِي، فإذا تحتَه كتابٌ فيه: بلَغَني يا أبا عبد الله ما أنت فيه

---

(١) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٨ : ٧٥)، و«البداية والنهاية» (١٤ : ٣٨٩).
(٢) انظر: «المنتظم» (١١ : ٢٨٨)، و«صفة الصفوة» (١ : ٤٨٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٨ : ٩٥).
(٣) في (د): «أن».
(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٩ : ١٧٤)، و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١ : ١٣١)، و«صفة الصفوة» (١ : ٤٨١).

من الضِّيق، وما عليك من الدَّين، وقد وجَّهتُ إليك بأربعةِ آلاف درهمٍ على يدَي فُلانٍ؛ لتَقضِيَ بها دَينَك، وتُوسِّعَ بها على عيالك، ولا هي من صدقةٍ ولا زكاة، وإنّما هي شيءٌ ورِثتُه من أبي.

فقرأتُ الكتابَ ووضعتُه، فلمّا دَخَلَ قلت: يا أبتِ(١)، ما هذا الكتابُ؟ فاحمَرَّ وجهُه، وقال: رفَعتُه منك، ثمَّ كتبَ جوابَه: وصلَ كتابُك إليَّ ونحن في عافية، أمّا الدَّينُ فإنّ الرجُلَ لا يُرهِقُنا، وأمّا عيالُنا ففي نِعمةِ الله(٢) والحمدُ لله / ، فلمّا مَضَت مُدّةٌ قال: لو كُنّا قَبِلناها كانت ذَهَبت»(٣). [٩٨/ب]

وحَمَلَ الحسنُ بنُ عبد العزيز من ميراثِه إلى الإمام أحمدَ ثلاثةَ أكياس، في كلِّ كيسٍ ألفُ دينار، فقال: يا أبا عبدِ الله، هذه مِن ميراثٍ حلال، فخُذها فاستَعِن بها على عيالِك، فقال: لا حاجةَ لي فيها، أنا في كفاية، فرَدَّها ولم يقبَل منها شيئًا(٤).

قال المَرُّوذِيّ: «سمعتُ الإمامَ أحمدَ وهو يقول: إنّما هو طعامٌ دون طعام، ولباسٌ دون لباس، وإنّها أيامٌ قلائلُ»(٥).

قال: وسَمِعتُه يقول: «أسَرُّ أيّامي إليَّ يومَ أُصبِحُ وليس عندي شيءٌ»(٦).

قال صالحُ ابنُ الإمامِ أحمد: «رُبَّما رأيتُ أبي يأخذُ الكِسرة، فيَنفُضُ الغُبارَ

---

(١) في (ق): «يا أبة». (٢) لفظ الجلالة ليس في (ق).

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٧٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٣٠٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٢).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٧٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٣٠٥).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٢)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٨١)، و«سير أعلام النبلاء» (١١: ٢١٥).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٢).

عنها، ثـمَّ يُصيِّرُها فـي قَصعةٍ ويَصُبُّ عليها ماءً حتَّى تبتَلّ، ثمَّ يأكُلُها بالملح، وما رأيته اشترى قطُّ رُمّـانًا ولا سَفرجَلًا ولا شيئًا مـن الـفاكهة، فأمّا غيرُ ذلك فما رأيتُه قطُّ اشتراه، وكان كثيرًا يأتَدِمُ بالخَلّ، وكان يُشترَى له شَحمٌ بدِرهَم، فكان يأكُلُ منه شهرًا، فلمّا قَدِمَ من عند المتوكِّل أدمَنَ الصوم، وجَعَلَ لا يأكُلُ الدسم، فتوهَّمتُ أنّه جعل على نفسِه إن سَلِمَ أن[1] يفعلَ ذلك، وكان إذا مشى في الطريق يَكرَه أن يَتبَعَه أحدٌ»[2].

قال المَرُّوذِيّ: «سمعتُ الإمامَ أحمدَ يقول: الخوفُ يَمنَعُني أن آكُلَ من الطعامِ والشراب، فما أشتَهِيه»[3].

وقال المَرُّوذِيُّ: «بالَ الإمامُ أحمدُ في مَوضِعِه[4] دمًا، فأرَيتُه عبدَ الرحمنِ المُتطَبِّب، فقال: هذا رجلٌ قد فتَّتَ الغمُّ أو الحزنُ كَبِدَه»[5].

قال ابنُه عبدُ الله: «كان أبي يُصَلِّي في كلِّ يومٍ وليلةٍ مئةً وخمسين ركعةً[6]، وقد كان يَقرُبُ من الثمانين»[7].

وكان ساعةَ يُصلِّي عِشاءَ الآخِرةِ ينامُ نومةً خفيفةً، ثمَّ يقومُ إلى الصباحِ يُصلِّي[8].

---

(١) في (د): «أنه».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١١: ٢٠٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٣)، و«مناقب الإمام أحمد» (٣٧٩).

(٤) في (ق): «مرضه».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٣).

(٦) في «صفة الصفوة» (١: ٤٨٤): «كان أبي يصلي في كل يومٍ وليلةٍ ثلاث مئة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي في كل يوم وليلة مئة وخمسين ركعة».

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٣٠٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٤).

(٨) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٤).

وحجَّ ثلاثَ حجّاتٍ ماشيًا، وأنفقَ في بعض حَجّاتِه عشرين درهمًا[(١)].

ولمّا امتُحِنَ في زمنِ المُعتصم قال ميمونُ بنُ الأصبغ[(٢)]: «كنت ببغدادَ فسمعتُ ضجّةً، فقلت: ما هذا؟ فقال: أحمدُ يُمتَحَن، فدخَلت، فلمّا ضُرِبَ سوطًا قال: بسم الله، فلمّا ضُرِبَ الثاني قال: لا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله، فلمّا ضُرِبَ الثالث قال: القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق، فلمّا ضُرِبَ الرابع قال: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: ٥١]، فضُرِبَ تسعةً[(٣)] وعشرين سوطًا، وكانت تكّةُ أحمدَ حاشيةَ ثوبٍ فانقطَعَت، فنزَلَ السَّراويلُ إلى عانَتِه، فرمى أحمدُ بطَرفِه إلى السماء، وحرَّكَ شفتَيه، فما كان بأسرعَ مِن أنّ السراويلَ لم تَنزِل. [٩٩/أ]

فدَخَلتُ إليه بعد سبعةِ أيّام، فقلت: يا أبا عبد الله، رأيتُكَ تُحَرِّكُ شفتَيك، فأيُّ شيءٍ قلت؟ قال: قلت: اللهُمَّ إنّي أسألُكَ باسمكَ الذي ملأتَ به العرش، إن كنت تعلمُ أنّي على الصواب فلا تَهتِك لي سترًا»[(٤)].

قال عبد الله بن الإمامِ أحمد: كنتُ كثيرًا أسمعُ أبي يقول: «رَحِمَ الله تعالى أبا الهيثم، عفا الله تعالى عن أبي الهيثم، غَفَرَ الله تعالى لأبي الهيثم، فقلت: يا أبتِ[(٥)]، مَن أبو الهيثم؟

فقال: لمّا أُخرِجَت السياطُ ومُدَّت يديَّ للعقابين[(٦)] إذا شابٌّ يجذِبُ ثَوبي،

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٤).

(٢) في (د): «الأصبع».

(٣) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ١١٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١١: ٢٥٤).

(٥) في (ق): «يا أبه».

(٦) في (د) و(ق): «للقفايين»، وفي «صفة الصفوة»: «للعاقبين».

فقال لي: تَعرِفُني؟ قلت: لا، قال: أنا أبو الهيثم العَيّار، اللصُّ الطرّار[١]، مكتوبٌ في ديوانِ أمير المؤمنين أنِّي ضُرِبتُ ثمانيةَ آلافِ سوطٍ بالتفاريق، وصَبَرتُ في ذلك على طاعة الشيطان لأجل الدنيا، فاصبر أنت في طاعةِ الرحمن لأجل الدِّين، فضُرِبتُ ثمانيةَ عشرَ سوطًا بدلَ ثمانيةِ آلاف، فخرجَ الخادم، وقال: عفا عنه أميرُ المؤمنين»[٢].

قال سِنان: «بَلَغَني أنّ أحمدَ جعلَ المعتصمَ في حِلٍّ يومَ فتحَ بابل، أو فتحَ عموريّة، وقال: هو في حِلٍّ من ضَربِي»[٣].

وقال إبراهيمُ الحربيّ: «أحَلَّ أحمدُ مَن حَضَرَ ضَربَه، وكلَّ مَن شايَعَ فيه، والمعتصم، وقال: لولا أنّ ابن أبي دؤاد داعيةٌ لأحلَلتُه»[٤].

تُوفِّي رحمةُ الله عزَّ وجلَّ عليه سنة إحدى وأربعين ومئتين، وقد استكملَ سبعًا وسبعين سنةً[٥].

قال ابنُه عبدُ الله: «لمّا حَضَرَت أبي الوفاةُ جلستُ عنده ومعي الخِرقةُ؛ لأشُدَّ بها لحْيَيه، فجعلَ يغرقُ[٦] ثمَّ يُفِيق، ثمَّ يفتحُ عَينَيه[٧]، ويقول بيده هكذا، لا بعدُ

(١) الطرّار: السارق الذي يشقُّ كُمَّ الرجل ويأخذ ما فيه. انظر: «الزاهر في معاني كلمات الناس» (٢: ٢٣٩)، و«طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية» (٧٨)، و«المصباح المنير» (٢: ٣٧٠)، و«التوقيف على مهمات التعاريف» (٢٢٦)، و«كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» (١: ٩٤٧).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٥)، و«مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (٤٥٠)، و«مرآة الزمان» (١٤: ٢٣٩).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٨٥)، و«سير أعلام النبلاء» (١١: ٢٥٧).
(٤) انظر: «المنتظم» (١١: ٤٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٦).
(٥) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤: ٢٨٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٧)، و«وفيات الأعيان» (١: ٦٤).
(٦) في (د): «يفرق».
(٧) في (د): «عينه».

لا بعد، فلمّا كان في الثالثة قلت: يا أبتِ[١]، أيُّ شيءٍ هذا قد لهجتَ به في هذا الوقت؟

قال: يا بُنيّ، إبليسُ لعنه الله عزَّ وجلَّ قائمٌ حِذائِي عاضٌّ على أنامِله يقول: يا أحمَد، فُتَّنِي، فأقول: لا بعد، حتَّى أموت»[٢].

وحُزِرَ مَن حضرَ جنازتَه من الرجالِ ثمانِ مئةِ ألف، ومن النساءِ ستينَ ألفًا، وقيل غيرُ ذلك[٣].

* * *

[أبو حمدون الطيب بن إسماعيل]

[١٣٩] ومنهم: أبو محمَّد الطيِّبُ[٤].

المعروفُ بأبي حمدون الدلّال[٥].

وكان أحدَ القرّاءِ المشهورين والزُّهّاد الصالحين.

صَحِبَ سُفيانَ بنَ عُيينةَ وغيرَه، قال فلانٌ: «سمعتُ أبا حمدون المُقرِئَ يقول: صلَّيتُ ليلةً فقَرأتُ، فأدغَمتُ حرفًا، فحَمَلَتني عيناي، فرأيتُ نورًا تلبَّب بي، وهو

---

(١) في (ق): «يا أبه».

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٩: ١٨٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥: ٣٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٨).

(٣) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٤: ٢٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٨٨)، و«مرآة الجنان وعبرة اليقظان» (٢: ٩٩).

(٤) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٠: ٤٩٣)، و«المنتظم» (١١: ٣٠٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٢)، و«اللباب في تهذيب الأنساب» (١: ٢٤٠)، و«مرآة الزمان» (١٥: ٣٣).

(٥) في «تاريخ بغداد» و«المنتظم»: «اللآل».

يقول: بيني وبينك الله عزَّ وجلّ، قلت: من أنت؟ قال: أنا الحرفُ الذي أدغمتَني، [٩٩/ب]
قلت: لا أعود، فانتبَهت، فما عدتُ أُدغِمُ[١] حرفًا»[٢].

وكان قد كُفَّ بصره، فقال له قائِدُه ليُدخِلَه المسجد: يا أستاذ، اخلَع نعلَيك، فقال: لِمَ؟ فقال: لأنّ فيهما أذًى، فاغتمَّ أبو حمدون، وكان من عبادِ الله الصالحين، فرفعَ يدَيه ودعا بدعواتٍ ومسح بها وجهَه، فردَّ الله عزَّ وجلَّ عليه بصره[٣].

قال أبو الحُسَين بنُ[٤] المُنادِي[٥]: «كان أبو حمدون من خيارِ الزُّهّاد المُشتهرين بالقرآن، وكان يقصدُ المواضعَ التي ليس فيها أحدٌ يُقرِئُ الناسَ فيُقرِئهم، حتَّى إذا حَفِظُوا انتقلَ إلى آخَرِينَ بهذا النعت، وكان يلتَقِطُ المنبوذَ كثيرًا»[٦].

❊ ❊ ❊

[الحارث بن أسد المحاسبي]

[١٤٠] ومنهم: الحارثُ بنُ أسدٍ المحاسبيُّ[٧].

يُكنَّى: أبا[٨] عبد الله[٩].

---

(١) في (ق): «أدغمت».
(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣:١٣٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٢).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٢).
(٤) «ابن» مثبت من المصادر.
(٥) في (د): «القادي».
(٦) انظر: «الأنساب» للسمعاني (٣:١٣٨)، و«المنتظم» (١١: ٣٠٠-٣٠١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٣).
(٧) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٣)، و«السير» (١٢: ١١٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٢٧٥)، و«الأعلام» للزركلي (٢: ١٥٣).
(٨) في (ق): «أبو».
(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٣)، و«السير» (١٢: ١١٠)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٢: ٢٧٥)، و«الأعلام» للزركلي (٢: ١٥٣).

قال الجُنَيد: «كنتُ كثيرًا أقولُ للمحاسبيّ: عُزلَتي أُنسي، فيقول: كم تقول أُنسي وعُزلَتي! لو أنّ نِصفَ الخلقِ تقرَّبوا منِّي ما وجدتُ بهم أُنسًا، ولو أنّ نصفَ الخَلقِ الآخر نأى عنِّي ما استوحَشتُ لبُعدِهم»(١).

وقال الجُنَيد: «كان المحاسبيُّ كثيرَ الضرّ، فاجتاز بي يومًا وأنا جالسٌ على بابِنا، فرأيتُ في وجهِه زيادةَ الضرِّ من الجوع، فقلت: يا عمّ، لو دخَلتَ إلينا نِلتَ من شيءٍ من عندنا، وعمدتُ إلى بيتِ عمِّي، وكان أوسعَ من بيتنا، لا يَخلو من أطعمة، فجئتُ بأنواعِ كثيرةٍ من الطعام، فوضعتُه بين يدَيه، فمدَّ يده وأخذَ لقمةً فوضَعَها في فِيه، فرأيتُه يلُوكُها ولا يَزدَرِدُها، ثمَّ وثَبَ فخرجَ وما كلَّمَني.

فلمّا كان الغدُ لقِيتُه، فقلت: يا عمُّ، سرَرتَني ثمَّ نغَّصتَ(٢) عليَّ! قال: يا بُنيّ، أمّا الفاقةُ فكانت شديدة، وقد اجتهدتُ في أن أنالَ من الطعامِ الذي قدَّمتَه، ولكن بيني وبين الله عزَّ وجلَّ علامةٌ إذا لم يكُن الطعامُ مَرضيًّا ارتَفَعَ إلى أنفي منه زُفورةٌ، فلم تَقبَله نَفسي، وقد رمَيتُ بتلك اللقمةِ في دِهلِيزِكم وخرجت»(٣).

وقال الجنيد: «ماتَ أبو الحارث المحاسبيّ، وإنّ حارثًا لمُحتاجٌ إلى دانِقِ فضّة، وخَلَّفَ مالًا كثيرًا وما أخذَ منه شيئًا، وقال: أهلُ مِلَّتَين لا يتوارثان، وكان أبوه واقِفيًّا»(٤).

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٢٥٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٣)، و«السير» (١٢: ١١١).

(٢) في (ق): «نقضت».

(٣) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٣)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٢٠٧).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«السير» (١٢: ١١٠)، والواقفية أو الواقفة: هم الذين يتوقفون في القرآن، فلا يقولون: مخلوق ولا غير مخلوق، وقد ذمَّهم مَن لا يُحصَى عددهم من الأئمة، كالإمام أحمد والشافعي وإسحاق بن راهويه وغيرهم. انظر: «السنة» لعبد الله بن أحمد =

لَقِيَ المحاسبيُّ يزيدَ بنَ هارونَ وطبقتَه، وتوفِّي سنةَ ثلاثٍ وأربعين ومِئَتَين(١).

* * *

[عبد الوهاب الورّاق]

[١٤١] ومنهم: عبدُ الوهّاب الورّاقُ(٢).

ويُكنَّى: أبا الحسن(٣).

قال ابنُه أبو بكر: «ما رأيتُ أبي ضاحكًا قطُّ إلّا تبسُّمًا، وما رأيتُه مازحًا، ولَقد رَآني مرّةً وأنا أضحكُ مع أُمِّي، فجعلَ يقولُ(٤): صاحبُ قرآنٍ يضحكُ هذا الضحكَ؟»(٥). [١٠٠/أ]

قال أبو بكر المَرُّوذِيّ: سمعتُ الإمامَ أحمدَ يقول: «عبدُ الوهّاب رجلٌ صالحٌ، مثلُه يُوفَّقُ لإصابةِ الحقِّ»(٦).

صَحِبَ عبدُ الوهّابِ الإمامَ أحمد، قال أحمد: «إنّي لأدعو الله عزَّ وجلَّ له، ومَن يَقوى على ما يَقوى عليه عبدُ الوهاب؟»(٧).

= (١: ١٦٤)، و«مقالات الإسلاميين» (٢: ٤٢٠)، و«الانتصار في الرد على المعتزلة» للعمراني (٢: ٥٤٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٨: ٢٠٦).

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«السير» (١٢: ١١٢).

(٢) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٢: ٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٠٠).

(٣) انظر: «المنتظم» (١٢: ٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٠٠).

(٤) قوله: «يقول» ليس في (ق).

(٥) انظر: «المنتظم» (١٢: ٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٠١).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٤)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٠١).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٥).

وقيل للإمامِ أحمد: مَن نسألُ بعدك؟ قال: سَلُوا[١] عبدَ الوهّاب[٢].

تُوفِّي سنةَ خمس، وقيل: إحدى وخمسين ومئتين[٣].

قال أحمدُ بنُ جعفرِ بن عاصم الحربيّ: «رأيتُ في المنامِ بِشرًا، فقلت: من أين يا أبا نصر؟ فقال: من عِلِّيِّين، فقلت: ما فعَلَ أحمدُ بنُ حنبلٍ؟ قال: تركتُ الساعةَ أحمدَ وعبدَ الوهّابِ الوَرّاق بين يدَي الله عزَّ وجلَّ يأكُلان ويَشربان ويَتنعَّمان»[٤].

* * *

[السَّري السقطي]

[١٤٢] ومنهم: السَّرِيُّ السَّقَطيُّ[٥].

يُكنَّى: أبا الحسن[٦].

وهو خالُ الجُنَيد وأستاذُه[٧].

مرَّت جاريةٌ بالسَّرِيِّ ومعها إناءٌ[٨] فيه شيء، فسَقَطَ من يدِها فانكسر، فأخذَ

---

(١) في (ق): «اسألوا».

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٥)، و«طبقات علماء الحديث» (٢: ٢٠٦).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٢٠٠).

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٠: ٢٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٥).

(٥) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٦٨)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ٨٥).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٦)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٦٨)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ٨٥).

(٧) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٢٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٦٨).

(٨) في (د): «الإناء».

سَرِيٌّ شيئًا من دُكّانه، فدفَعَه إليها بَدَلَ الإناء، فنظرَ إليه معروفٌ الكَرْخيُّ فأعجَبَه صُنعُه، فقال له الكَرْخيّ: بَغَّضَ الله عزَّ وجلَّ إليك الدنيا[١].

قال ابنُ أبي الورد: «دخلتُ على سَرِيٍّ وهو يبكي ودَورَقُه مكسورٌ، فقلت: ما لَكَ؟ قال: انكسرَ الدورق، فقلت: أنا أشتري لك بَدَلَه، فقال: تشتري بَدَلَه، وأنا أعرفُ من أين الدّانِقُ الذي اشتُرِي به، ومَن عَمِله، ومِن أين طينُه، وأيُّ شيءٍ أكَلَ عامِلُه حتَّى فرَغَ منه»[٢].

قال سعيدُ بنُ عثمان: سمعتُ السَّرِيَّ يقول: «غَزَونا أرضَ الرُّوم، فمرَرتُ بروضةٍ فيها الخُبَّازَى وحَجرٌ منقورٌ فيه من ماء المطر، فقلتُ في نفسي: لئن[٣] أكَلتُ يومًا حلالًا فاليوم، فنزلتُ عن دابَّتي، وجعلتُ آكُلُ من ذلك الخُبَّازَى، وشرِبتُ من ذلك الماء، فإذا هاتفٌ يهتف: يا سَرِيّ، فالنفَقةُ التي بلغتَ بها إلى هاهنا[٤] من أين؟»[٥].

قال: «إنّي لَأذكُرُ مجيءَ الناس إليّ، فأقول: اللهُمَّ هَب[٦] لهم من العِلمِ ما يشغَلُهُم عنِّي؛ فإنّي لا أُريدُ مجيئَهُم، ولا أن يدخُلوا عليَّ»[٧].

وكان يقول: «اللهُمَّ اشغل مَن يشغلني عنك بك»[٨].

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٦٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ١٥١).
(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٦).
(٣) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمتين.
(٤) في (ق): «إلى هنا».
(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٦).
(٦) في (د): «اشغل».
(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٦).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٤٩٦).

قال الجُنَيد: «وكان السَّرِيُّ يقول: الفوائدُ تَرُدُّ ظُلَمَ الليل، وكان يُدافِعُ أوَّلَه، فإذا غَلَبَه الأمرُ أخذَ في النحيب والبكاء»[١].

وكان يقول: «من أرادَ أن يَسلَمَ دِينُه ويستريحَ قلبُه وبدَنه[٢] ويَقِلَّ غَمُّه فليعتزل الناسَ؛ لأنّ هذا زمانُ عُزلةٍ ووحدة»[٣].

وقال[٤] عُبدُوس: قال السَّرِيّ: «كلُّ الدنيا فُضولٌ[٥] إلّا خَمسَ[٦] خصال: خبزٌ يُشبِعُه[٧]، وماءٌ يُروِيه[٨]، وثوبٌ يستره، وبيتٌ يُكِنُّه، وعِلمٌ يستعمله»[٩].

وقال: «مَن لم يعرف قدرَ النِّعَمِ سُلِبَها من حيثُ لا يعلم، ومَن هانت عليه المصائبُ أحرَزَ ثوابَها»[١٠].

وقال: «قليلٌ في سُنّةٍ خيرٌ من كثيرٍ في بدعة، كيف يَقِلُّ عملٌ مع تقوى؟»[١١].

وقال: «أقوى القوّةِ غَلَبَتُكَ نَفسَك، ومَن عَجزَ عن أدبِ نفسه كان عن أدبِ

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٧).

(٢) «وبدنه» ليس في (ق).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٥٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٧).

(٤) في (د): «قال».

(٥) في (د): «فضل».

(٦) قوله: «خمس» ليس في (ق).

(٧) كذا في المصادر، وفي (ق) و(د): «يقيته».

(٨) قوله: «وماء يرويه» مثبت من المصادر.

(٩) كتب على حاشية (د): «وعمل يحسنه»، وانظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٩)، و«الزهد الكبير» للبيهقي (٢٨٤)، و«صفة الصفوة» (٢: ٣٧٥).

(١٠) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٧).

(١١) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٢١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨١).

غيره أعجَز، ومن أطاعَ مَن فَوقَه أطاعَه مَن دونَه، ومن خافَ الله عزَّ وجلَّ خافَه كلُّ شيء، **ومن علامة الاستدراجِ العمَى عن عيوب النَّفس**»[١].

وقال: «مَن تَزيَّنَ للناس بما ليس فيه سَقَطَ من عينِ الله عزَّ وجلّ، ولن يَكمُلَ رجلٌ حتَّى يُؤثِرَ دِينَه على شَهوتِه، ولن يَهلِكَ حتَّى يُؤثِرَ شَهوتَه على دِينه»[٢].

قال الجُنَيد: قال السَّرِيّ: «ما أُحِبُّ أن أموتَ حيثُ أُعرَف، أخافُ ألّا تقبَلني الأرضُ فأُفتَضَح»[٣].

وقال: «إنّي لأنظرُ إلى أنفِي كلَّ يومٍ مرَّتَين مخافةَ أن يَسوَدَّ وَجهِي»[٤].

وقال الجُنَيد: سمعتُ السَّريَّ يقول: «كنت بطَرَسُوس، وكان معي في الدار فتيانٌ متعبِّدون، وكان في الدار تَنُّورٌ يخبِزونَ فيه، فانكَسَرَ التَّنُّور، فعَمِلتُ لهم بَدَلَه من مالي، فتورَّعوا عن أن يَخبِزوا فيه»[٥].

وكان إذا فاتَه جزءٌ من وِردِه لا يُمكِنُه أن يقضِيَه أبدًا[٦].

قيل له: مَن العُبّاد؟ فقال: أكلُهُم أكلُ المرضى، ونومُهُم نومى الغَرقَى[٧].

وقِيلَ له: كَيفَ أنتَ؟ فأنشَأ يَقولُ[٨]:

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٧).

(٢) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨١)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٧).

(٣) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١١٢١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٨).

(٤) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٦)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ١٥١).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٨).

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٨).

(٧) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٨).

(٨) قوله: «وقيل له: كيف أنت؟ فأنشأ يقول» ليس في (ق)، ومثبت من (د).

مَن لم يَبِت والحُبُّ حَشوُ فُؤادِه ... لم يَـدرِ كيفَ تَفتُّـتُ الأكبادِ(١)

وقال: «سَلَبَ الدنيا مِن أوليائه، وحَماها عَن أصفيائه، وأخرَجَها مِن قُلوبِ أهلِ وِدادِه(٢)؛ لأنّه لَم يَرضَها لَهُم»(٣).

وقال: «مِن النذالة(٤) أن يأكُلَ الرجلُ بدِينِه»(٥).

قال(٦) الجُنَيد: «ما رأيتُ أعبَدَ من السَّرِيِّ؛ أتَت عليه ثمانٍ وسبعون سنةً ما رُؤِيَ مضطجِعًا إلّا في الموت»(٧).

وقال: «صلَّى السَّرِيُّ ليلةً، ثمَّ جَلَسَ ساعةً، فمدَّ رِجلَه، فنُودِي: يا سَرِيّ، مَن جالَسَ المُلوكَ ينبغي أن يُحسِنَ الأدب»(٨).

قال أبو العباس المُؤدِّب: «دَخَلتُ على السريّ، فقال: العَجبُ من عصفور يجيء فيَقَعُ على هذا الرُّواق، فأكونُ قد أعدَدتُ له اللقمةَ فأُفتُّها في كَفِّي، فيسقُطُ على أطراف أناملي فيأكُل، فلمّا كان في وقتٍ من الأوقات سَقَطَ / على الرُّواق، [١٠١/أ]

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٩)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٨).

(٢) قوله: «أهل وداده» موضعها بياض في (ق)، وهي مثبتة في المصادر، وجاء على حاشية (ق): «هكذا في نسخة المصنف بياض»، وغير واضحة في (د).

(٣) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٩).

(٤) قال الجوهري في «الصحاح» (٥: ١٨٢٨): «النذالة: السفالة، وقد نَذُل بالضم فهو نذل ونذيل، أي: خسيس»، وانظر: «لسان العرب» (١١: ٣٣٧)، و«تاج العروس» (٢٩: ٢٠٥).

(٥) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٩).

(٦) تكرَّر قوله: «قال» مرتين في (ق).

(٧) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٨)، و«المنتظم» (١٢: ٦٧)، و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» (٢: ٣٥٥).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠١)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ٨٥).

ففَتَتُّ الخُبز، فلم يَسقُط على يدي، ففكَّرتُ في سِرِّي ما العلّةُ في وَحشتِه منِّي؟ فوجدتُني قد أكَلتُ مِلحًا طيبًا، فقُلتُ في سِرِّي: أنا تائِبٌ من الملحِ الطيِّب، فسقطَ على يدِي وأكلَ وانصرَف»[١].

وكان يقول: «إنّ في النفسِ لشُغلًا عن الناس، ودِدتُ أن يكونَ حزنُ الخَلقِ كُلِّهم عليَّ»[٢].

وقال مُحمَّدُ بنُ عليٍّ الحربيُّ: قال السَّريّ: «حَمِدتُ الله تعالى مرّةً، فأنا أستغفِرُ الله عزَّ وجلَّ من ذلك الحَمدِ منذ ثلاثين سنةً، قلت[٣]: وكيف ذلك؟

قال: كان لي دُكّان، وكان فيه مَتاع، فوَقَعَ الحريقُ في سُوقِنا، فخَرَجتُ أتعرَّفُ خَبَرَ دكّاني، فلقِيتُ رجلًا، فقال: أبشِر؛ فإنّ دُكّانَكَ قد سَلِم، فقُلت: الحمدُ لله، ثمَّ فكَّرتُ فرأيتُها خطيئةً»[٤].

قال عبدُ الله البَزّار: سَمِعتُ السَّرِيَّ يقول: «لو أنّ رجلًا دخلَ بُستانًا فيه جميعُ ما خَلَقَ الله عزَّ وجلَّ من الأشجار، وعليها[٥] جميعُ ما خَلَقَ الله عزَّ وجلَّ من الأطيار، فخاطَبَه كلُّ طائرٍ منها بلُغَته، وقال: السلامُ عليك يا وَلِيَّ الله، فسَكَنَت نفسُه إلى ذلك، كان في يدَيها أسيرًا»[٦].

---

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١٢٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٤٩٩).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٠).

(٣) كأنها في (د): «قالت».

(٤) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٧٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٠)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ١٥١).

(٥) في (د): «عليها» بدون الواو.

(٦) في (ق): «يسيرًا». وانظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠١)، وبعدها: «كانت في يدها أسيرًا».

وقال: «لو شَفَقَت هذه النفوسُ على أديانِها شَفَقَتَها على أولادها لَلاقَت السرور في مَعادِها»[١].

وقال[٢] الجنيد: «دخلتُ على السَّرِيِّ وهو في النَّزع، فجلستُ عند رأسه، ووضعتُ خدِّي على خدِّه، فدَمَعَت عيناي، فوقعَ دَمعِي على خدِّه، ففتحَ عَينَيه، وقال: مَن أنت؟ قلت: خادِمُكَ الجنيد، فقال: مرحبًا، فقلت: أيُّها الشيخ، أوصِني بوصيّةٍ أنتَفِعُ بها بعدك، فقال: إيّاك ومُصاحَبةَ الأشرار، وأن تنقَطِعَ عن الله عزَّ وجلَّ بصُحبةِ الأخيار»[٣].

تُوفِّي يوم الثلاثاءِ لستٍّ خَلَون من رمضانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسين ومئتين، وقيلَ غيرُ ذلك[٤].

❊ ❊ ❊

[علي بن الموفق أبو الحسين العابد]

[١٤٣] ومنهم: عليُّ بنُ المُوفَّق أبو الحسين العابِد[٥].

قال محمَّدُ بنُ أحمدَ[٦] المهتدي: «سمعتُ عليَّ بنَ المُوفَّق ما لا أُحصيه يقول: اللهُمَّ إن كنتَ تعلَمُ أنِّي أعبُدُكَ خوفًا من نارِكَ فعذِّبنِي بها، وإن كنت

(١) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ١١٨)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٠: ١٩٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠١).

(٢) في (ق): «قال» بدون الواو.

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٢)، و«طبقات الأولياء» (١٦٤).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٢)، و«الوافي بالوفيات» (١٥: ٨٥).

(٥) انظر ترجمته في: «المنتظم» (٥: ٥٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١٣٩).

(٦) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

تعلَمُ أنِّي أعبُدُكَ حبًّا منِّي لجنَّتِكَ وشوقًا إليها[١] فاحرِمنيها، وإن كنت تعلمُ أنِّي أعبُدُكَ حبًّا منِّي لك وشوقًا إلى وجهكَ الكريم فأبِحنِيه، واصنَع بي ما شئتَ»[٢].

وقال: «خرجتُ يومًا لأؤذِّن، فأصبتُ قِرطاسًا، فوضعتُه في كُمِّي، وأقمتُ وصلَّيتُ ثمَّ قرأتُه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، يا عليّ، أتخافُ الفقرَ وأنا ربُّكَ!»[٣]. /

قال عبدُ الله الطيالسيّ: سمعتُ عليًّا يقول: «قامَ رجلٌ من إخوانِكم في ليلةٍ باردة، فلمّا تهيَّأ للصلاةِ إذا في يدَيه ورِجلَيه شِقاق، فبكى، فهتفَ به هاتفٌ من البيت: أيقَظناكَ وأنَمْنا غيرَكَ وتبكي علينا!»[٤].

قال عبدُ الباقي: «سمعتُ بعضَ مشايخنا يقول: قال لي عليُّ بنُ المُوفَّق: لمّا تمَّ لي ستُّونَ حجّةً خرجتُ من الطواف، وجلستُ تحت الميزاب، وجعلتُ أتَفَكَّرُ لا أدري أيَّ شيءٍ حالي عند الله تعالى، وقد كَثُرَ تردُّدي إلى هذا المكان، قال: فغلبَتني عيناي، فكأنّ قائلًا يقول: يا عليّ، أتدعو إلى بيتِك إلّا من تُحِبُّ؟ فانتبَهتُ وقد سُرِّي عنِّي ما كنتُ فيه»[٥].

تُوفِّي سنة خمسٍ وستِّين ومئتين[٦]، رحمةُ الله تعالى عليه.

---

(١) بعدها بياض في (د) بمقدار ثلاث كلمات.

(٢) انظر: «المنتظم» (٥: ٥٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٣)، و«آثار البلاد وأخبار العباد» (٤٢٣).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١٣٩)، و«طبقات الأولياء» (٣٤١).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٣)، و«طبقات الأولياء» (٣٤١).

(٥) انظر: «المنتظم» (٥: ٥٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٣)، و«طبقات الأولياء» (٣٤١).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٤)، و«تاريخ الإسلام» (٢٠: ١٤٠).

[أبو عبد الله جعفر البراثي]

[١٤٤] ومنهم: أبو عبد الله جعفر البراثيُّ(١).

قال سعيدُ بنُ صُبح: «سمعتُ أبا مريمَ يقول لأبي عبد الله البراثيّ: كم تَبكي كَمَّ هذا البكاء؟ فأخرجَ يدَه، وإذا على أصبعه شعرةٌ ملفوفةٌ فنَشَرَها، ثمَّ قال: إذا كان المَجازُ على مثل هذا فأيُّ(٢) قَدَم تثبُتُ على مثل هذا؟ ثمَّ بكى»(٣).

قال: «مَن زَهدَ على حقيقةٍ كانت مؤنَتُه خفيفةً، ومَن لم يعرف ثوابَ الأعمال ثَقُلَت عليه جميعُ الأحوال»(٤).

وقال: «بالمعرفةِ هانت على العامِلِينَ العبادة، وبالرضا عن الله عزَّ وجلَّ في تدبيرِه زَهدوا(٥) في الدنيا، ورَضوا منها لأنفُسِهم بتقديره»(٦).

وقال: «مَن كَرُمَت نفسُه عليه رَغِبَ بها عن الدنيا»(٧).

وقال: «حَمَلَتنا المطامعُ على أسوءِ الصنائع، نَذِلُّ لِمَن لا يقدِرُ لنا على ضُرٍّ ولا نفع، ونخضعُ لِمَن لا يَملِكُ لنا رِزقًا ولا حياة، ولا موتًا ولا نُشورًا، فكيف أزعُمُ معرفةَ(٨) ربِّي حقَّ معرفتِه وأنا أصنعُ ذلك! هيهات هيهات(٩).

---

(١) انظر ترجمته في: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٢٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٤).

(٢) في (ق): «فأنى».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٤).

(٤) انظر: «سير السلف الصالحين» للأصبهاني (١٢٦١)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٤).

(٥) بعدها في (د) بياض بمقدار كلمة.

(٦) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٤).

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٤).

(٨) قوله: «معرفة» ليس في (ق).

(٩) انظر: «حلية الأولياء» (١٠: ٣٢٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٤-٥٠٥).

[أبو جعفر المحولي]

[١٤٥] **ومنهم**: أبو جعفرٍ المُحوِّليُّ[١].

وكان عابدًا عاملًا.

وكان يقول: «حرامٌ على قلبٍ مُحِبٍّ للدنيا أن يَسكُنَه الورعُ الخفيّ، وحرامٌ على نفسٍ عليها رَبّانيّةُ[٢] الناس أن تذوقَ حلاوةَ الآخرة، وحرامٌ على كلِّ عالمٍ لا يعملُ بعِلمِه أن يتَّخِذَه المتَّقونَ إمامًا»[٣].

وقال: «إذا جاعَ العبدُ صَفا بدنُه، ورقَّ قلبُه، وهَطَلَت دَمعَتُه، وأسرَعَت إلى الطاعةِ أطوارُه وجوارِحُه، وعاش في الدنيا كريمًا»[٤].

* * *

[أبو بكر محمد بن مسلم القنطري]

[١٤٦] **ومنهم**: أبو بكر محمَّد[٥] بن مسلم القنطريُّ[٦].

وكان يُشَبَّه في الزهدِ والوَرَعِ والشغلِ عن الدُّنيا وأهلِها ببِشرٍ[٧].

---

(١) انظر ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠: ١٤٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥).

(٢) في «صفة الصفوة»: «رئاسة».

(٣) انظر: «الزهد والرقائق» للخطيب البغدادي (٢٤)، و«تاريخ بغداد» (١٦: ٥٩١)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٥).

(٥) جاء قبلها في (ق) و(د): «ابن».

(٦) انظر ترجمته في: «الأنساب» للسمعاني (١٠: ٥٠٣)، و«المنتظم» (٥: ٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٣١٩).

(٧) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٠: ٥٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٣١٩).

[١٠٢/أ] وكان قُوتُه شيئًا يسيرًا، إنّما كان يكتُبُ «**جامع سفيان الثوري**» لقومٍ لا يُشَكُّ في صَلاحِهم ببضعةَ عشرَ درهمًا، فمنها قُوتُه[١].

وكان له ابنُ أختٍ يلعبُ بالطيور، فدعا عليه، فما أمسى إلّا ميِّتًا[٢].

قال أبو بكرٍ المَرُّوذِيّ: «دخلتُ على أبي بكر بن مسلمٍ يومَ عيد، فوجَدتُ عليه قميصًا مرقوعًا، وقُدّامُهُ قَلِيلُ خَرنُوبٍ يَقرِضُهُ[٣]، فقال: يا أبا بكر، اليومُ عيدُ الفِطر وتأكلُ خَرْنوبًا؟ فقال لي: لا تنظر إلى هذا، ولكن انظر إلى هذا إن سألني[٤] من أين هو، أيّ شيءٍ أقول؟»[٥].

قَدِمَ الجنيدُ على أبي بكر[٦] محمَّدِ بن مسلم في نصف النهار، فقال: ما كان لك في هذا الوقتِ عملٌ يَشغَلُكَ عن المجيءِ إليَّ؟ قلت: إذا كانَ[٧] مَجِيئي إلَيكَ العملُ فما أعمَلُ[٨]؟

قال أبو بكر المَرُّوذِيّ: «سمعت أبا بكرِ بنَ مسلم يقول: الدنيا لأيِّ شيء تُراد؛ إن كان إنّما تُرادُ للذّة فلا كانت الدنيا ولا كان أهلُها، إنّما تُرادُ الدنيا أن يُطاعَ فيها»[٩].

---

(١) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٠: ٥٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٣١٩).

(٢) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٠: ٥٠٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٣١٩).

(٣) في (د): «يقطرطه».

(٤) في (د): «سألني الله».

(٥) انظر: «المنتظم» (٥: ٢٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٥).

(٦) في (د) و(ق): «أبي بكر ابن».

(٧) «كان» مثبت من المصادر.

(٨) انظر: «الأنساب» للسمعاني (١٠: ٥٠٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٠٦).

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٦).

تُوفِّي أبو بكرٍ يوم الثلاثاءِ لخمسٍ بَقِينَ من ذي الحجّةِ سنةَ ستِّين ومئتَين[١]، رحمة الله عليه.

* * *

[أبو بكر الشبلي]

[١٤٧] ومنهم: أبو بكرٍ الشِّبليُّ[٢].

واختُلِفَ في اسمِه، فقيل: دلفٌ، وقيل: جَحْدرُ بنُ دلف، وقيل: جعفر، وقيل غير ذلك[٣].

أصله خُراسانيٌّ، من أهل أشروسنة[٤]، من قريةٍ يُقال لها: «الشِّبلِيّة»[٥]، ومولِدُه بـ «سُرَّ مَن رأى»[٦].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٠٦)، و«تاريخ الإسلام» (١٩: ٣١٩).

(٢) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (٢٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٥: ١٧٥).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (٢٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٥: ١٧٥).

(٤) في (ق) و(د): «أشروسية»، قال ياقوت الحموي في: «معجم البلدان» (١: ١٩٧): «أُشرُوسنة؛ بالضم ثم السكون، وضم الراء، وواو ساكنة، وسين مهملة مفتوحة، ونون، وهاء، أورده أبو سعد، رحمه الله، بالسين المهملة، وهذا الذي أوردته هاهنا هو الذي سمعته من ألفاظ أهل تلك البلاد، وهي بلدة كبيرة بما وراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند».

(٥) في (ق) و(د): «شبيلة».

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمن السلمي (٢٥٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٥: ١٧٥).

وكان حاجِبَ[١] الموفَّق، وكان أبوه حاجِبَ الحُجّاب، فحضرَ الشِّبليُّ مَجلِسَ خيرٍ النسّاج فتابَ فيه[٢].

قال: «خَلَّفَ أبي ستِّين ألف دينارٍ سوى الأملاك[٣]، فأنفقتُ الكُلّ، وقَعَدتُ مع الفقراء»[٤].

قال أحمدُ الصفّار: «سُئِلَ الشِّبليّ: أيُّ شيءٍ أعجَبُ؟ قال: قلبٌ عَرَفَ ربَّه ثمَّ عصاه»[٥].

قال عليُّ بنُ المُثنَّى: «دخَلتُ على الشِّبليِّ في دارِه وهو يهيج ويقول:

عَلَى بُعدِكَ لا يَصبِرُ ... مَن عادَتُهُ القُربُ
وَلا يَقوَى عَلَى حَجبِكَ ... مَن تَيَّمَهُ الحُبُّ
فَإن لَم تَرَكَ العَينُ ... فقَد أبصَرَكَ القَلبُ[٦]

قال الشِّبليّ: «مجاهدةُ النفسِ بالنفسِ أفضلُ من مجاهدةِ الغَيرِ بالنفس»[٧].

قال الصفّار: «كنتُ عندَ الشِّبليّ، وكان يَذُمُّ الدنيا، فقال: يا مَن باعَ كلَّ شيءٍ بلا شيء، واشترَى لا شيءَ بكلِّ شيءٍ»[٨].

---

(١) في (ق) و(د): «صاحب».
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٥: ١٧٥).
(٣) قوله: «الأملاك» ليس في (ق).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«البداية والنهاية» (١٥: ١٧٥).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)
(٦) انظر: «المنتظم» (١٤: ٥١)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٠)، و«الوافي بالوفيات» (١٤: ١٩).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠).
(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠).

وسُئِل: ما الزهد؟ فقال: نِسيانُ الزهد[١].

وقال: «ليس مَن استأنسَ بالذِّكر كمن استأنسَ بالمذكور»[٢].

وقال: «لا تأمَن على نفسِكَ وإن مشيتَ على الماء حتَّى تخرُجَ من دار الغِرّة إلى دار الأمن»[٣].

وقال: «إذا وجدتَ قلبَكَ مع الله تعالى فاحذَر من نفسِك، وإذا وجَدتَ قلبَكَ مع نفسِك فاحذَر من الله عزَّ وجلَّ»[٤].

وقال: «أحبَّكَ الخلقُ لنَعمائِك، وأنا أُحِبُّكَ؛ لبلائك»[٥].

وسألَ جعفرُ بنُ نصير بكرًا الدينوريَّ، وكان يَخدُمه: ما الذي رأيتَ من الشِّبليِّ عند وفاته؟

فَقال: قال: عَلَيَّ دِرهَمٌ مَظلِمةٌ قَد تَصَدَّقتُ عَن صاحِبِهِ بألوف، فما على قلبي شُغلٌ أعظمُ منه، ثمَّ قال: وضِّئني للصلاة، ففعلت، فنسِيتُ تخليلَ لحيته، وقد أمسَكَ لسانَه، فقَبَضَ على يدي وأدخَلَها في لحيتِه ثمَّ مات، فبكى جعفر، وقال: ما تقولونَ في رجُلٍ لم يَفُته في آخرِ عُمرِه أدبٌ من آدابِ الشريعة[٦].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠).
(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٠).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤١).
(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤١).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤١).
(٦) انظر: «الثبات عند الممات» (١٧٤)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٧٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤١)، و«طبقات الأولياء» (٢١٢).

صَحِبَ الجُنيدَ الشِّبليُّ وطبقته(١)، وتَفَقَّهَ على مذهب مالك(٢)، وكتب الحديثَ الكثيرَ(٣).

ولا يُعلَمُ له مُسندٌ إلّا حديثٌ واحدٌ من روايةِ أبي سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**القَ الله تعالى فقيرًا، ولا تلقَه غنيًّا**»، قيل: يا رسولَ الله، كيف لي بذلك؟ قال: «**ما سُئِلتَ فلا تمنَع، وما رُزِقتَ فلا تخبَأ**»، قال: يا رسولَ الله، كيف لي بذلك؟ قال: «**هو ذاك، وإلّا فالنارُ**»(٤).

تُوفِّي الشِّبليُّ في ذي الحجّةِ سنةَ أربعٍ وثلاثين وثلاث مئة، وهو ابنُ سبعٍ وثمانين سنةً(٥)، واللهُ أعلم.

* * *

[خزرج أبو طالب الصوفي]

[١٤٨] **ومنهم**: خزرجٌ أبو طالبٍ الصوفيُّ(٦).

---

(١) في (د): «في طبقته». (٢) في (ق) و(د): «الشافعي».

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤١)، و«وفيات الأعيان» (٢: ٢٧٣).

(٤) «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٦: ٥٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٢). وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١٥٤٥): «أخرجه الحاكم في كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال، ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلفظ: «مِتْ فقيرًا ولا تَمُت غنيًّا»، وكلاهما ضعيف».

(٥) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٢٥٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٢).

(٦) انظر ترجمته في: «الأربعون في شيوخ الصوفية» للماليني (١٤٧)، و«تاريخ بغداد» (٩: ٣٠٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).

قال ابنُ خفيف: «دَخَلَ أبو طالبٍ خزرج، فاعتلَّ علّةً، فكنتُ أخدُمُه، وأُقدِّمُ له[١] الطستَ[٢] في الليل مرارًا، وكنت في ذلك الوقت في حال الرياضة، وكنتُ لا أُفطِرُ إلّا على الباقِلّاء اليابس، فسَمِعَ أبو طالبٍ ليلةً كَسْرِي للباقلّاءِ بأسناني، فقال لي: ما هذا؟

فعرَّفتُه حالي، فبكى، وقال: الزَم هذا؛ فإنّي كنت كذلك حتَّى حَضَرتُ ليلةً مع أصحابِنا في دعوةٍ ببغداد، فقُدِّمَ[٣] إلينا جَمَلٌ مشويّ، فأمسَكتُ يدي، فقال لي بعض أصحابنا: كُل، فأكَلتُ لُقمةً، فأنا منذ أربعين سنةً إلى خَلف.

قال ابنُ خفيف: ثمَّ تماثَلَ وخرجَ إلى بعض النواحي، وجلسَ في رِباط، وسوَّدَ داخلَه وخارِجَه، وقال: هكذا[٤] جلوسُ أهل المصائب، فما[٥] خرجَ حتَّى مات»[٦]، رحمة الله تعالى عليه.

وَيحَك! يا سالِكَ سبيلِ الشيطان، وفي زَعمِكَ أنّك سالكٌ سبيلَ الرحمن، تُدعَى إلى ولائم الظَّلَمة وأعوانِهم، وتتضلَّع من مالِهم الخبيث، وقد تعاطَيتَ سببَ غضب الديّان، ما بينك وبين أن ترى في[٧] نفسك الحسرةَ إلّا أن[٨] تُفارِقَ نفسُك الخبيثةُ جسمَك الناشِئَ على أكلِ الحرام، إنّ لقمةً تتناولها مُبهَمةً من [١٠٣/أ]
عينِ[٩] أموالِ الظَّلَمةِ لَمِن أعظمِ الحجاب، فتُب يا مَغرورُ من رَقدةِ الشَّهوات؛

---

(١) «له» ليس في (ق). (٢) في (ق): «الطشت».
(٣) في (د): «وقدم». (٤) تكرَّر قوله: «هكذا» مرتين في (د).
(٥) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.
(٦) انظر: «الأربعون في شيوخ الصوفية» للماليني (١٤٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).
(٧) «في» ليس في (د). (٨) في النسخ: «حتى».
(٩) في (ق): «غير».

فإنّها سِهامٌ جعلَتكَ غرضَها[١]، فلا تَنفَكُّ[٢] بنَبلِها مُصابًا، والله أعلم.

* * *

[أبو إسحاق إبراهيم بن حماد]

[١٤٩] ومنهم: أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ حمّادٍ[٣].

قال الخَلّال: قال لنا القاضي الجراحيّ: «ما جئتُ إلى إبراهيمَ بن حمّادٍ قطُّ إلا وجدتُه قائمًا يصلِّي، أو جالسًا يقرأ»[٤].

وقال الخَلّال: قال أبو بكرٍ النيسابوريّ: «ما رأيتُ أعبَدَ منه»[٥].

أسنَد إبراهيمُ عن الحسَنِ بن عَرفةَ وخلقٍ كثير[٦].

وتُوفِّي في صفر سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مئة[٧]، واللهُ أعلم.

* * *

[أبو بكر أحمد النجاد]

[١٥٠] ومنهم: أبو بكرٍ أحمدُ النجّادُ[٨].

---

(١) في (د): «عرضتها».
(٢) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٠)، و«المنتظم» (١٣: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦)، و«السير» (١٥: ٣٥).

(٤) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٠)، و«المنتظم» (١٣: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٠)، و«المنتظم» (١٣: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٠)، و«المنتظم» (١٣: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).

(٧) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٥٧٠)، و«المنتظم» (١٣: ٣٥٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦).

(٨) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٥: ٣٠٩)، و«طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (٢: ٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦)، و«تاريخ الإسلام» (٢٥: ٣٩٢).

قال أبو إسحاقَ الطبري: «كان أحمدُ يصومُ الدَّهر، ويُفطِرُ كلَّ ليلةٍ على رغيف، ويتركُ منه لقمةً، فإذا كان ليلةَ الجمعة تَصدَّقَ بذلك الرغيف، وأكَلَ تلك اللُّقَم»[١].

قال الحربيّ: قال النجّاد: «مَن نقرَ على ذنوبه؛ طال بكاؤُه، ومَن نقرَ على مطعَمه؛ طال جوعُه»[٢].

أسند النجادُ عن خلقٍ كثير، ومنهم: داودُ السجستانيُّ وخلقٌ لا يُحصَون، وكان يَمشي في طلب الحديثِ حافيًا[٣].

تُوفِّي سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثِ مئة، ودُفِنَ عند قبرِ بِشر بن الحارث[٤]، رحمةُ الله عليه، واللهُ أعلمُ.

* * *

[جعفر الخلدي]

[١٥١] ومنهم: جعفرٌ الخَلَديُّ[٥].

يُكنَّى: أبا مُحمَّدٍ[٦].

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (٥: ٣٠٩)، و«طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (٢: ٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٦)، و«تاريخ الإسلام» (٢٥: ٣٩٣).

(٢) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٧).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (٥: ٣٠٩)، و«المنتظم» (١٤: ١١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧).

(٤) انظر: «تاريخ بغداد» (٥: ٣٠٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧).

(٥) انظر ترجمته في: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٤: ٢٥٣).

(٦) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٤: ٢٥٣).

حجَّ ستِّين حجّةً.

قال أبو عليٍّ بنُ المُثنَّى: «سمعتُ الخَلَديَّ يقول لرجل: كُن شريفَ الهمّة؛ فإنّ الهِمّةَ تبلُغُ بالرجالِ إلى المُجاهدات»(١).

سَمِعَ الخَلَديُّ الكثيرَ من الحديث، وجماعةً من المشايخ كالجُنَيد وغيره(٢).

وتُوفِّي يوم الأحد لتسعٍ خلون من رمضان، سنةَ ثمانٍ وأربعين وثلاث مئة(٣)، والله أعلم.

* * *

[الآجري]

[١٥٢] ومنهم: الآجريُّ(٤).

وكان ثقةً دَيِّنًا عالمًا مُصنِّفًا.

سَمِعَ من خَلقٍ كثير، وحَدَّثَ ببغدادَ قبل سنة ثلاثين وثلاثِ مئة، ثمَّ انتقلَ إلى مكّة، فأقامَ بها إلى أن ماتَ في سنة ستِّين وثلاث مئة(٥).

قال محمودُ البرمكيّ: «لمّا وصلَ أبو بكرٍ الآجريُّ إلى مكّةَ استَحسَنَها واستطابها، فهجَسَ في نفسه أن قال: اللهُمَّ أحيِني في هذهِ البلدة سنةً، فسَمِعَ

(١) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٢٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧)، و«شذرات الذهب في أخبار من ذهب» (٤: ٢٥٤).

(٢) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧).

(٣) انظر: «طبقات الصوفية» للسلمي (٣٢٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٧).

(٤) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٨).

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٤٨).

هاتفًا يقول: يا أبا بكر، لِمَ سنة؟ ثلاثين سنةً، فلمّا كان في السنة الثلاثينَ سَمِعَ هاتفًا يقول: يا أبا بكر، قد وفَّينا بالعهد، فماتَ في تلك السنة[1]، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

[أبو الحسين محمد بن سمعون]

[١٥٣] **ومنهم**: أبو الحسين مُحمدُ بنُ سمعون[2].

وكان يُلقَّبُ بالناطق بالحكمة[3].

قال يومًا: «رأيتُ المعاصيَ نذالةً، فتركتُها مُروءةً، فاستحالَت دِيانةً»[4].

وقال: «كلُّ مَن لم ينظُر بالعلم فيما الله عليه فالعلمُ حُجّةٌ لله عليه / ووبالٌ»[5]. [١٠٣/ب]

وكان يقول: «احذَرُوا الصغائِرَ؛ فإنّ للنُّقَطِ الصغارِ آثارًا في الثوب النقيِّ»[6].

وكان يقول: «احذَر أن ترى عملَك؛ فإنّك إن رأيتَه كنت ناظرًا إلى ما ليس إليك»[7].

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» (١:٥٤٨).

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٢: ٩٥)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٥٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٩).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (٢: ٩٥)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٥٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٩).

(٤) انظر: «تاريخ بغداد» (٢: ٩٥)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٥٦)، و«الأنساب» للسمعاني (٧: ٢٣٥)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ١٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٤٩).

(٥) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ١٢)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٠).

(٦) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٠).

(٧) قوله: «وكان يقول: احذر أن ترى عملك؛ فإنّك إن رأيته كنت ناظرًا إلى ما ليس إليك» ليس في (د)، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٠).

وكان يقول: «من الوقاحةِ تَمنِّيكَ مع تَوانِيك، استوفِ من نفسِك الحقوق، ثمَّ وَفِّها[١] الحظوظَ[٢] حسبَ ما يكفيها لا ما يُطغِيها»[٣].

قال أبو عليٍّ طلحةُ المُقرئ: سمعتُه يقول في معنى قولِه: «**لا يزالُ عبدِي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافلِ حتَّى أحِبَّه**»[٤] قال: «أُظهِرُ لهُ حُبِّي؛ لأنّه لم يَزَل مُحبًّا»[٥].

قال طلحة: «وسمعته يقول: الخيرُ كلُّه في هذا الزمانِ تَركُ[٦] ما الناسُ عليه، ومَصُّ النوى، وسَفُّ الرمل»[٧].

قال طلحة: «كنّا جُلوسًا عند أبي الحسين في مَجلِسِه، فجازَ[٨] قومٌ معهم كلابُ الصيد، فنَبَحَت عليها كلابُ الدَّرب، فقال: سبحانَ الله! حادَثَت هذه هذه، فقالت الأهليّة لكلاب الصيد: يا مساكين، رغبتم[٩] في نعيمِ المُلوك فسُوجِرتم، ولو قَنَعتُم بالمَنبُوذ مثلنا[١٠] كنتم مُخَلَّين[١١]، فقالت كلابُ الصيد: خَفِيَ عليكم حالُنا، نحن رأوا فينا آلةَ الخدمة فحبَسُونا على الخدمةِ وقاموا لنا بالكفاية.

قالت الأهليّة: فالواحدُ منكم إذا كبِرَ خُلِّيَ وصار معنا، فقالت كلابُ الصيد[١٢]: لأنّه قَصَّرَ فيما يَجِبُ عليه، وكلُّ مَن قَصَّرَ فيما يجبُ عليه طُرِدَ»[١٣].

---

(١) في (د): «وفيها».
(٢) «الحظوظ» مثبت من المصادر.
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٠)، و«مرآة الزمان» (١٨: ١٠٨)، و«تسهيل السابلة» (١: ٤٤٣).
(٤) «صحيح البخاري» (٦٥٠٢).
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٠).
(٦) «ترك» ليس في (د).
(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٠).
(٨) في (د): «فجاء».
(٩) في (ق): «رعيتم».
(١٠) «مثلنا» ليس في (ق).
(١١) في (ق): «مخلايين».
(١٢) بعدها بياض في (د) بمقدر كلمة.
(١٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥١).

قـال أحـمدُ العلّاف: «حضرتُ أبا الحسين يومًا في مجلس الوعظ، وكان أبو الفتح القَوّاسُ جالسًا إلى جنب[١] الكُرسيّ، فنام، فأمسكَ أبو الحسين ساعةً حتَّى استيقظَ القوّاس، فقال له أبو الحسين: رأيتَ رسولَ الله ﷺ؟ قال: نعم، فقال أبو الحسين: أمسَكنا عن الكلام خوفًا أن تنزَعِجَ وتنقَطِعَ عمّا كُنتَ فيه»، أو كما قال[٢].

أسند أبو الحسين عن خلقٍ كثير، وتُوفِّي في النصفِ من ذي القعدة سنةَ سبعٍ وثمانين وثلاثِ مئة، ودُفِنَ في داره، ثمَّ نُقِلَ منها[٣].

قال محمَّدُ بنُ يوسف: أخبرَني أبي، قال: «كنتُ مع الذين أخرَجوه، وقد دُفِنَ في دارِه أربعينَ سنةً، فأُخرِجَ إلى قبرِ أحمدَ وأكفانُه تقعقَعُ[٤] كما دُفِن، رحمةُ الله تعالى عليه»[٥]. والله أعلم.

* * *

[عبد الصمد]

[١٥٤] ومنهم: عبدُ الصمد[٦].

---

(١) في (ق): «جنبه».

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٢: ٩٥)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٥٧)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٥١: ١٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥١-٥٥٢).

(٣) انظر: «تاريخ بغداد» (٢: ٩٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢).

(٤) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (٢: ٩٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢).

(٦) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٣: ٣٢٩).

كان من أهلِ الزُّهدِ والصلاحِ، أمّارًا بالمعروفِ، نَهّاءً عن المنكر(١).

قال محمَّدُ بنُ الحسن(٢) المالكيّ: «جاءَ رجلٌ إلى عبد الصمد بمئة دينارٍ ليدفعَها لهُ(٣)، فقال: أنا غني عنها، فقال: ففرِّقها(٤) على [١٠٤/أ] أصحابكَ.

فقال: ضعها على الأرض، ففَعَل، فقال عبدُ الصمد للجماعة: مَن احتاجَ(٥) منكُم إلى شيءٍ فليأخُذ قدرَ حاجَتِه، فتوزَّعها الجماعةُ على صفاتٍ مختلفةٍ من القِلّة والكثرة، ولم يَمَسَّها هو بيدِه، ثمَّ جاءه ابنُه بعد ساعة، فطلبَ منه شيئًا، فقال له: اذهب إلى البقّالِ فخُذ منه رُبعَ رطلٍ تمر»(٦).

قال أبو عليٍّ العَلّاف: قال لي عبدُ الصمد: «يا أبا عليّ، رأيتُ اليوم عجبًا، اجتزتُ ببعض الخرابات، فسمعتُ أنينًا، فدخلت، فإذا برجلٍ قد شَدَّ في عُنقِه حبلًا يريدُ خنقَ نفسِه، فزعقتُ عليه، وقلت: لا يَحِلُّ لك ذلك(٧)، فقال لي: فاعذُر، فقلت(٨): ما شأنُكَ؟ قال: قامَرتُ في قتل نفسي، فقَمَرتُها وما أرى الغَدر، فنحَّيتُ الحبلَ من عُنقِه، وعَجِبتُ كيف لم يَستَجِز الغدرَ في هوى الشيطان، فكيف يُجَوِّزُ الغدرَ في رضا الله الرحمن»(٩).

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٣: ٣٢٩).

(٢) في (د): «الحسين».

(٣) «له» ليس في (ق).

(٤) في (ق): «فرقها».

(٥) بعدها بياض في (د) بمقدار كلمة.

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«المنتظم» (١٥: ٥٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢)، و«البداية والنهاية» (١٥: ٥١٦).

(٧) «ذلك» ليس في (د).

(٨) في (د): «قلت».

(٩) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٣).

وجاءَهُ[١] رجلٌ بدراهمَ وبيتُه فارغٌ من القوت، فقال له: يا هذا، بالله دَعني أتلذَّذُ بفَقري كما يتلذَّذُ الأغنياءُ بغناهُم[٢].

وكان يُحرِّضُ أصحابَه على الجِدّ، ويقول: هيه، قد فاتَتكُم الدنيا فلا تفوتكُم الآخرة[٣].

قال عبدُ الصمد: «كنتُ يومًا أمشِي في بعض الطرُق، وإذا بساعٍ قد أقبل، وقد بقي[٤] عليه من الطريق شيءٌ، والناسُ يستقبلونه بالتُّحَف، فقال له رجلٌ: أي فلان، مُتِ اليوم حتَّى تعيشَ أبدًا، فقلت لنفسي: هذا لكِ، مُوتِي حتَّى تعيشي أبدًا»[٥].

أسند عبدُ الصمد عن النجّاد[٦].

قال الصَّيمريّ: «وكان عنده جُزءٌ من النجّاد، فأخذتُ من أبي بكرٍ البقال نُسخَتَه، ومضَيتُ أنا وأبو يَعلى بنُ المأمون إليه، فسلَّمنا عليه، وسألناه أن يَحضُرَنا في المسجد؛ لنسمعَ الجزءَ منه، وسبَقناهُ إلى المسجد، فدخلَ وسلَّم وصلَّى ركعتَين، ثمَّ جاءَ وجَلَسَ بين أيدينا، فقلت له: إنّما حضرنا لنسمعَ منك، فإن رأيتَ أن تَرتَفِعَ إلى صدر[٧] المَجلِس، فقال: هذا ابنُ عمِّ رسول الله ﷺ، وأنت رجلٌ من أهلِ العِلم، وما كنتُ لأرتفعَ عليكما في المجلس»[٨].

(١) في (ق): «وجاء».
(٢) في (د): «بغنائهم»، وانظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).
(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).
(٤) في (ق): «وبقي».
(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٣).
(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«تاريخ الإسلام» (٢٧: ٣٤٤).
(٧) في (د): «ترتفع لصدر».
(٨) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٢).

تُوفِّي يوم الثلاثاء لسبعٍ بقينَ من ذي الحجّةِ سنةَ سبعٍ وسبعين وثلاثِ مئة، وكانت وفاتُه بدرب شماس[1]، وقبرهُ ظاهرٌ بمقبرةِ الإمام أحمدَ رحمةُ الله تعالى عليه[2]. والله أعلم.

* * *

[عثمان بن عيسى الباقلاوي]

[١٥٥] **ومنهم**: عثمانُ بنُ عيسى الباقلاويّ[3].

وكان يُقالُ له: العابدُ الصَّمُوتُ؛ لإمساكه عن الكلام فيما[4] لا يَعنِيه[5].

[١٠٤/ب] وهو أحدُ الزهّاد[6] المتعبِّدين، مُنقطِعًا عن الخلق، مُلازمًا للخَلوة[7].

قال أبو أحمدَ بنُ عليٍّ الحافظ: سمعتُ بعضَ الشُّيُوخ الصالحين يقول: سَمِعتُ عثمانَ الباقلّاويَّ يقول: «إذا كان وقتُ غروبِ الشمس أحسَبُ روحي كأنّها تَخرُج؛ يَعني: لاشتغاله في تلك الساعةِ بالإفطارِ عن الذِّكر»[8].

---

(١) في (د): «شمامين».

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ٣١٠)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).

(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٣: ٢٠٧)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٦٩)، و«المنتظم» (١٥: ٨٦)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).

(٤) في (د): «الذي».

(٥) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).

(٦) في (د): «الزاهدين».

(٧) قوله: «منقطعًا عن الخلق» ليس في (د)، وانظر: «تاريخ بغداد» (١٣: ٢٠٧)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).

(٨) انظر: «تاريخ بغداد» (١٣: ٢٠٧)، و«طبقات الحنابلة» (٢: ١٦٩)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٤).

قال: وسمعتُه يقول: «أحَبُّ الناس إليَّ مَن تَركَ السلامَ عليَّ؛ لأنّه يَشغَلُني بكلامه عن الذِّكر»[١].

قال محمَّدُ بنُ عبد العزيز العباسيّ: حدَّثني أبي، قال: «مضيتُ مع خالي إلى عثمانَ الباقلّاويّ، فوجَدناه خارجًا من المسجدِ إلى دارِه وهو يُسَبِّح، فقال له خالي: ادعُ لي، فقال: يا أبا عبد الله، شَغَلتَني، انظُر ما تَظنُّه فيَّ فافعَله، وادعُ أنت لي، فقلت[٢] له أنا: بالله عزَّ وجلَّ ادعُ لي، فقال لي: رَفَقَ الله بك، فاستزَدتُه، فقال: الزمانُ يذهَبُ والصحائفُ تُختَمُ[٣].

وكان مَأواهُ المسجدَ، ما يَخرُجُ منه إلّا إلى الجمعة، صلَّى إمامُ المسجدِ يومًا بالحاقّة، فلمّا انتهى إلى قولِه تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الحاقة: ١٥] صاحَ عثمانُ وسقطَ مغشيًّا عليه، فما بَقِيَ في المَسجِدِ أحَدٌ إلّا انتحَب، وكان عثمانُ يأكُلُ من كَسبِ البَوادي[٤].

تُوفِّي يوم[٥] الجمعةِ لسبعٍ بَقِينَ من رمضان، سنةَ اثنَتَين[٦] وأربعِ مئة.

ودُفِنَ في مقبرةِ جامع المنصور[٧]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٣: ٢٠٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٥).

(٢) في (د): «فقال».

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٥).

(٤) في «المنتظم» (١٥: ٨٧): «البواري»، وفي «صفة الصفوة» (١: ٥٥٥): «البوازي».

(٥) في (ق): «في يوم».

(٦) في (د): «اثنين».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٥).

[أبو أحمد عبيد الله الفرضي]

[١٥٦] ومنهم: أبو أحمد(١) عُبَيد الله(٢) الفَرَضيُّ(٣).

قال عليُّ بنُ أحمدَ بن مهدي: «اختلفتُ إلى الفَرَضيِّ(٤) ثلاثَ عشرةَ سنةً لم أرَه ضحكَ فيها، غير أنَّه قَرأ كتابَ الانبساط، فأرادَ أن يَضحَكَ فغطَّى فمَه»(٥).

وكان قد اجتَمَعَت فيه أنواعُ الرئاسة؛ من علمٍ وقُرآنٍ وإسنادٍ وغير ذلك.

وكان أورعَ الخلق، وكانَ(٦) يبتدئ كلَّ يومٍ بتدريسِ القرآن، ويحضرُ عليه الشيخُ الكبيرُ ذو الهيئة(٧) فيُقَدِّمُ عليه الحدثَ لأجل سَبْقه، فإذا فرغَ وليَ قراءةَ الحديث بنفسه، فلا يَزالُ كذلك حتَّى يستنفد وقتَه، ثمَّ يضعُ الكتابَ بنفسه وينصرف، وكان يُطيلُ القعُودَ على حالةٍ واحدةٍ لا يتحرَّكُ ولا يُغيِّرُ شيئًا من هيئته، وكان يجلسُ مع أهلِه كذلك، أدرَكَ أبا بكرٍ بنَ الأنباريِّ(٨).

تُوفِّي يومَ الثلاثاءِ النصف من شوّال سنةَ ستٍّ وأربعِ مئة، وعمرُه اثنان وثمانون(٩)

---

(١) قوله: «أحمد» ليس في (ق) و(د). (٢) في «صفة الصفوة»: «عبد الله».

(٣) في (ق): «القرضي»، وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١٢: ١١٣)، و«الأنساب» للسمعاني (١٠: ١٨٤)، و«المنتظم» (١٥: ١١٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٦).

(٤) في (د): «العرضي»، وفي (ق): «القرضي».

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ١١٣)، و«الأنساب» للسمعاني (١٠: ١٨٤)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٦).

(٦) «وكان» ليس في (د). (٧) في (ق): «الهيبة».

(٨) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ١١٣)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٧).

(٩) في (ق): «وعمره اثنين وثمانين».

سنةً، ودُفِنَ في مقبرة جامع المدينة(١). رحمةُ الله تعالى عليه. والله أعلم.

* * *

[أبو العباس أحمد الأبِيوَردِي]

[١٥٧] ومنهم: أبو العبّاس أحمدُ الأبِيوَردِيُّ(٢).

وكان فقيهًا، فصيحًا، مُناظرًا، تَوطَّنَ بغداد(٣)، ووَلِيَ القضاءَ بها على الجانب [١٠٥/أ] الشرقيّ، وكانت حلقتُه بجامعِ المنصور، وكان يصومُ الدهر، وغالبُ إفطارِه على الخُبزِ والمِلح، وكان فقيرًا يُظهِرُ المروءة، ومَكَثَ شَتوةً لا يملكُ جُبّةً يَلبَسُها.

وكان يقولُ لأصحابِه: بي علّةٌ تمنعني عن لبس المحشوّ، فكانوا يظنُّونَ أنّه يَعني المَرضَ(٤)، وإنّما كان يَعني الفقر، ولا يُظهِرُه تَصوُّنًا ومروءةً(٥).

ماتَ يومَ السبتِ السادس من جُمادَى الآخرة، سنةَ خمسٍ وعشرين وأربعِ مئة، ودُفِنَ بمقبرة باب حرب(٦)، رحمةُ الله عليه، والله أعلم.

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٢: ١١٣)، و«الأنساب» للسمعاني (١٠: ١٨٥)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٥٧).

(٢) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٦: ٢٠٢)، و«الأنساب» للسمعاني (١: ١٠٨)، و«المنتظم» (١٥: ٢٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٩: ١٤٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٤: ٨١).

(٣) في (د): «ببغداد».

(٤) في (د): «المرضى».

(٥) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٢٠٢)، و«الأنساب» للسمعاني (١: ١٠٨)، و«المنتظم» (١٥: ٢٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٩: ١٤٨)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٤: ٨١).

(٦) انظر: «تاريخ بغداد» (٦: ٢٠٢)، و«الأنساب» للسمعاني (١: ١٠٨)، و«المنتظم» (١٥: ٢٤٣)، و«تاريخ الإسلام» (٢٩: ١٤٩)، و«طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٤: ٨١).

[أبو بكر محمد الدِّينَوَرِي]

[١٥٨] ومنهم: أبو بكرٍ مُحمَّدٌ(١) الدِّينَوَرِيُّ(٢).

سَكنُه الرُّصافةُ ببغداد، وكان زاهِدًا خَشِنَ العيش(٣).

وكـان أبـو الحسنِ القزوينـيُّ يقـول: «عَبرَ الدِّينَوَرِيُّ قنطرةً خلفَ مَـن بعده ورآه»(٤).

وكان شابٌّ يتَعاهَدُه الرمد، فأدخلَه بكارٌ على الشيخ، فوجدَه مستقبلَ القِبلةِ يُسبِّحُ(٥)، على رأسِه نِطعٌ(٦) كالطَّرحة، فقال له بكّارٌ: يا سيِّدي، هذا صبيٌّ يُحِبُّ الخير، وقد مَرِضَت عينُه فادعُ له، قال الشابّ: فدَعاني إليه، فأدخَلَ خِنصِرَه في فيه، ثمَّ مَسَحَ عيني، فبَقِيتُ بعد ذلك ستِّينَ سنةً لم تَرمَد عيني(٧).

تُوفِّي الدِّينوريُّ فـي شعبانَ سنةَ ثلاثين وأربعِ مئة(٨). رحمة الله تعالى عليه، والله أعلم.

* * *

[أبو بكر بن أحمد العلبي]

[١٥٩] ومنهم: أبو بكر بنُ أحمدَ العلبيُّ(٩).

وكانَ يقرأُ القرآن، ويعملُ بيده، ولا يقبلُ من أحدٍ شيئًا، ويُقبلُ كلَّ ليلةٍ

---

(١) جاء بعدها في (ق): «ابن».

(٢) انظر ترجمته في: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٩).

(٣) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٩).

(٤) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٩).

(٥) «يسبح» ليس في (ق).

(٦) في «صفة الصفوة»: «سطح».

(٧) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٩).

(٨) انظر: «صفة الصفوة» (١: ٥٥٩).

(٩) انظر ترجمته في: «المنتظم» (١٧: ١١٧)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦١)، و«تاريخ الإسلام» (٣٥: ٧٧).

إلى دجلة، فيأخُذُ في رَكوةٍ[١] ماءً يُفطِرُ عليه، ويَمشي في حوائج نفسِه، ولا يستعين بأحدٍ[٢].

وكان يَؤُمُّ بالنّاس، وكان إذا حجَّ يزورُ القبورَ بمكّة[٣]، ويجيءُ إلَى قبرِ الفُضَيل ويخطُّ بعصاه، ويقول: يا ربِّ هاهنا، فاتَّفَقَ أنّه خرجَ إلى الحجِّ في سنة ثلاثٍ وخمسٍ مئة فشَهِدَ عرفةَ مُحرِمًا، وتُوفِّي عشيّةَ ذلك اليومِ في أرض عرفات، فحُمِلَ إلى مكّة، وطِيفَ به حول البيت، ودُفِنَ يومَ النحرِ إلَى[٤] جانِب الفُضَيل بن عياض[٥]، رحمةُ الله تعالى عليه، والله أعلمُ.

---

(١) في (ق): «كوزة».

(٢) انظر: «المنتظم» (١٧: ١١٧-١١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦١)، و«تاريخ الإسلام» (٣٥: ٧٧).

(٣) «بمكة» ليس في (د).

(٤) «إلى» ليس في (د).

(٥) انظر: «المنتظم» (١٧: ١١٨)، و«صفة الصفوة» (١: ٥٦١)، و«تاريخ الإسلام» (٣٥: ٧٨).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥
الفصل الأول: ترجمة المؤلف تقي الدين الحصني	١١
المبحث الأول: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته ومولده	١١
المبحث الثاني: نشأته وحياته ورحلاته	١٢
المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته	١٤
المبحث الرابع: طلبه العلم	١٥
المبحث الخامس: شيوخه	١٥
المبحث السادس: تلاميذه	١٧
المبحث السابع: ثناء العلماء عليه	١٨
المبحث الثامن: مؤلفاته	١٩
المبحث التاسع: ذريته	٢٤
المبحث العاشر: وفاته	٢٤
الفصل الثاني: التعريف بالكتاب	٢٦
المبحث الأول: تحقيق عنوان الكتاب	٢٦
المبحث الثاني: نسبة الكتاب إلى مؤلفه	٢٧
المبحث الثالث: منهج المؤلف	٢٨
المبحث الرابع: القيمة العلمية لكتاب «سير السالك»	٣٢
المبحث الخامس: المآخذ عليه	٣٣
المبحث السادس: أثره في الكتب اللاحقة	٣٤

الموضوع **الصفحة**

المبحث السابع: الأصول الخطية المعتمدة في التحقيق.......... ٣٤
المبحث الثامن: منهج التحقيق ٤٢
نماذج صفحات المخطوطات المعتمدة في التحقيق.......... ٤٥
النص المحقق ٦٣
مقدمة المؤلف.......... ٦٥
فصل في فضائل القرآن والعمل به.......... ٦٩
تفسير قول الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا...﴾.......... ٧٣
تفسير قول الله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾.......... ٧٥
قصة بلعام بن باعوراء.......... ٧٥
أنواع الأكل بالباطل.......... ٨٣
الصفة الثانية: عمل الصالحات ١٢٠
شروط الصلاة وأركانها وأبعاضها وهيئاتها ١٢٠
الخشوع في الصلاة.......... ١٢١
المراقبة.......... ١٢٧
صفات العارف ١٢٨
الصفة الثالثة: التواصي بالحق ١٣٢
حقيقة التقوى.......... ١٤١
وقوف العلماء في وجوه الأمراء ١٥٤
ذكر العلماء الذين يصدعون بالحق ١٥٧
١ـ ابن أبي ذئب.......... ١٥٧
٢ـ عبد الله العمري.......... ١٥٨
٣ـ عبد العزيز بن أبي رواد ١٦٠

الموضوع **الصفحة**

٤ـ الفضيل بن عياض ١٦٢
٥ـ طاوس ١٦٦
٦ـ إبراهيم الحربي ١٦٨
٧ـ سفيان الثوري ١٦٩
٨ـ ابن السماك ١٧٠
٩ـ عمرو بن عبيد ١٧١
١٠ـ الأوزاعي ١٧٢
١١ـ مالك بن دينار ١٧٣
الصفة الرابعة: التواصي بالصبر ١٧٩
فصل في بيان خديعة النفس ١٩٨
فصل في تراجم السالكين ٢٠٦
١٢ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ٢٠٦
١٣ـ عمر بن الخطاب ٢١٢
١٤ـ عثمان بن عفان ٢٢٦
١٥ـ علي بن أبي طالب ٢٣١
١٦ـ طلحة بن عبيد الله التيمي القرشي ٢٤١
١٧ـ الزبير بن العوام ٢٤٥
١٨ـ عبد الله بن الزبير ٢٥٠
١٩ـ عبد الرحمن بن عوف ٢٥٤
٢٠ـ سعد بن أبي وقاص ٢٥٩
٢١ـ سعيد بن زيد ٢٦٣
٢٢ـ أبو عبيدة بن الجراح ٢٦٥
٢٣ـ حمزة بن عبد المطلب ٢٦٨
٢٤ـ زيد بن حارثة ٢٧٠

الموضوع الصفحة

٢٥ـ سالمٌ مولى أبي حذيفة ٢٧٢
٢٦ـ عبد الله بن جحش ٢٧٣
٢٧ـ عتبة بن غزوان ٢٧٤
٢٨ـ مصعب بن عمير ٢٧٦
٢٩ـ عمير بن أبي وقاص ٢٧٩
٣٠ـ عبد الله بن مسعود ٢٧٩
٣١ـ المقداد بن عمرو ٢٨٨
٣٢ـ خباب بن الأرت ٢٨٩
٣٣ـ صهيب بن سنان ٢٩٠
٣٤ـ عامر بن فهيرة ٢٩٢
٣٥ـ بلال بن رباح ٢٩٣
٣٦ـ عمار بن ياسر ٢٩٦
٣٧ـ زيد بن الخطاب ٢٩٧
٣٨ـ عثمان بن مظعون ٢٩٨
٣٩ـ سعد بن معاذ ٢٩٩
٤٠ـ قتادة بن النعمان ٣٠٣
٤١ـ عاصم بن ثابت ٣٠٤
٤٢ـ حارثة بن النعمان الأنصاري ٣٠٦
٤٣ـ معاذ بن عفراء ٣٠٧
٤٤ـ أبي بن كعب ٣٠٨
٤٥ـ أبو طلحة زيد بن سهل ٣١٠
٤٦ـ عبد الله بن رواحة ٣١٢
٤٧ـ أبو دجانة ٣١٤
٤٨ـ عمير بن حمام ٣١٥

الموضوع **الصفحة**

٤٩ـ معاذ بن جبل ٣١٦
٥٠ـ أسيد بن حضير ٣٢٠
٥١ـ سعد بن عبادة........................ ٣٢١
٥٢ـ جعفر بن أبي طالب........................ ٣٢٢
٥٣ـ سلمان الفارسي ٣٢٦
٥٤ـ أبو موسى الأشعري ٣٣٤
٥٥ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب ٣٣٦
٥٦ـ أبو ذر الغفاري........................ ٣٤٣
٥٧ـ حذيفة بن اليمان........................ ٣٤٧
٥٨ـ أبو الدحداح ٣٥٠
٥٩ـ أبو الدرداء........................ ٣٥١
٦٠ـ عبد الله بن عمرو بن العاصي ٣٥٧
٦١ـ سعيد بن عامر الجمحي ٣٥٩
٦٢ـ الحكم بن عمرو........................ ٣٦٢
٦٣ـ واثلة بن الأسقع ٣٦٣
٦٤ـ معاوية بن معاوية الليثي........................ ٣٦٣
٦٥ـ عمران بن حصين........................ ٣٦٤
٦٦ـ أبو هريرة ٣٦٥
٦٧ـ العلاء بن الحضرمي ٣٧٠
٦٨ـ عمير بن سعد........................ ٣٧٢
٦٩ـ أبو جهيم الأنصاري ٣٧٦
٧٠ـ شداد بن أوس ٣٧٦
٧١ـ أنس بن مالك........................ ٣٧٨
٧٢ـ أبو سعيد الخدري ٣٧٩

الموضوع الصفحة

٧٣ـ عبد الله بن سلام ٣٨٠
٧٤ـ سهيل بن عمرو ٣٨١
٧٥ـ أبو أمامة الباهلي ٣٨٢
٧٦ـ تميم بن أوس الداري ٣٨٤
٧٧ـ عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ٣٨٥
٧٨ـ الحسن بن علي ٣٨٩
٧٩ـ الحسين بن علي ٣٩١
٨٠ـ عبد الله بن الزبير بن العوام ٣٩١
٨١ـ المسور بن مخرمة ٣٩٥
مطلب في التابعين ٤٠٢
٨٢ـ محمد بن علي بن أبي طالب ٤٠٢
٨٣ـ سعيد بن المسيب ٤٠٤
٨٤ـ عروة بن الزبير بن العوام ٤٠٥
٨٥ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ٤٠٧
٨٦ـ سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ٤٠٩
٨٧ـ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ٤١١
٨٨ـ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ٤١٦
٨٩ـ بشر بن سعيد ٤١٧
٩٠ـ زياد بن أبي زياد ٤١٧
٩١ـ علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ٤١٨
٩٢ـ محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ٤١٨
٩٣ـ عمر بن عبد العزيز بن مروان ٤٢١
٩٤ـ عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام ٤٢٨
٩٥ـ أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ٤٢٩

الموضوع **الصفحة**

٩٦ـ محمد بن كعب القرظي ٤٣١
٩٧ـ أبو عمرو بن حماس ٤٣٢
٩٨ـ محمد بن المنكدر ٤٣٢
٩٩ـ عمر بن المنكدر ٤٣٤
١٠٠ـ سعد بن إبراهيم ٤٣٦
١٠١ـ ربيعة بن أبي عبد الرحمن ٤٣٧
١٠٢ـ صفوان بن سليم ٤٣٨
١٠٣ـ أبو حازم سليمان بن دينار الأعرج ٤٤١
١٠٤ـ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ٤٤٤
١٠٥ـ محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذؤيب ٤٤٧
١٠٦ـ مصعب بن ثابت ٤٤٨
١٠٧ـ مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي ٤٤٨
١٠٨ـ عبد الله بن عبد العزيز العمري ٤٥٠
١٠٩ـ موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ٤٥٢
١١٠ـ عابدٌ من رعاة المدينة ٤٥٥
١١١ـ عابد آخر ٤٥٥
ذكر المصطفين من طبقات أهل مكة من التابعين ومن بعدهم ٤٥٧
١١٢ـ عبيد بن عمير ٤٥٧
١١٣ـ مجاهد بن جبير ٤٥٨
١١٤ـ عطاء بن أبي رباح ٤٥٩
١١٥ـ عبد الله بن عبيد بن عمير ٤٦١
١١٦ـ محمد بن طارق ٤٦٢
١١٧ـ وهيب بن الورد ٤٦٣
١١٨ـ عبد العزيز بن أبي رواد ٤٦٦

الموضوع **الصفحة**

١١٩ـ سفيان بن عيينة ٤٦٧
١٢٠ـ الفضيل بن عياض ٤٧١
١٢١ـ محمد بن إدريس الشافعي ٤٧٣
١٢٢ـ محمد المزين الصغير ٤٧٧
١٢٣ـ عابدٌ أسود ٤٧٨
١٢٤ـ عابدٌ آخر ٤٨٠
١٢٥ـ عابدٌ آخر ٤٨١
١٢٦ـ سعيد بن السائب الطائفي ٤٨٢
١٢٧ـ طاوس ٤٨٢
١٢٨ـ وهب بن منبه ٤٨٥
١٢٩ـ المغيرة بن حكيم الصنعاني ٤٨٧
١٣٠ـ عابدٌ من أهل اليمن ٤٨٧
١٣١ـ عابد آخر وابنه من اليمن ٤٨٩
١٣٢ـ أبو هاشم الزاهد ٤٩٠
١٣٣ـ أسود بن سالم ٤٩٠
١٣٤ـ منصور بن عمار بن كثير، أبو السري ٤٩٢
١٣٥ـ ابن هارون الرشيد المعروف بالسبتي ٤٩٣
١٣٦ـ معروفٌ الكرخي ٤٩٥
١٣٧ـ بشر بن الحارث ٤٩٨
١٣٨ـ الإمام أحمد بن حنبل ٥٠١
١٣٩ـ أبو حمدون الطيب بن إسماعيل ٥٠٨
١٤٠ـ الحارث بن أسد المحاسبي ٥٠٩
١٤١ـ عبد الوهاب الوراق ٥١١
١٤٢ـ السري السقطي ٥١٢

الموضوع **الصفحة**

١٤٣ـ علي بن الموفق ٥١٨
١٤٤ـ أبو عبد الله جعفر البراثي ٥٢٠
١٤٥ـ أبو جعفر المحولي ٥٢١
١٤٦ـ أبو بكر محمد بن مسلم القنطري ٥٢١
١٤٧ـ أبو بكر الشبلي ٥٢٣
١٤٨ـ خزرجٌ أبو طالب الصوفي ٥٢٦
١٤٩ـ أبو إسحاق إبراهيم بن حماد ٥٢٨
١٥٠ـ أبو بكر أحمد النجاد ٥٢٨
١٥١ـ جعفرٌ الخلدي ٥٢٩
١٥٢ـ الآجري ٥٣٠
١٥٣ـ أبو الحسين محمد بن سمعون ٥٣١
١٥٤ـ عبد الصمد ٥٣٣
١٥٥ـ عثمان بن عيسى الباقلاوي ٥٣٣
١٥٦ـ أبو أحمد عبيد الله الفرضي ٥٣٨
١٥٧ـ أبو العباس أحمد الأبيوردي ٥٣٩
١٥٨ـ أبو بكر محمد الدينوري ٥٤٠
١٥٩ـ أبو بكر بن أحمد العلبي ٥٤٠
فهرس الموضوعات ٥٤٣